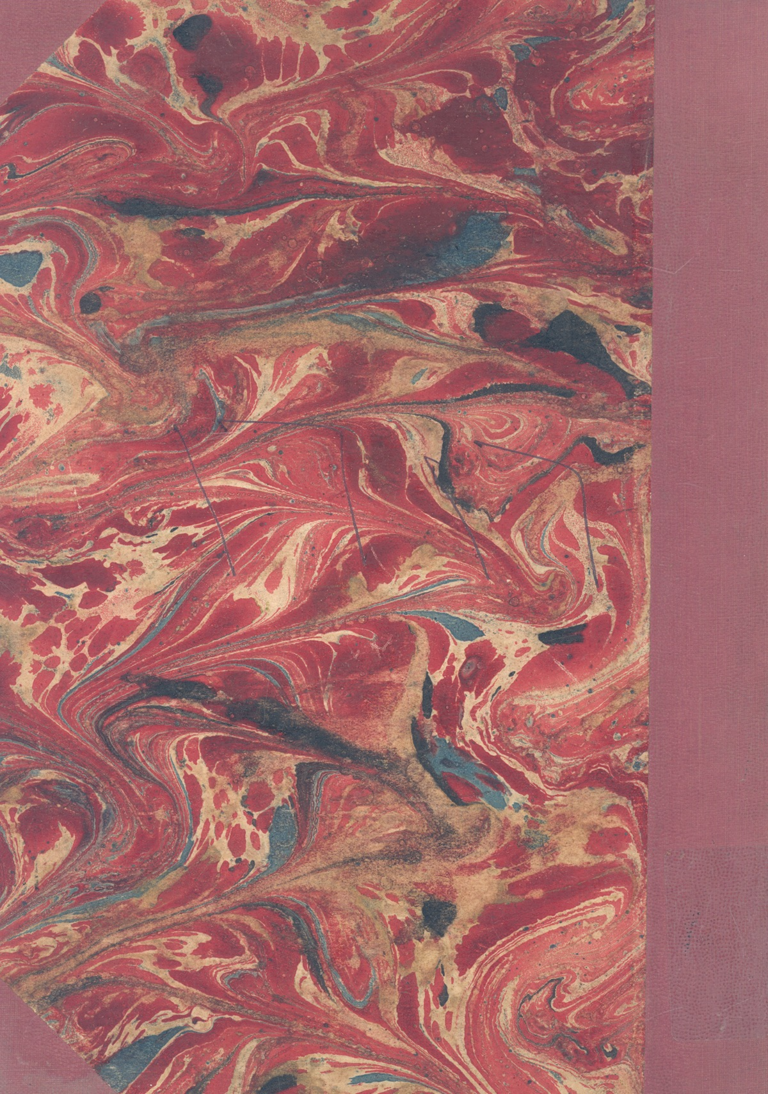




كتاب الصناعتين

الكتابة والشعر

من تصنيف ابى هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكرى
المتوفى سنة ٣٩٥ هجريه رحمه الله تعالى

— تنبيه — كل جملة مكتنفة بقوسين [هكذا] فهى من زوائد بعض النسخ المعارض بهم الاصل المطبوع عليه . . وكل علم مقرون بنجمة اشارة الى ان ترجمته ذكرت « بكتاب الصناعتين فى اعلام رجال الصناعتين » تأليف مصحح هذا الكتاب ومفسر غريب الفاظه السيد محمد امين الخانجى : حقوق الطبع محفوظ له :

الطبعة الاولى

طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة المرقة ٥٤ بتاريخ ٤ محرم سنه ١٣١٩ فى مطبعة محمود بك الكائنة فى جادة ابى السعود فى الاستانة العليه

على
نفقة السادات احمد ناجى الجمالى ومحمد امين الخانجى الكتبى واخيه

١٣٢٠



الحمدلله ولى كل نعمة . وصلواته على نبيه الهادى من كل ضلالة . وعلى آله المنتجبين الاخيار . وعترته المصطفين الابرار

[قال* ابوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل رحمه الله لبعض اخوانه اعلم علمك الله الخير ودلك عليه وقيضه لك وجعلك من اهله] ان احق العلوم بالتعلم. واولاها بالتحفظ. بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة . ومعرفة الفصاحة . الذى به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى . الناطق بالحق . الهادى الى سبيل الرشد . المدلول به على صدق الرسالة . وصحة النبوة . التى رفعت اعلام الحق. واقامت منار الدين. وازالت شبه الكفر ببراهينها. وهتكت حجب الشك بيقينها .

(وقد علمنا) ان الانسان اذا اغفل علم البلاغة . واخل بمعرفة الفصاحة . لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف . وبراعة التركيب . وما شحنه به من الايجاز البديع . والاختصار اللطيف . وضمنه من الحلاوة . وجلله من رونق الطلاوة . مع سهولة كلمه وجزالتها . وعذوبتها وسلاستها . الى غير ذلك . من محاسنه التى عجز الخلق عنها . وتحيرت عقولهم فيها . وانما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه . وقصورهم عن بلوغ غايته . فى حسنه وبراعته . وسلاسته ونصاعته [١] . وكمال معانيه . وصفاء الفاظه . وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتم به . والقارئ المهتدى بهديه . والمتكلم المشار اليه فى حسن مناظرته . وتمام آلته فى مجادلته. وشدة شكيمته [٢] فى حجاجه. وبالعربى الصليب. والقرشى الصريح [٣] ان لا يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التى يعرفه منها الزنجى [٤] والنبطى [٥] وان يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبى .

---

[١] — النصاعة — هنا بمعنى الوضوح والابانة كما فى اقرب الموارد والناصع فى الاصل الخالص من كل شئ

[٢] — الشكيمة — الانفة والانتصار

[٣] العربى الصليب — الخالص النسب (ومثله) القرشى الصريح

[٤] — الزنجى — بفتح الزاى واحد الزنوج بضمها جيل من السودان حكاه فى القاموس وقال فى المصباح بكسر الزاى والفتح لغة وفى المختار قال الفتح والكسر سوآء ونقله فى اقرب الموارد

[٥] — النبطى — واحد النبط بفتحتين جيل من العجم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء وسمى اولاد شيث انباطا لانهم نزلوا هناك هذا اصله ثم استعمل فى اخلاط الناس وعوامهم

فينبغى من هذه الجهة ان يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيدالله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده على ماذكرنا اذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه ولهذا العلم بعد ذلك فضايل مشهورة. ومناقب معروفة (منها) ان صاحب العربية اذا أخل بطلبه. وفرّط فى التماسه. ففاته فضيلته . وعلقت به رذيلة فوته. عفّى على جميع محاسنه. وعمى سائر فضايله. لانه اذا لم يفرق بين كلام جيد. وآخر ردئ. ولفظ حسن . وآخر قبيح . وشعر نادر . وآخر بارد . بان جهله . وظهر نقصه . (وهو ايضاً) اذا اراد ان يصنع قصيدةً . اوينشئ رسالةً . وقد فاته هذا العلم . مزج الصفو بالكدر . وخلط الغرر بالعرر . واستعمل الوحشى العكر . فجعل نفسه مهزأةً للجاهل . وعبرة للعاقل . كما فعل ابن جحدر * فى قوله

حَلفتُ بمَا ارقلتْ حَوْلهُ   هَمَرْجَلَةٌ خَلقُها شَيْظَمُ [١]

ومَا شَبْرَقتْ من تَنُوفيَّةٍ   بهَا مِن وَحَا الجنّ زَيزيَزَمُ [٢]

وانشده ابن الاعرابى * فقال ان كنت كاذبا فالله حسيبك . وكما ترجم بعضهم كتابه الى بعض الرؤساء ــ مُكرْكَسَة تَرَبوتا ومحبوسة بِسَرِّيتا ــ [٣] فدل على سخافة عقله. واستحكام جهله. وضره الغريب الذى اتقنه ولم ينفعه. وحطه ولم يرفعه . لمّا فاته هذا العلم. وتخلف عن هذا الفن . (واذا) اراد ايضاً تصنيف كلام منثور . اوتأليف شعر منظوم . وتخطى هذا العلم . ساء اختياره له . وقبحت اثاره فيه. فاخذ الردئ المرذول . وترك الجيد المقبول . فدل على قصور فهمه . وتأخر معرفته وعلمه. (وقد قيل) اختيار الرجل قطعة من عقله. كما ان شعره قطعة من علمه. وما اكثر من وقع من علماء العربية فى هذه الرذيلة منهم الاصمعى * فى اختياره قصيدة المرقش *

هل بالدّيار ان تجيب صَمَمَ   لو آنّ حيّاً ناطقاً كلم

---

[١] ــ ارقلت ــ اسرعت ــ والهمرجلة ــ الناقة النجيبة حكاه فى اقرب الموارد وذكر الثعالبي فى فقه اللغة بانها السريعة ــ والشيظم ــ الطويل الجسيم الفتى من الابل والخيل والناس

[٢] ــ شبرقت ــ الشبرقة كما فى القاموس عدو الدابة وخدا ــ والتنوفية ــ المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف اوالفلاة لاماء بها ولا انيس ــ وزيزيزم ــ هكذا فى اصح النسخ وفى بعضها ــ زبريزم ــ ولم اجد فيما تتبعته من كتب اللغة معنى لذلك واقرب ماوجدته زى زى حكاية اصوات الجن

[٣] لم يصح لنا معنى هذه الجملة لاختلاف رسمها فى النسخ التى اطلعنا عليها ففى نسخة هكذا ــ مكركسة بربويا ومحبوسه سرينا ــ وفى ثانية ــ مكركسة تربوتا ومحبوسة بترينا ــ وفى ثالثة ــ مكركسة بربونا ومحبوسة سرينا ــ وقد سئلت صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية عن ذلك فاجابنى حفظه الله بان جميع ذلك غلط من تحريف النساخ فاثبت ماوجدته بعينه ليختار المطالع مايصح له معناه

ولا اعرف على اى وجه صرف اختياره اليها وماهى بمستقيمة الوزن . ولا مونقة [١] الروى. ولاسلسةاللفظ. ولاجيدةالسبك. ولامتلايمةالنسج: وكان المفضل* يختار من الشعر مايقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه وهذا خطاء من الاختيار لان الغريب لم يكثر فى كلام الاافسده وفيه دلالة الاستكراه والتكلف: وقال بعض الاوايل: تلخيص المعانى رفق. والتشادق من غيراهله بغض . والنظر فى وجوه الناس عى. ومس اللحية هلل [٢]. والاستعانة بالغريب عجز . والخروج عما بنى عليه الكلام اسهاب . : وكان كثير من علماء العربية يقولون ماسمعنا باحسن ولاافصح من قول ذى الرمة *

رَمَتْنِىَ مَىُّ بالهَوى رَمْىَ مُضْعَ ... مِنَ الْوَحْشِ لَوْطٍ لَمْ تُعقهالاَوالِسُ [٣]
بعَيْنَيْن نَجْلاَوَيْن لم يجْرِ فيهما ... ضَمانٌ وجيدٍ حُلِّىَ الدُرّ شَامِسُ [٤]

وهذا كما ترى كلام فج غليظ . ووخم ثقيل . لاحظ له من الاختيار : وحكى العتبى * عن الاصمعى انه كان يستحسن قول الشاعر

ولَوْاُرسِلْتُ مِن حُبِّـ ... ـك مَهْبُوتاً من الصِّين [٥]
لَوافَيْتُكِ قبل الصُبْـ ... ـح اَوْحين تُصَلِّين

وهما على ماتراهما من دناءة اللفظ وخساسته . وخلوقة المعرض وقباحته : وذكر العتبى ايضاً ان قول جرير *

اِنَّ العيُونَ التى فى طرفها مرض ... قَتلننا ثم لَمْ يُحْيِينَ قتلانا
يَصْرَعن ذَااللُبِّ حتى لاحَراكَ به ... وَهُنّ اضعفُ خلق الله اركانا

وقوله

اِنَّ الذين غَدَوْا بُلبكَ غادَرُوْا ... وَشَلاً بِعَيْنِكَ لايزالُ مَعِينًا [٦]
غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِن وقلن لى ... مَاذَالقِيتَ مِنَ الهَوى ولقينا [٧]

[١] — ولامونقة — اى ولامحكمة والاصل تأنق فيه عمله بالاتقان والحكمة
[٢] — الهلل — بفتحتين الفرق والاحجام يقال هلك فلان هللا واحجم هللا
[٣] — اللوط — مصدر يوصف به الشئ اللازق والرجل الخفيف المتصرف — والاوالس — من ولوس الناقة تلس فى سيرها اى تعنق
[٤] — الشامس — ضرب من القلائد
[٥] — المهبوت — السائر على غير هداية . وجاء فى بعض النسخ — مبهوتا — بتقديم الباء الى مدفوشا من بهت كعلم اى دهش وتحير كافى المختار .
[٦] — غادروا — تركوا — والوشل — محركة القليل من الدمع والكثير منه فهو ضد
[٧] — غيضن — نقصن دمعهن وحبسنه

من الشعر الذى يستحسن لجودة لفظه وليس له كبير معنىً وانا لااعلم معنىً اجود ولااحسن من معنى هذا الشعر

(فلما) رأيت تخليط هؤلاء الاعلام . فيما راموه من اختيار الكلام . ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل . ومكانه من الشرف والنبل . ووجدت الحاجة اليه ماسة . والكتب المصنفة فيه قليلةً . وكان اكبرها واشهرها كتاب البيان والتبيين لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ * (وهو) لعمرى كثير الفوائد. جم المنافع. لمااشتمل عليه من الفصول الشريفة . والفقر اللطيفة . والخطب الرائعة . والاخبار البارعة . وماحواه من اسماء الخطباء والبلغاء . وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة . وغير ذلك من فنونه المختارة . ونعوته المستحسنة . الا ان الابانة عن حدود البلاغة . واقسام البيان والفصاحة . مبثوثة فى تضاعيفه . ومنتشرة فى اثنائه . فهى ضالة بين الامثلة . لاتوجد الا بالتأمل الطويل . والتصفح الكثير . فرأيت ان اعمل كتابى هذا مشتملا على جميع مايحتاج اليه فى صنعة الكلام نثره ونظمه . ويستعمل فى محلوله ومعقوده. من غير تقصير واخلال . واسهاب واهذار . واجعله عشرة ابواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً

الباب الاول — فى الابانة عن موضوع البلاغة فى اصل اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها وضرب الامثلة فى كل نوع منها وتفسير ماجاء عن العلماء فيها (ثلاثة فصول)

الباب الثانى — فى تمييز الكلام جيّده من ردّيه ومحموده من مذمومه (فصلان)

الباب الثالث — فى معرفة صنعة الكلام (فصلان)

الباب الرابع — فى البيان عن حسن السبك وجودة الوصف (فصل واحد)

الباب الخامس — فى ذكر الايجاز والاطناب (فصلان)

الباب السادس — فى حسن الاخذ وقبحه وجودته ورداءته (فصلان)

الباب السابع — القول فى التشبيه (فصلان)

الباب الثامن — فى ذكر السجع والازدواج (فصلان)

الباب التاسع — فى شرح البديع والابانة عن وجوهه وحصر ابوابه وفنونه (خمسة وثلاثون فصلا)

الباب العاشر — فى ذكر مقاطع الكلام ومباديه والقول فى الاساءة فى ذلك والاحسان فيه (ثلاثة فصول)

وارجو ان يعين الله على المراد من ذلك والمقصود فيما نحوناه اليه ويقرنه بالتوفيق ويشفعه بالتسديد انه سميع مجيب

الفصل الاول من الباب الاول

فى الابانة عن موضوع البلاغة فى اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها والقول فى الفصاحة وما يتشعب منه

البلاغة من قولهم بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها غيرى ومبلغ الشيء منتهاه والمبالغة فى الشيء الانتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة لانها تنهى المعنى الى قلب السامع فيفهمه وسميت البلغة بلغة لانك تتبلغ بها فتنتهى بك الى ما فوقها وهى البلاغ ايضاً ويقال الدنيا بلاغ لانها تؤديك الى الآخرة والبلاغ ايضاً التبليغ فى قول الله عزوجل ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ اى تبليغ ويقال بلغ الرجل بلاغة اذا صار بليغاً كما يقال نبل نبالة اذا صار نبيلا وكلام بليغ وبلغ بالفتح كما يقال وجيز ووجز ورجل بلغ بالكسر يبلغ ما يريد وفى مثل لهم — احمق بلغ — ويقال ابلغت فى الكلام اذا اتيت بالبلاغة فيه كما تقول ابرحت اذا اتيت بالبرحاء وهو الامر الجسيم والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم

(فلهذا) لا يجوز ان يسمى الله جل وعز بانه بليغ اذ لا يجوز ان يوصف بصفة كان موضوعها الكلام. وتسميتنا المتكلم بانه بليغ توسع وحقيقته ان كلامه بليغ كما تقول فلان رجل محكم وتعنى ان افعاله محكمة قال الله تعالى ﴿ حكمة بالغة ﴾ فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم الا ان كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بانه بليغ كالحقيقة كما انها جعلت تسمية المزادة راوية كالحقيقة وكان الراوية حامل المزادة وهو البعير وما يجرى مجراه (ولهذا) سمى حامل الشعر راوية وكما صار تسمية البغى المكتسبة بالفجور القحبة حقيقة وانما القحاب السعال وكانوا اذا ارادوا الكناية عن زنت وتكسبت بالفجور قالوا قحبت اى سعلت ومن ذلك النجو لان الرجل كان اذا اراد قضاء الحاجة استتر بنجوة والنجوة الارتفاع من الارض فسمى ذلك الشيء نجوا مجازا ثم كثر استعمالهم له فصار كالحقيقة وصرفوه فقالوا ذهب ينجو كما يقال ذهب يتغوط اذا صار الى الغائط وهو البطن من الارض لقضاء الحاجة وسموا الشيء الغائط وصار كالحقيقة حين كثر استعمالهم له وقالوا اذا غسل ذلك الموضع من النجو يستنجى ومثل هذا كثير ليس هذا موضع استيعابه

(فاما) الفصاحة فقد قال قوم انها من قولهم افصح فلان عما فى نفسه اذا اظهره والشاهد [على انها هى الاظهار] قول العرب افصح الصبح اذا اضاء وافصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهر وفصح ايضا وافصح الاعجمى اذا ابان بعد ان لم يكن يفصح ويبين وفصح اللحان اذا عبر عما فى نفسه واظهره على جهة الصواب دون الخطاء

(واذا) كان الامر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد وان اختلف اصلاهما لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له : وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا لا يجوز ان يسمى الله تعالى فصيحاً اذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان والدليل على ذلك ان الالثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن اقامة الحروف وقيل زياد الاعجم * لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف وكان يعبر عن الحمار بالهمار فهو اعجم وشعره فصيح لتمام بيانه (فعلى) هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب فكانها مقصورة على المعنى

ومن الدليل على ان الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى ان الببغاء [١] يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً اذ هو مقيم الحروف وليس له قصد الى المعنى الذي يؤديه (وقد) يجوز مع هذا ان يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من احد الاسمين شئ لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف (وشهدت) قوما يذهبون الى ان الكلام لا يسمى فصيحا حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة جزالة فيكون مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم (الا ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى) ومثل كلام الحسين بن علي رضي الله عنهما ان الناس عبيد الاموال والدين لغو على السنتهم يحوطونه مادرت به معايشهم فاذا محصوا بالابتلاء قل الديانون : ومثل المنظوم قول الشاعر

ترى غابة الخَطّيّ فوق رؤسهم كما اشرقت فوق الصُّوارِ قُرُونُها [٢]

(قالوا) واذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سمي بليغا ولم يسم فصيحا: كقول بعضهم وقد سئل عن حاله عند الوفاة فقال: ماحال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد. ويقدم على ملك عادل بغير حجة. ويسكن قبرا موحشا بلا انيس : وقول آخر

[١] — الببغاء — طائر معروف وقد تشدد الباء الثانية والتأنيث للفظ لا للمسمى كالهاء في حمامة ويقع على الذكر والانثى والجمع ببغاوات مثل صحرآء وصحراوات

[٢] — الخطى — هنا الرماح نسبت الى الخط مرفاء السفن بالبحرين لانها تباع به لانه منبتها . وهو بفتح الخاء ويكسر عند ارادة الاسمية كما استدركه شارح القاموس — والصوار — بالضم ويكسر . القطيع من البقر . واعالي الجبال ونقل شارح القاموس عن الصاغاني انه رأسه — والقرون — معلومة اذا فسر الصوار بقطيع البقر واذا اريد منه الثاني فتكون القرون هنا اشعة الشمس كما في القاموس وهذا المعنى يفهم من قوله اشرقت ويناسب التشبيه

لأخ له : مددت الى المودة يداً فشكرناك . وشفعت ذلك بشئ من الجفا فعذرناك . والرجوع الى محمود الود . اولى بك من المقام على مكروه الصد : وانشدنا ابواحمد * عن ابى بكر الصولى * لابراهيم بن العباس *

تمر الصبا صفحا بساكنة الغضا　　ويصدع قلبى ان يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما　　هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فالبيت الاول فصيح وبليغ والبيت الثانى بليغ وليس بفصيح (واستدلوا) على صحة هذا المذهب بقول العاص* بن عدى: الشجاعة قلب ركين. والفصاحة لسان رزين . واللسان هاهنا الكلام والرزين الذى فيه فخامة وجزالة
وليس الغرض فى هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وانما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتّاب فلهذا لم اطل الكلام فى هذا الفصل

الفصل الثانى من الباب الاول

فى الابانة عن حد البلاغة

(فنقول) البلاغة كل ماتبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه لتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن (وانما) جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا فى البلاغة لان الكلام اذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا وان كان مفهوم المعنى . مكشوف المغزى . الاترى الى معنى الكاتب الذى كتب الى بعض معامليه : قد تأخر الامر فيماوعدت حمله ضحوة النهار . والقوم غير مقيمين . وليس لهم صبرى . وهم فى الخروج آنفا . فان رأيت فى ازاحة العلة مع الجهبذ [١] فعلت انشاءالله : فمعناه مفهوم . ومغزاه معلوم . وليس كلامه ببليغ (فهذا) يدل على ان من شرط البلاغة ان يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا على ماقدمناه : ومن قال ان البلاغة انما هى افهام المعنى فقط فقد جعل الفصاحة . واللكنة . والخطاء . والصواب . والاغلاق . والابانة . سواء : وايضاً فلوكان الكلام الواضح السهل والقريب السلس الحلو بليغا وماخالفه من الكلام المستبهم المستغلق والمتكلف المتعقد ايضا بليغا لكان كل ذلك محمودا وممدوحاً مقبولا لان البلاغة اسم يمدح به الكلام

[١] الجهبذ — الناقد العارف بتمييز الجيد من الردى وهو معرب كهبذ بالفارسية

(فلما) رأينا احدهما مستحسنا. والاخر مستهجنا. علمنا ان الذى يستحسن البليغ . والذى يستهجن ليس ببليغ : وقال العتابى * كل من افهمك حاجته فهو بليغ : وانما عنى انافهمك حاجته بالالفاظ الحسنة . والعبارة النيرة . فهو بليغ ،،

(ولو) حملنا هذا الكلام على ظاهره للزم ان يكون الا ٔلكن بليغا لانه يفهمنا حاجته بل يلزم ان يكون كل الناس بلغآء حتى الاطفال لان كل احدلا يعدم ان يدل على غرضه بعجمته او لكنته او ايمائه او اشارته بل لزم ان يكون السنور بليغا لانا نستدل بضغائه [١] على كثير من ارادته (وهذا) ظاهر الا ٔحالة.. ونحن نفهم رطانة [٢] السوقى. ومجمجة [٣] الاعجمى. للعادة التى جرت لنا فى سماعها .. لالأنّ تلك بلاغة ألاترى ان الاعرابى ان سمع ذلك لم يفهمه اذلا عادة له بسماعه : واراد رجل ان يسئال بعض الاعراب عن اهله فقال كيف أهلك بالكسر فقال له الاعرابى صلبا اذلم يشك انه انما يسئاله عن السبب الذى يهلك به : وقال الوليد بن عبدالملك لاعرابى شكا اليه ختنأله فقال من ختنك ففتح النون فقال معذّر فى الحى اذلم يشك فى انه انما يسئاله عن خاتنه : وقال رجل لاعرابى الق عليك بيتاً.. فقال ألق على نفسك : وسمع اعرابى قصيدة ابى تمام *

(طَلَلَ الجميع لَقَدْ عفَوْتَ حَميدا)

فقال ان فى هذه القصيدة اشياء افهمها . واشياء لاافهمها . فاما ان يكون قائلها اشعر من جميع النـاس . واما ان يكون جميع الناس اشعر منه : ونحن نفهم معانى هذه القصيدة باسرها لعادتنا بسماع مثلهـا لا لانا اعرف بالكلام من الاعراب ،،

(ومما) يؤيد ماقلنا من ان البلاغة انماهى ايضاح المعنى وتحسين اللفظ : قول بعض الحكماء : البلاغة تصحيح الاقسـام . واختيار الكلام . الى غير ذلك مما سـنذكره ونفسره فى هذا الباب ان شاءالله: وقال محمد بن الحنيفة* رضى الله عنه: البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه باسهل العبارة ، فقوله تضطر العقول الى فهمه عبـارة عن ايضـاح المعنى ، وقوله باسهل العبارة ، تنبيـه على تسهيل اللفظ وترك تنقيحه : ومثـل ذلك من النثر . . قول بعضهم لا ٔخ له : ابتدأتنى بلطف من غير خبرة . ثم اعقبتنى جفا من غير هفوة . فاطمعنى اوّلك

[١] ـ الضغاء ـ من السنور اى الهر صياحه ذكره فى القاموس وقال الثعالبى فى فقه اللغة الضغاء للكلب اذاجاع
[٢] ـ الرطانة ـ بفتح الراء وكسرها الكلام بالاعجمية
[٣] ـ المجمجة ـ عدم التبيين فيما يخبر به

فى إخائك . وأيأسنى آخرك من وفائك . فسبحان من لوشاء كشف ايضاح الرأى فى امرك . عن عزيمة الشك فى حالك . فاقمنا على ائتلاف . اوافترقنا على اختلاف : وقول الآخر : لم يدع انقباضك عن الوفا . وانجذابك مع سوء الرأى . فى ملاحظة الهجر . والاستمرار على العذر . محركا من القلب عليك . ولا خاطراً يومى الى حسن الظن بك . هيهات انقضت مدة الانخداع لك . حين اخلفت عدة الامانى فيك . وما وجدنا ساترا من تأنيب النصحاء . فى الميل اليك . والتوفر عليك . الا الاقرار بطاعة الهوى . والاعتراف بسؤ الاختيار : وكتب بعض الكتّاب الى اخ له : تأخرت عنى كتبك . تأخراً ساء له ظنى . اشفاقا من الحوادث عليك . لاتوهما للجفاء منك . اذ كنت اثق من مودّتك . بما يغنينى عن معاتبتك : ومما هو فى هذه الطريقة وهو اجزل مما تقدم ما اخبرنا به ابو احمد عن ابى بكر بن دريد * عن عبد الرحمن * عن عمه * قال وقف علينا اعرابى ونحن برملة اللوى فقال رحم الله امرأ لم تمج أذناه كلامى . وقدم معاذه من سؤ مقامى . فان البلاد مجدبة . والحال مسغبة [١] . والحياء زاجر يمنع من كلامكم . والفقر عاذر يدعو الى اخباركم . والدعاء احدى الصدقتين . فرحم الله امرءاً امر بمير . اودعا بخير : وقول بعضهم يمدح رجلا : كان والله بعيد مسافة الرأى . يرمى بهمته حيث اشار الكرم . يصافح عن صاحبه نوب الزمان . ويحسى مرارة الاخوان . ويسيغهم العذب . ويعطفهم منه على ماجد ندب ،،

الفصل الثالث من الباب الاول

وهو القول فى تفسير ماجاء عن الحكماء والعلماء فى حدود البلاغة

(فحقيقة) البلاغة هى ماذكرته . . وقد جاء عن الحكماء فيه ضروب انا ذاكرها ومفسرها لتكمل فائدة الكتاب ان شاءالله : قال اسحاق بن حسّان * لم يفسر احد البلاغة تفسير ابن المقفّع * اذ قال : البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه كثيرة . منها مايكون فى السكوت . ومنها مايكون فى الاستماع . ومنها مايكون شعراً . ومنها مايكون سجعاً . ومنها مايكون خطباً . وربما كانت رسائل : فعامّة مايكون من هذه الابواب فالوحى فيها والاشارة الى المعنى ابلغ . والايجاز هو البلاغة : فقوله منها مايكون فى السكوت فالسكوت ، يسمى بلاغة مجازا وهو فى حالة لاينجع فيها القول . ولاينفع فيها اقامة الحجج . امّا عند جاهل لايفهم الخطاب . اوعند وضيع لايرهب الجواب .

[١] — المسغبة — الجوع وقيل لايكون الا مع التعب .. وفى نسخة — والحال متشعبة — اى متفرقة

اوظالم سليط يحكم بالهوى . ولا يرتدع بكلمة التقوى : واذا كان الكلام يعرى من الخير . او يجلب الشر . فالسكوت اولى كما قال ابو العتاهية *

ماكل نُطقٍ له جوابٌ   جواب مايكره السكوت

وقال معاوية * رضى الله عنه لابن اوس * ابغ لى محدثا .. قال اوتحتاج معى الى محدث.. قال استريح منه اليك. ومنك اليه . وربما كان صمتك فى حال . اوفق من كلامك (وله) وجه آخر : وهو قولهم كل صامت ناطق من جهة الدلالة . وذلك ان دلايل الصنعة فى جميع الاشياء واضحة . والموعظة فيها قائمة : وقد قال الرقاشى * : سل الارض . من شق انهارك . وغرس اشجارك . وجنى ثمارك . فان لم تجبك حواراً [١] . اجابتك اعتبارا : ولما مات الاسكندر * وقف عليه بعض اليونانيين فقال قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه . وهو اليوم لنا بسكوته اوعظ. فنظم هذا الكلام ابو العتاهية فى قوله

وكانت فى حياتك لى عِظَاتٌ   وانت اليوم اوعظ منك حيًّا

واحسن من هذا [الكلام] كله وابلغ قول الله عزوجل ﴿وان من شيءٍ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض من دابة ﴾ معناه يدل على الله بصنعته فيه فكانه يسجد وان لم يسجد ولم يقر بذلك وقوله تعالى ﴿ ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والاصال ﴾ وقوله سبحانه ﴿ يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيءٍ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ اى لا تفهمونه من جهة السمع وان كنتم تفهمونه من جهة العقل: وقد قال بعض الهند * : جماع البلاغة البصر بالحجة . والمعرفة بمواقع الفرصة . : ومن البصر بالحجة . ان يدع الافصاح [بها] الى الكناية [عنها] اذا كان طريق الافصاح وعراً . وكانت الكناية احصر نفعاً . وذلك مثل ما اخبرنا به ابو احمد عن ابيه * عن عسل بن ذكوان * قال دخل عبيدالله بن ذياد بن ظبيان * على عبدالملك بن مروان * واراد ان يقعدمعه على سريره فقال له عبدالملك مابال العرب تزعم انك لا تشبه اباك قال والله لأنا اشبه بابى من الليل بالليل والغراب بالغراب ولكن ان شيئت خبرتك عمن لا يشبه اباه . . قال من ذاك . . قال من لم تنضجه الارحام . ولم يولد لتمام . ولم يشبه الاخوال والاعمام . قال ومن ذاك قال سويد بن منجوف * قال عبدالملك اكذاك انت ياسويد.. قال نعم فلما خرجا قال عبدالله لسويد وريت بك زنادى والله مايسرنى بحلمك عنى حُمْرُ النَّعَم .. قال سويد وانا

[١] — الحوار — بالفتح ويكسر المجاوبة ومراجعة الكلام

والله مايسرني انك نقصته حرفاً وان لي سود النعم [١] .. (وانما) كان عرّض بعبدالملك وكان ولد لسبعة اشهر: وربما كانت البلاغة سبباً للحرمان. واسباب الامور طريفة [٢] . والاتفاقات عجيبة : اخبرنا ابو احمد عن ابيه عن عسل بن ذكوان .. قال كتب بعضهم الى المنصور كتابا حسناً بليغا يستمنحه فيه .. فكتب اليه المنصور البلاغة والغنى اذا اجتمعا لامرئ ابطراه وامير المؤمنين مشفق عليك من البطر فاكتف باحدهما.. وقوله ربما كانت البلاغة في الاستماع، فان المخاطب اذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدى اليه الخطاب: والاستماع الحسن عون للبليغ على افهام المعنى: وقال ابراهيم الامام* حسبك من حظ البلاغة ان لايؤتى السامع من سؤ افهام الناطق. ولايؤتى الناطق. من سؤ فهم السامع : وقال الهندى ايضا : البلاغة وضوح الدلالة. وانتهاز الفرصة .وحسن الاشارة: وقول عبيدالله بن عتبة * البلاغة دنو المأخذ. وقرع الحجة. وقليل من كثير.. (فامّا) البصر بالحجة فمثل ما اخبرنا به ابو احمد عن ابيه عن عسل قال قال الهيثم بن عدى* انبأنى عطاء بن مصعب * قال كان ابو الاسود * شيعةً لعلى بن ابى طالب* رضى الله عنه وكان جيرانه عثمانيةً فرموه يوماً ..فقال اترمونني.. قالوا بل الله يرميك.. قال كذبتم انكم تخطئون وان الله لو رماني لما اخطأ : وقال بعضهم لابي على محمد بن عبدالوهاب * ماالدليل على ان القرأن مخلوق قال : ان الله قادر على مثله : فما احار السائل جواباً.. (ومثل) ذلك ماروى عن عمر بن الخطاب * رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة وكان على المنبر يخطب فى يوم جمعة فدخل عثمان بن عفان * رضى الله عنه عليه.. فقال عمر مابال اقوام يسمعون الاذان ويتأخرون .. فقال عثمان والله ماتأخرت الا ريثما توضأت .. فقال عمر وهذا ايضا اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من اتى الجمعة فليغتسل) [٣] (ومثله) قول ابى يوسف * بعرفة وقد صلى خلف الرشيد * فلما سلم فى الركعتين.. قال يااهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سَفْرٌ.. فقال بعض اهل مكة من عندنا خرج العلم اليكم .. فقال ابو يوسف لو كنت فقيهاً لما تكلمت فى الصلاة : واخبرنا ابو احمد عن ابيه عن عسل بن ذكوان . . قال اقام شاعر بباب معن ابن زائدة * حولاً لايصل اليه فكتب اليه رقعة ودفعها اليه

اذا كان الجوادُ له حجاب فما فضلُ الجواد على البخيل

[١] — النعم — فى قوله .. حمر النعم .. وسود النعم .. المال الراعى واكثر مايطلق على الابل . وهو جمع لاواحد له منه لفظه حكاه فى المصباح . والحمر . خيار الابل . قال فى اللسان. العرب تقول خير الابل حمرها . والسود بالاضافة الى الابل الجنس الاسود منها

[٢] — طريفة — اى مستحدثة . او مستملحة

[٣] الحديث خرجه السيوطى فى الجامع الكبير من رواية ابن ابى شيبة وابى داود الطيالسى والامام احمد والترمذى وابن ماجة وابن حبان عن انس

فكتب معن فيها

اذا كان الجوادُ قليـلَ مال ولم يُعذر تعلل بالحجـاب

فانصرف الرجل بائساً.. ثم حمل اليه معن عشرة الا ف درهم (ومن ذلك) مااخبرنا به ابو احمد عن ابيه عن عسل بن ذكوان : قال بلغ على * بن الحسين رضى الله عنهما انّ عروة بن الزبير * وابن شهاب الزهرى * يتناولان عليّا ويعبثان به فارسل الى عروة.. فقال امااَنت فقد كان ينبغى ان يكون فى نكوص ابيك يوم الجمل وفراره ما يحجزك عن ذكر امير المؤمنين والله لئن كان عليّ على باطل لقـد رجع ابوك عنـه ولئن كان على حق لقد فرّ ابوك منه (وارسل) الى ابن شهاب.. فقال واماّ انت يا بن شهاب فما اراك تدعنى حتى اعرفك موضع كير [١] ابيك

(ومن) وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه ﴿ وضرب لنا مثلاً ونَسِيَ خَلْقَه قال مَنْ يُحيِي العِظَامَ وهِيَ رَمِيم قُلْ يُحيِيهَا الّذى انشاهَا اوَّلَ مرّةٍ وهُوَ بكلِ خَلْقٍ عليم ﴾ فهذه دلالة واضحة على ان الله تعالى قادر على اعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها لانّ الاعادة ليست باصعب فى العقول من الابتداء ثم قال تعالى ﴿ الّذِي جَعَلَ لـكم من الشَّجرِ الأخْضَرِ ناراً فإذَا أنتُم منه تُوقدُونَ ﴾ فزادها شرحا وقوة لانّ من يخرج النار من اجزاء الماء وهما ضدان ليس بمنكر [عليه] ان يعيد ما افناه ثم قال تعالى ﴿ اوَ لَيْسَ الّذى خَلَقَ السَّمٰوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ﴾ فقواها ايضا وزاد فى شرحها وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد لانّ اعادة الخلق ليست باصعب فى العقول من خلق السموات والارض ابتداءً : وحضر ابو الهذيل * جنازةً فلما دُفن الميت .. قال رجل يا ابا الهذيل الايمـان برجوع هذا صعب .. فقـال ابو الهذيل يعيده الذى انشاه اوّل مرة انه على رجعه لقـادر ،،

(واماّ) انتهاز الفرصة فمثاله ايضا : قول ابى يوسف مع اكثر ماجرى فى هذا الفصل.. (ومنه) ما اخبرنى به ابو احمد قال اخبرنى [الجلودى] الحلوانى * قال حدثنى محمد بن زكريا * قال حدثنا محمد بن عبد الله الجشمى * عن المدائنى * قال دخل عمرو بن العاص * على معاوية وهو يتغدى : فقال له هلم يا عمرو.. فقال هنيئا ياامير المؤمنين اكلت آنفاً.. فقال اما علمت ياعمرو انّ من شراهة المرء ان لايدع فى بطنه مستزاداً لمستزيد : فقال قدفعلت ياامير المؤمنين: فقال ويحـك لمن بقيته المن هو اوجب حقـا من امير المؤمنين : قال لا ولكن لمن لايعذر عذر امير المؤمنين.. قال فلا اراك الاضيعت حقا لحق لعلك لاتدركه : فقال عمرو ما لقيت

[١] — الكير — بالكسر زق ينفخ فيه الحداد . والمبنى من طين فهو كور

منك يامعاوية ثم دنا فأ كل : وقال ابوالعيناء * لابن ثوابة * : بلغني ماخاطبت به ابا الصقر * ومامنعه من استقصاء الجواب. الا انه لم ير عرضاً فيمضغه. ولا مجدا فيهدمه. وبعد فانه عاف لحمك ان يأ كله .وسهك [١] دمك ان يسفكه: فقال ماانت والكلام يامكدى : فقال لاينكر على ابن ثمانين سنة. قد ذهب بصره . وجفاه سلطانه. ان يعوّل على اخوانه . فيأخذ من اموالهم. ولكن اشد من هذا ان تستنزل ماء اصلاب الرجال فتستفرغه في حقيبتك.. فقال ابن ثوابة الساعة آمر احد غلماني بك.. فقال ايهما..الذى اذا خلوت ركب. ام الذى اذا ركبت خلا : فقال ابن ثوابة ماتساب اثنان الاغلب الا ٔمهما.. قال ابوالعيناء بها غلبت ابا الصقر: (فانظر) الى انتهاز الفرصة فى قوله بها غلبت ابا الصقر (ومنه) ان بعض الكتاب لقى ابا العيناء فى السحر فجعل يتعجب من بكوره .. فقال اتشاركنى فى الفعل وتنفرد بالتعجب .. (وقالت) له قينة هب لى خاتمك اذكرك به.. قال اذ كرينى بالمنع: وقيل له لاتعجل فان العجل من عمل الشيطان: فقال لوكانت من عمل الشيطان لماقال موسى عليه السلام ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾ وقال عبيدالله بن سليمان * ان الاخبار المذكورة فى السخاء وكثرة العطاء من تصنيف الوراقين واكاذيبهم : فقال ابوالعيناء ولم لايكذبون على الوزير ايده الله .. واما الاشارة فسنذكرها فى موضعها ان شاء الله ،،

(وقال) حكيم الهند : اول البلاغة اجتماع آلة البلاغة : وذلك ان يكون الخطيب رابط الجاش. ساكن الجوارح . متخير اللفظ . لايكلم سيد الامة بكلام الامة . ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون فى قواه التصرف فى كل طبقة . ولا يدقق المعانى كل التدقيق . ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح . ويصفيها كل التصفية . ويهذبها كل التهذيب . ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً . وفيلسوفا عظيما . ومن تعود حذف فضول الكلام . واسقاط مشتركات الالفاظ. ونظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة فيها. لاعلى جهة الاستطراف . والتطرف لها: (قال) واعلم ان حق المعنى ان يكون الاسم له طبقاً. وتلك الحال له وفقا. ولايكون الاسم فاصلا. ولا مقصرا . ولا مشتركا. ولامضمنا . ويكون تصفحه لمصادر كلامه . بقدر تصفحه لموارده . ويكون لفظه مونقاً. ومعناه نيرا واضحاً. ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم . والحمل عليهم على قدر منازلهم . وان تواتيه آلته . وتتصرف معه اداته . ويكون فى التهمة لنفسه معتدلا. وفى حسن الظن بها مقتصدا. فانه ان تجاوز الحق . فى مقدار حسن الظن . اودعها تهاون الا منين . وان تجاوز بها مقدار الحق فى التهمة . ظلمها . واودعها ذل المظلومين . ولكل ذلك مقدار من الشغل . ولكل شغل مقدار من الوهن . ولكل وهن مقدار من الجهل ،،

[١] — سهك — اى كره سفك دمه استعارة منه السهك وهى ريح كريهة تجدها من الانسان اذا عرق

فقوله فاول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، واول الآت البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان.. وذلك من فعل الله تعالى لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها : ومن الناس من اذا خلا بنفسه واعمل فكره اتى بالبيان العجيب . والكلام البديع المصيب . واستخرج المعنى الرائق. وجاء باللفظ الرايع. واذا حاور اوناظر. قصّر وتأخر. فحق هذا ان لا يتعرض لارتجال الخطب. ولا يجارى اصحاب البداية فى ميدان القريض. ويكتفى بنتائج فكره .. والناس فى صناعة الكلام على طبقات . (منهم) من اذا حاور وناظر . ابلغ واجاد . واذا كتب واملى . اخلّ وتخلّف . (ومنهم) من اذا املى برّز . واذا حاور اوكتب قصّر .(ومنهم) من اذا كتب احسن . واذا حاور واملى اساء . (ومنهم) من يحسن فى جميع هذه الحالات. (ومنهم) من يسئ فيها كلها : فاحسن حالات المسئ الامساك . واحسن حالات المحسن التوسط . فان الاكثار يورث الاملال . وقلّ ما ينجو صاحبه من الزلل . والعيب والخطل [١] . : وليس ينبغى للمحسن فى احد هذه الفنون. المسئ فى غيرها. ان يتجاوز ماهو محسن فيه. الى ماهو مسئ فيه . فان اضطرّ فى بعض الاحوال الى تجاوزه . فخير سبله فيه قصد الاختصار . وتجنب الاكثار والاهذار. ليقل السقط فى كلامه. ولا يكثر العيب فى منطقه .. (وقيل) لابن المقفع لم لا تطيل القصايد : قال لو اطلتها عرف صاحبها .. (يريد) ان المحدث يتشبه بالقديم فى القليل من الكلام . فاذا اطال اختلّ فعرف انه كلام مولّد .. على ان السابق فى ميادين البلاغة اذا اكثر سقط. فكيف المقصر عن غايتها. والمتخلف عن امدها : ومن تمام آلات البلاغة. التوسع فى معرفة العربية . ووجوه الاستعمال لها . والعلم بفاخر الالفاظ وساقطها . ومتخيرها . ورديها . ومعرفة المقامات. وما يصلح فى كل واحد منها من الكلام . الى غير ذلك مما سنذكره فى الباب الثانى عند ذكر صنعة الكلام ان شاء الله ،،

وقوله وهو ان يكون الخطيب رابط الجاش ساكن النفس. جداً لان الحيرة والدهش. يورثان الحُبْسَة والحصر . وهما سبب الارتاج [٢] والاجبال .. وقد بلغك ما اصاب عثمان بن عفان رضى الله عنه اول ماصعد المنبر فارتج عليه.. فقال انّ اللذين كانا قبلى. كانا يعدّان لهذا المقام مقالا. وانتم الى امام عادل. احوج منكم الى امام قايل. وستأتيكم الخطبة على وجهها . ثم نزل : وصعد بعض العرب منبرا بخراسان فارتج عليه.. فقال حين نزل

لَئِنْ لَمْ اكُنْ فيكُم خطيباً فأنَنى بسيفى اذا جَدَّ الوغَى لخطيبُ

ومن حسن الاعتذار عند الارتاج: ما اخبرنا به ابو احمد قال اخبرنا الشطى* قال اخبرنا

[١] — الخطل — الخطأ قال فى المصباح خطل فى منطقه ورأيه من باب تعب اخطأ

[٢] — الارتاج — الاغلاق على المتكلم من قولهم . رتج المتكلم اى استغلق عليه الكلام — والاجبال — صعوبة القول عليه

الغلابي* قال اخبرنا العتبي عن ابيه *: قال خطب داود بن علي* فحمدالله جلّ وعزّ واثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم فلما قال اما بعد امتنع عليه الكلام ثم قال امابعد نقد يجد المعسر . ويعسر الموسر . و يفل الحديد . و يقطع الكليل . وانما الكلام . بعد الافحام . كالاشراق بعد الاظلام . وقد يعزب البيان . و يعتقم الصواب . وانما اللسان . مضغة من الانسان . يفتر بفتوره [١] اذا نكل . ويثوب بانبساطه اذا ارتجل. ألاوانّا لا ننطق بطرا . ولا نسكت حصرا . بل نسكت معتبرين . وننطق مرشدين . ونحن بعد امراء القول . فينا وشجت اعراقه . و علينا عطفت اغصانه . ولنا تهدّلت ثمرته . فنتخير منه ماا حلوْلى وعذب . ونطرح منه ما املولح وخبث. ومن بعد مقامنا هذا مقام . وبعد ايامنا ايام . يعرف فيها فضل البيان . وفصل الخطاب . والله افضل مستعان. ثم نزل ،

وعلامة سكون نفس الخطيب ورباطة جاشه هدّوه فى كلامه . وتمهله فى منطقه : (وقال) ثمامة * كان جعفر بن يحى* انطق الناس قد جمع الهدوّ . والتمهل . والجزالة . والحلاوة. ولو كان فى الارض ناطق يستغنى عن الاشارة لكانه ،،

وقوله متخير الالفاظ .. فمدار البلاغة على تخير اللفظ وتخيره اصعب من جمعه وتأليفه وسنشبع الكلام فى هذا ان شاء الله ،،

وقوله ويكون فى قواه فضل التصرف فى كل طبقة .. وهو ان يكون صائغ الكلام قادراً على جميع ضروبه. متمكناً من جميع فنونه . لايعتاص عليه قسم من جميع اقسامه . فان كان شاعراً تصرف فى وجوه الشعر مديحه وهجائه ومراثيه وصفاته ومفاخره وغير ذلك من اصنافه .. ولاختلاف قوى الناس فى الشعر وفنونه ماقيل كان امرؤ القيس * اشعر الناس اذا ركب. والنابغة * اذ ارهب. وزهير * اذا رغب. والاعشى* اذا طرب.. وكذلك الكاتب ربما تقدّم فى ضرب من الكتابة وتأخر فى غيره وسهل عليه نوع منها وعسر نوع آخر : واخبرنا ابواحمد عن ابى بكر الصولى* قال حدثنا القاسم ابن اسماعيل * قال حدثنا ابراهيم بن العباس قال سمعت احمد بن يوسف * يقول أمرنى المأمون * أن اكتب الى النواحى فى الاستكثار من القناديل فى المساجد فى شهر رمضان. فبت لاادرى كيف احتذى. فاتانى آت فى منامى فقال قل . فان فى ذلك عمارة للمساجد. وانساً للسابلة . واضاءة للمتهجدين. ونفياً لمكامن الريب. وتنزيهاً لبيوت الله جلّ وعزّ عن وحشة الظُلَم . فانتبهت وقد انفتح لى ما اريد فابتدأت بهذا واتممت عليه ،

والمقدم فى صنعة الكلام هو المستولى عليه من جميع جهاته المتمكن من جميع انواعه :

[١] وفي نسخة — يعثر بعثوره —

وبهذا فضّلوا جريراً على الفرزدق * وقالوا كان له فى الشعر ضروب لايعرفها الفرزدق . وماتت امرأته النوار فناح عليها بشعر جرير

لَوْلَا الحياءُ لَهاجَنِي استعبارُ ... ولَزُرت قبرَكِ والحبيب يُزارُ

وكان البحترى * يفضل الفرزدق على جرير .. ويزعم انه يتصرّف من المعانى فيما لايتصرف فيه جرير ويورد منه فى شعره فى كل قصيدة خلاف مايورده فى الاُخرى: قال وجرير يكرر فى هجاء الفرزدق. ذكر الزبير . وجعثن. والنوار. وانه قين مجاشع. لايذكر شيئاً غير هذا .. وسئل بعضهم عن أبى نواس * ومسلم * فذكر انّ أبا نواس اشعر. لتصرفه فى اشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه : قال ومسلم جارٍ على وتيرة واحدة لايتغيّر عنها،،

وابلغ من هذه المنزلة . ان يكون فى قوة صائغ الكلام. ان يأتى مرة بالجزل. وأخرى بالسهل. فيلين اذا شاء . ويشتد اذا اراد. ومن هذا الوجه . فضلوا جريرا على الفرزدق. وابانواس على مسلم.. قال جرير

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القلوبِ وليس ذَا ... وَقتَ الزيارةِ فارجِعِى بِسَلامِ

تُجرِى السِّواكَ عَلَى أَغَرَّ كأنهُ ... بَرَدٌ تَحَدَّر من مُتونِ غَمامِ

فانظر الى رقة هذا الكلام .. (وقال) ايضا

وابنُ اللَّبُون اذا مَالُزَّ فى قَرَنٍ ... لَمْ يَستَطِع صَوْلَةَ البُزلِ القناعِيسِ [١]

فانظر الى صلابة هذا الكلام .. والفرزدق يجرى على طريقة واحدة . والتصرف فى الوجوه ابلغ .. وقال ابونواس

قُلْ لِذِى الوَجْهِ الطَرِيرِ ... وَلِذِى الرِّدفِ الوَتِيرِ

وَلِمِغلاقِ هُمومِى ... ولمفتاحِ سُرُورِى

ياقليلاً فى التلاقى ... وكثيراً فى الضَّمِيرِ

فانظر الى سلاسة هذا الكلام وسهولته .. (وقال)

[١] — ابن اللبون — ولد الناقة اذا طعن فى الثالثة — ولز — شد والصق — والقرن — بفتحتين الحبل .. وقال الثعالبى لايقال للحبل قرن حتى يقرن فيه بعيران — والبزل — واحده بازل البعير الذى فطر نابه بدخوله فى السنة التاسعة — والقناعيس — جمع قنعاس بالكسر العظيم من الابل

مَاهوىً إِلَّا له سَـببُ ... يَبْتَدِى منه ويَنْشَعِبُ
فَتَنَتْ قـلبى مُحجبَّةٌ ... بِرداءِ الحُسْنِ تَنْتَقِبُ
خُلِيّتْ والحُسْنَ تَأْخُذُه ... تَنْتَقِى منـه وتَنْتَخِبُ
فاكتَسَتْ منـه طرائفَـهُ ... واستَزَادتْ فَضل مَاتَهِبُ
صَارَ جداً مَامَزَحتُ بِهِ ... رُبَّ جَـدٍّ جَرَّهُ اللَعِبُ

فهذا اجزل من الاوّل قليلا .. وقال فى صفة الكلب [١]

انعتُ كلباً جَال فى رِبَاطِـه ... جَوْلَ مصاب فرَّ من اسعاطِه[٢]
(عِند طَبيب خافَ مِنْ سِيَاطِه) ... بِجُنَابه وَهَـاج مِنْ نشَـاطِه
كالكَوْكبِ الدرّى فى انْحِطَاطِه ... عِند تَهاوِى الشـدِّ وانبِسَاطِهِ[٣]
يُقحِّمَ القَـايدَ فى حِطَـاطِه ... وقَدِّه البِيدَآء فى اغتبَاطِـه[٤]
لمَّا رأى العَلْهبَ فى أقواطِـه ... سَابحَـه ومَرَّ فى التبَسـاطِه[٥]
كالبَرْق يَقرى المَرْوَ بالتقَاطِه ... مِثْل رِقلىّ طَـار فى انْفـاطِه[٦]

---

[١] اختلفت نسخ الاصل فى هذا الرجز بين المقتصر على بعضه والمثبت لكله مع التقديم والتأخير وكذا فى كثير من مفردات الفاظه فتحريت من مجموعها الاصح معنى مع مراعاة اتفاق اكثر النسخ عليه فاثبته ثم راجعت ديوان شعره الذى جمعه حمزة بن الحسن الاصبهانى فوجدت فيه زيادة فالحقتها بالاصل بين هلالين تتميما للفائدة

[٢] — الاسعاط — من اسعطه الدواء ادخله انفه

[٣] — الانحطاط — الانحدار من علو .. وفى احدى نسخ الاصل كما فى الديوان الانخراط

[٤] — الحطاط — كالانحطاط — والقد — من قد المسافر الفلاة خرقها اى قطعها. وفى اكثر النسخ بالفاء .. من فد يفد فدا .. وهو شدة الوطء على الارض من اشر اومرح كما فى المخصص عن ابن دريد — والاغتباط — بالغين المعجمة هكذا فى جميع نسخ الاصل .. وهو التبجح على حسن حال و مسرة . اوالسير الدائم من قولهم سير مغبط ومغمط اى دائم لا يستريح كما فى اللسان .. وفى الديوان — الاعتباط — بالعين المهملة من قولهم اعتبطت الريح وجه الارض قشرته .. ونسب ذلك الى الكلب مبالغة فى شدة عدوه .. و جاء فى نسخة الاختباط

[٥] — العلهب — التيس الطويل القرنين . والثور الوحشى — والاقواط — جمع قوط و هو فى الاصل القطيع اليسير من الغنم .. وفى نسخة — افراطه — بدل اقواطه وقوله — سابحه — اى ابعد معه فى السير — والالتباط — العدو فى وثب

[٦] — يقرى — من قرى الارض يقرى قروا و قريا و هو التتبع. قال ابن سيده قروت الارض وكروتها . تتبعتها . وفى نسخة بالفاء من فرى الشئ فريا قطعه وشقه . و فى الديوان — يذرى — من ذرى الشئ اذا اطاره فى الهوآء — والانفاط — من نفطت القدر تنفط اذا غلت وتجست .. وقال بعض الشراح هى الفقاقيع المتناثرة فى الهوآء من القلى عند شدة غليانه

وانصَاع يتلوه على قِطَاطِه　　　أغضَف لايَيأسُ من خِلاطِه[١]

يصيد بعدالبعد وانبساطه　　　ان لم يبتّ القلب من نياطه[٢]

فلم يزلْ يأخُذ فى لَطاطِه　　　كالصقر ينقضّ على غَطَاطِه[٣]

يقشر جلدالارض من بلاطه　　　باربع يذهب فى افراطه

لِشدّةِ الجَرى وَلاِسْتِخْطَاطِهِ　　　مَاأَن يمسّ الارض فى أَشواطِه

قَدْ خَدَشَتْ رِجْلاه فى آباطِهِ　　　وخَرَقَ الاذنَيْنِ بانتشاطه [٤]

خَلْجُ ذراعيه الى ملاطه　　　ينقد عند الضيق بانعطاطه[٥]

(فى هَبَواتِ الضيق اَوْ رِبَاطِهِ)　　　فادرك الظَبْىَ ولم يباطه[٦]

ولف عشرين الى اشراطه　　　فلم نَزَل نُقْرن فى رباطه

ويعجل الشاوون من خماطه　　　ويطبخ الطابخ من اسقاطه[٧]

حتى علا فى الجو من شياطه

فانظر اليه كيف يتصرف بين الشدة واللين ويضع كل واحد منهما فى موضعه. ويستعمله فى حينه ،،

وقوله ولايكلم سيدالامة بكلام الأمة . ولاالملوك بكلام السوقة .. لان ذلك جهل بالمقامات . ومايصلح فى كل واحد منها من الكلام . واحسن الذى قال — لكل مقام

---

[١] — انصاع — انفتل راجعا مسرعا — والقطاط — بالكسر المثال يحذو عليه الحاذى . — والاغضف — المسترخى الاذن من الكلاب .. وفى اقرب الموارد . الغضف صفة غالبة على كلاب الصيد

[٢] — البت — القطع — والنياط — البعد ..

[٣] — اللطاط — الملازمة والضبط — والغطاط — بالفتح القطا اونوع خاص منه

[٤] — الخدش — معلوم . وفى نسخة الخرش .. وهو لغة فى الخدش

[٥] — الخلج — الجذب والانتزاع .. وفى نسخة — الجلج — وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس — والملاط — ككتاب المرفق . وقيل الكتف بالمنكب والعضد والمرفق — والانعطاط — التثنى من غير كسر وفسره شارح الديوان بالانشقاق والبيت فى نسخة الديوان هكذا

خلج ذراعيه الى ملاطه　　　ينقد عنه الصيق بانعطاطه

وقال الصيق بكسر الصاد المهملة الغبار الجائل فى الهوآء ولم اره فى نسخ الاصل فليحرر

[٦] — الهبوات — جمع هبوة بالفتح وهى الغبرة — والرياط — من راط الوحشى بالاكمة يريط اى لاذ هكذا فى اللسان عن ابى زيد

[٧] — ويعجل الشاوون من خماطه — هكذا فى نسخ اربعة من الاصل . وفى الديوان ويخمط الخ .. من خمط اللحم يخمطه خمطا فهو خميط اذا شواه

مقال — وربما غلب سؤالرأى . وقلّة العقل . على بعض علماء العربية . فيخاطبون السوقى . والمملوك. والاعجمى. بالفاظ اهل نجد . ومعانى اهل السراة . كأبى علقمة * اذ قال لحجّامه . اشدد قصب الملازم . وارهف ظباة المشارط . وامرّ المسح . واستنجل الرشح . وخفف الوطء . وعجّل النزع . ولاتكرهن ابيًا . ولا تمنعنّ اتيًا .. فقال له الحجّام ليس لى علم بالحروب [١] .. ورأى الناس قد اجتمعوا عليه .. فقال مالكم تكأكأتم علىّ كأنكم قد تكأكأتم على ذى جنّة افرنقعوا [٢] عنى .. واخبرنا ابو احمد عن الصولى عن على بن محمد الاسدىّ * عن محمد بن ابى المغازل الضبى * عن ابيه * .. قال كان لنا جار بالكوفة لايتكلم الا بالغريب. فخرج الى ضيعة له على حجر معها مهر فافلتت . فذهبت ومعها مهرها .. فخرج يسئال عنها .. فمرّ بخياط .. فقال يا ذا النصاح . وذات السم . الطاعن بها فى غير وغى . لغير عدى . هل رأيت الخيفانة القبّاء . يتبعها الحاسن المسرهف . كأن غرته القمر الازهر. ينير فى خضرة كالخلب الأجرد .. فقال الخياط اطلبها فى ترلخ [٣] .. فقال ويلك وماتقول قبحك الله فما اعلم رطانتك .. فقال لعن الله ابغضنا لفظا . واخطأنا منطقا .. ومثله مااخبرنا به ابو احمد عن ابى بكر الصولى قال حدثنا احمد بن اسماعيل * قال حدثنى سعيد بن حُمَيْد .. قال نظر رجل الى ابى علقمة. وتحته بغل مصرى حسن المنظر.. فقال ان كان مخبر هذا البغل كمنظره فقد كمل ..فقال ابو علقمة والله لقد خرجت عليه من مصر. فتنكبت الطريق. مخافة السراق. وجور السلطان. فبينما انا اسير فى ليلة ظلماء . قتماء . طخياء . مدلهمة . حندس . داجية . فى صحصح املس. اذ احس بنبأة . من صوت نغر. أو طيران ضوع. او نغض سبد. فحاص عن الطريق متنكبا لعزة نفسه. وفضل قوته. فبعثته باللجام فعسل. وحركته بالركاب فنسل. وانتعل الطريق يغتاله معتزماً. والتحف الليل

[١] — الملازم — جمع ملزم بكسر الميم واسكان اللام خشبتان تشد اوساطها بحديدة ونحوها يجعل فى طرفها مفتاح معوج طويل اوخشبة تجماها تحت اخرى لتحركها تسمى قناحة وفى نسخة بدل الملازم — اللهازم — جمع لهزم وذلك الحاد القاطع من السيوف وغيرها — وارهف — اى رقق — والظباة — ظبة السيف متنه — والمشارط — مبضع الحجام الذى يشرط به الجلد لاستفراغ الدم — وقوله استنجل الرشح — اى استخرج النز — وقوله بالحروب — اراد به التبكيت وفى نسختان من الاصل بالحروف

[٢] — تكأكأ — بالهمز تجمع — وافرنقعوا — اذهبوا

[٣] — النصاح — الخيط والسلك — وذات السم — الابرة ذات الثقب — والخيفانة — الفرس الطويلة — والقباء — الدقيقة الخصر الضامرة البطن — والحاسن — من حسن يحسن حسنا فهو حاسن وفى نسخة الحابس بالباء قبل السين — والمسرهف — المنعم — والخلب الاجرد — هكذا فى نسختين من الاصل وفى نسخة الاخزر .. فالخلب بضم اوله واسكان اللام كما بالاصول يطلق على الوشى — والاخزر — الضيق العين — وقوله فى ترلخ — اراد به التهكم والزلخ الزلق

لايهابه مظلما. فوالله ماشبهته الابظبية نافرة. تحفزها فتخاء شاغية.. قال الرجل ادع الله وسله ان يحشر هذا البغل معك يوم القيامة.. قال ولم.. قال ليجيزك الصراط بطفرة [١].. وقال ابوعلقمة لطبيب. اجد رسيساً فى اسناخى وارى وجعاً فيما بين الوابلة الى الاطرة من دايات العنق .. فقال الطبيب هى هى هذا وجع القريشى [٢] .. قال وما يبعدنا منهم يا عُدَىّ نفسه. نحن من ارومة واحدة. ونجل واحد.. قال الطبيب كذبت وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان اهون لك .. قال بل لك الهوان والخسار والحقارة والسباب. اخرج عنى قبحك الله.. وقال لجارية كان يهواهــا ياخريدة قد كنت اخالك عروبا . فاذا انت نوار . مالى امقك . وتشنئينى . قالت يارقيع. ما رأيت احداً يحب احداً فيشتمه ،،

واذا كان موضوع الكلام على الافهام.. فالواجب ان تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس. فيخاطب السوقى. بكلام السوقة. والبدوى بكلام البدو.. ولا يتجاوز به عما يعرفه. الى مالا يعرفه. فتذهب فائدة الكلام. وتعدم منفعة الخطاب ،،

وقوله ولا يدقق المعانى كل التدقيق، لانّ الغاية فى تدقيق المعانى سبيل الى تعميته. وتعمية المعنى لُـكْـنَةٌ.. (الا) اذا اريد به الالغاز وكان فى تعميته فائدة مثل ابيات المعانى ومايجرى معها من اللحون التى استعملوها وكنوا بها عن المراد لبعض الغرض.. (فامّا) من اراد الابانة فى مديح. اوغزل. اوصفة شئ. فاتى باغلاق. دل ذلك على عجزه عن الابانة . وقصــوره عن الافصاح .. كأبى تمام حيث يقول

خَانَ الصَّفاَءَ اخٌ خَانَ الزّمَانُ اخاً ... عَنْهُ فَلَمْ يَتَخَوّن جِسْمهُ الكَمَدُ [٣]

وقوله

يَوْمٌ افَاضَ جوىً اغاضَ تَعزّياً ... خَاضَ الهَوى بَحْرَىْ حِجَاه المُزْبِدِ

[١] ـ الطخياء ـ الليلة المظلمة ـ والصحصح ـ مااستوى من الارض ـ والنغر ـ البلبل من الطيور وفراخ العصافير وقيل طير كالعصافير حمر المناقير ـ والضوع ـ بالضاد نوع من الطير قيل طير الليل وقيل غيره وفى نسخة بالصـاد المهملة ـ والنغض ـ التحرك ـ والسبد ـ كصرد طـائر لين الريش اذا وقع عليه قطرتان من الماء تحرك ـ وعسل ـ تحرك ـ والحفز ـ الدفع من خلف ـ والفتخاء ـ العقاب اللينة الجناح ـ والشاغية ـ وصف لنوع منها فهى من الكواسر ـ والطفر ـ وثب فى ارتفاع

[٢] ـ الرسيس ـ ابتداء الحمى وذلك اذا تمطى المحموم و فتر جسمه ـ والاسناخ ـ الاصول ـ والوابلة ـ طرف الكتف ـ والاطرة ـ بفتح فسكون عطف الشئ ـ ودايات العنق ـ فقارها

[٣] فى نسخة (خان الزمان اخ كان الزمان له. اخا الخ) وفى ديوانه (خان الصفاء اخ خان الزمان له، اخا فلم الخ

وقوله

وانّ تجربّة ً بانَتْ جَازَتْ لهَـا   الى يَدَى جَلَدى فاستَوْهكَ الجَلَدُ [١]

وقوله

جَهميّةالاوصاف إلا أنّهم   قدْ لقبُوهَا جَوْهَرالأَشيَاءِ

وقوله ولا تنقح الالفـاظ كل التنقيـح ،، وتنقيح اللفظ ان يبنى منه بنـاءً لايكثر فىالاستعمال . كما قال بعضهم لبعضالوزراء . احسنالله ابانتك .. فقال لهالوزير . عجّلالله اماتتك .. (ويدخل) فىتنقيح اللفظ اسـتعمال وحشيّه . وترك سـلسه وسهله .. وقد اخذالرواة على زهير قوله

تَقِيّ نَقِيّ لم يكثّر غنيمة   بنهكة ذىالقربى ولابحقلّد

فاستبشعوا الحقلد وهوالسيئ الخلق .. وقالوا ليس فى لفظ زهير انكر منه.. وقال يحى* ابن يعمر لرجل حاكمته امرأته اليه .. أأن سئالتك ثمن شكرِها وشبرك . انشأت تطلها وتضهلها . الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى فى بطلان حقها وتضهلها تعطيها الشئ القليل [٢] ،،

قال ابو عثمان رأيتهم يديرون فى كتبهم هذا الكلام .. فان كانوا انما رووه ودوّنوه لانه يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة الفصاحة والبلاغة.. وان كانوا فعلوا ذلك لانه غريب فابيات من شعر العجّاج* وشعر الطرماح* واشعار هذيل * يأتى لهم مع الرصف الحسـن على اكثر من ذلك . ولو خاطب احـد الاصمعى بمثـل هذا الكلام لظننت انه سيجهل بعضه. وهذا خارج عن عادة البلغاء ،،

قوله ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب ، فتصفيته تعريته من الوحشى . ونفى الشواغل عنه .. وتهذيبه تبريته من الردى المرزول. والسوقى المردود .. (فمن) الكلام المهذب الصافى.. قول بعض الكتاب .. مثلك اوجب حقاً لايجب عليه. وسمح بحق وجبله . وقبل واضح العذر . واستكثر قليل الشكر . لازالت اياديك فوق شـكر اوليائك . ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيـك .. ومثله قول آخر .. ماانتهى الى غاية من شكرك . الا وجدت

[١] هكذا البيت فى اصح نسخ الاصل وفى نسخة

وان تجربة نابت صبرت لها   الى ذرى جلدى فاستوهل الجلد

وفى ديوانه (وان تجربة نابت جاءرت لها الخ) — الوهك — الضعف — والوهل — الفزع

[٢] وفى نسخة . والضهل الماء القليل .. اقول الحكاية اوردها ابن الانبارى فى طبقات النحاة هكذا (آأن سألتك ثمن شكرها وسرك انشأت تمطلها وتضلها) ثم قال فى تفسيرها (الشكر الفرج والسر النكاح ويروى وشبرك والشبر (بتحريك الباء) العطاء

ورائها حادثا [١] من برك. فلازالت اياديك ممدودة بين آمل فيك تبلغه. وامل فيك يحققه. حتى تملى من الاعمــار اطولها . وتنال من الدرجات افضلهــا .. وقول احمد بن يوسف * .. يومنا يوم لين الحواشي . وطئ النواحي . وهذه سماء قد تهللت بودقهــا . وضحكت [بعابس غيمها] ولامع برقها . وانت قطب السرور. ونظام الامور. فلاتغب عنا فنقل . ولا تفردنا فنستوحش . فان الحبيب بحبيبه كثير . وبمساعديه جدير ،،

وقوله ولايفعل ذلك حتى يلقى حكيما. وفيلسوفا عليما. ومن تعود حذف فضول الكلام. ومشتركات الالفاظ. ونظر فى المنطق على جهة الصناعة فيها. لاعلى جهة الاستطراف والتطرف لها،

يقول ينبغى ان يتكلم بفاخر الكلام. ونادره ورصينه ومحكمه. عند من يفهمه عنه. ويقبله منه. ممن عرف المعــانى والالفاظ علما شافيا. لنظره فى اللغة والاعراب والمعانى على جهة الصناعة. لا كمن استطرف شيئاً منها. فنظر فيه نظراً غير كامل . اواخذ من اطرافه. وتناول من اطراره. فتحلى باسمه. وخلا من وسمه. فاذاسمع لم يفقه. واذا سئل لم ينقه. واذا تكلم عند من هذه صفته. ذهبت فائدة كلامه. وضاعت منفعة منطقه.. (لانّ) العامىّ اذ كلمته بكلام العِلية سخر منك. وزرى عليك .. كما روى عن بعضهم انه قال لبعض العامة.. بم كنتم تنتقلون البارحة . يعنى على النبيذ .. فقال بالحمّالين .. ولوقال له اى شئ [٢] كان نقلكم . لسلم من سخريته .. فينبغى ان يخاطب كل فريق بما يعرفون . ويتجنب مايجهلون ،،

واما قوله من تعود حذف فضول الكلام ، فحذف فضول الكلام هو ان يسـقط من الكلام مايكون الكلام مع اسقاطه تاماً غير منقوص ولايكون فى زيادته فائدة .. وذلك مثل ماروى عن معاوية انه .. قال لصحار العبدىّ * ماالبلاغة .. فقال ان تقول فلاتخطئ . وتسرع فلاتبطئ . ثم قال اقلنى هوان لاتخطى ولاتبطى .. فالق اللفظتين.. لانّ فى الذى ابقى غنىً عنهما . وعوضاً منهما . (فامّا) اذاكان فى زيادة الالفاظ وتكثيرها . وترديدها وتكريرهــا . زيادة فائدة . فذلك محمود .. وهو من باب التذييل ونشرحــه فى موضعــه ان شــاءالله :

وقوله ومشتركات الالفاظ.. وقول جعفر بن يحى وتخرجه من الشركة ، فهو ان يريد الابانة عن معنىً فيأتى بالفاظ لاتدل عليه خاصة . بل تشـترك معه فيهــا معــان اخر . فلا يعرف السامع ايها اراد وربما استبهم الكلام فى نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معنــاه الا بالتوهم .. فمن الجنس الاول قول جرير

لو كنتُ اعلم ان آخرَ عهدِكم يَوْم الرحيل فعلتُ مالم افعل ..

---

[١] وفى نسخة حاديا [٢] نسخة ايش

فوجه الاشتراك فيهذا .. ان السامع لايدرى الى اى شئ اشار من افعاله فى قوله فعلت ما لم افعل. اراد ان يبكى اذا رحلوا. او يهيم على وجهه من الغم الذى لحقه. او يتبعهم اذا ساروا . اويمنعهم من المضى على عزمة الرحيل. اويأخذ منهم شيئاً يتذكرهم به. اويدفع اليهم شيئاً يتذكرونه به. اوغير ذلك. مما يجوز ان يفعله العاشق عند فراق احبته.. فلم يبن عن غرضه واحوج السامع الى ان يسئله عما اراد فعله عند رحيلهم .. و ليس هذا كقولهم ـ لو رأيت عليا بين الصفين ـ لان دليل البسالة والنكاية فى هذا الكلام بين . وامارة النقصان فى بيت جرير واضحة. فمن يسمعه وان لم يكن من اهل البلاغة يستبرده ويستغثه. ويسترجح الآخر و يستجيده .. ومثله قول سعد بن مالك الازدى *

فإنك لَوْ لاقيتَ سَعْد بن مالك ... للاقيتَ منه بعضَ ما كان يَفْعَلُ

فلم يبن عمّا اراد بقوله يلقى. أخيراً اراد. امشراً. الا ان يسمع ما قبله اوما بعده . فيتبين معناه .. واما فى نفس البيت فلا يتبين مغزاه .. ومثله قول ابى تمام

وقُمْنا فَقُلْنَا بَعدَ ان افْرِدالثرَى ... به ما يُقَال فى السحابة تُقْلِعُ

فقول الناس فى السحاب اذا اقلع. على وجوه كثيرة. فمنهم من يمدحه. ومنهم من يذمه. ومنهم من كان يحب اقلاعه. ومنهم من يكره اقشاعه. على حسب ماكانت حالاتها عندهم. ومواقعها منهم .. فلم يبن بقوله مايقال فى السحابة تقلع. معنىً يعتمده السامع.. وابين منه.. قول مسلم

فاذهَبْ كماذَهبتْ غَوادِى مُزنَةٍ ... اثنى عليها السَّهْلُ والأوْعارُ

على ان المحتج له لوقال ان اكثر العادة فى السحاب. ان يُحمد أثره. ويثنى عليه بعده. لما كان مُبْعِداً .. ولم أُرِدْ عيب ابى تمام بما قلت.. (وانما) اردت الاخبار عن وجوه الاشتراك . وذكر مايتشعب منه و ما يقرب من بابه وينظر اليه من قريب او بعيـد . ومثل قول ابى تمام .. قول ابن [قيس] الرقيّات *

إنْ تَعِش لاتَزلْ بخيرٍ وان تَهْـ ... ـلِكْ تَزُلْ مثل ما يزول العماءُ

و العماء السحاب .. بل هذا اجود من بيت ابى تمام و ابين .. و من اللفظ المشترك .. قول ابى نواس

وَ خَبَنَ مَا يُخْبَنُ من آخرٍ ... منه وللِطّابن امْهارُ [١]

[١] ـ هكذا البيت فى اصح نسخ الاصل وفى نسخة ـ وحذف مايختم مابعده . منه الخ وفى نسخة الديوان ـ وخبن مايخبن من بعده . الخ ـ الطابن ـ الفطن ـ والامهار ـ لعله افعال من المهر وهو الحذق هكذا ذكره بعض الشراح

الامهار هاهنا جمع مَهْرٍ من قولهم مَهَرَ يمهر مهراً . والمصادر لا تجمع. ولا يشك سامع هذا الكلام انه يريد جمع مهر فيشكل المعنى عليه : وخطب بعض المتكلمين .. فقال في صفة الله تعالى.. لا يقاس بالقياس. ولا يدرك بالالماس . اراد جمع لمس . فاصاب السجع واخطاء المعنى .. (واما) ما يستبهم فلا يعرف معناه الا بالتوهم .. مثل قول ابي تمام

جَهْمِيَّةَ الأوصَافِ الّا انهم   قدلَقَّبُوها جَوْهَرَ الاشياءِ

فوجه الاشتراك في هذا . ان لجهم مذاهب كثيرة. و ارآء مختلفة متشعبة. لم يدل فحوى كلام ابي تمام على شئ منها. يصلح ان يشبه بها الخمر وينسب اليه .. الا ان يتوهم المتوهم فيقول انما اراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير ان يدل الكلام منه على شئ بعينه ولا يعرف معنى قوله : قد لقبوها جوهر الاشياء : الا بالتوهم ايضا ،،

ومن الكلام الخالي من الاشتراك[١] .. قول بعضهم لأخ له اراد فراقه.. لمّا تصفحت اخلاقك فوجدتها مباينة لمشاكلتي . زايغة عن قصد طريقتي. صبرت عليها . رياضة لنفسي على الصبر لمساوئ اخلاق المعاشرين . ولعلمي بكامن العدوان في جميع العالمين . والذي رجوت من مذمّة[٢] خصالك . بما اقابلها به من التجاوز . واسحب على سوء آثارها اذيال التغاضي . وانت مع ذلك دائب لاتقوّم اعوجاج مذاهبك . ولا يعطف بك الرأي الى رشدك . فلما فنيت حيلتي فيك . وانقطعت اسباب املي منك . ورأيت الدآء لا يزيد على التعهد بالدوآء الا فساداً . والخرق على الترقيع الا اتساعاً . قدمت اليأس منك . على الرجاء فيك. واحتسبت ايامي السالفة. في استصلاحي لك ،،

وقوله وحق المعنى ان يكون له الاسم طبقاً ،، اى يكون الاسم طبقا للّفظ بقدر المعنى غير زايد عليه. ولا ناقص عنه .. وكان ذلك من قول امرئ القيس

طَبقِ الارْضِ تحرَّى وَتَدُرّ

اى هي على الارض كالطبق على الاناء لا ينقص منه شئ.. وسنأتي بالكلام على هذا في فصل الايجاز ان شاء الله ،،

وقوله ولا يكون الاسم فاضلاً ولا مقصراً.. (فهذا) داخل في الأول من قوله. وحق المعنى ان يكون الاسم له طبقا . ومثال الفاضل من اللفظ عن المعنى قول عروة * بن أُذينة

---

[١] في نسختين من الاصل . الاشتمال . بدل قوله الاشتراك فليحرر [٢] نسخة. من مرمة خصالك

وآسق العَدُوّ بكأسِهِ وَاعلَم له ... بالغَيْبِ اَنْ قَدْ كان قبلُ سَقَاكَها

وَاجزِ الكَرامَةَ مَنْ تَرَى اَنْ لَوْ لَهُ ... يَوْماً بَذلت كرامةً لجزاكَهَا

ومعنى هذا الكلام محصور تحت ثلاث كلمات .. اجز كلا بفعله .. وكان السكوت لعروة خيراً منه ،، ومن الكلام الفاضل لفظه عن معناه .. قول ابى العيال * الهُذَلِيّ

ذَكرتُ اَخِى فَعَاوَدَنِى ... صُدَاعُ الرَّأسِ وَالْوَصَبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضل .. وقول اوس بن حجر *

وَهُمْ لِمُقِلّ المالِ اولادُ عَلَّةٍ ... وَاِنْ كَانَ مَحْضاً فى العُمومَةِ مُخْوَلا

فقوله المال مع المقلّ فضلة ،،

والمقصر من الكلام . مالاينبيك بمعناه . عند سماعك ايّاه . ويحوجك الى شرح .. كبيت الحارث بن حلزة *

والعَيْشُ خَيْرٌ فى ظِلاَلِ النُّ ... وكِ مِمَّن رامَ كَدَّا

وسنذكر وجه العيب فيه بعد هذا ،،

وقوله ولامضمنا : التضمين ان يكون الفصل الاول . مفتقراً الى الفصل الثانى. والبيت الاول . محتاجا الى الاخير .. كقول الشاعر

كأنّ القلبَ لَيْلَةَ قيل يُغدَى ... بِلَيْلَى العامِرِيَّة اَوْ يُرَاحُ

قَطَاةٌ غَرَّهَا شركٌ فَباتَتْ ... تجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجَنَاحُ

فلم يتم المعنى فى البيت الاول حتى اتمه فى البيت الثانى وهو قبيح .. ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم .. وجعل سيدنا آخذاً من كل مادعى ويدعى به فى الاعياد . باجزل الاقسام واوفر الاعداد ..

وقد تسمى استعارتك الانصاف والابيات من شعر غيرك . وادخالك اياه فى اثناء [ابيات] قصيدتك تضميناً .. وهذا حسن وهو كقول الشاعر

اذَا دَلَّهُ عَزْمٌ على الحَزْم لَمْ يَقُلْ ... غَداً غَدُها اِنْ لَمْ تُعِقْهَا العَوايِقُ

وَلكِنَّهُ مَاضٍ على عَزْمِ يَوْمِهِ ... فَيَفْعَل مَايَرْضَاهُ خَلْقٌ وَخَالِقُ

فقوله — غداً غدها ان لم تعقها العوايق — من شعر غيره وهو هاهنا مضمن .. وكقول الآخر

عَوَّذَ لَمَّـابتُّ ضَيفاً له ... اقرَاصهُ بُخـلاً بياسينِ
فَبِتُّ والأرضُ فِراشى وَقَدْ ... غَنَّت (قِفَا نَبْكِ) مَصَارِيني

وقول الآخر

وَلَقَـدْ سَما للخُرَّمِىّ وَلَمْ يَقُلْ ... بَعدالوغَا (لكِنْ تَضَايقَ مَقْدَمِى)

وقول ابن الرومى * فى مغنٍ

مَجلِسُـه مأتَمُ اللـذاذة والـ ... قَصْفِ وَعُرس الهُموم والسقَمِ
يُنْشِدُنا اللَهْوَ عِنْـدَ طَلْعَتِـه ... (مَنْ اَوْ حَشتهُ الدّيارُ لَمْ يُقِمِ)

وكقول جحظة *

اَصْبَحتُ بَيْنَ معَاشرٍ هَجرُوا الندى ... وتقبَّلوا الاَخلاقَ عَنْ اسْلاَفِهِمْ
قَـوْمٌ اُحَاولُ نَيْلَهُمْ فكَاَنَّمَا ... حَاولتُ نَتْفَ الشَعْرِ مِنْ آنافِهِمْ
هَـاتِ اسْقِنِهَا بالكَبِيرِ وَغنِّنِى ... (ذَهَبَ الذينَ يعَاشُ فى اكْنَافِهِمْ)

وباقى كلامه [١] يتضمن صفة المتكلم لاصفة الكلام .. الا قوله .. ويكون تصفحه لموارده . بقدر تصفحه لمصادره .. وسنأتى على الكلام فى هذا ونستقصيه . فى فصل المقاطع والمبادى ،،

وقال بعض الحكماء .. البلاغة قول يسير . يشتمل على معنى خطيرٍ .. وهذا مثل قول الآخر .. البلاغة حكمة تحت قول وجيزٍ .. وقول الآخر .. البلاغة علم كثير . فى قول يسير .. ومثاله قول الاعرابى وقد سئل عن مال يسوقه . لمن هو .. فقال لله فى يدى .. فاىّ شئ لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة . والحكم البارعة الجسيمة.

وقال الله عز وجلّ اسمه ﴿ وَمَنْ يتوَكل عَلى الله فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ قد دخل تحت قوله فهو حسبه من المعانى مايطول شرحه من ايتاء مايرجى . وكفاية مايخشى .. وهذا مثل قوله عز وجلّ ﴿ وفيهَا مَاتَشتَهى الاَنفُس وتَلذ الاَعْيُن ﴾ .. وسئل بعض الاوايل ما [كان] سبب موت اخيك .. قال كونه فاحسن ماشاء .. وقد تنازع الناس فى هذا المعنى . اخبرنا ابو احمد قال اخبرنا ابو بكر بن دريد عن الرياشى * قال قيل لاعرابى كيف حالك .. فقال ماحال من يفنى ببقائه . ويسقم بسلامته . ويؤتى من مأمنه .. واخبرنا ابو احمد قال

[١] — الضمير عائد — على قوله قال واعلم ان حق المعنى ان يكون له الاسم طبقا الى آخر ماتقدم

حدثنا محمد بن يحى * قال حدثنا الغلابى قال حدثنا ابن عائشة * قال قلت لابى * حدثنى حماد بن سلمة * عن حميد * بن ثابت * عن انس * والحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (كفى بالسلامة دآءً) [١] قال يا بنىّ ولااراه الا مسنداً فقد قال حميد بن ثور *

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة … وحسبك دآءً ان تصح وتسلما

وقال آخر

كانت قناتى لاتلين لغامز … فالانها الاصباح والامساء

ودعوت ربى بالسلامة جاهداً … ليصحنى فاذا السلامة دآء

واوّل من نطق بهذا المعنى النمر بن تولب * فى الجاهلية

يودّ الفتى طول السلامة والغنى … وكيف يرى طول السلامة تفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة … ينوء اذا رام القيام ويحمل

وقال آخر

ماحال من آفته بقاؤه … نغص عيشى كله فناؤه

وقال ابن الرومى

لعمرك ماالدنيا بدار اقامة … اذا زال عن نفس البصير غطاؤها

وكيف بقاء العيش فيها وانما … ينال بأسباب الفناء بقاؤها

ونقله الى موضع آخر فقال

فان الدآء اكثر ماتراه … من الاشياء يخلو فى الحلوق

وقريب من ذلك .. قول محمد بن على رضى الله عنهما .. مالك من عيشك . الا لذة تزدلف بك الى حمامك . وتقربك من يومك . فاية اكلة ليس معها غصص . وشربة ليس معها شرق . فتأمل امرك . فكانك قد صرت الحبيب المفقود . اوالخيال المخترم .. وقال ابو العتاهية

أسرع فى نقص امرئ تمامه

---

[١] الحديث خرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس

ومن الامثال — كل من اقام شخص . وكل من زاد نقص . ولوكان يميت الناس الداء . لاحياهم الدواء .. وقال آخر

إِذَ تَمَّ اَمْرٌ دنَا نَقْصُــه   تَوقّعْ زَوالاً إِذاقِيلَ تَمّ

وقلت

(مَاخَيْر عَيْشٍ صَفوُه يُكدِرهْ)   (لابُدَّ اَنْ يشكوه مَنْ يَشكُرُهْ)

(وَالمَرءُ يَنسَى والمنَايا تَذكُرهْ)   (يُميتُــه بَقــاؤهُ فَيُقْــبِرُهْ)

(وكثره منه الذي لا يَجْــبُرُهْ)   (يَطويه مِنْ مَدَاه مَالاَ يَنشرُهْ)

(في كلِّ مجرى نَفَسٍ يكرّرُه)   (يَهْدِمُ من عُمْرِكَ مَالاَ تَعمُرُهْ)

وقلت

قَدْ قرُبَ الامر بعَــد بُعدِه   وَاسعَفَ الإلف بَعد صَدّهْ

وَبَعد بُؤسٍ وَضيقِ عَيْش   صُرْتُ الى خَفضِه ورَغدِه

لــكنَّه مَلبَسٌ مُعــارٌ .   لا بُدّ من نَزْعِــهِ وَرَدِّهْ

وَهَــلْ يُسَرّ الفتى بحَظٍ   وجُــودهُ عِــلَّةٌ لِفَقــدِهْ

وقال الرومى .. البلاغة حسن الاقتضــاب . عند البداهة . والغزارة . عند الاطالة ،، الاقتضاب اخذ القليل من الكثير .. واصــله من قولهم اقتضبت الغصن اذا قطعتــه من شجرته .. وفيه معنى السرعة ايضــا .. فيقول البــلاغة اجادة فى اسراع . واقتصــار على كفاية ،،

فمن البديهة الحســنة : ماخبرنا به ابو احمد قال اخبرنا ابراهيم بن محمد الشــطى قال حدثنى احمد بن يحى ثعلب * قال دخل المأمون ديوان الخراج فمر بغلام جميل على اذنه قلم[١] فاعجبه ماراى من حسنه .. فقــال من انت ياغلام .. فقــال يا اميرالمؤمنين الناشئ فى دولتــك . وخريج ادبك . والمتقلب فى نعمتك . الحســن بن رجا .. فقــال المأمون . بالاحســان فى البديهة . تفاضلت العقول .. ثم امر ان يرفع عن مرتبــة الديوان ويعطى مائة الف درهم ،،

ومن الاقتضاب الجيد : ماخبرنا به ابو احمــد قال اخبرنى ابو احمد الواذارى * عن شيخ له * قال .. قال ابو حاتم * سمعت اباعبيدة * يقول استفتحت غلامين فى الصبى . فتفرسّت[١]

[١] — الزكن — التفرس . وقيل ظن بمنزلة اليقين

منهما بلوغ الغاية. فجاآ كما زكنت.. بلغني ان النظام * يتعاطى علم الكلام فمر وهو غلام على حمار يطير به .. فقلت له ياغلام ماعيب الزجاج فالتفت الى .. وقال يسرع اليه الكسر. ولا يقبل الجبر — وبلغني ان ابانواس يتعاطى قرض الشعر فتلقاني وهو سكران ملتخ[١] وماطرّ شاربه بعد .. فقلت له كيف فلان عندك .. فقال ثقيل الظل . جامد النسيم .. فقلت زد .. فقال مظلم الهوآء . منتن الفناء .. فقلت زد .. فقال غليظ الطبع . بغيض الشكل .. فقلت زد .. فقال وخم الطلعة . عسر القلعة .. قلت زد .. قال نابى الجنبات . بارد الحركات .. ثم قال زدنى سؤالا . ازدك جواباً .. فقلت كفى من القلادة . ما احاط بالعنق ،،

ومن جيّد البداية : مااخبرنا به ابو احمد قال اخبرنى ابى عن عسل بن ذكوان .. قال قال المأمون ليحى بن اكثم * صف لى حالى عند الناس .. فقال ياامير المؤمنين .. قد انقادت لك الامور بازمتها . وملكتك الامة فضول اعنتها . بالرغبة اليك . والمحبة لك . والرفق منك . والعياذ بك . بعدلك فيهم . ومنّك عليهم . حتى لقد انسيتهم سلفك . وآيستهم خلفك . فالحمد لله الذى جمعنا بك بعد التقاطع . ورفعنا فى دولتك بعد التواضع.. فقال يايحى اتحبيراً . ام ارتجالاً .. قال [قلت] وهل يمتنع فيك وصف. اويتعذر على مادحك قول . او يفحم فيك شاعر . اويتلجلج فيك خطيب — وقدم على المهدى * رجل من اهل خراسان .. فقال اطال الله بقاء امير المؤمنين. انّا قوم نأينا عن العرب . وشغلتنا الحروب عن الخطب . وامير المؤمنين يعلم طاعتنا . ومافيه مصلحتنا . فيكتفى منّا باليسير عن الكثير. ويقتصر على مافى الضمير دون التفسير.. فقال المهدى انت اخطب من سمعته .. واخبرنا ابوالقاسم عبدالوهاب بن محمد الكاغذىّ * قال اخبرنا ابوبكر العقدى * قال اخبرنا ابوجعفر الخزّاز * قال اخبرنا المدائنى .. انّ اعرابيا دخل على المنصور . فتكلم . فاعجب بكلامه .. فقال له سل حاجتك .. فقال يبقيك الله . ويزيد فى سلطانك .. فقال سل حاجتك فليس فى كل وقت تؤمر بذاك .. قال ولم ياامير المؤمنين فوالله مااستقصر عمرك . ولا اخاف بخلك . ولااغتنم مالك . وانّ سؤالك لشرف . وان عطائك لزين . وما بامرئ بذل وجهه اليك نقص ولاشين .. اخذ المعنى الاخير من امية بن العسات * فى عبدالله بن جدعان *

عَطاؤُكَ زَيْنٌ لامْرِئٍ إنْ حَبَوْتَهُ ... بِبَذْلٍ وَمَاكُلّ العَطاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لامْرِئٍ بَذْلُ وَجْهِهِ ... اليكَ كما بَعْضُ السؤالِ يَشِينُ

---

[١] — ملتخ — اى مختلط لايفهم شيئاً لاختلاط عقله

وقال جعفر بن يحي البلاغة ان يكون الاسم يحيط بمعناك. ويجلى عن مغزاك. وتخرجه من الشركة . ولا تستعين عليه بطول الفكرة . ويكون سليماً من التكلف . بعيداً من سؤ الصنعة . برياً من التعقيد . غنياً عن التأمل ،،

قوله ان يكون الاسم يحيط بمعناك ، فالاسم هاهنا اللفظ . اى يحصر اللفظ جميع المعنى ويشتمل عليه . فلايشذ منه شئ يحتاج ان يعرّف بشرح . اوتفسير ، فاذا سمعت اللفظ عرفت اقصى المعنى.. وهذا مثل قول الآخر.. البليغ من طبّق المفصّل. فاغناك عن المفسّر ،

ولايكون الكلام بليغاً مع ذلك حتى يعرى من العيب. ويتضمن الجزالة والسهولة. وجودة الصنعة . كما ذكرنا قبل : ومثال ذلك ماكتب بعضهم الى اخ له .. امّا بعد فان المرء ليسره درك مالم يكن ليفوته . ويسؤه فوت مالم يكن ليدركه . فليكن سرورك فيما قدمت من خير . واسفك على مافاتك من بر — وقول اعرابى لابنه .. يابنيّ ان الدنيا تسعى على من يسعى لها . فالهرب قبل العطب . فقد اذنتك ببين . وانطوت لك على حين .. قال الشاعر

حَلالٌ لِلَيْلى اَنْ تَرّوع فوادهُ ... بِهَجْرٍ وَمَغْفُورٌ لِلَيْلىٰ ذنُوبها

تطلّع منْ نَفْسِي لِلَيْلى نوازُع ... عوارف ان اليأس منك نصيبها

وزالت زوال الشمس عن مستقرها ... فمن مخبرى فى اى ارض غرُوبها

وقال آخر

وَمَاذَا عسَى الواشُون اَنْ يتحدثوا ... سِوَى اَنْ يَقولُوا انّى لكِ عَاشقُ

اَجلْ صدَق الواشُون انتِ حَبِيبَةٌ ... الىّ وانْ لَمْ تَصفُ منكِ الخلائقُ

وقوله ويجلى عن مغزاك، اى يوضح مقصدك. ويبين للسامع مرادك.. ينهى عن التعمية والاغلاق .. وقوله ويخرجه من الشركة ، فقد مضى تفسيره .. وقوله ولايستعين عليه بطول الفكرة ، هذا لان الكلام اذا انقطعت اجزاؤه . ولم تتصل فصوله . ذهب رونقه . وغاض ماؤه . وانما يروق الكلام . اذاجرى جريان السيل . وانصب انصباب القطر .. (وقال) ثمامة مارأيت احدا اذا تكلم. لايتحبس . ولايتوقف . ولايتلفف. ولايتلجلج. ولايتنحنح . ولايترقب لفظاً استدعاه من بعد . ولا يلتمس التخلص الى معنى قد اعتاص عليه بعد طلبه .. الاجعفر بن يحى ،،

(فمن) الكلام الجارى مجرى السيل .. قول بعض العرب لبعض ملوك بنى امية .. اقطعت فلانا ارضا . وسط محلتنا . وسوآء خطتنا . ومركز رماحنا . ومبرك لقاحنا ومخرج نسائنا . ومنقلب آمائنا . ومسرح شآينا . ومندى بهمنا . ومحل ضيفنا . ومشرق

شتائنا . ومصبحنا فى صيفنا .. فقال تكفوه : وعوّضه عنها وردهـا عليهم .. واخبرنا ابو احمد قال اخبرنى ابى عن عسل بن ذكوان .. (ان) الحسن بن على رضى الله عنهما خطب فقال .. اعلموا ان الحكمة زين . والوقار مروءة . والصلة نعمة . والاكثار صلف . والعجلة سفه . والسفه ضعف . والغلق ورطة . ومجالسة اهل الدناءة شين . ومخالطة اهل الفسوق ريبة .. (فهذه) هى البلاغة التامة . والبيان الكامل .. (وكما) قال بعضهم . البلاغة صواب . فى سرعة جواب . والعى اكثار . فى اهذار . وابطاء . يردفه اخطاء .. (وقال) بعضهم لست ممن يتوهم بجهله . ويظن بقلة عقله .. ان الديانة . والامانة . والنزاهة . والصيانة .. انما هى فى تشمير ثوبه . واحفاء شاربه . وكشفه عن ساقه . وزهوه باطماره . وانعال خفه . وترقيع ثوبه . واظهار سجادته . وتعليق سبحته . وخفض صوته . وخشوع جسمه دون قلبه . واختلاس مشيته . وخفة وطئه بين قومه . ولا يرتشى فى حكمه . ويأخذ على علمه . ويطلب الدنيا بدينه . ولا يرفع طرفه من عظمته وكبريائه . ولا يكلم الناس من تصنعه وريائه .. (فهذا) الكلام وامثاله فى طول النفس . يدل على اقتدار المتكلم . وفضل قوته فى التصرف ،،

وقوله ويكون سليماً من التكلف ، فالتكلف طلب الشئ بصعوبة . للجهل بطرايق طلبه بالسهولة.. فالكلام اذا جمع وطلب بتعب وجهد. وتنولت الفاظه من بعد. فهو متكلف.. (مثاله) قول بعضهم فى دعائه .. اللهم ربنا وآلهنا . صل على محمد نبينا . ومن ارادبنا سوءاً فاحط ذلك السوء به . وارسخه فيه كرسوخ السجّيل . على اصحاب الفيل . وانصرنا على كل باغٍ وحسود . كما انتصرت لناقة ثمود ،،

وقوله بريّاً من سؤ الصنعة ، فسؤ الصنعة يتصرف على وجوه .. (منها) سؤ التقسيم وفساد التفسير . وقبح الاستعارة والتطبيق . وفساد النسج والسبك .. وسنذكر المحمود من هذه الابواب. والمذموم منها [فيمابعد] انشاءالله ، (وروى) انه قال بريا من الصنعة ، فالصنعة النقصان عن غاية الجودة . والقصور عن حد الاحسان .. (وهو) مثل قول العايب .. فى هذا الامر — بعد عمل — معناه انه لم يحكم .. (ولما) دخل النابغة يثرب [١] . وغنى بقوله

أمِن آلِ ميَّةَ رايحٌ اوْ مغتَدِ

ومن هذه القصيدة

[١] — يثرب — اسم مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) سميت باسم بانيها رجل من العمالقة قاله السهيلى .. وقد نص العلماء على كراهة اطلاق هذا الاسم عليها لانه يتناول معنى الثرب او التثريب

عَنَمٌ يَكادُ منَ اللطَافَةِ يُعقَدِ

وعرف انه عيب [١]. خرج وهو يقـول .. دخلت يثرب فوجدت فى شعرى صنعة .. فخرجت منها وانا اشعر العرب ، اى وجدت نقصـانا عن غايةالتمام .: واخبرنا ابو احمد عن ابى بكرالصولى .. قال كان ابن‌الاعرابى يأمر بكتب [جميع] مايجرى فى مجلسه .. قال فانشده رجل يوماً ارجوزة ابى تمام فى وصف السحاب على انها لبعض العرب

سَارِيَة لمْ تَكْتَحِلْ بِغُمْضِ　　　كَدْرآءُ ذَاتُ هَطلاَنٍ مُحْضِ

موقرة من خُـلّةٍ وحَمْضِ　　　تمضى وتُبْقِى نعماً لاتمْضِى

قضَتْ بِهَاالسمَآءُ حَقّ الارْضِ [٢]

فقال ابن الاعرابى اكتبوها .. (فلما) كتبوها قيل له انها لحبيب بن اوس .. فقـال خرّق خرّق لاجرم ان اثر الصنعة فيها بيّن .. وقال الفرزدق .. القصائد تصنعاً . اى معابا ومنقصة عن حدالاحسان ،،

وقوله بعيدا عن‌التعقيد ، والتعقيد . والاغلاق . والتقعير . سوآء .. وهو استعمال الوحشى . وشـدة تغليق الكلام . بعضه ببعض . حتى يستبهم المعنى .. وقد ذكرنا امثلة ذلك فيما تقدم .. (ونذكر) هاهنا منها شيئاً ،،

(فمثال) الوحشىّ .. قول بعض الامرآء وقد اعتلّت امه فكتب رقاعا وطرحهـا فى‌المسجد الجامع بمدينة السلام .. صين امرؤ ورعى . دعا لامرأة انفحلة [٣] مقسئنة . قد منيت باكل الطرموق . فاصابها من اجله‌الاستمصال . ان يمن‌الله عليها بالاطر غشاش . والابرغشاش .. فكل من‌قرأ رقعته دعا عليها ولعنه ولعن امه — الطرموق — الطين — والاستمصال — الاسهال — واطرغشّ . وابرغشّ — اذا ابلّ وبرأ ،،

(ومثال) الشديد ، التعليق بعض‌الفاظه ببعض حتى يستبهم‌المعنى .. كقول ابى تمام

[١] — العيب فى‌قوله يعقد — فان حقه‌الرفع والرواية بالجر فيكون فى‌البيت الاقواء وذلك‌مخالفة القافية برفع بيت وجر آخر .. وقلت قصيدة لهم بلا اقواء وما حكاه‌المصنف من‌التغنى بقصيدة‌النابغة فقد اورده ابوالفرج‌الاصبهانى فى‌كتابه الاغانى مفصلا .. وصدرالبيت كما فى‌ديوانه من‌رواية‌الاصمعى (بمخضب رخص‌كأن بنانه . عنم الخ وقال شارحه‌الوزير ابو بكرالبطليوسى — العنم — شجر لين‌الاغصان لطيفه

[٢] — السارية — السحابة‌تأتى‌ايلا — والخلة — بالضم مافيه‌حلاوة من‌النبات — والحمض — نبات معروف تستطيبه الابل وعليه قولهم .. الخلة خبزالابل . والحمض فاكهتها

[٣] — قوله‌انفحلة — هكذا فى‌بعض نسخ الاصل ولم اقف لها على معنى .. وقوله — مقسئنة — قال‌الجوهرى اقسئن الرجل اقسئنانا اذ اكبر وعسا — وقوله منيت — اى ابتليت

جَارى اليه البَيْنُ وَصْلَ خَريدةٍ ماشَتْ اليــه المَطْل مَشْىَ الاَكْبَدِ [١]
يايوم شرّد يَوْم لَهْوِى لَهْــوَهُ بصبابتى واَذَلّ عِزّ تَجَــلُّدِى
يوم افاضَ جوًى اغاض تعزيا خاضَ الهوَى بَحْرَىْ حجاه المُزْبِدِ

جعل الحجا مزبداً .. (وقوله) ايضا

والمجدُ لايرضَى بِاَنْ تَرضى بِاَنْ يَرْضَى المُعاشِرُ مِنْك الاّ بالرِضـا [٢]

وبلغنا ان اسحاق بن ابراهيم سمعه ينشد هذا وامثاله عند الحسن بن وهب .. فقال يا هذا لقد شددت على نفسك .. والكلام اذا كان بهذه المثابة كان مذموماً ،،

وقوله غنيا عن التأمل، اى هو مستغن لوضوحه عن تأمل معانيه. وترديد النظر فيه. كقول بعضهم لصديق له .. وجدت المودة منقطعة. مادامت الحشمة عليها مسلطة . ولا يزال سلطان الحشمة. الا بملكة المؤانسة .. (ومما) يؤيد ماقلناه .. قول الجاحظ .. من اعاره الله عزوجلّ من معونته نصيبا . وافرغ عليه من محبته ذَنُوبا. حبب اليه المعانى. وسلّس له نظام اللفظ . وكان قبل قد اعفى المستمع من كد التلطف. واراح قارئ الكتاب من علاج التفهم ،،

وقال العربى .. البلاغة التقرب من المعنى البعيد . والتبـاعد من حشو الكلام . وقرب المأخذ . وايجاز فى صواب . وقصد الى الحجة . وحسن الاستعارة .. ومثله قول الاخر .. البلاغة تقريب مابعد من الحكمة بايسر الخطاب ،،

والتقرب من المعنى البعيد ، وهو ان يعمد الى المعنى اللطيف فيكشفه . وينفى الشواغل عنه . فيفهمه السامع من غير فكر فيه . وتدبر له .. مثل قول الاول فى امرأة

لَمْ نَدْرِ ماالدنيا وماطِيبُها وحُسْنُها حَتّى رَأَيْنــاهَا
إنّك لوْ ابْصَرتَها سَــاعةً اَجْلَلْتَها انْ تَتَمنّاهَـا

وقال بعضهم لملك من الملوك .. امّا التعجب من مناقبك . فقد نسخه تواترها . فصـارت كالشئ القديم الذى قد كسى به . — [اى الف] — لا كالشئ البديع الذى يتعجب منه .. (ومن) هذا اخذ ابو تمام قوله

علىٰ انّها الايّامُ قَدْ صِرْنَ كلّها عجايبَ حَتّى لَيْسَ فيها عجائبُ

---

[١] — نسخة — ماشت اليه الوصل الخ وما اثبتناه موافق لما فى ديوانه — والاكبد — الذى يشتكى كبده
[٢] — البيت فى ديوانه هكذا

المجد لا يرضى بان ترضى بان يرضى امرؤ يرجوك الا بالرضـا

وقول آخر لبعض الملوك ايضا .. اخلاقك تجعل العدوّ صديقا . واحكامك تصيّر الصديق عدوّاً . و يشهد عدم مثلك فيما يكون .. (وقال) بعض القدماء .. لكل جليلة دقيقة . ودقيقة الموت الهجر .. وقلت

اسْمُ التفرقِ بيْنٌ لكن مغناه مَوتُ
وجَدَانُنا كل شئ اذا تباعدَت فَوتُ

والرواية الصحيحة ان العربى قال .. البلاغة التقرب من المعنى البعيد .. ولكن رأيته فى بعض اصولى كما ذكرته قبل .. فاوردته هاهنا وفسرته على مارأيته فى الاصل ،،

وقوله والتباعد من حشو الكلام ، فالحشو على ثلاثة اضرب .. اثنان منها مذمومان . وواحد محمود ،،

فاحد المذمومين .. هو ادخالك فى الكلام لفظا لو اسقطته لكان الكلام تاما .. مثل قول الشاعر

اَنْعِى فتىً لم تذرَّ الشمس طالعة يوماً من الدهر الّا ضرّ اوْ نفعَا

فقوله يوما من الدهر حشو لايحتاج اليه . لان الشمس لاتطلع ليلاً .. وقول بعض بنى عبس * انشدنا ابو احمد عن الصولى عن ثعلب عن ابن الاعرابى

اَبَعْد بنِى بكرٍ اُؤمّل مُقبِـلاً من الدهر اوْ آسى على إثر مُدْبِرِ
ولَيسَ وراَء الفوت شئٌ يَردّه عليك اذا ولىّ سِوى الصَّبْر فاصبر
اُولاَك بنُو خَـيْرٍ وشرٍ كليهمـا جميعـاً ومعْروفٍ اُريد ومُنْكَرِ

قوله اريد حشو وزيادة .. وقوله كليهما يكاد يكون حشواً وليس به بأس . وباقى الكلام متوازن الالفاظ والمعانى . لازيادة فيه ولانقصان .. (وهذا) الجنس كثير فى الكلام ،،

والضرب الاخر .. العبارة عن المعنى بكلام طويل لافائدة فى طوله ويمكن ان يعبر عنه باقصر منه .. مثل قول النابغة

تبّينتُ آياتٍ لهـا فعرفْتُها لِستّةِ أعْوامٍ وذا العامُ سَابعُ

كان ينبغى ان يقول لسبعة اعوام ويتم البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة فعجز عن ذلك فحشا البيت بما لاوجه له ،،

(وامّا) الضرب المحمود .. فكقول كثير *

لو انّ الباخلين وانتَ فيهم ‌ ‌ ‌ ‌ رأوك تعلّموا منكَ المطالا

قوله وانت فيهم حشو الا انه مليح .. وتسمى اهل الصنعة هذا الجنس اعتراض كلام فى كلام .. ومنه قول الآخر [وهو جرير]

انّ الثمانين وبُلغتُها ‌ ‌ ‌ ‌ قدَاحوَجَتْ سَمْعى الى تَرجُمانْ

وسنأتى على هذا الباب فيما بعد انشاءالله ،،

ومن الكلام الذى لاحشو فيه .. قول صبرة * بن شيمان حين دخل على معاوية مع الوفود فتكلموا فاكثروا .. فقال صبرة .. ياامير المؤمنين . انّا حىّ فعال . ولسنا حىّ مقال . ونحن بادنى فعالنا . عند احسن مقالهم .. فقال معاوية صدقت .. ومن هذا قول الشاعر

وتجهَل ايدينا ويحلم رأيُنا ‌ ‌ ‌ ‌ ونَشتُم بالافعالِ لابالتكلّمِ

.. وكتب رجل الى اخ له .. ثقتى بكرمك . تمنع من اقتضائك . وعلمى بشغلك . يحدو على ادّكارك .. وقال آخر .. فى الناس طبايع سيئة وحسنة . فارتبط بمن رجحت محاسنه .. وقال الحسن .. نعم الله على العبد اكثر من ان تُشكر . الا ان يعان عليها . وذنوبه اكثر من ان يسلم منها . الا ان يعفى له عنها ،،

واما قرب المأخذ ، فهو ان تأخذ عفو الخاطر . و تتناول صفوالها جس . ولا تكدّ فكرك . ولا تتعب نفسك .. (وهذه) صفة المطبوع .. (وروى) ان الرشيد او غيره قال لندمائه .. وقد طلعت الثريا = اما ترون الثريا = فقال بعضهم = كانها عقدريا = وقال بعضهم لابى العتاهية = عذب الماء فطابا = فقال ابو العتاهية = حبّذا الماء شرابا = .. وقال بشار * وقد حبسه يعقوب * بن داود على بابه

طالَ الثَّوآءُ على رسُومِ المَنْزِلِ

فرُفع اليه قوله فقال

فاذا تَشَآءُ ابامُعاذٍ فارْحَلِ

(ومن) قرب المأخذ . . ان الجاحظ او غيره . . قال للجماز * اريد ان انظر الى الشيطان .. فقال انظر فى المرآة .. وقال بعض الولاة لاعرابى .. قل الحق والا اوجعتك ضرباً فقال الاعرابى .. وانت ايضا فاعمل به فوالله لما اوعدك الله به منه .. اعظم مما اوعدتنى به

منك .. ومنه ان المأمون قال لام الفضل * بن سهل بعد قتله اياه .. اتجزعين ولك ولد مثلى .. قالت وكيف لا اجزع على ولد افادنيك .. (وهذا) على حسب ما قال ابو حنيفة * .. اذا اتتك معضلة . فاجعل جوابها منها .. ومن ذلك ما اخبرنا به ابواحمد قال حدثنا الجوهرى * قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا مهدى * بن سابق قال حدثنا عطاء بن مصعب * عن عاصم * بن الحدثان .. قال دعا عبدالملك بن مروان يوما بالغدآء و بحضرته رجل فدعاه الى غدائه.. فقال ليس بى غدآء يا اميرالمؤمنين قدتغديت .. فقال عبدالملك ما اقبح بالرجل ان يأكل حتى لايكون فيه فضل للطعام .. فقال يااميرالمؤمنين فىّ فضل ولكن اكره ان آكل فاصيرالى ما استقبحه اميرالمؤمنين ،،

وقوله ايجاز فى صواب ، فسنذكره فى بابه . والاستعارة فسنضعها فى مواضعها ،،

و اما قوله وقصد الى الحجة ، فقد ذكرنا الكلام فيه .. وقال محمد بن على رضى الله عنهما .. البلاغة قول بفقه فى لطف ، فالمفقه المفهم . واللطيف من الكلام ماتعطف به القلوب النافرة . و يؤنس القلوب [١] المستوحشة . و تلين به العريكة الابيّة المستصعبة . و يبلغ به الحاجة . وتقام به الحجة . فتخلص نفسك من العيب . و يلزم صاحبك الذنب . من غير ان تهيجه وتقلقه . وتستدعى غضبه . و تستثير حفيظته .. كقول بعض الكتاب لاخ له .. انفذ الىّ ابو فلان كتابا منك . فيه ذرّ [٢] من عتاب . كان احلى عندى من تعريسة الفجر [٣] . والذ من الزلال العذب . ولك العتبى داعيا مستجابا له . و عاتبا معتذرا اليه . ولو شيئت مع هذا أن اقول ان العتب عليك اوجب . والاعتذار لك الزم . لفعلت . ولكنى اسامحك ولا اشاحُّكَ . واسلّم اليك و لا ارادّك . لان افعالك عندى مرضية . وشيمك لدى مقبولة . ولولا ان للحجة موقعها. لاعرضت عما اومأت اليه . وما عرضت مما بدأت به وقلت

اذامَرِضنا اتيناكم نعودُكمُ ... وتُذنِبونَ فنأتيكم فنَعتَذِرُ

فانظر كيف خلّص نفسه من الجرم . واوجبه لصاحبه فى الطف وجه . والين مس.. ومن الكلام الذى يعطف القلوب النافرة .. قول آخر لاخ له .. زيّن الله الفتنا بمعاودة صلتك . واجتماعنا بترادف زيارتك . وايامنا الموحشة لغيبتك برؤيتك . توعدتنى بالانتقام على اخلالى بمطالعتك . وحسبى من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك ،،

---

[١] ـ نسخة ـ النفوس [٢] ـ نسخة ـ ذرو .. وفى اخرى ـ ذر ـ فليحرر

[٣] ـ التعريس ـ نزول القوم فى السفر آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة وينامون نومة خفيفة ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين

وقال على بن ابى طالب رضى‌الله عنه .. البلاغة ايضاح الملتبسات . وكشف عوار الجهالات . باسهل مايكون من العبارات .. و قريب منه قول الحسن بن على رضى‌الله عنهما .. البلاغة تقريب بعيد الحكمة . باسهل العبارة .. ومثله قول محمد بن على رضى‌الله عنهما .. البلاغة تفسير عسير الحكمة. باقرب الالفاظ .. وقد مضى فيما تقدم من كلامنا مايكون مثالا لهذه‌الفصول ،،

وانا اورد هاهنا فصلا ينشرح به ابوابها . ويتضح وجوهها .. اخبرنى ابو احمد عن ابيه عن عسل بن ذكوان .. قال قال المأمون لمرتد عن الاسلام الى النصرانية .. اى شئ اوحشك من الاسلام فتركته .. قال اوحشنى ما رأيت من كثرة الاختلاف فيكم .. فقال المأمون لنا اختلافان (احدهما) كاختلافنا فى‌الاذان . وتكبير الجنايز . والاختلاف فى‌التشهد . وفى‌صلاة الاعياد . وتكبير التشريق . ووجوه القرآآت . و اختلاف وجوه الفتيا . وما اشبه ذلك . وليس هذا باختلاف .. (و انما) ذلك توسعة وتخفيف من‌المحنة (والاختلاف الآخر) كنحو اختلافنا فى‌تأويل الآية من‌كتابنا . وتأويل‌الخبر عن نبينا (عليه‌الصلاة والسلام) مع اجماعنا على اصل التنزيل . واتفاقنا على عين‌الخبر .. فان كان الذى اوحشك هو هذا حتى انكرت هذا الكتاب .. فينبغى ان‌يكون‌اللفظ بجميع‌التوراة والانجيل متفقا على تأويله . كما يكون متفقا على تنزيله . ولايكون بين النصارى اختلاف فى‌شئ من‌التأويلات .. (ولو) شآءالله ان ينزل كتبه . ويجعل كلام انبيائه . وورثة رسله . كلاما لايحتاج الى‌التفسير لفعل .. ولكننا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع الينا على الكفاية .. (ولو) كان الامر كذلك لسقطت المحنة والبلوى. وذهبت المسابقة والمنافسة. ولم يكن تفاضل . وليس على هذا بنى‌الله الدنيا .. فقال المرتد اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ولا ولد وان المسيح عبدالله وان محمدا (صلى‌الله عليه وسلم) صادق وانك اميرالمؤمنين حقا ،،

وقال ابن‌المقفع .. البلاغة كشف مااغمض من‌الحق. وتصوير‌الحق فى‌صورة‌الباطل!.. (والذى) قاله امر صحيح لايخفى موضع‌الصواب فيه على احد من اهل‌التميز والتحصيل. وذلك ان‌الامر‌الظاهر‌الصحيح الثابت‌المكشوف. ينادى على نفسه بالصحة. ولايحوج الى التكلف لصحته حتى يوجد‌المعنى فيه خطيبا .. (وانما) الشان فى تحسين ماليس بحسن. وتصحيح ماليس بصحيح . بضرب من‌الاحتيال والتحيل . ونوع من‌العلل والمعاريض والمعاذير . ليخفى موضع‌الاشارة . ويغمض موقع‌التقصير . وما اكثر مايحتاج‌الكاتب الى هذا الجنس. عند اعتذاره من هزيمة . وحاجته الى تغير رسم . او رفع منزلة دنى. له فيه هوى . اوحط منزلة شريف . استحق ذلك منه . الى غير ذلك من‌عوارض اموره ،،

فاعلا رتب البلاغة . ان يحتج للمذموم. حتى يخرجه فى معرض المحمود . وللمحمود. حتى يصيره فى صورة المذموم .. وقد ذم عبدالملك * بن صالح المشورة وهى ممدوحة بكل لسان .. فقال .. مااستشرت احدا الاتكبر على وتصاغرت له . ودخلته العزة ودخلتنى الذلة . فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون . مهيب فى الصدور . واذا افتقرت الى العقول حقرتك العيون . فتضعضع شأنك . ورجفت بك اركانك . واستحقرك الصغير . واستخف بك الكبير . وماعز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه . وارآء نصحائه .. ومدح بعضهم الموت فقال

قَدْ قلتُ اذْمدَحوا الحياةَ فَاكثرُوا فِى الموتِ الفُ فضيلةٍ لاتُعْرَفُ

فيــه امان لقــآئه بلقــآئه وفراق كل معــاشِرٍ لايُنْصِفُ

فالمتمكن من نفســه يضع لسانه حيث يريد .. ومثل هذا كثير لاوجه لاستيفائه فى مثل هذا الموضع ،،

ذكرت فى هذا الباب وهو ثلاثة فصول من نعوت البلاغة . ووجوه البيان والفصاحة . مافيه كفاية . واتيت من تفسير مشكلها على مافيه مقنع . ولم يسبقنى الى تفسير هذه الابواب وشرح وجوهها احد . وانما اقتصر من كان قبلى على ذكر تلك النعوت عارية مماهى مفتقرة اليه من ايضاح غامضها . وانارة مظلمها . فكان المنفعة بها للعالم دون المتعلم . والسابق دون اللاحق . وربما اعترض الشك فيها للعالم المبرز . فسقطت عنه معرفة كثير منها . وانت ايدك الله تعتمد ماذكرته من ذلك . وتأتم بما شرحته منه . وتستدل به على ما الفيته من جنسه اذا عثرت به . لتستغنى عن جميع ماصنف فى البلاغة . وسائر ماذكر من اصناف البيان والفصاحة . انشاءالله

﴿ الباب الثانى ﴾

فى تمييز الكلام جيده من رديه ونادره من بارده والكلام فى المعانى (فصلان)

﴿ الفصل الاول من الباب الثانى فى تمييز الكلام ﴾

الكلام ايدك الله . يحسن بسلاسته . وسهولته . ونصاعته . وتخير لفظه . واصابة

معناه . وجودة مطالعه . ولين مقاطعه . واستواء تقاسيمه . وتعادل اطرافه . وتشبه اعجازه بهواديه . وموافقة مآخيره لمباديه . مع قلة ضروراته . بل عدمها اصلا . حتى لايكون لها فى الالفاظ اثر . فتجد المنظوم . مثل المنثور . فى سهولة مطلعه . وجودة مقطعه . وحسن رصفه وتأليفه . وكمال صوغه وتركيبه ،،

فاذا كان الكلام كذلك . كان بالقبول حقيقا . وبالتحفظ خليقا .. كقول الاول

هُمُ الأُولىٰ وهبُوا للمَجدِ انفُسَهم ... فَمَا يُبَالونَ مانالوا اِذَا حُمِدُوا

وقول معن بن اوس *

لَعُمرِكَ ماأهْوَيتُ كفى لِرَيْبَةٍ ... ولا حملتنى نحوَ فاحشةٍ رِجلى

ولا قادنى سَمْعِي ولابَصرِي لهَا ... ولادلنى رأيٍ علَيها ولاعَقلى

واعلَمُ انّى لَمْ تُصُبْنِى مُصِيبَة ... من الدهر الا قَدْ اصابتْ فتىً قَبْلى

ولَستُ بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ ... من الأمر لايَمْشِي الى مثلهِ مثلى

ولامؤثرُ نفسى عـلى ذِى قرابةٍ ... واوثرُ ضَيْفى ماأقامَ عـلى اَهْلى

وقول الاخر

وَلَستُ بنظّار الى جَانبِ الغِنى ... اذا كانتْ العلياءُ فى جانبِ الفَقْرِ

وقال الآخر

ذَريني اسِرْ فى البلاد لَعلّنِي ... اصيبُ غنىً فيه لذى الحق مَحْمَلُ

فان نحن لم نسطِع دفاعاً لحادثٍ ... تجيءُ به الايّام فالصَبْرُ اجْمَلُ

اَليسَ كثيراً ان تلِمّ مُلِمـةٌ ... وليسَ علينا فى الحقوق مُعوّلُ

ومما هو فصيح فى لفظه . جيد فى رصفه . قول الشنفرى * [١]

اطيل مِطَالَ الجوع حتى اميتَه ... واضرب عنه القلب صفحاً فيذهل

ولولا اجتناب العار لم يُلفَ مشرب ... يُعاش به الا لدىّ ومأكلُ

ولكنّ نفساً مُرّةً ماتقيمنى ... على الضَيْم الّا رَيْثَما اتحوّلُ

[١] الابيات من لاميته المشهورة بلامية العرب .. وقيل ان هذه اللامية لابى محرز خلف الاحمر بن حيان مولى بلال بن ابى بردة .. والابيات فى غير هذا الاصل هكذا

ادیم مطال الجوع حتى اميته ... واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل

ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب ... يعاش به الا لدى ومأكل

ولكن نفسا مرة لا تقيم بي ... على الذيم الا ريثما اتحول

وقول الاخر

اذا أنتَ لمْ تَشرب مِراراً على القَذى ... ظَمِئتَ واى النّاس تَصفو مَشاربه

وقول الآخر

وما انْ قَتَلْناهمْ باكثَرَ منْهم ... ولكنْ باَوْفى للطعانِ واكرما

وقال دعبل *

وانَّ امرءاً امسَتْ مَسَاقِطُ رَحْلِهِ ... بأُسوَان لم يترك له الحزم مَعْلَما [١]

حَلَلْتَ محلاً يقصرُ الطَرْفُ دُونَهُ ... ويعجز عنه الطَيْفُ ان يتجشما [٢]

وقول النابغة

ولست بمسْتَبِق اخاً لا تَلُمّه ... على شَعَثٍ اىّ الرجَال المهذب

وليس لهذا البيت نظير فى كلام العرب .. وقال بعضهم نظيره .. قول اوس بن حجر

ولست بخابئٍ ابداً طعاما ... حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غدٍ طعامُ

وهذا وان كان نظيره فى التأليف . فانه دونه لما تكرر فيه من لفظ غدٍ .. (فاذا) كان الكلام قد جمع العذوبة . والجزالة . والسهولة . والرصانة . مع السلاسة . والنصاعة. واشتمل على الرونق والطلاوة . وسلم من حيف [٣] التأليف . وبعد عن سماجة التركيب . وورد على الفهم الثاقب . قبله ولم يرده . وعلى السمع المصيب. استوعبه ولم يمجه . والنفس تقبل اللطيف . وتنبو عن الغليظ . وتقلق من الجاسى [٤] البشع . وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقه . و تنفر عما يضاده و يخالفه . والعين تألف الحسن. وتقذى بالقبيح . والانف يرتاح للطيب . وينغر [٥] للمنتن . و الفم يلتذ بالحلو . و يمج المرّ . والسمع يتشوف للصواب الرايع . و ينزوى عن الجهير الهايل . و اليد تنعم باللين . و تتأذى بالخشن . والفهم يأنس من الكلام بالمعروف . و يسكن الى المألوف . و يصغى الى الصواب . ويهرب من المحال . وينقبض عن الوخم . ويتأخر عن الجافى الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب . الا الفهم المضطرب . والروّية الفاسدة ..

[١] ــ نسخة ــ الجنف وهو الميل والجور فيكون قريباً من معنى الحيف
[٢] ــ الجاسى ــ الصلب الغليظ
[٣] ــ النغر ــ صوت الخيشوم عند مايشم الشئ المنتن .. وجاء فى نسخة صحيحة ــ وينان
[٤] ــ اسوان ــ بلدة بالصعيد من بلاد مصر .. قال فى القاموس بالضم ويفتح
[٥] ــ التجشم ــ التكلف على مشقة

وليس الشان فى ايراد المعانى .. (لان) المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى .. (وانما) هو فى جودة اللفظ وصفائه . وحسنه وبهائه . ونزاهته ونقائه . وكثرة طلاوته ومائه . مع صحة السبك والتركيب . والخلو من أود النظم والتأليف .. (وليس) يطلب من المعنى الا انيكون صواباً . ولايقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ماوصفناه من نعوته التى تقدمت .. (الا) ترى الى قول حبيب

مُسْتَسْلِمٌ لله سَايس امةٍ   بذوى تجَهْضُمِهَا له استِسْلاَمُ [٤]

[فانه] صواب اللفظ وليس هو بحسن ولامقبول — [الجهضمة ، الوثوب والغلبة] — .. وقال ابو داود .. رأس الخطابة الطبع . وعمودها الدربة . وجناحاها رواية الكلام . وحليها الاعراب . و بهاؤها تخير الالفاظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه .. وانشد

يرمُون بالخُطَبِ الطِوَال وتارةً   وَحْيِ الملاحِظ خَشْيَةَ الرقباءِ

و من الدليل على ان مدار البلاغة على تحسين اللفظ . . (ان) الخطب الرايعة . والاشعار الرايقة . ما عملت لافهام المعانى فقط . لان الردئ من الالفاظ . يقوم مقام الجيدة منها فى الافهام .. (وانما) يدل حسن الكلام . واحكام صنعته . وررونق الفاظه . وجودة مطالعه . و حسن مقاطعه . و بديع مباديه . وغريب مبانيه . على فضل قايله . وفهم منشيه .. واكثر هذه الاوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعانى .. وتوخى صواب المعنى. احسن من توخى هذه الامور فى الالفاظ .. (ولهذا) تأنق الكاتب فى الرسالة . والخطيب فى الخطبة . والشاعر فى القصيدة .. يبالغون فى تجويدها . ويغلون فى ترتيبها . ليدلوا على براعتهم . وحذقهم بصناعتهم .. (ولو) كان الأمر فى المعانى لطرحوا اكثر ذلك فربحوا كداً كثيراً . واسقطوا عن انفسهم تعباً طويلاً ،،

ودليل آخر .. (ان) الكلام اذا كان لفظه حلواً عذباً . وسلساً سهلاً . ومعناه وسطاً . دخل فى جملة الجيد . وجرى مع الرايع [النادر] .. كقول الشاعر

وَلمَّا قضَيْنَا مِنْ مُنَى كلّ حاجةٍ   ومسّح بالأركان مَنْ هوَ ماسحُ

وشُدَّتْ على حُدْب المَهَارى رحالنا   ولم ينظر الغَادِي الذى هُوَ رائحُ

اخذنا باطراف الاحاديث بَيْنَنَا   وسَالتْ باعناقِ المَطِىّ الاباطحُ

وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنىً . وهى رايقة معجبة .. (وانما) هى ولما قضينا الحج

ومسحنا الاركان وشدت رحالنا على مهازيل الابل ولم ينتظر بعضنا بعضاً جعلنا نحدث وتسير بنا الابل فى بطون الاودية ،،

واذا كان المعنى صوابا . واللفظ باردا وفاترا . والفاتر شر من البارد . كان مستهجنا ملفوظا . ومذموما مردوداً .. والبارد من الشعر .. قول عمرو بن معدى كرب *

قَدْ علمت سَلْمَى وجَاراتُها ... ما قطّر الفارِسَ الّا انَا [١]

شككت بالرمح سرابيله ... والخيل تعدوا زِيماً حولنَا [٢]

وقول الفند الزمانى *

أَيَا تَمْلِكُ يَا تَمْلِ ... وَذَاتَ الطَوْقِ والحَجْلِ

ذَرِيني وَذَرِى عَـذْلِى ... فان العَذل كالقَتْـلِ

وقول النمر

يُهِينُون مَنْ حَقرُوا شَيبَهُ ... وانْ كانَ فيهم يفِى اَوْ يَبَرّ

وقول ابى العتاهية

ماتَ والله سعيد بن وهب ... رحم الله سعيدَ بن وهبِ

يا ابا عثمان ابكيتَ عينَى ... يا ابا عثمان اوْجعت قلبى

والبارد فى شعر ابى العتاهية كثير .. والشعر كلام منسوج . ولفظ منظوم . واحسنه ماتلائم نسجه ولم يسخف . وحسن لفظه ولم يهجن. ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام . فيكون جافاً بغيضا . ولا السوقى من الالفاظ فيكون مهلهلا دونا .. فالبغيض كقول ابى تمام [٣]

جَعَل الْقَنَا الدرَجَاتِ للكذجَاتِ ذَا ... تِ الغَيْلِ والحرجَاتِ والادْحَالِ [٤]

قَدْ كان حَزْن الخطْبِ فى احْزَانِهِ ... فدعاه داعى الحَـنِين للاسْهالِ [٥]

---

[١] ــ قطر ــ اى قتله فانزل دمه

[٢] ــ السرابيل ــ الدروع ــ وقوله زيما ــ اى متفرقة

[٣] ــ هكذا فى الاصل على هذا الترتيب وفى الديوان بتقديم البيت الثانى على الاول وبينهما ابيات

[٤] ــ الكذجات ــ واحدها كذج محركة معرب كده اى المأوى ــ والادحال ــ جمع دحل النقب الضيق الفم المتسع الاسفل

[٥] ــ الحزن ــ بفتح فسكون ضد السهل

وقوله

يادَهْرُ قومّ من آخدَعيْكَ فقدْ ‏ ‏ ‏ ‏ اضْحجتَ هذَا الانَام مِنْ خرَقكْ

ولاخير فى المعانى اذا استكرهت قهراً . والالفاظ اذا اجترت قسراً . ولاخير فيما اجيد لفظه اذاسخف معناه . ولافى غرابة المعنى الا اذا شرف لفظه مع وضوح المغزى . وظهور المقصد .. (وقد) غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الابكدّ . ويستفصحونه اذا وجدوا الفاظه كزةً غليظة . وجاسية غريبة . ويستحقرون الكلام اذارأوه سلساً عذبا . وسهلاً حلواً .. (ولم) يعلموا ان السهل امنع جانبا . واعز مطلبا . وهو احسن موقعا . واعذب مستمعا .. (ولهذا) قيل اجود الكلام السهل الممتنع .. اخبرنا ابو احمد قال اخبرنا الصولى قال حدثنا احمد بن اسماعيل قال وصف الفضل * بن سهل عمرو بن * مسعدة فقال .. هو ابلغ الناس ومن بلاغته ان كل احد يظن انه يكتب مثل كتبه فاذا رامها تعذرت عليه .. واخبرنا ايضا قال اخبرنا ابوبكر قال حدثنى عبدالله بن الحسين * قال حدثنا الحسن بن مخلد * قال انشدنا ابراهيم ابن العباس لخاله العباس ابن الاحنف *

اليك اشكو ربّ ماحلّ بى ‏ ‏ ‏ ‏ من صدّ هذا التائه المُعْجبِ

إنْ قالَ لَمْ يَفعَلْ وَ إنْ سُيلَ لَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ يَبْذُلْ وَ إنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبِ

صب بِعِصْيانِى وَلَوْ قَالَ لِى ‏ ‏ ‏ ‏ لَاتَشْرَبِ البَارِدَ لَمْ اشْرَبِ

ثم قال هذا والله الشعر الحسن المعنى . السهل اللفظ . العذب المستمع . القليل النظير . العزيز الشبيه . المطمع الممتنع . البعيد مع قربه . الصعب فى سهولته .. قال فجعلنا نقول هذا الكلام والله ابلغ من شعره .. واخبرنا ابواحمد عن الصولى عن الغلابى عن طايع * وهو العباس بن ميمون من غلمان ابن ميثم .. قال قيل للسيد * الاتستعمل الغريب فى شعرك .. فقال ذاك عى فى زمانى . وتكلف منى لوقلته . وقد رزقت طبعا واتساعاً فى الكلام . فانا اقول مايعرفه الصغير والكبير . ولايحتاج الى تفسير .. ثم انشدنى

ايا رَبِّ انى لَمْ أُرِدْ بالذى بِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ مَدحتُ علياً غيرِ وَجْهِك فارْحَمِ

فهذا كلام عاقل يضع الشئ موضعه . ويستعمله فى ابّانه . ليس كمن قال وهو فى زماننا *

جَفَخَتْ وَهمْ لاَيَجْفَخُونَ بِهابِهِمْ [١] .

---

[١] — الجفاخ — المفخر المتكبر .. والشطر للمتنبى

فاشمت عدوه بنفسه .. (ومن الكلام) المطبوع السهل .. ماوقع به على بن عيسى * .. قد بلّغتك اقصى طلبتك . واناتك غاية بغيتك . وانت مع ذلك تستقل كثيرى لك . وتستقبح حسنى فيك . فانت كما قال رؤبة *

كالحُوتِ لا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يلْهَمُهْ ... يُصْبِحُ ظمأنَ وفي البَحْرِ فَمُهْ

ومن المنظوم المطمع الممتنع .. قول البحترى

اَيُّها العَاتِبُ الذِي لَيْسَ يَرْضَى ... نَمْ هَنِيئاً فَلَسْتُ اُطْعَمُ غَمْضا

اِنَّ لى مِنْ هَواكَ وَجْداً قداَسْتَهْ ... لَكَ نومى ومضجعاً قدْ اقضا [١]

فجفُونِى فى عَبْرةٍ لَيْسَ تَرْقا ... وفؤادى فى لَوْعَةٍ مَا تَقضَّى

يا قليلَ الإنْصَافِ كَمْ اقتضى عنـ ... ـدك وعْداً اِنجازهُ لَيْسَ يُقْضَى

اَحْيِنِى بالْوِصَالِ انْ كانَ جوداً ... واَثِبْنِى بالحُبِّ انْ كانَ قَرْضَا [٢]

بِاَبِى شَادِنٌ تَعَلّقَ قَلْبِى ... بِجفُونٍ فواتِرِ اللحظِ مَرْضَى

لَسْتُ اَنْسَاهُ اِذْ بدا منْ قَرِيبٍ ... يَتَثَنَّى تَثَنِّىَ الغُصْنِ غَضَّا [٣]

واعتذارى اليه حين تجافى ... لِىَ عَنْ بعضِ ما اَتَيْتُ واَغْضَى

واعتلاقِى تُفَّاحَ خَدّيْهِ تَقبِيـ ... ـلاً ولَثْماً طوراً وشَمّاً وعَضّا

اَيُّها الراغِبُ الذى طلبَ الجُو ... دِ فابْلِ كوم المطايا وأَنْضِى [٤]

رِدْ حِيَاضَ الامام تَلْقَ نَوالاً ... يَسعُ الراغِبينَ طُولاً وعَرْضا

[فهناكَ العَطاءُ جَزْلا لِمن رَا ... مَ جزيلَ العَطاءِ والجودِ مَحْضا]

هُوَ اَنْدَى مِنَ الْغَمَامِ واَوْحَى ... وَقَعاتٍ من الحُسَامِ واَمْضَى

يَتَوخّى الاحْسَانَ قولاً وفِعْلاً ... ويُطِيعُ الاَلَه بَسْطاً وَقبْضا

فضّل الله جَعْفراً بِخِلالٍ ... جَعَلَتْ حُبّه على النّاسِ فَرْضا [٥]

[١] — اقضا — من اقض المضجع اذا خشن وتترب .. وفى نسخة صبرى بدل قوله نومى

[٢] — البيت فى ديوانه هكذا (فاجزنى بالوصل ان كان اجراً واثبنى الخ

[٣] — وفى نسخة — باديا — بدل قوله اذبدا — كما فى ديوانه . واورد قبله

غرنى حبه فاصبحت ابدى ... منه بعضا واكتم الناس بعضا

[٤] — الكوم — جمع اكوام وهى القطعة من الابل والاكوم البعير الضخم السنام — وانضى — بمعنى اخلق وابلى

[٥] لم يذكر جامع ديوانه هذا البيت وفى القصيدة طول تركها المصنف وكلها من الشعر المختار

ومنها يقول فيه

وارى المجد بين عارفة منـ ... ـك ترجى وعزمة منك تمضى

وقوله [١]

يتأبى منعا وينعم اسعافا ... ويدنوا وصلا ويبعد صدا
اعتدى راضيا وقد بت غضبا ... ن وامسى مولى واصبح عبدا
رق لى من مدامع ليس ترقا ... وارث لى من جوانح ليس تهدا
اترانى مستبدلا بك ماعشـ ... ـت بديلا او واجدا منك بدا [٢]
حاش لله انت افتن الحـا ... ظا واحلى شكلا واحسن قدا [٣]
خلق الله جعفرا قيم الدنـ ... ـيا سدادا وقيم الدين رشدا
اكرم النـاس شيمة واتم الـ ... ـناس حلما واكثر الناس رفدا
هو بحر السماح والجود فازدد ... منه قربا تزدد من الفقر بعدا
يا ثمال الدنيا عطاء وبذلا ... وجمال الدنيا ثناء ومجدا [٤]
ابق عمر الزمان حتى نؤدى ... شكر احسانك الذى لا يؤدى

ومما هو اجزل من هذا قليلا وهو من المطبوع .. قول ابن وهب *

مازال يلثمنى مراشفه ... ويعلنى الابريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته ... ونشا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح
انت الذى بك ينقضى فرجا ... ضيق البلاد لنا وينفسح
نشرت بك الدنيا محاسنها ... وتزينت بصفاتك المدح

---

[١] الابيات مختارة من قصيدته التى مطلعها
لى حبيب قد لج فى الهجر جدا ... واعاد الصدود منه وابدا
[٢] — نسخة مستبدلا منك بدل قوله بك — ونسخة ندا بدل قوله بدا
[٣] — فى نسخة كما فى الديوان — افتن الفاظا — بدل قوله افتن الحاظا
[٤] — نسخة — نيلا بدل قوله بذلا .. وكمال بدل قوله جمال

ومن السهل المختار الجيد المطبوع .. قول الاخر

صرفتَ القلب فانصرفا ... ولم ترعَ الذى سلفا
وبِنْتَ فلم اذُبْ كمداً ... عليك ولم امتْ اسفا
كلانا واجد فى النا ... س ممن ملّه خلفا

وقول الاخر

اما والحَلقِ السود ... على سالفة الخِشْف
وحسن الغُصن المهتَـ ... ـزّ بين النحر والردف
لقد اشفقتُ ان يَجْر ... حَ فى وجنتها طَرْفى

وقول الاخر

كم من فوأد كانه جبل ... ازاله من مقرّه النظَرُ

وماكان لفظه سهلا . ومعناه مكشوفا بيّنا . فهو من جملة الردىء المردود .. كقول الاخر

يارب قد قلّ صبرى ... وضَاق بالحب صدرى
واشتد شوقى ووجدى ... وسيدى ليسَ يَدرِى
مغفّل عن عذابى ... و ليس يرحم ضرّى
ان كان اُعطى اصطباراً ... فَلَسْتُ املكَ صبرى
انا الفدا لغزالٍ ... دنا فقبّل نحرى
وقال لى من قريب ... يا ليت بيتك قبرى

واذا لان الكلام حتى يصير الى هذا الحدّ فليس فيه خير . لاسيما اذا ارتكب فيه مثل هذه الضرورات

واما الجزل المختار من الكلام .. فهو الذى تعرفه العامّة اذا سمعته . ولا تستعمله فى محاوراتها .. فمن الجيد الجزل المختار قول مسلم

وردنَ رواقَ الفضلِ فضلِ بن خالد ... فحط الثنـاءَ الجزلَ نائلُه الجزلُ
بكفّ أبى العَباس يُستمطَر الغِنَى ... وتستَنْزلُ النُعمى ويُسْتَرعفُ النَصْلُ
ويُستعطَفُ الامر الأبىّ بحزمه ... اذا الامر لم يعطفه نقض ولا فَتْلُ

ومما هو اجزل من هذا قول المرّار * الفقعسيّ

فظل يدير الموت في مرجحنّة — تسف العوالى وسطها وتشولُ [١]

وكاين تركنا من كرايم معشر — لَهُنّ على اباٰئهنّ عويل [٢]

على الجرد يعاكن الشكيم كأنها — اذا ناقلت بالدارعينَ وعول [٣]

على كلّ جياش اذا رُدّ غربه — يقلبُ نَهْدَ المركَلَين رجيل [٤]

مجنبة قُبْلُ العيون كانها — قسيّ بأيدي العاطفين عطول [٥]

فللارض من آثارهنّ عجاجة — وللفجّ من تصها لهنّ صليل [٦]

مَنَعْت بنجد مااردتُ غُلُبّة — وبالغَوْرِ لى عزّ اشمُّ طويل [٧]

فهذا وان لم يكن من كلام العامة فانهم يعرفون الغرض فيه . ويقفون على اكثر معانيه . لحسن ترتيبه . وجودة نسجه .. وقول المرار ايضا

لاتسألى القوم عن مالى وكثرته — قد يُقْتُرُ المرءُ يوماً وهو محمودُ

اَمْضِي على سُنّةٍ من والدى سلفَتْ — وفى أرومَتِه ماُينْبِتُ العودُ

ومن النثر .. قول يحيي * بن خالد :. اعطانا الدهر فاسرف . ثم عطف علينا فعسف ..

---

[١] — المرجحنة — من الارجحنان وهو الميل والاهتزاز من ثقل .. والعرب تقول رحى مرجحنة اى ثقيلة — وقوله وتشول — اى تفرق

[٢] — كاين — بالتخفيف وهى لغة فى كأى اسم مركب من كاف التشبيه واى المنونة — والكرايم — واحده كريمة وهى العزيزة

[٣] — الجرد — الخيل .. والشكيم — واحده شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام — وقوله ناقلت — من المناقلة وهو ضرب من السير .. ومناقلة الفرس ان يضع يده ورجله على غير حجر لحسن نقله — والدارعين — المقدمين فى السير — والوعول — جمع وعل .. قال فى اللسان هو الاروى وقال ابن سيده هو تيس الجبل .. وتشبيه الفرس به لشدة عدوه

[٤] — الجياش — الفرس الذى اذا حركته بعقبك جاش اى ارتفع وهاج — وغربه — حدته ونشاطه — والنهد — الفرس الضخم القوى — والمركلان — من الدابة هما موضعا القصريين من الجنبين حيث يركلها الفارس اى يضربهما برجله اذا حركها للركض — والرجيل — الطريق الوعر .. وفى نسخة الرحيل وأتى بمعنى القوى على الرحلة قاله المبرد

[٥] — العطول — الفرس التى لارسن لها

[٦] — الفج — الطريق الواسع — والصليل — ترجيع الصوت

[٧] — الغلبة — بالضم والتشديد بمعنى الغلبة بالفتح والتخفيف كما فى اللسان واستشهد له بهذا البيت والرواية عنده هكذا

اخذت بنجد ما اخذت غلبة — وبالغور لى عز اشم طويل

وقول سعيد بن حميد .. وانا من لايحاجّك عن نفسه . ولايغالطك عن جرمه . ولايلتمس رضاك الا من جهته . ولايستدعى برك الا من طريقته . ولايستعطفك الا بالاقرار بالذنب . ولايستميلك الا بالاعتراف بالجرم . نبت بى عنك غرة الحداثة . وردّتنى اليك الحُنكة . وباعدتنى منك الثقة بالايام . وقادتنى[١] اليك الضرورة . فان رأيت ان تستقبل الصنيعة بقبول العذر . وتجدد النعمة باطراح الحقد . فان قديم الحرمة . وحديث التوبة . يمحقان مابينهما من الاساءة . فان ايام القدرة وان طالت قصيرة . والمتعة بها وان كثرت قليلة . فعلت .. وفى هذا الكلام وماقبله قوّة فى سهولة.. ومما هو اجزل من هذا قول الشعبى * للحجّاج * وقد اراد قتله لخروجه عليه مع ابن الاشعث * اجدب بنا الجناب [٢]. واحزن بنا المنزل . واستحلسنا الحذر . واكتحلنا السهر . واصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة اتقياء . ولافجرة اقوياء . فعفى عنه ،،

واجود الكلام مايكون جزلا سهلا . لاينغلق معناه . ولايستبهم مغزاه . ولايكون مكدودا مستكرها . ومتوعراً متقعرا . ويكون بريئاً من الغثاثة . عاريا من الرثاثة .. والكلام اذا كان لفظه غثا . ومعرضه رثا . كان مردوداً ولواحتوى على اجلّ معنى وانبله . وارفعه وافضله .. كقوله

لما اطعناكم فى سُخْطِ خالقنا لاشك سُلّ علينا سيفَ نقمته

وقول الاخر

ارى رجالاً بادنى الدين قد قنعوا وماأراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

لايدخل هذا فى جملة المختار ومعناه كما ترى نبيل فاضل جليل .. واما الجزل الردئ الفجّ الذى ينبغى ترك استعماله .. فمثل قول تابط شراً *

اذا ماتركتُ صاحبى لثلاثة اواثنين مثلينا فلا اُبت آمنا [٣]

ولماسمعت العَوْضَ تدعو تنفّرت عصافير رأسى من نوى فعوابنا [٤]

[١] نسخة — وادنتنى — [٢] قوله — الجناب — هو بالفتح الفناء والناحية وماقرب من محلة القوم . . وفى نسخة الزمان بدل الجناب

[٣] — ابت — اى رجعت . . والبيت فى جميع نسخ الاصل كما اثبتناه ولا يخفى على القارى ما فى قوله — مثلينا — من الاشكال

[٤] — العوض — اسم قبيلة من العرب .. وفى بعض النسخ بالصاد المهملة كذلك اسم قبيلة — وعصفور الرأس — قطيعة بالتصغير من الدماغ تحت مقدمه تفصل بينهما جليدة — وقوله فعوابنا — هكذا فى نسختين ويأتى بمعنى الاستضعاف وفى نسخة وتوانيا وهكذا رواية صاحب لسان العرب فى مادة ع و ض

وحشحشت مشعوف الفوأد فراعنى … اناس بفيفان فمزت القرائنا [١]
فادبرت لاينجو نجائى نقنق … يبادر فرخيه شمالا وداجنا [٢]
من الحُصّ هزروف يطير عفأوه … اذا استدرج الفيفاء مدّ المغابنا [٣]
أَزَجُّ زلوجٌ هزرفيٌّ زفازفٌ … هِزَفٌّ يَبُذُّ الناجياتِ الصّوافِنا [٤]

فهذا من الجزل البغيض الجلف . الفاسد النسج. القبيح الرصف. الذى ينبغى ان يجتنب مثله. وتمييز الالفاظ شديد .. اخبرنا ابواحمد عن الصولى عن فضل اليزيدىّ * عن اسحق الموصلى عن ايوب بن عباية * ان رجلا انشد ابن هرمة * قوله

بالله ربّكَ ان دخلتَ فقل لها … هذا ابن هَرْمةَ قائماً بالبابِ

فقال ماكذا قلت اكنت اتصدّق .. قال فقاعدا .. قال اكنت ابول .. قال فما ذا .. قال واقفا .. ليتك علمت مابين هذين من قدر اللفظ والمعنى ،،

ولولا كراهة الاطالة وتخوّف الاملال . لزدت من هذا النوع . ولكن يكفى من البحر جرعة .. وقالوا خير الكلام ماقلّ وجلّ . ودلّ ولم يملّ . وبالله التوفيق

---

[١] — الفيفان — موضع بالبادية قاله ابن سيدة وقوله — مزت القراينا القرائن جبال معروفة مقترنة قاله فى اللسان .. والبيت فى احدى النسخ هكذا

وحشحشت مشغوف النجاء وراعنى … اناس بفيمان فمرت القرائنا

[٢] — النقنق — الظليم وهو الذكر من النعام

[٣] — الحص — شدة العدو فى سرعة — والهزروف — اسم للظليم — والعفاء — الغبار — والفيفاء — المفازة التى لاماء فيها مع الاستواء والسعة .. وجاء فى نسخة العرا وهو بالقصر الفناء والساحة وبالمد الفضاء لاسترته — والمغابن — بواطن الافخاذ عند الحوالب

[٤] — ازج — اى مسرع فى مشيته ومشله — زلوج — والهزراف — الخفيف السريع — والزفزفة — السرعة ايضا — والهزف — الجافى من الظلمان .. وقيل الطويل الريش — والبذ السبق

الفصل الثانى من الباب الثانى

فى التنبيه على خطاء المعانى وصوابها ليتبع من يريد العمل برسمنا مواقع الصواب فيرتسمها ويقف على مواقع الخطاء فيتجنبها

فنقول ان الكلام الفاظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ .. لان المدار بعد على اصابة المعنى .. ولان المعانى تحلّ من الكلام محل الابدان والالفاظ تجرى معها مجرى الكسوة ومرتبة احداها على الاخرى معروفة .. ومن عرف ترتيب المعانى واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى تهياء له فيها من صنعة الكلام مثل ماتهياء له فى الاولى ..الا ترى ان عبد الحميد الكاتب* استخرج امثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسى فحوّلها الى اللسان العربى .. فلايكمل لصناعة الكلام الا من يكمل لاصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال ،،

والمعانى على ضربين — ضرب يبتدعه صاحب الصناعة [١] من غير ان يكون له امام يقتدى به فيه . او رسوم قائمة فى امثلة مماثلة يعمل عليها .. وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ويتنبه له عند الامور النازلة الطارئة — والآخر مايحتذيه على مثال تقدم ورسم فرط ،،

وينبغى ان يطلب الاصابة فى جميع ذلك ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ولايتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره اياه ولايغرّه ابتداعه له فيساهل نفسه فى تهجين صورته فيذهب حسنه ويطمس نوره ويكون فيه اقرب الى الذم منه الى الحمد ،،

والمعانى بعد ذلك على وجوه .. منها ماهو مستقيم حسن نحو قولك قد رأيت زيداً .. ومنها ماهو مستقيم قبيح نحو قولك قد زيدا رأيت وانما قبح لانك افسدت النظام بالتقديم والتأخير .. ومنها ماهو مستقيم النظم وهو كذب مثل قولك حملت الجبل وشربت ماء البحر .. ومنها ماهو محال كقولك آتيك امس واتيتك غدا .. وكل محال فاسد وليس كل فاسد محالا .. الا ترى ان قولك قام زيد [٢] فاسد وليس بمحال..

[١] — فى نسخة — صاحب البلاغة

[٢] — قوله قام زيد فاسد — هكذا المثال فى سائر نسخ الاصل ولا يخفى ان وجه الفساد غير ظاهر فى احدى النسخ قد ضبط زيد بالكسر فيكون وجه الفساد ظاهراً لاضافة الفعل وجر الفاعل

والمحال مالايجوز كونه البتة كقولك الدنيا فى بيضة .. واما قولك حملت الجبل واشباهه فكذب وليس بمحال ان جاز ان يزيدالله فى قدرتك فتحمله .. ويجوز ان يكون الكلام الواحد كذبا محالاً . وهو قولك رأيت قائما قاعدا ومررت بيقظان نائم فتصل كذبا بمحال فصار الذى هوالكذب هوالمحال بالجمع بينهما وان كان لكل واحد منهما معنى على حيالة وذلك لما عقد بعضها ببعض حتى صارا كلاما واحدا .. ومنهاالغلط وهو ان تقول ضربنى زيد وانت تريد ضربت زيدا فغلطت فان تعمدت ذلك كان كذبا ،،

وللخطأء صور مختلفة نبهت على اشياء منها فى هذا الفصل وبينت وجوهها وشرحت ابوابها لتقف عليها فتجتنبها كما عرفتك مواقع الصواب فتعتمدها وليكون فيما اوردت دلالة على امثاله مما تركت .. ومن لايعرف الخطاء كان جديرا بالوقوع فيه .. فمن ذلك قول امرئ القيس

الم تسأل الربع القديم بعسعسا كانىّ انادى اذ اكلّم اخرسا [١]

هذا من التشبيه فاسد لاجل انه لايقال كلمت حجرا فلم يجب فكانه كان حجرا .. والذى جاء به امرؤالقيس مقلوب .. وتبعه ابونواس فقال يصف داراً

كانهـا اذ خرست جارم بين ذوى تفنيده مطرق [٢]

والجيد منه قول كثير فى امرأة

فقلت لهـا يا عزّ كل مصيبـة اذا وطّنت يوما لها النفس ذلّت

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت من الصم لو تمشى بها العصم زلّت

فشبه المرأة عندالسكوت والتغافل بالصخرة .. قالوا ومن ذلك قول المسيب * بن علس

وكأنّ غارِبَها رَباوةُ مَخْرِمٍ وتَمُدُّ ثِنْيَ جديلها بشراع [٣]

اراد ان يشبه عنقها بالدقل [٤] فشبهها بالشراع وتبعه ابوالنجم فقال

---

[١] هكذا رواية البيت فى نسخ الكتاب وفى ديوانه هكذا

الما على الربع القديم بعسعسا كانى انادى او اكلم اخرسا

قال شارحه ابو بكر البطليوسى — وعسعس — موضع ثم قال وفى كتاب الازمنة انه اراد انزلا فى ادبار الليل .. لان الاصل فى عسعس الليل اى مضى

[٢] — الجارم — مقترف الذنب .. والبيت لم يروه جامع ديوانه

[٣] — الغارب — الكاهل — والرباوة — فى الاصل المرتفع من الاصل — والمخرم — من الجبل انفه — والثنى — حبل من شعر اوصوف — والجديل — المجدول واراد هنا شعرها

[٤] — الدقل — خشبة طويلة تشد فى وسط السفينة يمد عليها الشراع

كأنّ أهدامَ النسيلِ المُنسَلِ　　على يَدَيها والشراعِ الأطول [١]

والجيد منه .. قول ذي الرمة

وَهادٍ كجِذعِ الساجِ سامٍ يقوده　　مُعَرَّقُ أحناءِ الصبيينِ اشدق [٢]

وقال ابو حاتم الشراع العنق يقال للعنق الشراع والتليل والهادي فاذا صحّت هذه الرواية فالمعنى صحيح في قول ابي النجم .. وقال طفيل *

يُرادَى على فاسِ اللجامِ كأنما　　يُرادى على مِرقاةِ جِذعٍ مُشَذَّبِ [٣]

ومن ذلك .. قول الراعي *

يَكسو المفارقَ واللبّاتِ ذا ارجٍ　　من قُضبِ مُعتلِفِ الكافور درّاج

اراد المسك فجعله من قصب الظبي والقصب المعي وجعل الظبي يعتلف الكافور فيتولد منه المسك وهذا من طرائف الغلط وقريب منه .. قول زهير

يَخرُجنَ من شَرَباتٍ ماؤها طَحِلٌ　　على الجذوعِ يخفنَ الغمَّ والغَرَقا

ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق ومثله .. قول ابن احمر *

لم تدرِ مانسجُ اليَرنَدَجِ قبلها　　ودراسُ اعوصَ دارسٍ مُتَخَدِّد

ظن ان اليرندج مما ينسج واليرندج جلد اسود تعمل منه الخفاف فارسي معرب واصله رنده وفسره ابو بكر بن دريد تفسيرا آخر .. وقال انما هذه حكاية عن المرأة التي يصفها ظنت لقلة تجربتها ان اليرندج شئ منسوج ولم تدارس عويص الكلام والفاظ البيت لاتدل على ماقال ومثله .. قول اوس بن حجر

---

[١] — الاهدام — جمع هدم ثوب خلق من صوف وغيره او الثوب البالي منه — والنسيل — ما يسقط من الصوف عند النسل

[٢] — المعرق — العظم الذي عرى عنه اللحم — والاحناء — جمع حنو وهو الجانب — والصبيان — على وزن فعيلان طرفا اللحيين — والشدق — سعة الفم .. وجاء في بعض النسخ هكذا

(معرق احناء الصريمين اشدق)

[٣] — يرادى — يراود ويدارى — وفاس اللجام — حديدته القائمة في الحنك — والمشذب من الجذع — الذي نزع عنه شوكه وسعفه حتى تبين طوله

كانّ ريقتَها بعدالكرى اعتبقت   من ماءِ ادكنَ فى الحانوتِ نضّاحِ [١]
ومن مشعشةٍ كالمسكِ يَشربُهــا   او من انابيبِ رُمّانٍ وتُفّـاحِ

ظن ان الرمان والتفاح فى انابيب وقيل ان الانابيب الطرائق التى فى الرمان واذا حمل على هذا الوجه صح المعنى ومن فساد المعنى .. قول المرقّش الاصغر

صحى قلبُهُ عنها على انّ ذِكْرَةً   اذا خطرت دارت به الأرض قائمًا

وكيف صحى عنها من اذا ذكرت له دارت به الأرض وليس هذا مثل قولهم ذهب شهر رمضــان اذا ذهب اكثره لان الناس لايعرفون اشــد الحب الا ان يكون صاحبــه فى الحد الذى ذكره المرقش .. والجيد فى السلوّ قول اوس

صحىٰ قلبُه عن سُكره وتأمّلا   وكان بذكرى أُمّ عمروٍ مُوكّلا

فقال — وكان بذكرى ام عمرو موكلا — ومثل قول المرقش فى الخطــاء .. قول امرئ القيس

اغرّكِ منّى انّ حُبّكِ قاتلى   وانّكِ مهما تأمُرى القلبَ يَفعَلِ

واذا لم يغررها هذه الحال منه فما الذى يغرها وليس للمحتج [٢] عنه ان يقول انما عنى بالقتل ههنا التبريح فان الذى يلزمه من الهجنة مع ذكر القتل يلزمه ايضا مع ذكر التبريح ومما اخذ على امرئ القيس .. قوله

فلِلسوطِ أُلْهُوبٌ وللساقِ دِرَّةٌ   وللزجرِ منه وقعُ اخرجَ مُهذبِ [٣]

فلو وصف اخسّ حمار واضعفه ما زاد على ذلك والجيد .. قوله

---

[١] — الدكنة — اون بين الحمرة والسواد . . والشئ ادكن لعتقه واراد به الخمر
[٢] — قوله وليس للمحتج عنه — اراد به الوزير ابوبكر عاصم بن ايوب البطليوسى احد شراح ديوانه
[٣] — الالهاب والالهوب — شدة الجرى — والدرة — الرفعة واسم لما ادر من اللبن وغيره — والاخرج — الظليم — والمهذب — الشديد العدو . . وجاء فى نسخة (احرج مهرب) ولعله تصحيف وفى نسخة ديوانه هكذا

فللساق الهوب وللسوط درة   وللزجر منه وقع اهوج منعب

قال شارحه الاهوج الاحمق والهوجاء السريعة من النوق والمنعب الذى يستعين بنعقه ثم قال وقد قسم جرى الفرس فى هذا البيت . . فقال اذا مسه بساقه الهب واذا ضربه بالسوط درجريه واذا زجر وقع الزجر منه موقعه من الاهوج اى يخرج الزجر منه اشد الجرى

على سابحٍ يُعطيك قبلَ سوآلِهِ   افانينَ جَريٍ غيرَ كَزٍّ ولاوان [١]

وما سمعنا اجود ولا ابلغ من قوله افانين جرى .. وقول علقمة ❊

فاذرَكَهُنَّ ثانياً من عنانه   يَمُرُّ كمرّ الرائح المتحلّب [٢]

فادرك طريدته وهو ثان من عنانه ولم يضربه بسوط ولم يمره بساق ولم يزجره بصوت ومما يعاب .. قول الاعشى

و يأمر لليحموم كلّ عشيّةٍ   بِقَتٍّ وتعليقٍ فقد كاد يسنق [٣]

يعنى باليحموم فرس الملك يقول انه يأمر لفرسه كل عشية بقت و تعليق وهذا مما لايمدح به الملوك بل ولا رجل من خساس الجند وقريب منه .. قول الاخطل

و قد جعل الله الخلافة منهم   لأبلَجَ لاعارى الخِوانِ ولا جَدْب

يقوله فى عبد الملك .. ومثل هذا لايمدح به الملوك واطرف منه .. قول كثير

و ان امير المؤمنين برفقه   غزا كامنات الودّ منى فنالها

فجعل اميرالمؤمنين يتودد اليه .. و قوله لعبدالعزيز ❊ بن مروان

وما زالت رقاك تسل ضغنى   و تخرج من مكامنها ضبابى
و يرقينى لك الراقون حتّى   اجابت حيّةٌ تحت التراب

وانما تمدح الملوك بمثل .. قول الشاعر

له همم لا منتهى لكبارها   وهمته الصغرى اجلّ من الدهر
له راحة لوانّ معشار جودها   على البرّ كان البرّ اندى من البحر

ومثل .. قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى   وان خلت ان المنتأى عنك واسع [٤]

---

[١] — الافانين — الضروب — والكز — المنقبض واراد بانقباضه تقارب خطاه فى السير

[٢] — المتحلب — طالب الحلبة بفتح فسكون وهى الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة . . وعجز البيت فى ديوانه هكذا   (يمرّ كمرِ رائحٍ متحلب)

[٣] — السنق — البشم وذلك للحيوان كالتخمة للانسان

[٤] — المنتأى — البعد . . وقد عيب عليه فى هذا البيت بتخصيص الليل لان النهار يدركه كما يدركه الليل وللادباء عنه مدافعات مستوفاة فى شرح ديوانه

وقوله

الم تَرَ انّ الله اعطاكَ سورةً ترى كلّ مَلكٍ دونها يتذبذبُ
بانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ

ومن غفلته ايضا قوله يعنى كثيرا

الا ليتنا يا عزّ من غير ريبة بعيران نرعى فى خلاء ونعزُبُ
كلانا به عرٌّ فمَنْ يَرَنا يَقُلْ على حسنها جرباءُ تُعدى واجربُ
نكون لذى مال كثيرٍ مغفلٍ فلا هو يرعانا ولا نحن نُطْلَبُ
اذا ما وردنا منهلاً هاجَ اهلُهُ الينا فلا نَنْفَكُّ نُرمى ونُضْرَبُ

فقالت له عزة لقد اردت بى الشقاء الطويل .. ومن المنى ماهو اوطئ من هذه الحال .. فهذا من التمنى المذموم .. ومن ذلك ايضا قول الاخر

سلاّمَ لَيْتَ لِسَـاناً تَنْطِقينَ به قَبْلَ الذى نَالَنى من خَبْلِهِ قُطِعَا [١]

فدعا عليها بقطع لسانها .. ومثله قول عبد بنى الحسحاس *

ورَاهُنَّ ربى مثل ما قد ورينى واحمى على اكبادهنّ المكاويا

ومن ذلك قول جنادة *

من حُبّهَـا اتمنّى ان يُلاَقِيَنِى من نَحْوِ بَلْدَتِها نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
لِكَىْ يَكُونَ فِراقٌ لاَ لِقَـاءَ له وتضمرَ النَفس يأساً ثم تَسْلاَها

فاذا تمنى المحب لحبيبته الموت فما عسى ان يتمنى المبغض لبغيضته .. وشتان بين هذا .وبين من يقول

الاَ لَيْتَنا عِشْنَا جَميعاً وكانَ بى من الداءِ مالا يَعرفُ الناسُ مابيَا

فهذا اقرب الى الصواب .. ولو ان جنادة كان يتمنى وصلها ولقائها . لكان قد قضى وطراً من المنى ولم تلزمه الهجنة .. كما قال العباس بن الاحنف

---

[١] — الخبل — بالتسكين الفساد . . وهنا بمعنى فساد قلبه بحبها . . والبيت اورده قدامة بن جعفر فى كتابه نقد الشعر هكذا

سلام ليت لسانا تنطقين به قبل الذى ناله من صوته قطعا

ثم قال . . فما رأيت اغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث اجادت فى غنائها له

فان تبخلوا عنى ببذل نوالكم ... وبالوصل منكم كىْ اُصبَّ واحْزَنَا

فانى بلذَّاتِ المُنَى ونعيمها ... اعيشُ الى ان يَجْمَعَ اللهُ بَيْنَنَا

ومن المختار فى ذكر المنى .. قول الاخر

مُنًى ان تَكنْ حقاً تَكنْ احسَنَ المُنَى ... والاّ فقَدْ عِشْنَا بهَا زَمَناً رغدا

أمَانىّ مِنْ لَيْلَى حِسَانٌ كأنَّما ... سَقَتْك بهَا لَيْلَى على ظَماءٍ بَرْدا

وقول الاخر

وَلمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ النَدى ... أنيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ النوْرِ حَاليَا

اجَدَّ لنا طيبُ المكان وحُسْنُهُ ... مُنًى فتمنينا فكُنْتِ الامَانيَا

وقال الاخر

فَسوِّغيني المنَى كَيْمَا اَعيشَ بِهِ ... ثُمَّ امْسِكِى المَنْعَ مَا اَطْلَقْتُ امالِى

على ان عنترة * ذم جميع المنى حيث .. يقول

ألاَ قَاتَلَ اللهُ الطُلولَ البَوالِيَا ... وقَاتَل ذِكْرَاكَ السِنينَ الخَوالِيَا

وَقَوْلَكَ لِلشَىْءَ الذى لاَتَنَالُهُ ... اذَا هَويته النَفْسُ يَالَيْتَ ذَالِيَا

وقيل ايضا

اِنّ لَيْتاً وانَّ لوّاً عناء

ومن الفاسد .. قول النابغة

ألِكْنى ياعُيَيْنَ اليْكَ قولاً ... سَتَحْمِلُه الرُوَاة الَيْكَ عَنِّى

وليس من الصواب ان يقال ارسلنى [١] الى نفسك .. ثم قال ستحمله الرواة اليك عنى ..
ومن خطل الوصف .. قول ابى ذؤيب

---

[١] — قوله ارسلنى — تفسير لقول النابغة ألكنى .. قال فى اللسان نقلاً عن الجوهرى .. وقول الشعراء ألكنى الى فلان يريدون كن رسولى وتحمل رسالتى اليه .. ثم قال نقلا عن ابن برى والكنى من آلك اذا ارسل واصله أ ألكنى ثم اخرت الهمزة بعد اللام فصار أَلأكنى ثم خففت الهمزة بان نقلت حركتها على اللام وحذفت انتهى .. قلت وعجز بيت النابغة المذكور كما فى ديوانه من رواية الوزير ابو بكر البطليوسى هكذا (سأهديه اليك اليك عنى)

قَصرالصَّبُوحُ لها فَشُرِّجَ لَحمُهَا — بالنيّ فهي تثوخ فيها الاصْبَعُ
تَأبَى بدرّتها اذا ما اسْتُكرِهَتْ — الاّ الحَمِيم فَإنَّهُ يَتَبَضَّعُ

قال الاصمعي هذه الفرس لاتساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم. رخوة تدخل فيها الاصبع .. وانما يوصف بهذا شاء يضحّى .. وجعلها حرونا اذا حركت قامت . الا العرق فانه يسيل [١] .. والجيد قول ابى النجم

جُرْداً تعادى كالقِداح ذُبَّلهْ — نَطِىَ اللحم ولسنا نُهزُله
نطويه والطَيّ الدَقيق يَجْدُلهْ — طَيّ التِّجَار العَصْب اذ تجله
حَتَّى إذَا اللحمُ بَدَا تَذَبُّلهْ — وَانْضَمَّ عَنْ كلِّ جَوادٍ رهَلُهْ

رَاحَ وَرُحْنَا بِشَديدٍ زجلُهْ [٢]

وقال غيلان * الربعى [٣]

يَمْتَاحُ عَصَرِيَهَا قُرون مَايها — مَتْحَ السِّباع الحِسْىَ من بَطْحائها
حَتّى اعْتَصرنَا البُدْن مِنْ اعفائها — بَعْدَ انتشار اللحم واسْتِعْصَائِها
تَجْريدَكَ القَنَاةَ مِنْ لِحَائِهَا — مكْرُمَة لاعيب فى اختِذائِهَا

---

[١] — فسر كثرة لحمها ورخاوته .. من قوله — فشرج لحمها بالنى — اى الشحم .. قال فى الجمهرة — فشرج — اى مولى بعضه على بعض .. وانها تدخل فيها الاصبع .. من قوله — تثوخ — اى تغيب وفى الجمهرة تتوخ بتائين وهما بمعنى واحد .. وانها حرون .. من قوله — تابى بدرتها — اى بجريها — والحميم — هو العرق .. وسيلانه .. من قوله — يتبضع — بالضاد او بالصاد على اختلاف النسخ وهما سواء .. قال فى الجمهرة اى يجرى قليلا قليلا وحينئذ لايكون سيلانا .. وقال فى الجمهرة ايضا وقوله — قصر الصبوح — اى اقتصر لها باللبن عن الماء .. والبيتين من مرثيته المشهورة ومطلعها

امن المنون وريبها تتوجع — والدهر ليس بمعتب من يجزع

[٢] — القداح — بالكسر واحده قدح السهم قبل ان يراش — ونطى — بالتخفيف للوزن واصله بالتشديد من نطت المرأة غزلها تنطوه والغزل منطوى ونطى اى مسدى حكاه فى اللسان .. وهنا بمعنى ملي ليس بالمهزول — والعصب — بالتسكين نوع من برود اليمن — والرهل — استرخاء اللحم واضطرابه واراد به بعد ان ضمرت ذهب رهلها واشتد لحمها — والزجل — الرمى والدفع ورفع الصوت وجاء فى نسخة بدل — الدقيق — الرقيق

[٣] — المتح — كالنزع — والقرون — العرق او الذى يعرق سريعا .. والعرب تقول عصرنا الفرس قرنا اوقرنين — والحسى — بالكسر وسكون السين وجمعه احساء وهى حفيرة قريبة القعر وقيل انها لاتكون الا فى ارض اسفلها حجارة وفوقها رمل فاذا امطرت نشفه الرمل فاذا انتهى الى الحجارة امسكته

وقد قال غيلان ايضا

قَدْ صَارَ مِنْهَا اللحم فَوْقَ الأَعْضَا ... مِثْلَ جَـلاَمِيد الصَفَاة الصلغَا [١]

وقال ايضا

فَوْقَ الْهَوادِى ذَابِلاَت الأَكْشُح ... يُشقِينَ اَشْـوَالَ المَزَادِ النزّح [٢]

وقال ايضا

حَتَّى إِذَا مَا آضَ عَبْلاً جُرْشُعَا ... قَدْ تَمَّ كالفَـالِجِ لاَبَلْ اضْلعَـا [٣]

بِجِنَابِهِ نَطْوِيهِ حتّى اَسْتَوْكَعَـا ... قَدِ اعتصرنَ البُدن منه اجْمَعَا [٤]

ثُمّ اتقـانا بالّذى لَنْ يُدْفَعَـا ... وَآضَ اَعْلاَ اللحم مِنْهُ صَوْمَعَا [٥]

فوصفه بعظم الجسم . وصلابة اللحم .. وماوصف احد الفرس بترك الانبعاث اذا حرك غير ابى ذؤيب .. وانما توصف بالسرعة فى جميع حالاتها .. اذا حركت وان لم تحرك .. فتشبه بالكوكب . والبرق . والحريق . والريح . والغيث . والسيل . وانفجار الماء فى الحوض . والدلو ينقطع رشاؤها . ويد السابح . وغليان المرجل [٦] . والقمقم .. وبانواع الطير كالبازى . والسوذنيق [٧] . والاجدل . والقطامى . والعقاب . والقطا . والحمام . والجراد .. وانواع الوحش .. كالوعل . والظبى . والذئب . والتتفل [٨] .. ويشبه بالخذروف [٩] . ولمعان الثوب . وبالسهم . وبالمريخ [١٠] وبالحسى .. قال اعرابى .. وقد سئل عن حضر فرسه .. يحضر ماوجد ارضاً .. وقال آخر .. همها امامها . وسوطها عنانها .. اخذه بعض المحدثين فقال

فكانَ لها سَوْطاً الى ضحوة الْغَدِ

[١] — الصفاة — بالفتح جانب الشئ والصلغة السفينة الكبيرة .. وجاء فى نسخة (مثل جلاميد صفاة صلغا).

[٢] — اشوال المزاد — بقيته من قولهم شوالت المزادة اذا بقى فيها جزعة من الماء والمراد من الجزعة البقية

[٣] — آض — رجع — والعبل — الضخم من كل شئ — والجرشع — العظيم الصدر .. وقيل الطويل و خصه الجوهرى بانه من الابل و زاد المنتفخ الجنبين — والفالج — مكيال ضخم معروف — والاضلع — الشديد الغليظ اوالاشد

[٤] — استوكع — غلظ وسمن

[٥] — صومعا — اى دقيقا .. وجاء فى نسختين — موضعا — بضم الميم وكسر الصاد اى مسرعا

[٦] — غليان المرجل — ازيزه وارتفاعه لشدة الغليان و المرجل بالكسر الاناء الذى يغلى فيه

[٧] — السوذنيق — الصقر وقيل الشاهين — والاجدل — نوع من الطير

[٨] — التتفل — الثعلب وقيل جروه والتاء زائدة

[٩] — الخذروف — السريع المشى وقيل السريع فى جريه

[١٠] — هكذا فى بعض النسخ — بالمريخ — وفى بعضها بالريح

واخذه ابن المعتز * فلم يستوفه فى قوله

أَضْيَعُ شَيْءٍ سَوْطُهُ إِذْ يَضْرِبُهْ

فذكر — اذ يضربه — وقال فى اخرى

صَبَبْنَا عليها ظالمين سِياطَنَا فطارَتْ بها ايدٍ سِراعٌ وَأَرْجُلُ

وقيل لامرأة صفى لنا الناقة النجيبة .. فقالت .. عقاب اذا هوت [١] . وحية اذا التوت . تطوى الفلاة وما انطوت .. وكتب ابن القرّية * عن الحجاج . الى عبد الملك ... بعثت بفرس حسن المنظر . محمود الخبر . جيد القد . اسيل الخد . يسبق الطرف . ويستغرق الوصف .. واجود ماقيل فى العدو .. قول عبدة * بن الطبيب

يخفى التُراب باظلافٍ ثمانيةٍ فى اَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ

والتحليل من تحلة اليمين .. وهو ان يقول ان شاء الله .. فقول الحالف ان شاء الله لايكون الا موصولاً باليمين .. يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف بالتحلة يمينه من غير تراخ .. اخذه المحدث فقال

كانما يَرْفَعْنَ مالمْ يُوضَعِ

وقال آخر

جَاءَ كَلَمْعِ الْبَرْقِ جَاشٍ مَاطِرُهْ يَسْبَحُ اولاه ويَطْفُو آخِرُهْ

فَمَا يَمَسُّ الأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهْ

واخذ على ابى النجم قوله — يسبح اولاه ويطفو آخره — انشده الاصمعى .. فقال حمار الكسّاح اسرع من هذا لان اطراب ماء خره قبيح .. و قد احسن فى قوله — ويطفو اخره — وقوله — فما يمس الارض منه حافره — جيد .. وقال ابونواس

ما اَنْ يَقَعْنَ الارض الاّ فَرْطَا كانما يَعْجَلْنَ شيئاً لَقَطَا

وقال

فانْصَاع كالكَوْكَبِ فى انْحِدَارِهِ لَفْتَ المسير مُوهِناً بِنَارِهِ

وقال ذو الرمة

كأنه كَوْكَبٌ فِى اثرِ عِفْرِيَةٍ

[١] — نسخة .. عقرب اذا هزت [٢] — نسخة يخفى

اخذه ابن الرومى .. فقال

خُذهَا تبوعاً لِمَنْ ولىّ مُسَوّمةً كأنها كوكبٌ فى اثر عِفريتِ [١]

وقال ابن المعتز .. فى كلبة

وكلبةٍ زهراءَ كالشهاب تحسبها فى ساعة الذهابِ

نجماً مُنيرًا لاحَ فى انصِبَابِ خَفيفةَ الوطئِ على التُرابِ

وقال خلف بن الاحمر *

كالكوكبِ الدرى مُنْصَلِتاً شداً يَفوتُ الطَرْف اَسْرَعُهُ

وكأنما جَهِدَتْ أَليّتهُ انْ لاتمسَّ الأرض اَرْبَعُهُ

اخذه من .. قول الاعشى

بجُلالةٍ اجُدٍ مُداخَلةٍ ما اَنْ تكاد خِفَافها تقعُ [٢]

وقال ابو النواس

اَرْسَلَهُ كالسَّهم اذْ غَلابِهِ يَسْبِقُ طَرْفَ العَيْن فى التهابِهِ

يكادُ انْ يَنسَلَّ مِن اهَابهِ كلَمَعانِ البَرْقِ فى سَحَابِهِ

مأخوذ من .. قول ذى الرمة

لايَدخَران من الايغَال باقية حَتَّى تكاد تفرّى عنهما الأُهُبُ [٣]

وقال كثير

اذا جرى مُعتَمِداً لامّهْ يكادُ يفرى جِلدَه عن لحمِهْ

وقال اعرابى

غَايةُ مَجْدٍ رُفعَتْ فَمَنْ لهَا نحْنُ حَوَيناهَا وَكُنّا اَهْلَهَا

لَوْ ارسلَ الرّيح لجئنَا قَبلَهَا

[١] — تبوعا — بفتح التاء اى متابعة لمن هرب — والمسومة — هنا المرسلة

[٢] — الجلالة — العظيمة من الابل — والاجد — الناقة القوية الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر .. وهو لفظ خاص بالاناث

[٣] — الايغال — من اوغل اى ابعد فى ذهابه اوبالغ فى سيره

وقال ابو النجم

كانَّ فى المَرْوِ حَرِيقاً يَشعِلهْ ... اَوْلَمْعَ بَرْقٍ خافقٍ مُسَلْسَلهْ [١]

ومما عيب على طرفة * قوله

واذا تَلسُنُنى اَلسُنُها ... انى لَسْتُ بمَوهُونٍ فَقِرْ [٢]

والعاشق يلاطف من يحبه ولايحاجه . ويلاينه ولايلاجه .. وقد قال بعض المحدثين [٣]

بُنِيَ الحبُ عَلى الجَوْر فَلَو ... انصَف اَلعَاشِقُ فيهِ لسَمُجْ

لَيسَ يستَحْسنُ فى وَصْفِ الهَوى ... عَاشِقٌ يعرفُ تأليفَ الحججْ

ومن خطاء المعانى.. قول الاعشى

ومارابَها من رَيبَة غير انها ... رأتْ لِمّتى شَابتْ وشَابتْ لِداتيَا

واى ريبة عند امرأة اعظم من الشيب .. ومثله قوله

وَانكَرتْنِي ومَا كانَ الذى نَكِرَتْ ... من الحوادِثِ الّا الشَيْبَ والصَّلَعا

واعجب منه قوله ايضا

صَدَّتْ هُرَيْرة عنا ماتكلمنا ... جَهْلاً بامّ خُلَيْدٍ حَبْلَ من تَصِلُ

أإنْ رأتْ رجلا اعْشَى اضرَّ به ... رَيْبُ الزَمانِ ودَهْرٌ خاتل خَبِلُ

واى شئ ابغض عند النساء من العشا والضر يتبينّه فى الرجل .. واعجب مافى هذا الكلام انه قال.. حبل من تصل هذه المرأة بعدى وانا بهذه الصفة من العشا والفقر والشيب .. فلاترى كلاما احمق من هذا .. ومن اضطراب المعنى .. قول امرئ القيس

اراهُنَّ لايحْبِبْن من قلَّ مَالهُ ... ولامَنْ رأينَ الشَيْبَ فيه وقوّسَا

وهن يبغضنه من قبل التقويس فما معنى ذكر التقويس .. فامّا بغضهن لمن قوس فجدير وليس ببديع .. ومن الجيّد فى هذا الباب .. قول بعض المتأخرين

[١] — المرو — بالفتح حجارة بيض رقاق براقة تقدح منها النار

[٢] — فقر — الرجل بفتح الفاء وكسر القاف فقرا بفتحهما .. اشتكى فقاره من كسر اومرض .. وفى نسخة غمر .. بضم الغين والميم كما هى رواية صاحب مختارات شعراء العرب

[٣] — ذكر فى هامش احدى نسخ الاصل .. ان الشعر لعلية بنت المهدى

لَقَدْ أبْغَضْتُ نَفْسِي فِي مَشِيبِي   فَكَيْفَ تُحِبُّنِي الخَودُ الكَعَابُ

وقلت

فلا تَعْجَبا انْ يَعِبْنَ المَشِيبَ   فما عِبْنَ من ذاكَ الا مَعِيبَا

اذا كانَ شيبي بغيضاً الىَّ   فكيفَ يكونُ اليْها حَبِيبَا

ومن فساد المعنى .. قول النابغة

تحيد عن استنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ   مَشْيَ الامآءِ الغَوادِي تحمل الحُزَمَا

وانما تحمل الامآء حزم الحطب عند رواحهن .. فامّا غدوهن الى الصحراء فانهن مخفات .. والجيد قول التغلبى *

يظل بها ربذ النعَامِ كانها   إمآءٌ تزَجّى بالعَشِيّ حواطِبُ [١]

وقد روى مثل الا ماء .. واذا صحت هذه الرواية سلم المعنى — والاستن — شجر بشع المنظر تسميه العرب رؤس الشياطين وجاء فى بعض التفسير فى قوله تعالى ﴿ طلعها كانه رؤوس الشياطين ﴾ انه عنى الاستن .. وقد اساء النابغة ايضا فى وصف الثور حيث .. يقول

من وَحْشِ وَجْرَةَ موشىٍّ اكارِعُه   طَاوِي المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَيْقَلِ الفَرِدِ [٢]

اراد بالفرد انه مسلول من غمده فلم يبن بقوله الفرد عن سله بيانا واضحاً .. والجيد قول الطرماح .. وقد اخذه منه

يَبْدُوا وتَضْمِرُهُ البِلاد كأنَّه   سيف على شرف يُسَلّ ويُغْمَدُ [٣]

وهذا غاية فى حسن الوصف .. وربما سامح الشاعر نفسه فى شئ فيعود عليه بعيب كبير .. وقد قال المتلمس *

---

[١] — الربذ — وزان كتف الخفيف القوائم فى مشيه .. واكثر النسخ بالدال

[٢] — وجرة — فلاة بين مران وذات عرق و هى ستون ميلا مؤها قليل فهى تجمع الوحش وهى قليلة الشرب للمآء هناك فبطونها طاوية — والمصير — واحده مصران وجمه مصارين كنى به من البطن .. هكذا فى شرح ديوانه

[٣] — هكذا البيت فى نسخ الاصول .. وفى رواية القتبي

يبدوا وتضمره التلال كأنه   سيف يسل على التلال ويغمد

التلال — الاولى بالكسر جمع تلة بالفتح قطعة من التراب ارفع قليلا مما حولها .. والثانية من التليل وهو العنق

وقد اتناسى الهمّ عند اختضاره　　　بنَـاجٍ عَلَيْه الصَّيْعَرِية مكدم [١]
[كُمَيْتٍ كِنَازِ اللحمِ اَوْجِمْيَرِيّةٍ　　　مُواشِكَة تنفى الحصَى بِمُثلَّمِ]

والصيعرية — سمة للنوق فجعلها للجمل..وسمعه طرفة ينشدها..فقال— استنوق الجمل — فضحك الناس وسارت مثلا .. فقال له المتلمس .. ويل لرأسك من لسانك .. فكان قتله بلسـانه .. وروى هذا الحديث له مع المسيّب * بن علس .. واخبرنا ابواحمد عن مهلهل * بن يموت عن ابيـه * عن الجاحظ انه قال .. وممن اراد ان يمدح فهجا الاخطل * وانبرى له فتيً .. فقال له اردت ان تمدح سماكا * الاسدى فهجوته .. فقلت

نعم المجـيرُ سماكاًمن بنى اسـد　　　بالطَّفِ اذ قتلت جيرانها مُضَرُ
قَدْ كنْتُ اَحْسِبُه قيناً وانبؤهُ　　　فاليَوْمَ طَيَّرَ عنْ أثوابه السرَرُ [٢]

واردت ان تهجو سويد بن منجوف فمدحته .. فقلت

وما جَذْعُ سوءٍ خرّب السُّوسُ جوفه　　　بما حَمَّلْتَهُ وائل بمطيقٍ

فاعطيته الرياسة على وائل وقدره دون ذلك .. واردت ان تهجو حاتم بن * النعمان الباهلى وان تصغر من شأنه وتضع منه .. فقلت

وسوَّد حَاتِماً ان لَيْسَ فيها　　　إذَا مَا اَوْقَدَ النيرَان نارُ

فاعطيته السودد فى الجزيرة واهلها ومنعته مالا يضره .. وقلت فى زفر بن الحرث *

بنى اُمَيَّـةَ انى ناصحٌ لكم　　　فلايَبِيتَّن فيكمْ آمنـاً زُفَرُ
مُفتَرِشٌ كافتِرَاشِ اللَّيْثِ كَلْكَلَهُ　　　لِوَقْعَةٍ كائنٍ فيها لَـكُمْ جَزَرُ

فاردت ان تغرى به فعظمت امره وهونت امر بنى امية .. ومن اضطراب المعنى .. مااخبرنا به ابواحمد عن مبرمان * عن ابى جعفر بن القبسى[٣] * قال لما قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب السلمى * انشد الاخطل عبدالملك والجحّاف السلمى * عنده

[١] — المكدم — الوسم — والكميت — من الالوان الحمرة اذا خالطها السواد و يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بعير كميت وناقة كميت — وقوله كناز — اى كثيرة اللحم صلبة — و قوله مواشكة — اى سريعة .. والبيت الثانى منهما لم اجده الا فى هامش احدى النسخ فالحقته بالاصل للفائدة
[٢] — السرر — بالفتح السباب .. وفى نسخة الشرر ولعله تصحيف
[٣] — قول القبسى — هكذا فى بعض الاصول .. وفى بعضها القتبى

الاسَائِلِ الحجَّاف هل هو ثائر بِقَتْلى اُصِيبتْ من سُلَيْم وعامِرِ

فخرج الحجـاف مغضبـاً حتى اغار على البشر .. وهو ماء لبنى تغلب .. فقتل منهم ثلاثة [١] وعشرين رجلا .. وقال

ابَا مَالِكٍ هَلْ لِمْتَنِى مُذْ حضَضْتَنِى على القَتْلِ اوْهَلْ لامنِى لكَ لآيم

متَى تَدْعُنِى اُخْرَى اجبْكَ بِمِثْلِهَا وانتَ آمرؤ بالحق لَيس بعـالم

فخرج الاخطل حتى اتى عبدالملك .. وقد قال [٢]

لقد اوقع الحجَّاف بالبِشْرِ وقعةً الى الله مِنْها المشـتكى والمعوّل

فالاّ تُغَيّرهَـا قُرَيش بمثلِهَـا تكنْ عن قُرَيْش مُسْتَمار ومرحَل

فقال له عبدالملك الى اين يا بن اللخناء [٣] فقال الى النار فقال والله لوغيرها قلت لضربت عنقك

ووجه العيب فيه انه هدد عبدالملك و هو ملك الدنيا بتركه اياه و الانصراف عنه الى غيره .. وهذه حماقة مجردة ، وغفلة لايطار غرابها .. ثم قال

فلا هَدى الله قَيْساً من ضَلالتِهَا ولا لَعًا لِبَنِى ذكوانَ اِذْ عَثَرُوا [٤]

ضَجُّوا من الحرب اذْ عَضَّتْ غَوارِبهم وقَيْس عَيلانَ من اخلاقِها الضَّجَرُ [٥]

فقال له عبدالملك .. لوكان الامر كما زعمت لماقلت — لقد اوقع الحجاف بالبشر وقعة —

وممن اراد ان يمدح نفسه فهجاها جرير .. فى قوله

تعرَّضَ التَيمُ لى عَمْدًا لأهجُوهَا كما تَعَرَّضَ لأستِ الخارئ الحَجَرُ

---

[١] — نسخة — ثلاثة عشر

[٢] — هكذا البيت الثانى فى اكثر النسخ وفى نسخة

فالا تعيرهـا قريش بمثلهـا يكن عن قريش مستمان ومرحل

[٣] — اللخناء — التى لم تختن .. واللخن قبح ريح الفرج

[٤] — لعاً — كلمة يدعى بها للعاثر معنـاها الارتفاع قاله فى اللسـان .. وقال ابوعبيدة من دعائهم (اى العرب) لالعاً لفلان اى لا اقامه الله

[٥] — الغارب — الكاهل وتقدم تفسيره .. والعض هنا كناية عن تأثير حمل السلاح فى غواربهم فلا يطيقون الحرب

فشبه نفسه باست الحارى .. وقريب من ذلك قول الراعى *

ولا اَتَيْتُ نُجَيْدَةَ بن عُوَيْمِرٍ ابغى الهُدَى فيزيدنى تَضْلِيلاَ [١]

فاخبر انه على شئ من الضلال .. لان الزيادة لاتكون الاعلى اصل .. واراد ان يمدح نفسه فهجاها .. واراد جرير يذكر عفوه عن بنى غدانة حين شفع فيهم عطية بن جعال * فهجاهم اقبح هجا .. حيث يقول

اَبَنى غُدانَةَ اننى حرّرتكم فوهَبْتكم لعَطِيَّةَ بنِ جِعَال

لولا عطِيّةُ لاجتدعت انوفكم مابَين الامَ آنُفٍ وسِبال

فلما سمع عطية هذا الشعر .. قال مااسرع مارجع اخى فى عطيته .. ومثل ذلك سوآء قول يزيد بن مالك * العامرى حيث يقول

اكُفُّ الجَهْل عن حُلَمآءِ قَوْمى واعْرِضُ عن كَلامِ الجَاهِلِينَا

فاخبر انه يحلم عن الجهال ولايعاقبهم .. ثم نقض ذلك فى البيت الثانى .. فقال

اذا رجلٌ تعرّض مُسْتَخِفًّا لنا بالجَهْلِ اَوْ شَكَ انْ يَحِينَا

فذكر انه كاد ان يفتك بمن جهل عليه [٢] .. وقريب منه قول عبدالرحمن * بن عبيدالله القس

ارى هَجْرَها والقَتْلَ مِثْلَيْنِ فاقصِروُا مَلامَكُمْ فالقتلُ اَعْفَى واَيْسَرُ

فاوجب ان الهجر والقتل سوآء .. ثم ذكر ان القتل اعفى وايسر .. ولواتى ببل استوى [٣] .. ومن عجائب الغلط .. قول ذى الرمة

---

[١] — نجيدة بن عويمر — تصغير نجدة بن عامر الحنفى .. قال فى الجمهرة كان باليمامة اتخذ مذهبا ينسب اليه النجدية وهم فرقة من الفرق الضالة عافانا الله .. وقال المبرد فى كامله .. كان رأساً ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج .. وفى القاموس .. وكان خارجيا ويقال لاصحابه النجدات بالتحريك .. قلت والبيت مبدؤ فى الجمهرة — بلما — المخففة من قصيدته التى مطلعها

ما بال دفك بالفراش مذيلا اقذى بعينك ام اردت رحيلا

واوردها فى قسم الملحمات .. وقال المبرد .. وخاطب بها عبدالملك بن مروان

[٢] — قوله كاد ان يفتك — تفسير لقول الشاعر — اوشك ان يحينا — قال فى اللسان حان حينه اى قرب وقته .. والنفس قدحان حينها اذاهلكت .. والبيتان اوردهما قدامة بن جعفر فى باب الاستحالة والتناقض من كتاب النقد .. وسماه يزيد بن مالك الغامدى

[٣] — قوله استوى — اى المعنى وسلم من الاستحالة والتناقض لان مقام لفظة بل مقام ماينفى الماضى ويثبت المستأنف لكنه لما لم يقلها واتى بالاثبات والنفى معاً استحال معنى شعره وتناقض

اذا انجابَتِ الظَّلْماءُ اَضحَتْ رؤُسُها　　　عليهنَّ من جهدِ الكَرى وهىَ ظُلَّعُ [١]

وقال ابن ابى فروة * قلت لذى الرمة .. ماعلمت احداً من الناس اظلعَ الرؤوس غيرك .. فقال اجل .. ومن الغلط .. قول العجاج

كأن عينيه من الغؤوُرِ　　　قَلْتَانِ اوحَوْجَلَتا قارُورِ

صَيَّرتا بالنَّضْح والتصبيرِ　　　صلاصلُ الزيت الى الشطُورِ

فجعل الزجاج ينضح[٢] .. ومن الخطاء قول رؤبة فى صفة قوائم الفرس — يهوين شتى ويقعن وقعا — فقال له سلم * اخطأت جعلته مقيدا .. فقال له رؤبة .. ادنى من ذنب البعير .. اى لست ابصر الخيل وانما انا بصير بالابل .. ومن الغلط .. قول رؤبة ايضا

وكُلّ رخَّاجٍ سُحَام الحَمْل　　　يَبري له فى رَعَلاتٍ خُطْلِ [٣]

جعل للظليم عدة اناث وليس للظليم الا انثى واحدة .. واخطأ فى قوله

كنتم كمن ادخَل فى جُحرٍ يدًا　　　فاخطأ الافعىٰ ولاقى الأَسْوَدا

---

[١] — الظلع — بتشديد اللام جمع ظالع وهو المائل اوالمتأخر .. والظلع بفتحهما العرج والغمز فى المشية

[٢] — قوله ينضح — بالحاء هكذا فى سائر نسخ الاصول والذى فى اللسان تبعا للصحاح و حواشى ابن برى ينضج بالجيم .. هكذا

كأن عينيه من الغؤور　　　قلتان فى لحدى صفا منقور

صفران اوحوجلتا قارور　　　غيرتا بالنضج و التصبير

صلاصل الزيت الى الشطور

— القلتان — مثنى القلت باسكان اللام وهى النقرة فى الجبل تمسك الماء اوالجرة العظيمة — والحوجلة — قارورة صغيرة واسعة الرأس — والصلاصل — بقايا الماء وكذلك البقية من الدهن وهو المراد هنا .. قال فى اللسان وانشد الجوهرى صلاصل بالضم قال و قال ابن برى صوابه بالفتح لانه مفعول لغيرتا وقال ولم يشبههما بالجرار و انما شبههما بالقاورورتين .. قال ابن سيدة شبه اعينها حين غارت بالجرار فيها الزيت الى انصافها .. قلت واذ صح ذلك ينتفى ما اراده المؤلف

[٣] — قوله رخاج — هكذا فى اصح النسخ وفى بعضها — رخاح — وكلاهما لم اقف له على معنى صحيحا ولعل ان صحت الاولى يكون مقلوب خراج من الخرج فيصح حينئذ ان يكون نعتا للظليم — والسحام — السواد كلون الغراب — والرعلات — جمع رعلة وهى النعامة سميت بذلك لانها تتقدم فلا تكاد ترى الا سابقة للظليم وجاء فى اكثر النسخ رغلات بالغين المعجمة بدل رعلات وهو تصحيف — والخطل — بضم الخاء واسكان التاء جمع خطلاء بالفتح الطويلة اليدين

فجعل الافعى دون الاسود فى المضرة وهى فوقه فيها .. ومن خطأ الوصف .. قول ابى النجم

اَخْنَسَ فى مثل الكِظام المخطَمهْ [١]

والاخنس القصير المشافر .. وانما توصف المشافر بالسبوطة .. ووصف اعرابى ابلا .. فقال .. كوم بهازر . مكد خناجر . عظام الحناجر . سباط المشافر . اجوافها رغاب . واعطانها رحاب . تمنع من البُهَم . وتبذل للجُمَم .. ناقة مكود وخنجور — كثيرة اللبن — والبهازر — العظام — والكوم — المرتفعة الاسنمة [٢] .. ولم يحسن ايضا فى صفة ورود الابل .. قال [٣]

جأت تَسامىَ فى الرَّعيل الاوَّلِ والظِّلُ عَنْ اخفَافِها لم يَفضُلِ

ذكر انها وردت فى الهاجرة .. وهذا خلاف المعهود وانما يكون الورود غلسا .. كقول الآخر

فوردَتْ قَبْل الصَباحِ الفايقِ

وقال الآخر

فوردت قَبْلَ تَبيّنِ الألوَانِ

وقول لبيد *

ان من وِرْدِىَ تَغْليسَ النَهل

ومن الغلط .. قول ابى النجم

صُلْبُ ٱلعَصَا جَافٍ عَنِ التَعزُّلِ

---

[١] — الكظام — جمع كاظم والكاظم من الابل العطشان اليابس الجوف قاله ابن الانبارى — وقوله المخطمة — اى المخطومة بالخطام .. قال ابن سيده والخطام كل ماوضع فى انف البعير ليقاد به حكاه عنه فى اللسان ثم قال وناقة مخطومة ونوق مخطمة شدد للكثرة وخففت هنا للوزن و جاء فى احدى النسخ بدون ال هكذا

(اخنس فى مثل الكظام مخطمه)

و فى نسخة بالحاء المهملة

[٢] — الرغاب — بالفتح الارض اللينة التى تأخذ الماء الكثير وبها تشبه بطون الابل — والجمم — كالجم الكثير من كل شئ .. وفى نسخة بالحاء المهملة

[٣] — قوله قال — القائل ابو النجم — وقوله الرعيل الاول — اى القطعة المتقدمة من الخيل كانت اومن غيرها وهنا اراد الخيل

يصف راعي الابل بصلابة العصا وليس بالمعروف .. والجيد قول الراعي

ضَعيفُ العصَا بادي العروقِ ترَى لَهُ   عَلَيْهَا اذا ما اجدَب الناسُ اصبعًا

وانما يقال .. فلان صلب العصا على اهله اذا كان شديداً عليهم .. ومن الغلط .. قول ابي النجم ايضا .. في وصف الفرس .. وهو غلط في اللفظ

كانّها ميجنة القصار

وانما الميجنة لصاحب الادم وهي التي يدق عليها الادم من حجر وغيره .. ومن فساد المعنى .. قول الشماخ *

بانَتْ سُعَاد وفي العَيْنَيْنِ مَلْمُولُ   وكانَ في قِصَرٍ من عَهْدِها طُولُ

كان ينبغي ان يقول.. في طول من عهدها قصر .. لان العيش مع الاحبة يوصف بقصر المدة .. كما قال الآخر

يَطُول اليَوْمُ لا القاكَ فيه   وحولٌ نَلْتَقي فيه قَصِيرُ

ومن اضطراب المعنى .. قول ابي دؤاد الايادي

لَوْ انها بذلتْ لذِي سَقَمٍ   حَرِضَ الفُؤادِ مُشارف القَبْضِ

حُسْن الحَديثِ لَظلّ مُكتيباً   حران من وَجْدٍ بهَا مضِ

وكان استواء المعنى ان يقول — لبرأ من سقمه — كما قال الاعشى *

لو اَسْنَدَتْ مَيْتاً الى نَحْرِهَا   عَاشَ ولم يُنْقَلْ الى قَابِرِ

وقال تأبط شرا

قَليلُ غِرَارِ النَوْمِ

تقديره قليل يسير النوم .. وهذا فاسد .. ووجه الكلام ان يكون ماينام الا غرارا .. فان احتلت له .. قلت يعني ان نومه ايسر من اليسير .. وقول ابي ذؤيب

فلا يهنأ الواشُونَ أنْ قدهجرتُها   واظلمَ دُوني ليْلُها و نهارُها

هذا من المقلوب .. كان ينبغي ان يقول .. واظلم دونها ليلي ونهاري .. وقول ساعد *

فلو نبّأتك الارضُ اَوْ لَوْ سَمِعْتَهُ   لايقنْتَ اني كدتُ بعدَكِ اَكْمَدُ

كان ينبغي ان يقول — اني بعدك أكمد — ومن الخطاء .. قول طرفة * يصف ذنب البعير

كانَّ جناحَىْ مَضْرَحِيّ تكنّفَا حِفَافَيْهِ شُكّافى العَسِيب بمِسْرَدِ [١]

وانما توصف النجايب بخفة الذنب [وجعله هذا كثيفا طويلاً عريضا] .. وقول امرئ القيس

واركبُ فى الرَوْع ِخَيْفَانَةً كسا وجهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ

شبه ناصية الفرس بسعف النخلة لطولها .. واذا غطى الشعر العين لم يكن الفرس كريما .. وقول الحطيئة

ومن يَطْلُبْ مساعِى آل لائى تُصَعِّدُهُ الامورُ الى عُلاَهَا

كان ينبغى ان يقول من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر دونها .. فاما اذا تناهى الى علاها فاى فخر لهم .. فان قيل انه اراد به يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من اسفل الى علو .. فالعيب ايضا لازم له .. لانه لم يعبر عنه تعبيراً مبينا .. وقول النابغة *

ماضِى الجَنان أَخِى صَبْر اذا نَزَلَتْ حَرْبٌ يوايِلُ منها كل تِنْبَالِ

التنبال — القصير من الرجال .. وليس القصير باولى بطلب المؤيل من الطوال .. وان جعل التنبال الجبان فهو ابعد من الصواب .. لان الجبان خايف وجل اشتدت الحرب ام سكنت .. والجيّد قول الهمدانى *

يكرُّ على المَصَافِ اذا تَعادَى من الأهوالِ شجعَانُ الرجالِ

وقول المسيّب * بن علس

فَتَسِلّ حاجَتَها اذا هِىَ اعرضَتْ بِخَمِيصَةٍ سُرحِ اليدين وِسَاعِ

وكانَّ قَنطرةً بمَوْضِعِ كُورِهَا وتَمُدُّ ثَنْىَ جَديلِهَا بِشِراعِ

واذا اطَّفْتَ بِهَا اطفتَ بكَلْكَلٍ بيضِ الفرايضِ مُجْفَرَ الاضلاعِ

وهذا من المتناقض .. لانه قال خميصة .. ثم قال كانّ موضع كورها قنطرة وهى مجفرة الاضلاع .. فكيف تكون خميصة وهذه صفتها .. وقول الحطيئة

حَرِج يلاوذ بالكِنَاس كأنَّه متطِرّف حتّى الصباح يدورُ

---

[١] — المضرحى النسر — وحفافيه — جانبيه — والعسيب — عظم ذنبه — والمسرد — الاشفى قاله فى الجمهرة .. وقال يصف بذلك ذنبه بكثرة الهلب وهو الشعر الكثير والاشفى السراد الذى يخرز به قال فى اللسان والمسرد المثقب واستشهد به بالبيت المذكور

حتى اذا ما الصُّبحُ شقَّ عمودهُ   وعلاه اسْطعُ لا يُرَدّ منيرُ

وحصى الكثيبِ بصفحتيه كانه   خبث الحديد اطارهن الكيرُ

زعم انه يطوف حتى الصباح .. فمن اين صار الحصى بصفحتيه .. وقول لبيد

فلقَدْ اُغوِصُ بالخَصْمِ وقد   املأُ الجفْنَةَ من شَحمِ القُلَلْ

ارادالسنام .. ولا يسمى السنام شحما .. وقوله

لَوْ يَقومُ الفيلُ او فيّالهُ   زلّ عن مثلِ مقامي وزحَلْ

ليس للفيال من الشدة والقوة مايكون مثلاً .. ومن الخطأ قول ابى ذؤيب فى الدرة

فجاءِ بها ما شِئْتَ من اَطمَّية   يدوم الفُرات فَوقَها ويموجُ

والدرة انما تكون فى الماء الملح دون العذب .. وقال من احتج له .. انما يريد بماء الدرة صفاه فشبّه بماء الفرات لأن الفرات لا يخطئه الصفاء والحسن .. وقوله ايضا

فَما برحَتْ فى الناس حتّى تبَيَّنتْ   ثَقيفاً بِزَيْزَآءِ الاسَاةِ قبابَهَا

يقول مازالت هذه الخمرة فى الناس يحفظونها حتى اتوابها ثقيفا .. قال الاصمعى وكيف تحمل الخمرة الى ثقيف وعندهم العنب .. وقول عدى بن الرقاع *

لهم راية تُهدِى الجُموعَ كأنها   اذاخطرتْ فى ثَعْلَبِ الرُمْحِ طائِرُ

والراية لا تخطر .. وانما الخطران للرمح .. ومما لم يسمع مثله قط .. قول عدى * بن زيد.. فى الخمرة ووصفه اياها بالخضرة حيث .. يقول

والمُشِرفُ الهَيْدَبُ يَسْعَى بِهَا   اَخضَرَ مَطْمُوثًا بمآء الحَرِيصِ[١]

والحريص — السحابة — تحرص وجه الارض اى تقشرها بشدة وقع مطرها .. ومن وضع الشئ فى غير موضعه .. قول الشاعر

يمشى بها كلُّ موشيٍّ اكارعُه   مَشْىَ الهَرابذِ حجُّوا بَيْعَةَ الدُّونِ

فالغلط فى هذا البيت فى ثلاثة مواضع .. احدها ان الهرابذ المجوس لا النصارى .. والثانى

---

[١] — الهيدب — الذى عليه اهداب تذبذب من بجاد اوغيره كانها هيدب من سحاب .. وقيل انه الضعيف .. قال فى اللسان قال الازهرى الهيدب العبام من الاقوام الفدم .. والهيدب سحاب يقرب من الارض كانه متدل يكا ديمسكه من قام براحته

ان البيعة للنصارى لا للمجوس .. والثالث ان النصارى لايعبدون الاصنام ولا المجوس .. ومن المحال الذى لاوجه له .. قول القس

وانى اذا ما المَوتُ حلَّ بنفسها　　　يزال بنفسى قَبْلَ ذَاكَ فَأُقْبَرُ

وهذا شبيه بقول قائل لوقال .. اذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله .. وهذا عين المحال الممتنع الذى لايجوز كونه ،،

ومن عيوب المعنى مخالفة العرف وذكر ماليس فى العادة .. كقول المرار

وخَالٍ على خَدَّيْك يبدو كأنَّه　　　سنا البدر فى دَعْجَاءَ بَادٍ دجُونُها

والمعروف ان الخيلان سود اوسمر والخدود الحسان انما هى البيض .. فاتى هذا الشاعر بقلب المعنى .. وهكذا قول الآخر

كأنما الخيلاَنِ فى وَجْهِهِ　　　كواكبُ احدَقْنَ بالبدرِ

ويمكن ان يحتج لهذا الشاعر .. بان يقال شبه الخيلان بالكواكب من جهة الاستدارة لامن جهة اللون .. والجيد فى صفة الخال .. قول مسلم

وخالٍ كخالِ البدر فى وجه مثله　　　لقينا المُنَى فيه فَحَاجزَنا البَذْلُ

وقال العباس بن الاحنف

لخالُ بذاتِ الخالِ احسَنُ عندنا　　　من النكتةِ السوداَءِ فى وضَحِ البدر

ومن المعانى مايكون مقصراً غير بالغ مبلغ غيره فى الاحسان .. كقول كثير *

وما روضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثرَىٰ　　　تَمُجُّ الثرىٰ حَوْذَانُها وعَرارُها

باطيَبَ من اردانِ عِزَّةَ موْهِناً　　　وقَدْ اوقَدَتْ بالمَنْدَلِ الرطَب نارُها

وقد صدق ليس ريح الروض باطيب من ريح العود .. الا انه لم يأت باحسان فيما وصف من طيب عرق المرأة .. لان كل من تجمر بالعود طابت رايحته .. والجيّد قول امرىء القيس

الَمْ ترَ انى كلَّما جئت طارقاً　　　وجدتُ بها طيباً وان لَمْ تَطَيَّبِ

والعود الرطب ليس بمختار للبخور .. وانما يصلح للمضغ والسواك .. والعود اليابس ابلغ فى معناه .. وانشد الكميت * نصيباً

كأنَّ الغُطَامِطَ فى غَلْيِها　　　اراجيزُ اسلَمَ تَهجُوا غِفَارا

فقال نصيب .. لم تهج اسلم غفاراً قط .. فقال الكميت

إِذَا ما الهَجَارِسُ غَنَّيْنَهَا   تجاوَبْنَ بالفَلَوات الوِبَارا

فقال نصيب .. لايكون بالفلوات وبار .. فاستحى الكميت وسكت [١] ،،

ومن عيوب المديح .. عدول المادح عن الفضائل التى تختص بالنفس . من العقل . والعفة . والعدل . والشجاعة .. الى مايليق باوصاف الجسم . من الحسن . والبهاء . والزينة .. كما قال ابن قيس الرقيّات فى عبدالملك بن مروان

يأْتلِق التَّاج فوقَ مَفْرَقِهِ   على جبينٍ كأنَّه الذهبُ

فغضب عبدالملك .. وقال قد قلت فى مصعب

انما مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللّـه   تجلّتْ عن وجههِ الظَّلْماءُ [٢]

فاعطيته المدح بكشف الغمم . وجلاء الظلم .. واعطيتنى من المدح مالا فخر فيه .. وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة .. ومثل ذلك قول ايمن * بن خزيم فى بشر * بن مروان [٣]

يابْنَ الأكَارِمِ مِن قُرَيْشٍ كُلِّهَا   وابنَ الخلائِفِ وابنَ كُلِّ قَلَمَّسِ

من فرعِ آدمَ كابِرًا عَنْ كَابِرٍ   حتى انْتَهَتَ الى ابيك العَنْبَسِ

مَرْوَانَ انَّ قَنَاتَهُ خطيَّة   غرست اروُمتُها اعزَّ المَغْرِسِ

---

[١] — القطامط — فى البيت الاول .. صوت غليان القدر — والهجارس — جمع هجرس وهو القرد والثعلب وقيل ولده والدب وقيل كل مايعسعس بالليل دون الثعلب وفوق اليربوع — والوبار — جمع وبرة بالتسكين حيوان اصغر من السنور اطحل اللون اى مغبر اللون لاذنب له يرجن فى البيوت اى يحبس ويعلف فيها

[٢] — قوله عن وجهه — هكذا فى بعض النسخ ومثله فى النقد .. وفى نسخة مصححة — عنايه — وهو الموافق لاعتراض عبدالملك فليحرر

[٣] اوردالابيات قدامة بن جعفر فى كتابه نقدالشعر واولهم عنده

يابن الذوائب والذرى والاروُس   والفرع من مضر المغرق الانفس

يابن المكارم من قريش ذا العلى   .   .   .

— القلمس — السيد العظيم — والعنبس — الاسد .. والعنابس من قريش اولاد امية بن عبدشمس الاكبر وهم ستة حرب وابوحرب وسفيان وابوسفيان وعمرو وابوعمرو سمو بالاسد والباقون يقال لهم الاعياص

وبنيْتَ عِنْد مقامِ ربك قبَّةً ‏ ‏ خضراءَ كُلِلّ تاجُها بالفِسْفِسِ [١]

فَسَماؤها ذهبٌ واسفل ارضها ‏ ‏ وَرِق تلألأ فى صَميم الجِنْدِسِ

فما فى هذه الابيات شئ يتعلق بالمدح الذى يختص بالنفس .. وانما ذكر سودد الاباء وفيه فخر للابناء .. ولكن ليس العظامى كالعصامى .. وربما كان سودد الوالد وفضيلته نقيصة للولد اذا تأخر عن رتبة الوالد .. ويكون ذكر الوالد الفاضل تقريعا للولد الناقص .. وقيل لبعضهم لم لاتكون كأبيك .. فقال ليت ابى لم يكن ذا فضل فان فضله صار نقصالى .. وقد قال الاول

إنما المَجْدُ ما بنىْ والدُ الصِّدْ ‏ ‏ قِ وأحيَا فعالَه المَولُودُ

وقال غيره فى خلافه

لَئِنْ فَخرتَ بآباءِ ذوى شَرَفٍ ‏ ‏ لَقَدْ صَدقْتَ ولكنْ بِئْسَ مَاوَلدُوا

وقال آخر

عَفَّتْ مقَابِحُ اخلاقٍ خُصِصْتَ بِهَا ‏ ‏ على محاسِنَ أبقاهَا ابوكَ لَكا

لئِنْ تقدَّمتَ ابناءُ الكرام بِهِ ‏ ‏ لقدْ تأخر [٢] اباءُ اللِّئَامِ بكا

ثم ذكر ايمن بناء قبة حسنة وليس بناء القباب مما يدل على جود وكرم .. بل يجوز ان يبنى اللئيم البخيل الأبنية النفيسة ويتوسع فى النفقة على الدور الحسنة مع منع الحق . ورد السائل .. وليس اليسار مما يمدح به مدحاً حقيقيا الا ترى كيف يقول اشجع السلمى [٣] *

يُريدُ الملوكُ مَدَى جَعْفَر ‏ ‏ ولا يَصْنَعُونَ كما يَصْنَعُ

ولَيسَ بأوْسَعِهِمْ فى الغِنَى ‏ ‏ ولكنَّ معرُوفهُ اوسَعُ

ومن عيوب المدح .. قول ايمن بن خزيم ايضا فى بشر بن مروان

فانْ اعطاكَ بِشْرٌ ألفَ ألفٍ ‏ ‏ رأى حقاً عَلَيْـهِ أَنْ يزيدا

واَعْقَبَ مَدْحَتِى سرْجًا خَلَنْجاً ‏ ‏ وابْيَضَ جَوْزَ جَانيا عنودًا [٤]

[١] — الفسفس — الفضة الرطبة .. والبيت المصور بالفسيفساء .. هو المنقوش بقطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره يؤلف بعضها الى بعض ثم تركب فى حيطانه من داخل

[٢] — نسخة — تقدم

[٣] — قوله اشجع السلمى — هكذا فى نسخة وفى اخرى اسجع .. وسماه فى النقد اسجع بن عمرو

[٤] — قوله عنودا — هكذا فى نسخ الاصول .. والذى فى نقد الشعر — عقودا — والخلنج — اسم شجر فارسى معرب تتخذ من خشبه الاوانى .. وقيل هو كل آنية صنعت من خشب ذى طرائق واسارير موشاة

وأنَّا قَـدْ رَأينـا أمّ بِشْرٍ　　كأمِّ الأسْـدِ مذكاراً ولودا

جميع هذا الكلام جار على غير الصواب .. الا فى ابتـداء وصفه فى التناهى فى الجود .. ثم انحط الى ما لايقع مع الاول موقعا وهو السرج وغيره .. واتى فى البيت الثالث بما هو اقرب الى الذم منه الى المدح .. وهو قوله

وانا قد رأينا ام بشر　　كام الاسد مذكارا ولودا

لانّ الناس مجمعون على ان نتاج الحيوانات الكريمة اعسر واولادها اقل .. كما قال الاول

بغاثُ الطَّيرِ اكثرُهَا فِراخاً　　وأمّ الصَقْرِ مِقْـلاتٌ نَزور

ومن عيوب المدح قول بعضهم [هو عبيدالله بن الحويرث .. لبشر بن مروان]

إنى رَحَلْتُ الى عَمْرٍو لأعْرِفُهُ　　اذ قيل بشرٌ ولمْ اعدلْ بهِ نَسَبا

فنكر الممدوح و سلبه النباهة .. وكان ينبغى ان يقول — ليعرفنى — و النادر العجب الذى لاشبه له .. قول عدى بن الرقاع * وذكر الله سبحانه فقال

وكفّكَ سَبْطَةٌ ونَداك غَمْرٌ　　وأنْتَ المرءُ تفْعَـلُ مَاتقُولُ

فجعل آلهه امرءًا تعالى الله عما يقول ،، واخبرنا ابواحمد عن الصولى قال اخبرنا ابوالعيناء عن الاصمعى .. قال اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج .. فقال من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه و يحسن صفتى فهذه الخلعة له .. فقال الفرزدق

فَمَنْ يأمَنُ الحجّاجَ والطَّيرُ تَتّقِى　　عُقوبتَـهُ الّاضَعيفَ العزَائِم

فقال جرير

فَمَنْ يأمَنُ الحجّاجَ امَّا عِقابُهُ　　فَمُرٌّ وامَّا عَقْـدُهُ فَوَثِيقُ
يُسِرُّ لكَ البَغْضَاءَ كُلُّ مُنافِقٍ　　كما كُلُّ ذى دِينٍ عليك شفيقُ

فقال الحجاج للفرزدق .. ما عملت شيئاً ان الطير تنفر من الصبىّ . والخشبة . ودفع الخلعة الى جرير .. والجيد فى المديح قول زهير [١]

---

[١] — الابيات — من قصيدته التى مطلعها

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لايسلو　　واقفر من سلمى التعـانيق فالثقل

اوردها هبة الله العلوى فى مختاراته .. وقسما منها قدامة بن جعفر فى باب نعت المديح من كتاب النقد

هُنَالِكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ يُخْوِلُوا ... وإنْ يُسْئَلوا يُعْطُوا وإنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا [١]

وفيهم مقاماتٌ حِسَانٌ وجوهُها ... وأندِيَةٌ يَنْتَابُهَا القَوْلُ والفعلُ [٢]

فلما استتم وصفهم بحسن المقال . وتصديق القول بالفعل . وصفهم بحسن الوجوه . ثم قال

على مُكْثِرِيهم حقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ ... وعند المُقِلِّين السماحةُ والبَذْلُ [٣]

فلم يخل مكثرا ولا مقلا منهم من بر وفضل .. ثم قال

فإنْ جِئْتَهُم الفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِم ... مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بأحْلامِهَا الجَهْلُ

فوصفهم بالحلم .. ثم قال

وإنْ قامَ منهم قائمٌ قال قاعدٌ ... رَشِدْتَ فلا غُرْمٌ عليك ولاخَذْلُ [٤]

فوصفهم ايضا بالتضافر والتعاون فاما آتاهم هذه الصفات النفيسة ذكر فضل آبائهم فقال

ومَا يَكُ من خَيْرٍ اتوه فإنما ... توارَثَهُ اباءُ ابائهم قَبْلُ [٥]

وهَلْ يُنْبِتُ الخطِّيَّ الاوشِيجُهُ ... وتُغْرَسُ الاّ في منابتِها النَّخْلُ [٦]

وكقول ذى الرمة

الى ملكٍ يَعْلو الرجالَ بفضلِهِ ... كما بَهَرَ البَدْرُ النجُومَ السَّوارِيَا

فما مرتعُ الجيرانِ الاّ جِفانُكم [٧] ... تَبَارُونَ انتم والرياحَ تَبَارِيا

---

[١] — الاخوال — المنحة قاله ابو عمرو .. وقال الاصمعى الرواية فى البيت (ان يستخبلوا المال يخبلوا) كان الرجل اذا افتقر اتى بنى عمه فاعطاه كل واحد منهم شيئاً من الابل حتى اذا اولدها ومكثت عنده سنين ردها فذلك الاخبال

[٢] — المقامات — جماعات الرجال — وقوله وجوهها — هكذا فى نسخة من الاصل وهو الموافق لما فى النقد والمختارات وفى نسخة وجوههم — وقوله ينتابها — اى يكثر فيها القول والفعل .. وفى النقد يثنى بها

[٣] — قوله يعتريهم — قال فى هامش المختارات اذا جاءه لطلب ما عنده ولم يسأله فقد اعتراه

[٤] — قوله قام قائم — قال الاصمعى .. يريد اذا قام قائم منهم فى الحمالة دعا له القاعد بالرشد ولم يرد عليه

[٥] — الذى فى المختارات والنقد (فما كان من خير اتوه فانما) وفى بعض نسخ الاصل بدل الخير الفضل

[٦] — الوشيج — العروق .. وقال الاصمعى هذا خطأ انما اراد وهل ينبت القنا الا القنا والوشيج القناء

[٧] — الجفان — القصاع والجفنة القصعة .. وجفن الناقة اذا نحرها واطعم لحمها

اخذه بعضهم .. فقال واحسن

رأيتكم بقيّةَ حيّ قيسٍ ... وَهَضْبَتُهُ التى فوقَ الهِضَابِ

تُبارونَ الرياحَ اذا تبارت ... وتَمْتَثِلُون افعال السحاب

يذكرنى مقامى فى ذُراكم ... مقامى اَمسِ فى ظلِّ الشباب

وكقول الراعى

انى واياك والشكوى التى قصرَتْ ... خَطْوى وبابُكَ والوجدُ الذى أجِدُ

كالماءِ والظالعُ الصَديانُ يَطلبُهُ ... وهو الشفاءُ له لَوْ أنّه يَرِدُ

ضافى العطيَّة راجيهِ وسائلُهُ ... سيّانِ افلح مَنْ يُعطى ومن يَعِدُ

وقول مروان بن ابى حفصة *

بنو مطرٍ يَوْم اللقاءِ كأنّهُمْ ... اسودٌ لهم فى غيل خفّان[١] اَشبُلُ

هم المانعون الجارَ حتّى كأنّما ... لجارِهم فوق السماكين مَنْزِلُ

بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن ... كاوّلهم فى الجاهليَّة اوّلُ

هم القومُ انْ قالوا اصابوا وانْ دُعوا ... اجابوا وان اعطوا اطابوا واَجْزَلُوا

ولايستطيعُ الفاعِلونَ فِعَالَهُمْ ... وان احسنوا فى النايبات واجملوا

ثلاثٌ بامثال الجبال حِباهُمْ ... واحلامُهم منها لدى الوزنِ أثقلوا

وكقول الآخر

عَلَّمَ الغيث النّدى حتّى اذَا ... ماحكاهُ عَلَّمَ البأسَ الأسَد

فلهُ الغيثُ مُقِرّ بالندى ... وله الليثُ مُقِرّ بالجلَد

وكقول الآخر

شَبه الغيث فيه والليثَ والـ ... بدرَ فَسَمْحٌ ومُحْرَبٌ وجميلُ

---

[١] — خفان — مأسدة بين الثنى وعذيب فيه غياض وهو معروف .. حكاه فى اللسان عن ابى منصور

ومع ماذكرناه .. فانه لاينبغى ان يخلو المدح من مناقب لآباء الممدوح وتقريظ من يعرف به و ينسب اليه .. وانشد ابوالخطاب * الفضل بن يحى

وَجُدْ لَهُ يابن أبى عَلِىّ 　　 بنفحةٍ مِنْ مَلِكٍ سَخِىّ

فانه عَوْدٌ علـى بَدِىّ 　　 فإنمـا الوَسْمِىُّ بالوَلِىّ [١]

فقال الفضل — بنفحة من نفح برمكى — فجعله كذلك .. وانشده مروان بن ابى حفصة

نفرتَ فلا شـلَّتْ يدٌ خالِدِيَّةٌ 　　 رَتَقْتَ بهاالفتقَ الذى بينَ هاشم

فقال له الفضل .. قل — برمكية — فقد يشركنا فى خالد بشر كثير ولايشركنا فى برمك احد ..

والهجآء ايضا اذا لم يكن يسلب الصفات المستحسنة التى تختصها النفس ويثبت الصفات المستهجنة التى تختصها ايضا لم يكن مختارا .. والاختيار ان ينسب المهجوالى اللؤم والبخل والشره وما اشبه ذلك .. و ليس بالمختار فى الهجآء ان ينسبه الى قبح الوجه وصغر الحجم وضؤل الجسم .. يدل على ذلك قول القائل

فقلتُ لها لَيْسَ الشحُوبُ على الفتى 　　 بعـارٍ ولاخـيرُ الرجالِ سَمِينُها [٢]

و قول الآخر

تَنـالُ الخَـيْرَ مِمَّنْ تزدَرِيه 　　 وَيخلِفُ ظَنَّكَ الرجُلُ الطَرِيرُ

و قول الا خر

رأوه فازدرُوهُ وهو خِرْقٌ 　　 وينفعُ اهلَهُ الرجـلُ القَبِيحُ

و ذكر السموٴل * انّ قلّة العدد ليست بعيب .. فقال

تُعيّرُنا انَّا قليـلٌ عَـديدُنا 　　 فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ

---

[١] — الوسمى — مطر اول الربيع — والولى — مطر يكون فى صميم الشتاء

[٢] — الشحوب — تغير الجسم واللون من هزال اوعمل اوجوع اوسفر .. والبيت اورده قدامة فى النقد .. وقال انشدنيه ابوالعباس احمد بن يحى واورد قبله

رأت نصف اسفار امية قاعدا 　　 على نصف اسفار يجن جنونها

فقالت من اى الناس انت ابيتنا 　　 فانك راعى ثلة لا تريـنهـا

فقلت لها . . . . 　　 . . . .

ومن الهجاء الجيد .. قول بعضهم

اللؤْمُ اكرمُ من وَبْرٍ ووالدِهِ … واللؤمُ اكرمُ مِنْ وَبْرٍ ومَا وِلدَا

قومٌ اذا مَاجَنَى جَانِيهِمُ أمنوا … من لؤمِ احسابِهِم انْ يُقتلوا قَوَدا

و قول اعشى باهلة *

بَنُو تَيمٍ قَرارةُ كلّ لؤمٍ … كذاك لكلّ سايلة قَرارُ [١]

و تبعه ابو تمام .. فقال

مُلْقَى الرجآءَ وملقى الرحْلِ فى نفرٍ … الجود عندهم قولٌ بلا عمــل

اضحوا بمُسْتَنّ سَيْلِ اللؤْمِ وارتفعَتْ … اموالُهُم فى هِضابِ المَطْلِ والعِلَلِ

و نقله الى موضع آخر .. فقال

وكانَتْ زَفْرَةً ثُمَّ اطمأنَّتْ … كذاكَ لكلِّ سايلةٍ قَرارُ

وقول الآخر

لوكان يَخْفى على الرحمن خافيةٌ … من خَلْقِهِ خَفِيَتْ عنه بنواسدِ

وقول الحكم الحضرى *

الم تَرَ أنّهُمْ رُقِّوا بلؤمٍ … كما رُقِّتْ باذرُعِها الحميرُ

ومن خبيث الهجآء .. قول الآخر [٢]

إنْ يَغدُروا اويَجْبُنوا … اَوْ يبخلوا لا يَحْفَلُوا

يغدوا عليك مُرجَّلـــــــين كانهم لم يَفعـلوا

---

[١] — القرارة — مابقى فى القدر بعد الغرف منها — والقرار — المستقر من الارض .. وعجز البيت فى بعض النسخ هكذا (لكل معصب سايلة قرار)

[٢] هكذا البيت الاول فى الاصول وفى النقد قال .. ومن خبيث الهجاء ما انشدناه احمد بن يحى

ان يغدروا اويفجروا … او يبخلوا لا يحفلوا

ثم اورد البيت الثانى كما اورده المؤلف

وقول الآخر [١]

لو اطّلَعَ الغرابُ على تميمٍ　　　وما فيها من السوءآتِ شابا

وقول مرة بن عدى الفقعسى *

واذا تَسرُّكَ من تميمٍ خِصْلَةٌ　　　فَلَمَا يسؤكَ من تميمٍ اَكْثَرُ

ومن المبالغة فى الهجآء .. قول ابن الرومى

يقتّر عيسى على نفسِهِ　　　وليسَ بباقٍ ولا خالدِ

ولو يستطيعُ لتقتيره　　　تَنفَّسَ من مَنخَرٍ واحدِ

والناس يظنون ان ابن الرومى ابتكر هذا المعنى و انما اخذه ممن حكاه ابو عثمان .. انّ بعضهم قبر احدى عينيه .. وقال ان النظر بهما فى زمان واحد من الاسراف .. وقول البحترى

وَرَدَّدتُ العتابَ عليكَ حتَّى　　　سئِمتُ وآخِرُ الودِّ العتــابُ

وهان عليكَ سُخطى حين تَغدوا　　　بعُرضٍ ليسَ تأكُلُهُ الكِلابُ

ومن خطاء الوصف .. قول كعب بن زهير

(ضَخْمٌ مقلّدُها فَعْمٌ مُقَيّدُها) [٢]

لأنّ النجايب توصف بدقة المذبح .. ومن خطاء اللفظ .. قول ذى الرمة

حتَّى اذا الهَيقُ امسى شامَ افرُخَه　　　وهُنّ لَاموِيسُ نأياً ولا كَثَبُ [٣]

---

[١] — البيت من شعر العباس بن يزيد الكندى يهاجى جريراً .. وقبله

اذا غضبت عليك بنو تميم　　　حسبت الناس كلهم غضابا

[٢] — الشطر — صدر بيت من قصيدته المشهورة بانت سعاد فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم .. وعجزه (فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل) .. المقلد — العنق وهو موضع القلادة من النحر — والفعم — الممتلى يقال ساعد فعم وقد فعم فعامة — والمقيد — موضع القيد من رجل الفرس .. ومعنى البيت انه يصفها بعظم العنق والاطراف وتمام الخلقة لانها اذا كانت كذلك قويت على السير واذا اريد هذا المعنى فلا خطاء فى الوصف حينئذ افاده بعض الشراح

[٣] — الهيق — الظليم والانثى هيقة — والكثب — بالثاء المثلثة محركة القرب ضد البعد

لانه لا يقال شام الا فى البرق .. ومن ردى التشبيه .. قول لبيد [١]

فتى يَنْقَعْ صُراخٌ صادقٌ   يُحْلِبُوه ذاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ

فَخْمَةٌ ذَفراءُ تُرْتَى بالعُرا   قُرْدُمانِياً وتَرَكاً كالبصلْ

فشبه البيضة بالبصل وهو بعيد وان كانا يتشابهان من جهة الاستدارة لبعد ما بينهما فى الجنس .. وقول ابى العيال *

ذكرت اخى فعاودنى   صداع الرأسِ والوَصَبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضل لان الصداع لا يكون فى الرجل ولا فى غيرها من الاعضاء .. وفيه وجه آخر من العيب .. وهو ان الذاكر لما قد فات من محبوب .. يوصف بالم القلب واحتراقه لا بالصداع .. وقول اوس بن حجر

وهم لمقلِّ المالِ اولادُ عَلَّةٍ   وان كان محضاً فى العمومةِ مخولا

فقوله المال مع المقل فضل .. وقول عبدالرحمن بن عبدالله الخزرجى *

قِيدَتْ فقد لان حاذاها وَحارِكُها   والقلبُ منها مُطارُ القلبِ مَذْعورُ [٢]

---

[١] — اضطربت نسخ الاصول فى اثبات هذين البيتين رسماً واعرابا .. واكثر النسخ لم يثبت فيهما الا البيت الثانى وقد تتبعت مواد اللسان حتى ظفرت بهما فى مادة ن ق ع ومادة ر ت ى فاثبتهما كما رواها

— قوله ينقع — من نقع الصارخ بصوته اذا رفعه .. وقيل اذا تابعه وادامه — وقوله يحلبوها — بضم ياء المضارعة من حلب والهاء للحرب اى يحلبوها لاجل الحرب وان لم يذكره لان فى الكلام دليلا عليه هكذا المفهوم من عبارة اللسان .. ويروى يحلبوها بفتح ياء المضارعة من احلبوا الحرب اى جمعوا لها متى سمعوا صارخا — الزجل — الجلبة ورفع الصوت

— قوله الدفراء — من الدفر قال ابن سيده هو بالدال المهملة فى النتن خاصة وفى بعض النسخ واحدى روايتى اللسان بالذال المعجمة وهو سهك صدأ الحديد فى احد معانيه وقال ابن الاعرابى هو النتن — وقوله — ترتى — من الرتو وذلك الشد — والقردمانية — الدروع الغليظة .. قال ابن الاعرابى اراه فارسية .. وحكى فى اللسان عن بعضهم اذا كان للبيضة مغفر فهى قردمانية .. قال وهذا هو الصحيح لانه قال بعد البيت

احكم الجنثى من عوراتها   كل حرباء اذا اكره صل

[٢] — الحاذان — ما وقع عليه الذنب من ادبار الفخذين قال فى اللسان ونقل عن ابن سيده .. قال الحاذ موضع اللبد من ظهر الفرس والحاذان ما استقبلك من فخذى الدابة اذا استدبرتها — والحارك — اعلى الكاهل .. وقيل فرعه .. وقيل هو منبت ادنى العرف الى الظهر الذى يأخذ به الفارس اذا ركب .. وقيل هو عظم مشرف من جانبى الكاهل اكتنفه فرعا الكتفين

فما سمعنا باعجب من قوله — فالقلب منها مطار القلب — وقول الآخر

الا حَبَّذا هِنْدٌ وارضٌ بها هِنْدُ وهندٌ اتى من دُونها النأْىُ والبُعْدُ

فقوله — النأى مع البعد فضل — وان كان قد جآء من هذا الجنس فى كلامهم كثير.. والبيت فى نفسه بادر .. ومن عيوب اللفظ ارتكاب الضرورات فيه كما .. قال المتلمس

إن تَسْلُكِي سُبُلَ المَوْمَاةِ منجدةً ماعاش عمرو وما عُمِّرَتَ قابوسُ [١]

اراد وما عمرّ قابوس .. وقول الاعشى حكاه بعض الادبآء وعابه

من القاصراتِ سُجُوفَ الحِجَالِ لم ترَ شمساً ولا زَمْهَرِيَرا

قال لاتوضع الشمس مع الزمهرير .. قال وكان يجب ان يقول — لم تر شمسا ولاقرا — ولم يصبها حرّ ولاقر — وقد اخطاء لان القرأن قد جآء فيه موضع هاتين اللفظتين معا ،،

ومن المطابقة ان يتقارب التضادد دون تصريحه و هذا كثير فى كلامهم .. وقد اوردناه فى باب الطباق .. وكقول علقمة

يَحْمِلْنَ اتْرُجَةً نَضْحُ العبير بها كأنَّ تطيابها فى الأنف مَشْمُومُ

و التطياب هاهنا على غاية السماجة .. والطيب ايضاً مشموم لا محالة فقوله كانه مشموم هجنة .. وقوله فى الانف اهجن لان الشم لايكون بالعين .. وقول عامر بن الطفيل *

تَناوَلْتهُ فاحتل سيفى ذُبَابُه شراسيفَهُ العُليا وجدالمَعَاصِما [٢]

وهذا البيت على غاية التكلف .. وقول خفاف بن ندبة *

إن تُعْرضى وتَضِنّى بالنوالِ لنا تُواصلين اذا واصلْتِ امثالى

وكان ينبغى ان يقول — ان تضنى بالنوال علينا — على ان البيت كله مضطرب النسج .. وقول الحطيئه *

---

[١] — الموماة — المفازة الواسعة الملساء .. وقيل التى لاماء بها ولا انيس قاله فى اللسان وقال هى جماع اسماء الفلوات — وعمرو .. وقابوس — هما ابنا المنذر بن ماء السماء .. والبيت فى التهذيب لابن السكيت هكذا

لن تسلكى سبل البوباة منجدة ما عشت عمرو وما عمرت قابوس

قال — البوباة — ثنية فى طريق نجد ينحدر صاحبها الى العراق

[٢] — ذبابة السيف — طرفه الذى يضرب به — والشراسيف — واحده شرسوف وهو الغضروف المعلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف .. وقال الاصمعى الشراسيف اطراف اضلاع الصدر التى تشرف على البطن .. وهكذا حكاه فى اللسان عن ابن الاعرابى

صفوف وماذيّ الحديد عليهم و بيض كأولاد النعام كثيف [١]

جعل بيض النعام اولادها .. ومن عيوب اللفظ استعماله فى غير موضعه المستعمل فيه وحمله على غير وجهه المعروف به .. كقول ذى الرمة

تَغارُ اذا ماالروعُ ابدى عن البرى و يقرى عبيط اللحم و الماء جامس [٢]

لايقال ماء جامس .. وانما يقال ودك جامس .. وقول جرير

لمـا تذكرتُ بالدّيرين ارّقنى صوتُ الدجاج وقَرْعٌ بالنوَاقِيسِ

قالوا لايكون التأريق الا اول الليل — والدجاج — الديكة هاهنا .. وقول عدى بن زيد فى الفرس — فارهاً متابعاً — لايقال فرس فاره .. انما يقال بغل فاره .. وقول النابغة

رِقَاقُ النِعَال طيبٌ حُجُزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب [٣]

يمدح بذلك ملوكا بانهم يحيون بالريحان يوم السباسب .. و يوم السباسب يوم عيد لهم .. ومثل هذا لايمدح به السوقة فضلا عن الملوك .. ومنه قوله فيهم

و اكسية الاضريج فوق المشاجب [٤]

جعل لهم اكسية حمرا يضعونها على مشاجب .. فترى لو كان لهم ديباج اين كانوا يضعونه .. وليس هذا مما يمدح به الملوك .. ومن الردئ ايضا .. قول امرئ القيس [٥]

أرانا موضعين لأمرِ غيبٍ و نسحر بالطعام وبالشراب

عصافيرٌ و ذبان و دود و اجرأُ من مجلّحة الذئاب

---

[١] — الماذى — قال فى اللسان .. هو الحديد كله الدرع والمغفر والسلاح اجمع

[٢] — البرى — مثل الورى لفظا ومعنى — والجامس — الجامد .. والبيت فى غير نسخ الاصول هكذا (تغار اذا ماالروع ابدى عن البرى وتقرى عبيط اللحم والماء جامس) والعائب له الاصمعى .. وقد سقط فى اكثر النسخ صدر البيت

[٣] — الحجزة — الوسط قاله القتيبي .. وقال غيره كنى بالحجزات عن الفروج يقول هم اعفاء الفروج ويقال فلان طيب الحجزة اذا كان عفيف الفرج — ويوم السباسب — يوم السعانين وهو يوم عيد للنصارى وكان الممدوح نصرانيا

[٤] — المشاجب — جمع مشجب وهو عود ينشر عليه الثوب .. وصدر البيت كما فى ديوانه

يحييهم بيض الولائد بينهم . . . .

قال الاصمعى فى معنى البيت .. هم ملوك اهل نعمة فتخدمهم الاماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الاعواد

[٥] — موضعين — من الايضاع ضرب من السير — واجرأ — اسرع — والمجلحة — المصممة .. وفى نسخة بدل — لأمر غيب — لحتم غيب

هذا وان لم يكن مستحيلا .. فهو على غاية القباحة فى اللفظ وسؤ التمثيل .. و قول بشر

على كل ذى مَيْعةٍ سابح　　　يقطع ذُوابْهرَيْه الحِزاما [١]

وانما له ابهر واحد .. ومن الابيات العارية الخربة من المعانى .. قول جرير للأخطل

قال الأُخَيْطِل اذ رأى راياتكم　　　يامار سرجسَ لا اريدُ قتالا

و من المتناقض .. قول عروة بن اذينة *

نزلوا ثلاث منىً بمنزل غبطة　　　وهمُ على غرضٍ لعمرك ماهمُ

متجاورين بغير دار اقامة　　　لو قد اجدّ رحيلهم لم يندموا

فقال — لبثوا فى دار غبطة — ثم قال — لو رحلوا لم يندموا .. ومثله قول جرير

فلم أرَ داراً مثلها دار غبطةٍ　　　وملقىً اذا التفّ الحجيج بمجمع

اقلّ مقيما راضيا بمُقامه　　　واكثر جاراً ظاعناً لم يودّع

وهل يغتبط عاقل بمكان من لا يرضى به .. وقول جميل *

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما　　　قتيلا بكى من حبّ قاتله مثلى [٢]

فلو تركتْ عقلى معى ماطلبتها　　　ولكن طلابيها لِمافات من عقلى

زعم انه يهواها لذهاب عقله ولو كان عاقلا ما هويها .. والجيد .. قول الآخر

وماسرنى انى خلىّ من الهوى　　　ولو انّ لى من بين شرق الى غربِ

فان كان هذا الحب ذنبى اليكم　　　فلا غفر الرحمن ذلك من ذنبِ

وقول الاخر

احَبِبْتُ قلبىَ لمّا احبّكمُ　　　وصار رأى لرأيه تبَعا

ورُبّ قلب يقول صاحبُه　　　تبّاً لقلبى فبئس ما صنَعا

والجيد فى هذا المعنى .. قول البحترى

ويعجُبنى فَقرى اليكَ ولم يكُنْ　　　ليعجُبنى لولا محبتكَ الفقرُ

[١] — الميعة — من الفرس اول جريه ونشاطه .. وقيل الميعة من كل شئ معظمه
[٢] — نسخة — قبلى

وقول العرجى *

من ذكر ليلى واىّ الارض ماسكنتْ ليـلى .فانى بتلك الارض مُحْتَبِسُ

ومنه

مثل الضـفادع نقاقون وحدهم اذا خلوا و اذا لاقيتهم خُرُسُ

و قال ابن داود .. من التشبيه الذى لايقع ابرد منه .. قول ابى الشيص *

وناعسٍ لو نُذوقُ الحبَّ مانعسا بلى عَسىٰ ان يرى طيف الحبيب عسىٰ

وللهـوى جرس ينفى الرُقاد به فكلما كدتُ أُغفِى حرّك الجرَسـا

وقول الاخر

انّ قلبى سُلّ من غير مَرَضْ[١] وفوادى من جوى الحُبّ غرِضْ

كجرابٍ كان فيـه جُـبُن دخل الفـار عليـه فَقرضْ

وقال عبدالملك يوماً لجلسائه .. اعلمتم ان الاحوص * احمق لقوله

فما بَيْضَةٌ بات الظليم يحفهـا ويجعلها بين الجناح وحوصلَهْ

باحسن منهـا يوم قالتْ تدللا تبدّلْ خـليلى اننى متبَدّلَهْ

فما اعجبه وهى تقول هذه المقالة .. والجيد قول ابى تمام

لاشئَ احسن مِنْهُ لَيلةَ وصلِهِ وقدْ اتّخذتُ مخـدةً من خدّه

وانشد عبدالملك .. قول نصيب

اهيم بدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فانْ اَمُتْ فواحزنا مِمّنْ يهيم بهـا بعدى

فقال بعض من حضر.. اسآء القول..ايحزن لمن يهيم بها بعده .. فقال عبدالملك فلوكنت قائلاً ماكنت تقول .. فقال

اهيم بدعد ما حييت فان امت اوَكّلْ بدعدٍ من يهيم بها بعدى

فقال عبدالملك .. انت والله اسؤا قولا .. اتوكل من يهيم بها .. ثم قال الجيّد

اهيمُ بدعد ماحييتُ فان امتْ فلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لذى خلّة بعدى

[١] ــ نسخة ــ ان جسمى .. بدل قوله ان قلبى

واخذ الاصمعى على الشماخ * قوله

رحى حَيْزُومِها كرحىَ الطحين [١]

وقال السعدانة[٢] توصف بالصغر .. فقال من احتج للشماخ.. انما شبهها بالرحى لصلابتها كما قال

قلايص يطحنّ الحصى بالكراكر [٣]

و من المعيب .. قول عمر بن ابى ربيعة * هذا

اومت بكفيها من الهودج　　لولاك فى ذا العام لم احجُجِ

انت الى مكة اخرجتنى　　حبًا ولولا انت لم اخرُجِ

لا ينبئ الايمآء عن هذه المعانى كلها .. ونحوه قوله المثقب * العبدى

تقولُ اذا درأت لها وضينى[٤]　　اهذا دينُه ابداً و دينى

اكل الدهر حل و ارتحال　　اما تبقى على ولا تقينى

والذى يقارب الصواب .. قول عنترة

فازورّ من وقع القنا بلبانه　　وشكا الىّ بعبرة و تحمحم

لوكان يدرى ماالمحاورة اشتكى　　ولكان لوعلم الكلام مكلمى

ومن النسيب الردى .. قول نصيب

فان تصلى اصلك وان تعودى　　لهجر بعد وصلك لا ابالى

ومن ذلك ان التجلد من العاشق مذموم .. وفى خلاف ذلك .. قول زهير

---

[١] ــ الرحى ــ الاولى كركرة البعير والناقة بالكسر اى زور البعير الذى اذا برك اصاب الارض وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة .. وقيل هى الصدر من كل ذى خف ــ والحيزوم ــ الصدر وقيل الوسط وصدر البيت كما فى اللسان (فنعم المترى ركدت اليه)

[٢] ــ السعدانة ــ هى الرحى المفسرة بالكركرة من البعير والناقة ..

[٣] ــ القلاص ــ جمع قلوصا وهى الفتية من الابل وزاد فى التهذيب الطويلة القوائم واللتى لم تجسم بعد

[٤] ــ الوضين ــ بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير .. قال الجوهرى الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والتصدير للرحل والحزام للسرج .. وحكى فى اللسان عن ابن بجلة لا يكون الوضين الا من جلد .. وجاء فى بعض النسخ (اهذا دأبه ابدا وذينى) اى ودأبى

لَقَدْ بالَيْتُ مَظْعَن اُمّ اوفىٰ ولكنْ اُمّ اَوْفىٰ لاتُبَالى

وقول عمر بن ابى ربيعة *

قالت لهـا اُختهـا تُعاتِبها لاتُفْسِدن الطواف فى عُمَرِ

قومِى تصـدّى له ليبصرنا ثم اغمزيه يَااُختِ فى خَفَرِ [١]

قالت لها قـد غمزته فأبى ثم اسـبكرّت تَشُدُّ فى اثَرى [٢]

فشبب بنفسه ووصفها بالقحة وناقض فى حكايته عن صاحبتها فذكر نهيها اياها عن افساد الطواف فيه .. ثم انها قالت لها قومى انظرى .. ومما جاء فى ذلك من اشعار المحدثين .. قول بشار *

انّما عظم سليمى حبّتى قصب السكر لاعظم الجمل

واذا ادنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

وقوله وبعض الجرد خنزير

ومن المعانى البشعة .. قول ابى نواس

يا احمد المرتجى فى كل نائبة قم سيدى نعص جبار السموات

فهذا مع كفره ممقوت .. وكذا قوله

لو اكثر التسبيح ما نجّاه

وقوله مَن رسول الله مِن نفَره

وقد تبع فى هذا القول .. حسان بن ثابت * فى قوله

اكرم بقومِ رسول الله شيعتهم اذا تفرقت الاهوآء والشيع

والخطأ من كل واحد خطا .. وقول ابى نواس ايضاً

واحبُ قريشا لحب احمدها

وقوله

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خَلْقاً وخُلقاً كما قُدّ الشراكان

---

[١] — الخفر — شدة الحياء

[٢] — المسبكر — المسترسل وقيل المعتدل وقيل المنقب والموافق للمعنى هنا الاول

فزعم ان ابن زبيدة مثل رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم فى خلقه و خلقه .. و مثل ذلك قول أبى الخلال فى يزيد بن معاوية *

يا أيها الميتُ بحوّارينا　　انك خيرالناس اجمعينا

وقول ابى العتاهية

غنيت عن الوصل القديم غنيتا　　وضيّعت ودّا كان لى و نسيتا

ومن اعجب الاشياء ان مات مألفى　　و من كنت ترعانى له و بقيتا

تجاهلت عما كنت تحسن وصفه　　ومتّ عن الاحسان حين حييتا

وليس من العجب ان يموت انسان و يبقى بعده انسان آخر بل هذه عادة الدنيا والمعهود من امرها .. ولوقال — من ظلم الايام — كان المعنى مستويا .. وسمعت بعض العلماء يقول ومن المعانى الباردة .. قول ابى نواس فى صفة البازى

فى هامة عَلْيَاءَ تُهدى مَنْسَرَا　　كعطفة الجيم بكفّ اعسرا

فهذا جيد مليح مستوفى .. ثم قال

يقول من فيها بعقل فكرّا　　لو زادها عيناً الى فآءٍ ورا

فاتصلت بالجيم صار جعفرا

فمن يجهل ان الجيم اذا اضيف اليها العين والفاء والرآء تصير جعفرا .. و سوآء قال هذا .. اوقال

لو زادها حآء الى دالٍ ورا　　فاتصلت بالجيم صار جحدرا

وما يدخل فى صفة البازى من هذا القول .. وتبعه ابوتمام فقال

هنّ الحَمام فان كسرتَ عِيافة　　من حائهنّ فانهنّ حِمام

فمن ذا الذى جهل ان الحمام اذا كسرت حاؤها صارت حماماً .. وانما اراد ابو نواس انه يشبه الجيم لايغادر من شبهها شيئاً .. حتى لو زدت عليها هذه الاحرف صارت جعفرا لشدة شبهها به .. وهوعندى صواب الا انه لو اكتفى بقوله — كعطفة الجيم بكف اعسرا — ولم يزد الزيادة التى بعدها كان اجود وارشق وادخل فى مذاهب الفصحاء واشبه بالشعر القديم ،،

واما قول ابى تمام فله معنى خلاف ما ذكره و ذلك انه اراد انك اذا اردت الزجر و العيافة اداك الحمام الى الحمام كما ان صوتها الذى يظن انه بكاء انما هو طرب و يؤديك

الى البكاء الحقيق .. وهذا المعنى صحيح .. الا ان المعنى اذا صار بهذه المنزلة من الدقة كان كالمعمّى .. والتعمية حيث يراد البيان عيّ .. ومن عيوب المعنى .. قول ابى نواس فى صفة الاسد

كانّما عينه اذا نظرت　　　بارزة الجفن عينُ مخنوق

فوصف عين الاسد بالجحوظ .. وهى توصف بالغؤور .. كما قال الراجز

كانما ينظر من خرقِ حجرْ

وكقول ابى زبيد *

كان عينيه فى وقبين من حجرٍ　　　قيضَا اقتياضاً باطرافِ المَناقيرِ [١]

وقوله ايضاً

وعَينْان كالوَقبَيْنِ فى قلب صخرة　　　يُرى فيهما كالجمرتين تسعّر

وانشد مروان بن ابى حفصة * عمارة بن عقيل * بيته فى المأمون *

أضحى إمامُ الهُدى المأمونُ مشتغلاً　　　بالدّينِ والناس بالدُنْيا مشاغيلُ

فقال له .. مازدته على ان وصفته بصفة عجوز فى يدها مسباحها فهلا قلت.. كما قال جدى* فى عمر بن عبد العزيز *

فلا هو فى الدنيا مُضيعٌ نصيبَه　　　ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغله

ومن الغلط .. قول ابى تمام

رقيق حَواشِى الحلم لَوآنّ حلمُهُ　　　بكفيك مَامَارَيْتَ فى انه بُرْدُ

وما وصف احد من اهل الجاهلية ولا اهل الاسلام الحلم بالرقة .. وانما يوصفونه بالرجحان والرزانة .. كما قال النابغة

واعظَمُ اَحْلاماً واكبر سيداً　　　وافضل مشفوعاً اليْه وشافعَا

---

[١] — الوقب — فى الحجر نقرة يجتمع فيها الماء — وقوله قيضا — الألف للتثنية اى شقتا بتقعر — والمناقير — واحده منقار وهى حديدة كالفأس ينقر بها الحجر وغيره

وقال الاخطل [١]

صم عن الجهل عن قيل الخنا خرس ... وان ألمّت بهم مكروهة صبروا

شُمُس العداوة حتى يستقادَ لهم ... واعظمُ الناس احلاما اذا قدروا

وقال ابو ذؤيب

وصبرٌ على حَدث النائبا ... ت وحلم رزين وعقل ذكِيّ

وقال عدى بن الرقاع

اَبتْ لكم مواطِنَ طيّبات ... و احلام لكم تزن الجِبَالاَ

وقال الفرزدق

إنّا لتُوزن بالجبال حُلوُمنا ... ويزيد جَاهِلُنا على الجُهّالِ

ومثل هذا كثير .. واذا ذموا الرجل .. قالوا خف حلمه و طاش .. كما قال عياض * بن كثير الضبى

تنابلةٌ سود خفافٌ حلُومُهم ... وذونيرب في الحى يغدوا ويطرِقُ [٢]

وقال عقبة بن هبيرة * الاسدى [٣]

اَبنُوا المُغيرةِ مثلُ آل خُوَيلِدٍ ... يالِ الرجال لخِفّة الأَحْلامِ

---

[١] — البيت الاول — جاء فى بعض النسخ زائدا كما اثبتناه .. وقد اورده ابو تمام فى كتابه المناقضات بين الاخطل وجرير هكذا

حشد على الحق عن قول الخنا خرس ... وان الم بهم مكروهة صبروا

(ثم اورد بعده) لا يستقل ذووالاضغان حربهم ... ولا يبين فى عيد انهم خور

وان تدجت على الآفاق مظلمة ... كان لهم مخرج منها ومعتصر

ثم بيت الشاهد .. و قال فى تفسيره له — شمس — يشمسون على اعدائهم حتى يذلوهم فاذا اطيعوا واستسلم لهم فهم اعظم الناس احلاما اذا قدروا على من بغى عليهم

[٢] — تنابلة — واحده تنبال وذلك الرجل القصير ومثله التنبل — والنيرب — الشر والنميمة ونيرب الرجل سعى بالشر ونم ولا تحذف ياؤه لانها واسطة بين النون والراء .. والبيت هكذا ورد فى نسخ الاصول .. وجاء فى كتاب الموازنة

قبائله سود خفاف حلومهم ... ذوونيرب فى الحى يغدوا ويطرق

[٣] — الذى فى الموازنة منسوبا لعقبة المذكور .. قوله هذا

كان جرادة صفراء طارت ... باحلام الغواضر اجمعينا

لابل احسبنى سمعت بيتا لبعض المحدثين يصف فيه الحلم بالرقة و ليس بالمختار .. و من خطئه ايضا قوله [١]

من الهيف لوانّ الخلاخلَ صيرت لها وُشُحاً جالت عليها الخلاخل

ولو قال نُطُقاً لكان حسناً وهذا خطأ كبير وذلك ان الخلخال قدره فى السعة معروف .. ولو صار وشاحاً للمرأة لكانت المرأة فى غاية الدمامة والقصر حتى هى فى خلقة الجرد والبهرة ولو قال — حقبا — لكان جيد .. كما قال النمرى *

ولَوْ قست يوماً حجلها بحقابها لكانا سوآءً لابل الحجل اوسع

فجعل الحجل اوسع من الحقاب لان امتلآء الاسوق محمود ودقة الخصور ممدوح والجيد فى ذكر الوشاح .. قول ذى الرمة

عجزآء ممكورة خُمْصانة قلق عنها الوشاحُ وتم الجسم والقَصَبُ [٢]

وقال ابن مقبل *

وقد دقّ منها الخصر حتّى وشاحُها يجول وقد عمّ الخلاخيل والقلبَ [٣]

وقال طرفة

وملئ السوار مع الدُملُجين و امّا الوشاح عليها فجالا

وقال كثير

يجول الوشاح بأقرابها وتأبى خلاخلها ان تجولا

---

[١] — القائل ابو تمام — و جاء فى الموازنة بدل — صيرت — صورت .. و فى بعض النسخ بدل الخلاخل الاولى .. الخلاخيل

[٢] — العجزاء — العظيمة العجز — والممكورة — المجدولة — والخمصانة — الضامرة البطن — والقلق — الاضطراب عن ضيق اوسعة — والوشاح — القلادة هكذا فى الجمهرة وفى الموازنة .. الوشاح هو ما تقلده المرأة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى الى العجب وتلتقى طرفاه على الكشح الايسر فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرجل .. وهذا هو الصواب و وصفه بالقلق ليدل على دقة الخصر وضمور البطن — والقصب — بالفتح كما هنا ثياب رقاق ناعمة تتخذ من الكتان .. وكل عظم مستديرا جوف ولعله المراد فى البيت على ما يظهر من قوله وتم الجسم

[٣] — القلب — السوار .. والبيت فى الموازنة هكذا

ومن دق منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عم الخلاخيل والقلبا

ومن الخطاء قوله — اى ابو تمام —

قسم الزمان ربوعها بين الصبا　　　وقبولَها ودبورَها اثلاثا

والصبا هى القبول .. اخبرنا ابو احمد .. قال اخبرنا ابو بكر بن دريد عن ابى حاتم * عن الاصمعى قال .. مهب الجنوب من مطلع سهيل الى طرف جناح الفجر ومايقابل ذلك من ناحية المغرب فهى الشمال ومايجئ من ورآء البيت الحرام فهى دبور ومايقابل ذلك فهى القبول .. والقبول والصبا واحدة .. والجيد ماقال البحترى

متروكة للريح بين شمالها　　　وجنوبها ودبورها وقبولها

واما قوله

شنئيتُ الصبا إذْ قيل وجَّهْنَ قصدها　　　وعاديتُ من بين الرياح قبولَها

فانما يعنى شنئت هذين الاسمين .. لان حمول الظاعنين توجهت نحوها .. ومن الخطاء .. قول ابى المعتصم *

كأنما أربعه اذا تناهبن الثرى　　　ريح القبول والدبور والشمال والصبا

ومن الخطاء قوله — اى ابو تمام —

الودّ للقربى ولكن عرفه　　　للابعد الاوطان دون الاقرب

ولااعرف لما حرم اقارب هذا الممدوح عرفه وصيره للابعدين فنقصه الفضل فى صلة الرحم واذا لم يكن مع الود نفع لم يعتدّ به .. قال الاعشى

بانت وقد أسأرت فى النفس حاجتُها　　　بعد ائيلاف وخيرُ الود مانفعا

وقال المقنع *

جَعَلْتُ لهم منى مع الصِّلَةِ الوُدَّا [١]

وقد اغرى ابو تمام بهذا القول اقرباء الممدوح لانهم اذا رأوا عرفه يفيض فى الابعدين ويقصر عنهم ابغضوه وذموه .. وقد ذم الشاعر الطريقة التى يمدح بها ابو تمام .. فقال

كمرضِعَةٍ اولادَ أُخرىٰ وضيَّعتْ　　　بنيها فلم تَرْقَعْ بذلك مَرْقَعا

[١] — صدر البيت كما فى الموازنة . (اذا جمعوا صرمى معاً وقطيعتى)

وقال آخر — وهو ابن هرمة —

كتاركةٍ بَيْضَها بالعرآءِ ومُلبِسَةٍ بيض أخرى جَنَاحا

وقال ابو دؤادالايادى

اذا كنتَ مُرْتادَ الرِجالِ لِنَفعِهم فَرِش واصطَنِعْ عندالذين بهم تَرْمى

وقال آخر

واذا اصبت من النوافل رغبةً فامنح عشيرتك الادانى فضلها

وذمّ قديماً المذهب الذى ذهب اليه ابوتمام .. مسافرالعبشمى * فقال

تَمُدُّ الى الاقصى بثديك كلّهِ وانت على الادنى صرور مُجَدَّدُ [١]

فإنّك لَوْ اصْلَحتَ من انت مفسد توَدّدك الاقصى الذى تتودد

وقال المسيب بن علس

من الناس من يَصِلُ الأبعدِينَ ويَشْقَى به الاقرَبُ الاقربُ

وقال الحارث * بن كلدة

من الناس من يغشى الاباعد نفعه ويشـقى به حتّى الممات اقاربه

وقد ذهب البحترى مذهب ابى تمام .. فقال

بل كان اقربُهم من سـيبه سبباً من كان ابعدَهم من جذمه رحما

الا انه لم يخرجهم من معروفه وان كان قد دخل تحت الاساءة والجيد .. قوله

ظل فيـه البعيـد مثل القريـ ـب المجتبى والعدوّ مثل الصديقِ

وقوله ايضا

ما ان يزال الندى يدنى اليه يداً ممتاحـة من بعيدالدار والرّحم

ومن الخطاء .. قوله

ورحب صَدْرٍ لوانَّ الارض واسِعَة كوسْعِهِ لم يَضِق عن اهلهِ بلدُ

وذلك ان البلدان التى تضيق باهلها لم تضق باهلها لضيق الارض .. ومن اختط البلدان لم يختطها على قدر ضيق الارض وسعتها .. وانما اختطت على حسب الاتفاق .. ولعل المسكون منها

[١] — الصرور — الضيق حلة الثدى — والمجدد — الذى قد انقطع لبنه

لايكون جزاء من الف جزء فلاى معنى تصييره ضيق البلدان الضيقة من اجل ضيق الارض .. والصواب ان يقول — ورحب صدرلو ان الارض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك اولضاقت عنها السماء — اويقول — لوان سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن اهله بلد .. والجيد فى هذا المعنى .. قول البحترى

مَفازَةُ صَدْرٍ لو تطرّقَ لَمْ يكنْ   ليسلكها فرداً سليكُ المقانبِ [١]

اى لم يكن ليسلكها الابد ليل لسعتها .. على ان قوله مفازة صدر استعارة بعيدة .. ومن الخطاء .. قول ابى تمام

سأحمدُ نَصْراً ماحييتُ وانى   لأعلم اَنْ قَدْ جلَّ نصْرٌ عن الحمدِ

وقد رفع الممدوح عن الحمد الذى رضيه الله جلّ وعزّ لنفسه . وندب عباده لذكره . ونسبه اليه . وافتتح به كتابه .. وقد قال الاول — الزيادة فى الحد نقصان — ولم نعرف احدا رفع احداً عن الحمد . ولا من استقل الحمد للممدوح .. قال زهير بن ابى سلمى

متصرّف للحمدِ معترفٌ   لِلْرزْءِ نهاضٌ الى الذكرِ [٢]

وقال الاعشى

ولكنْ على الحمدِ انفاقهُ   وقد يشتريهِ باغلى ثَمَنْ

وقال الحطيئه

ومن يُعْطَ أثمان المحامِدِ يُحْمَدِ

وقالت الخنساء *

ترى الحَمْدَ يَهْوِى الى بَيْتِهِ   يرى افضل المجدِ ان يحمدا

والجيّد .. قول البحترى

لَوْ جَلّ خلقٌ قطّ عنْ اكرومَةٍ   تُثْنِى جَلَلْتَ عنِ النّدىٰ والباسِ

ومن الخطاء .. قوله

---

[١] — المقانب — واحده مقنب بالكسر جماعة الخيل والفرسان .. والبيت فى الموازنة هكذا

مفازة صدر لم تطرق ولم يكن   ليسلكها برداً سليك المقانب

[٢] — قوله للحمد — هكذا فى الاصول .. والذى فى الموازنة — متصرف للحجد — وكتب تحته .. اى حيث مارأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها

ظعنوا فكان بُكاىَ حَوْلاً بعدهم ثم ارعويتُ و ذاك حكم لَبيدِ
اجدز بجَمْرةٍ لوعةٍ اطفاؤها بالدمع ان تزدَاد طول وقودِ

هذا خلاف مايعرفه الناس .. لانهم قد اجمعوا .. انّ البكاء يطفى الغليل . ويبرد حرارة المحزون . ويزيل شدةالوجد ،، وذكروا انّ امرأة مات ولدها فامسكت نفسها عن البكاء صبرا واحتسابا فخرج الدم من ثدييهـا وذلك لما ورد عليها من شدة الحزن مع الامتناع من البكاء .. وقدشهد ابوتمام بصحة ماذكرناه وخالف قوله الاول .. فقال

نثرت فريدَ مدامعٍ لم تنتظم والدمع يحمل بعض ثِقْل المغرم

وقال

واقع بالخدود والبرد منه واقع بالقلوب والاكباد

وقال امرؤالقيس

وانّ شفاءى عبرة مُهَرَاقة فهل عند رسم دارس من معوّل

اخبرنا ابواحمد قال اخبرنا الانبارى * قال حدثنا محمد بن المرزبان * قال حدثنا حماد * ابن اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنـا محمـد بن كناسـة * قال .. قال ابوبكر بن عياش * كنت واناشاب اذا اصابتنى مصيبة لاابكى فيحترق جوفى فرأيت اعرابيا بالكناس على ناقة له والناس حوله وهو ينشد

خليلىّ عوجا من صدورالرواحل ببرقة حُزْوى فابكيـا فى المنـازل
لعلّ انحدارَ الدمع يعقب راحـة من الوجد اويشفى نجىّ البـلابل

فسئالت عن الاعرابى .. فقيل هو ذوالرمة .. فكنت بعـد ذلك .. اذا اصـابتنى مصيبة بكيت فاشتفيت .. فقلت قاتل الله الاعرابى ماكان ابصره .. وقال الفرزدق

فقلت لهـا انّ البُكاء لراحةٌ به يشتفى من ظن ان لاتلاقيا

وقد تبعه البحترى على اساءته .. فقال

فعلامَ فَيْضَ مدامعٍ تَدِقُ الجوىَ وعذابَ قَلْبٍ فى الحسَانِ مُعَذّبِ

ـــ تدق ـــ من الوديقة .. وهى الهـاجرة لدنوالحرفيها .. والودق اصله الدنو .. يقـال

اتان وديق اذا دنت من الفحل — والودق — القطر لدنوه من الارض بعد انحلاله من السحاب .. والخطاء الفاحش له .. قوله — اى ابو تمام —

رضيتُ وهَلْ ارضى إذا كانَ مُسْخِطِي من الأمرِ مَا فيهِ رضِىَ مَنْ لهُ الأمْرُ

والمعنى لست ارضى اذا كان الذى يسخطنى هو الذى يرضاه الله عز وجل .. لان هل تقرير لفعل ينفيه عن نفسه .. كما تقول — هل يمكننى المقام — وهل آتى بما تكره — معناه لايمكننى المقام .. ومعنى قوله هل ارضى اذا كان مسخطى .. اى لا ارضى .. ومن الخطاء قوله

ويوم كطول الدهر فى عرض مثله ووجدى من هذا وهذاك اطول

قد استعمل الناس الطول والعرض فيما ليس له استعمالاً مخصوصاً .. كقول كثير

أنتَ ابن فرعَىْ قريش لو تُقَايسها فى المَجْدِ صَار اليك العرض والطولُ

اى صار اليك المجد بتمامه .. وقول كثير ايضا

بَطَاحيٌّ له نسبٌ مُصَفّى واخلاقٌ لها عرضٌ وطولُ

فعلى هذا استعمل هذان اللفظان .. وقالوا هذا الشئ فى طول ذلك وعرضه اذا كان مماثلاً طوله وعرضه .. ولايستعمل فيما ليس له طول وعرض على الحقيقة .. ولايجوز مخالفة الاستعمال البتة .. وكان ابو تمام قد استوفى المعنى فى قوله — كطول الدهر — ولم يكن به حاجة الى ذكر العرض .. ومن الخطأ قول البحترى ورواه لنا ابو احمد عن ابن عامر * لابى تمام والصحيح انه للبحترى

بَدَتْ صُفْرَةٌ فى لونه انّ حمدهم من الدر ما اصفرّتْ حواشيه فى العِقْدِ

وانما يوصف الدر بشدة البياض .. واذا اريد المبالغة فى وصفه وصف بالنصوع .. ومن اعيب عيوبه الصفرة .. وقالوا — كوكب درى — لبياضه .. واذا اصفر احتيل فى ازالة صفرته ليتضوأ .. واستعمال الحواشى فى الدر ايضا خطاء .. ولوقال نواحيه لكان اجود والحاشية للبرد والثوب فاما حاشية الدر فغير معروف .. وفيها

وجرّتْ على الايدى مجسّة جسمه كذلك موج البحر مُلتَهِبُ الوقْدِ

وهذا غلط لان البحر غير ملتهب الموج ولامتقد الماء .. ولوكان متقداً اوملتهبا لما امكن ركوبه وانما اراد ان يعظم امر الممدوح فجاء بما لايعرف .. وفيها

ولست تَرى شوكَ القتادةِ خائفا　　سمُومَ رياحِ القادِحاتِ من الزَّنْدِ

وهذا خطاء لانه شبه العليل بشوك القتاد على صلابته على شدة العلة وزعم ان شوك القتاد لايخاف النار التى تقدح بالزناد .. وقد علمنا ان النار تفلق الصخر وتلين الحديد .. فكيف يسلم منها القتاد وليس لذكر السموم والرياح ايضا فى هذا البيت فايدة ولا موقع ،، ولما مات المتوكل * انشد رجل جماعة

ماتَ الخليفةُ ايُّهَا الثَّقَلانِ

فقالوا جيد نعى الخليفة الى الجن والانس فى نصف بيت .. فقال

فكأنى أفطرتُ فى رمضان

فضحكوا منه،، ونوردها هنا جملة تتم بها معانى هذا الباب.. ينبغى ان تعرف ان اجود الوصف ما يستوعب اكثر معانى الموصوف حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك وذلك مثل .. قول الشماخ فى نبالة

خَلَتْ غَيْرَ آثارِ الأَراجيلِ تَرْتَمِى　　تَقَعْقَعُ فى الأَباطِ منهـا وِفَاضُهَا

فهذا البيت يصور لك هرولة الرجالة و وفاضها فى آباطهـا تتقعقع — والوفاض — جمع وفضة وهى الجعبة .. وقول يزيد بن عمرو * الطائى

الامن رأى قومى كان رجالهم　　نخيل اتاها عاضـد فأما لها

فهذا التشبيه كأنه يصور لك القتلى مصرعين .. وقال العتابى * فى السحاب

والغيم كالثوب فى الآفاق مُنْتَشِرٌ　　مِنْ فوقه طبق من تحتـه طبقُ

تظنـه مُصْمِتاً لافتقَ فيـه فأنْ　　سَالَتْ عزاليهِ قُلْتَ الثوب منفتِقُ

ان معمعَ الرعـد فيه قلت منخرق　　اَوْ لالأ البرق فيـه قُلْتَ محترقُ

و ينبغى ان يكون التشبيب .. دالا على شدة الصبابة. وافراط الوجد . والتهالك فى الصبوة.. ويكون بريا . من دلائل الخشونة والجلادة . وامارات الاباء والعزة .. ومن امثلة ذلك.. قول ابى الشيص *

وقفَ الهوى بي حيثُ انت فليس لى | متــأخّرٌ عنــهُ ولا متقــدّمُ
اجدُ الملامــة فى هواكَ لذيذة | حبًّا لذكـرك فليلُمنى اللُــوّمُ
اشبهتَ اعــدائى فصرت احبهم | اذ كانَ حظى منــك حظى منهمْ
واهنتَنى فاهنتُ نفسى صــاغراً | مَامَنْ يهُون عليــك ممن أُكرِمُ

فهذا غاية التهــالك فى الحب . و نهاية الطاعة للمحبوب . . ويستجاد التشبيب ايضــا اذا تضمن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الاحبة . بهبوب الرياح . ولمع البروق . وما يجرى مجراها من ذكر الديار والاثار .. فمن اجود ما قيل فى الديار .. قول الازدى *

فلم تدع الارياح والقطر والبلى | من الدار الا ما يُشف و يشغف

وفى ذكر البروق .. قول الاوّل

سرىَ البَرقُ من نحو الحجاز فشاقنِى | وكُلُّ حجــازيّ لهُ البرق شــائِقُ
بدا مثل نبضِ العرقِ والبعدُ دونه | واكنافُ لبنى دوننا والأســالِقُ
نهــارى بأشرافِ التــلاع موكل | وليــلى اذا ماجَنّنى الليــل آرِقُ
فواكَبِدى مِمّــا الاقى من الهوَى | اذا حنَّ الفٌ او تألق بارقُ

وكذا ينبغى ان يكون التشبيب دالا على الحنين والتحسر و شدة الاسف .. كقوله

ولَيْسَتْ عشــيات الحِمَى برواجعٍ | الَيْك ولكن خَلِّ عَيْنَيك تَدْمَعَا
وأذكُــر ايّام الحِمَى ثمّ انثنى | على كبدِى من خشيَةٍ انْ تصدَّعَا

وقال ابن مطير *

وكنتُ اذودالعــين انْ تردالبُكا | فقدْ وردتْ ما كنتْ عنه اذودُهَا
خليلىّ مافى العَيْش عيب لوآننــا | وجــدنا لأيّام الحِمَى من يُعيدُهَا

فهذا يدل على تحسر شديدٍ وحنين مفرط .. وقول الآخر

وَدِدتُ بأَبرقِ العَيْشُومِ انّى | ومَنْ أهوى جميعاً فى ردآءِ
اباشره وقدنديت علَيْــه | والصِقُ صحــةً منهُ بدآئِى

فحن اليه حنين السقيم الى الشفا .. و من الشعر الدالّ على شدة الحسرة والشوق .. قول الا خر

يقر بِعَيْنِي أن ارَى رَمْلَةَ ٱلغَضَا اذَا مابدتْ يوماً لعينى قِلاَلُهَـا

ولستُ وان احببتُ من يَسْكن الغضا باوّلِ راجٍ حاجـةً لاينالُهَـا

و ينبغى ان يظهر الناسب الرغبة فى الحب . وان لايظهر التبرم به .. كأبى صخر * حين يقول

فَياحُبهَا زدنى جوًى كل لَيلَةٍ ويا سلوة الايام موعدك الحَشْرُ

وقول الآخر

تشـكّي المحبون الصَبـابة ليتنى تحمّلتُ مايلقون من بَيْنهمْ وَحدِي

فكانت لنفسى لذةُ الحب كُلهـا ولم يلقهـا قبلى مُحَبٌّ ولابَعْـدِي

و ينبغى ان يكون فى النسيب دليل التدله والتحير .. كقول الحكم الحضرى *

تَسَـاهمَ ثوبَاهَـا ففى الدرع رأدَةٌ [١] وفى المرط لفّـاوان رِدفهما عَبْـلُ

فوالله مادرى ازيدتْ ملاحـةً وحسناً على النسوان ام لَيسَ لِي عَقلُ

وقيل لبعضهم مابلغ من حبك لفلانة . . فقال انى ارى الشمس على حيطانها احسن منها على حيطان جيرانها ،،

ولما كانت اغراض الشعرآء كثيرة . و معانيهم متشعبة جمة . لايبلغها الاحصآء كان من الوجه ان نذكر ما هوا كثر استعمالا . و اطول مداوسة له . و هو المدح . والهجاء . والوصف . و النسيب . والمراثى . والفخر .. وقد ذكرت قبل هذا المدح والهجآء وما ينبغى استعماله فيهما .. ثم ذكرت الآن الوصف والنسيب .. وتركت المراثى والفخر لانهما داخلان فى المديح .. و ذلك ان الفخر هو مدحك نفسك بالطهارة . والعفاف . والحلم . والعلم . والحسب . وما يجرى مجرى ذلك .. والمرثية مديح الميت والفرق بينهما وبين المديح .. ان تقول كان كذا وكذا و تقول فى المديح هو كذا وانت كذا .. فينبغى ان تتوخى فى المرثية ما تتوخى فى المديح .. الا انك اذا اردت ان تذكر الميت بالجود والشجاعة تقول مات الجود . وهلكت الشجاعة . ولا تقول كان فلانا جوادا وشجاعا ..

[١] — الرأدة — الناعمة حكاه فى الاساس عن الاصمعى

فان ذلك بارد غير مستحسن وماكان الميت يكده فى حياته فينبغى ان لايذكر انه يبكى عليه مثل الخيل والابل وما يجرى مجراها .. وانما يذكر اغتباطهم بموته .. وقد احسنت الخنساء * حيث تقول

فَقَدْ فَقِدَتْكَ طَلْقَةُ واستراحتْ　　فليتَ الخَيلَ فارِسُها يراهَا

بل يوصف بالبكاء عليه من كان يحسن اليه فى حياته اليه .. كما قال الغنوى

ليبكِكَ شَيخٌ لم يجِد من يعينه　　وطاوِى الحَشى نآئى المزارِ غريبُ

فهذه جملة اذا تدبرها صانع الكلام استغنى بها عن غيرها وبالله التوفيق

الباب الثالث

فى معرفة صنعة الكلام وترتيب الالفاظ فصلان

الفصل الاول من الباب الثالث

فى كيفية نظم الكلام والقول فى فضيلة الشعر وما ينبغى استعماله فى تأليفه

اذا اردت أن تصنع كلاما فاخطر معانيه ببالك وتنوق له كرائم اللفظ واجعلها على ذكر منك . ليقرب عليك تناولها . ولايتعبك تطلبها . واعمله مادمت فى شباب نشاطك . فاذا غشيك الفتور . وتخونك الملال . فامسك .. فان الكثير مع الملال قليل . والنفيس مع الضجر خسيس . والخواطر كالينابيع يسقى منها شئ بعد شئ .. فتجد حاجتك من الرى . وتنال اربك من المنفعة .. فاذا اكثرت عليها نضب ماؤها . وقلّ عنك غناؤها . وينبغى ان يجرى مع الكلام معارضةً .. فاذا مررت بلفظ حسن اخذت برقبته . اومعنى بديع تعلقت بذيله . وتحذر ان يسبقك فانه ان سبقك تعبت فى تتبعه . ونصبت فى تطلبه . ولعلك لاتلحقه على طول الطلب . ومواصلة الدأب .. وقد قال الشاعر

اذا ضيّعتَ اولَ كلّ أمرٍ　　أبَتْ اعجازهُ الاّ التوآءَ

وقالوا .. ينبغى لصانع الكلام . ان لايتقدم الكلام تقدما . ولا يتبع ذُناباه تتبعا . ولا

يحمله على لسانه حملا .. فانه ان تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله واعجفه والشارد منه .. وان تتبعه فاتته سوابقه ولواحقه . وتباعدت عنه جياده وغرره . وان حمله على لسانه ثقلت عليه اوساقه واعباؤه . ودخلت مساويه فى محاسنه .. ولكنه يجرى معه فلا تند عنه نادة معجبة سمناً الا كبحها . ولا تخلف عنه متقلة هزيلة الا ارهقها . فطوراً يفرقه ليختار احسنه . وطوراً يجمعه ليقرب عليه خطوة الفكر . ويتناول اللفظ من تحت لسانه. ولا يسلط الملل على قلبه . ولا الاكثار على فكره . فيأخذ عفوه . ويستغزر دره . ولا يكره ابيا. ولا يدفع اتيا.. (وقال) بشر بن المعتمر * خذ من نفسك ساعة لنشاطك. وفراغ بالك . واجابتها لك .. فان قلبك فى تلك الساعة اكرم جوهراً . واشرق حسناً . واحسن فى الاسماع . واحلى فى الصدور . واسلم من فاحش الخطاء . واجلب لكل غرة من لفظ كريم . ومعنى بديع ..

(واعلم) ان ذلك اجدى عليك من ما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطالبة والمجاهدة والتكلف والمعاودة .. ومهما اخطأك لم يخطئك ان يكون مقبولاً قصداً . وخفيفا على اللسان سهلا . وكما خرج عن ينبوعه . ونجم من معدنه .. واياك والتوعر . فان التوعر يسلمك الى التعقيد . والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك . ويشين الفاظك . ومن أراغ معنىً كريماً . فليلتمس له لفظاً كريماً .. فان حق المعنى الشريف . اللفظ الشريف .. ومن حقهما ان يصونهما عما يدنسهما ويفسدها ويهجنهما فتصير بهما الى حد تكون فيه اسوأ حالا منك قبل ان تلتمس منازل البلاغة . وترتهن نفسك فى ملابستهما . فكن فى ثلاث منازل

فأول الثلاث — ان يكون لفظك شريفاً عذباً . وفخماً سهلاً . ويكون معناك ظاهراً مكشوفا . وقريباً معروفا .. فان كانت هذه لا تواتيك . ولا تسنح لك . عند اول خاطر .. وتجد اللفظة لم تقع موقعها . ولم تصل الى مركزها . ولم تتصل بسلكها . وكانت قلقة فى موضعها . نافرةً عن مكانها . فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن . والنزول فى غير اوطانها .. فانك ان لم تتعاط قريض الشعر المنظوم . ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور . لم يعبك بذلك احد ،، وان تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعا . ولا محكماً لشأنك بصيرا . عابك من انت اقل عيبا منه . وزرى عليك من هو دونك ،،

فان ابتليت بتكلفة القول . وتعاطى الصناعة . ولم تسمح لك الطبيعة فى اول وهلة . وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة . فلا تعجل . ودعه سحابة يومك ولا تضجر . وامهله سواد ليلتك . وعاوده عند نشاطك . فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة . وان كانت هناك طبيعة .

واجريت من الصناعة على عرف وهى — المنزلة الثانية — فان تمنّع عليك بعد ذلك مع ترويح الخاطر . وطول الامهال ،،

والمنزلة الثالثة — ان تحول من هذه الصناعة . الى اشهى الصناعات اليك . واخفها عليك . فانك لم تشتهها الا وبينكما نسب .. والشئ لايحن الا الى ماشاكله .. وان كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات .. فان النفوس لاتجود بمكنونها . ولاتسمح بمخزونها . مع الرهبة . كما تجود مع الرغبة والمحبة ،،

وينبغى ان تعرف اقدار المعانى . فتوازن بينها وبين اوزان المستمعين . وبين اقدار الحالات . فتجعل لكل طبقة كلاما . ولكل حال مقاما . حتى تقسم اقدار المعانى . على اقدار المقامات .. واقدار المستمعين . على اقدار الحالات ،،

(واعلم) ان المنفعة مع موافقة الحال . ومايجب لكل مقام من المقال .. فان كنت متكلما .. (او) احتجت الى عمل خطبة لبعض من تصلح له الخطب . اوقصيدة لبعض مايراد له القصيد .. فتخط الفاظ المتكلمين .. مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فانّ ذلك هجنة : وخطب بعضهم فقال .. ان الله انشأ الخلق وسوّاهم ومكنهم ثم لاشاهم .. فضحكوا منه .. وقال بعض المتأخرين

نورتين فيه لاهو تيه   فيكاد يَعلم عِلمَ مالَنْ يُعلما [١]

فاتى من الهجنة بما لا كفاء له .. وكذلك كن ايضا اذا كنت كاتبا ،،

واعلم ان الرسائل والخطب متشاكلتان فى انهما كلام لايلحقه وزن ولاتقفية .. وقد يتشاكلان ايضاً من جهة الالفاظ والفواصل . فالفاظ الخطباء . تشبه الفاظ الكتاب . فى السهولة والعذوبة . وكذلك فواصل الخطب . مثل فواصل الرسائل .. ولافرق بينهما الا ان الخطبة يشافه بها . والرسالة يكتب بها . والرسالة تجعل خطبة . والخطبة تجعل رسالة .. فى ايسر كلفة ولايتهياء مثل ذلك فى الشعر من سرعة قلبه واحالته الى الرسائل الا بتكلفة .. وكذلك الرسالة والخطبة لايجعلان شعراً الا بمشقة ،،

ومما يعرف ايضا من الخطابة والكتابة انهما مختصتان بامر الدين والسلطان . وعليهما مدار الدار . وليس للشعر بهما اختصاص ،،

اما الكتابة فعليها مدار السلطان .. والخطابة لها الحظ الاوفر من امر الدين .. لان الخطبة شطر الصلاة التى هى عماد الدين . فى الاعياد والجمعات والجماعات . وتشتمل على ذكر المواعظ التى يجب ان يتعهد بها الامام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما انزل الله عزوجلّ من ذلك فى كتابه . الى غير ذلك من منافع الخطب .. ولايقع الشعر فى شئ من هذه الاشياء

[١] — هكذا — ضبط البيت فى سائر النسخ ولايخفى مافيه من العيب

موقعاً .. ولكن له مواضع لا ينجع فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها .. وان كان اكثره قد بنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة . والنعوت الخارجة عن العادات والالفاظ الكاذبة . من قذف المحصنات . وشهادة الزور . وقول البهتان .. لاسيما الشعر الجاهلي الذى هو اقوى الشعر وافحله وليس يراد منه الا حسن اللفظ وجودة المعنى هذا هو الذى سوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه .. وقيل لبعض الفلاسفة .. فلان يكذب فى شعره .. فقال يراد من الشاعر حسن الكلام . والصدق يراد من الانبياء ،،

فمن مراتبه العالية التى لا يلحقه فيها شئ من الكلام .. هو النظم الذى به زنة الالفاظ . وتمام حسنها . وليس شئ من اصناف المنظومات يبلغ فى قوة اللفظ منزلة الشعر ،،

ومما يفضل به غيره ايضا طول بقائه على افواه الرواة . وامتداد الزمان الطويل به وذلك لارتباط بعض اجزائه ببعض وهذه خاصية له فى كل لغة . وعند كل امة .. وطول مدة الشئ من اشرف فضائله ،،

ومما يفضل به غيره من الكلام .. استفاضته فى الناس وبُعد سيره فى الافاق .. وليس شئ اسير من الشعر الجيد .. وهو فى ذلك نظير الامثال .. وقد قيل .. لا شئ اسبق الى الاسماع . واوقع فى القلوب . وابقى على الليالى والايام . من مثل سائر . وشعر نادر ،،

ومما يفضل به غيره .. انه ليس يؤثر فى الاعراض والانساب . تأثير الشعر فى الحمد والذم شئ من الكلام . فكم من شريف وضع . وخامل دنى رفع . وهذه فضيلة غير معروفة فى الرسائل والخطب ،،

ومما يفضلهما به ايضاً .. انه ليس شئ يقوم مقامه فى المجالس الحافلة . والمشاهد الجامعة . اذا قام به منشد على رؤس الاشهاد .. ولا يفوز احد من مؤلفى الكلام . بما يفوز به صاحبه من العطايا الجزيلة . والعوارف السنية . ولا يهتز ملك . ولا رئيس لشئ من الكلام . كما يهتز له ويرتاح لاستماعه وهذه فضيلة اخرى لا يلحقه فيها شئ من الكلام ،،

ومنه .. ان مجالس الظرفاء والادباء . لا تطيب . ولا تؤنس . الا بانشاد الاشعار . ومذاكرة الاخبار . واحسن الاخبار عندهم ما كان فى اثنائها اشعار .. وهذا شئ مفقود فى غير الشعر ،،

ومما يفضل به الشعر .. ان الالحان التى هى اهنى اللذات . اذا سمعها ذوو القرائح الصافية . والانفس اللطيفة . لا تتهيأ صنعتها الا على كل منظوم من الشعر . فهو لها بمنزلة المادة القابلة لصورها الشريفة .. (الا) ضرباً من الالحان الفارسية تصاغ على كلام غير منظوم نظم الشعر .. تمطط فيه الالفاظ فالالحان منظومة . والالفاظ منثورة ،،

ومن افضل فضائل الشعر .. ان الفاظ اللغة انما يؤخذ جزلها وفصيحها . وفحلها وغريبها من الشعر .. ومن لم يكن راوية لاشعار العرب تبين النقص في صناعته ،،

ومن ذلك ايضا ان الشواهد تنزع من الشعر ولولاه لم يكن على مايلتبس من الفاظ القرأن واخبار الرسول (صلى الله عليه وسلم) شاهد ..

وكذلك لاتعرف انساب العرب وتواريخها وايامها ووقايعها الامن جملة اشعارها . فالشعر ديوان العرب . وخزانة حكمتها . ومستنبط آدابها . ومستودع علومها .. فاذا كان ذلك كذلك .. فحاجة الكاتب والخطيب وكل متأدب بلغة العرب اوناظر في علومها ماسته وفاقته الى روايته شديدة ،،

واما النقص الذي يلحق الشعر من الجهات التي ذكرناها .. فليس يوجب الرغبة عنه والزهادة فيه .. واستثناء الله عز وجل في امر الشعراء يدل على ان المذموم من الشعر .. (انما) هو المعدول عن جهة الصواب الى الخطاء والمصروف عن جهة الانصاف والعدل الى الظلم والجور .. واذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم .. (ولو) كان الذم لازماً له لكونه شعراً لما جاز ان يزول عنه على حال من الاحوال ومع ذلك فان من اكمل الصفات .. صفات الخطيب والكاتب ان يكونا شاعرين كما ان من اتم صفات الشاعر ان يكون خطيبا كاتبا والذي قصّر بالشعر كثرته وتعاطى كل احد له حتى العامة والسفلة فلحقه من النقص مالحق العود والشطرنج حين تعاطاها كل احد ،،

ومن صفات الشعر الذي يختص بها دون غيره .. ان الانسان اذا اراد مديح نفسه فانشأ رسالة في ذلك اوعمل خطبة فيه جاء في غاية القباحة .. وان عمل في ذلك ابياتا من الشعر احتمل ،،

ومن ذلك ان صاحب الرياسة والابهة .. لوخطب بذكر عشيق له ووصف وجده به وحنينه اليه وشهرته في حبه وبكاه من اجله لأستهجن منه ذلك وتنقّص به فيه .. ولوقال في ذلك شعراً لكان حسناً ،،

واذا اردت ان تعمل شعراً فاحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك واخطرها على قلبك واطلب لها وزناً يتأتى فيه ايرادها وقافية يحتملها .. فمن المعاني ماتتمكن من نظمه في قافية ولاتتمكن منه في اخرى .. اوتكون في هذه اقرب طريقاً وايسر كلفة منه في تلك .. ولان تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجئ سلساً سهلا ذا طلاوة ورونق خير من ان يعلوك فيجئ كزاً فجاً ومتجعدا جلفا .. فاذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها .. بالقاء ماغث من من ابياتها ورث ورذل والاقتصار على ماحسن وفخم .. بابدال حرف منها بآخر اجود

منه حتى تستوى اجزاؤها وتتضارع هو اديها واعجازها .. فقد انشدنا ابواحمد رحمه‌الله قال انشدنا ابوبكر بن دريد

طرقَتْك عزَّةُ من مزارٍ نازحٍ ياحُسْنَ زائرةٍ وبُعْدَ مزارِ

ثم قال ابو بكر لوقال — ياقرب زائرة و بعد مزار — لكان اجود .. وكذلك هو لتضمنه الطباق .. واخبرنا ابو احمد عن ابى بكر عن عبدالرحمن عن عمه عن المنتجع * ابن نبهان .. قال سمعت الاشهب * بن جميل يقول .. انا اول من القا الهجا . بين جرير وابن لجا * انشدت جريراً قوله

تَضطّكُ إلحيُهَا على دلأيِهَا تلاطُمَ الأزْدِ على عَطائِهَا

حتى بلغت الى قوله

تجرُّ بالأهْوَنِ من دُعَائِهَا جرَّ العجوزِ الثنْىَ من كِسَائِهَا

فقال جرير الاقال — جرالفتاة طرفى ردائها — فرجعت الى ابن لجا فاخبرته .. فقال والله مااردت الا ضعفةالعجوز ووقع بينهماالشر .. وقول جرير — جرالعروس طرفى ردائها — احسن واظرف واحلا من قول عمروبن لجا — جرالعجوزالثنى من كسائها — وليس فى اعتذار ابن لجا بضعفة العجوز فائدة لان الفتاة معها من الدلال مايقوم فى الهوينا مقام ضعفة العجوز وانكار جرير قوله — الثنى من كسائها — نقد دقيق وانما انكره لان فيه شعبة من التكلف وقول جرير — طرفى ردائها — اسلس واسهل واقل حروفا .. وقولك رأيت الايعاز بذلك .. اجود من قولك .. رأيت ان اوعز بذلك .. كذا وجدت حذاق الكتاب يقولون .. وعجبت من البحترى كيف قال

لَعَمْرُ الغوانى يَوْم صحرآءِ آرْبَد لقد هَيَّجتْ وَجْداً على ذِى توجدِ

ولوقال — على متوجد — لكان اسهل واسلس واحسن .. وفى غير هذه الرواية .. قال فقال ابن لجالجرير فقد قلت اعجب من هذا .. وهو قولك

واوثق عندالمُرْدفَاتِ عَشِيَّةً لِحَاقاً اذا مَاجرَّدالسيف لامِعُ

والله لولم يلحقن الاعشيا لما لحقن حتى نكحن واحبلن .. وقدكان هذا دأب جماعة من

حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء .. منهم زهير كان يعمل القصيدة فى ستة اشهر ويهذبها فى ستة اشهر ثم يظهرهـا فتسمى قصائده الحوليّات لذلك .. وقال بعضهم .. خير الشعر الحولى المنقح .. وكان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهر وينظر فيها ثلاثة اشهر ثم يبرزها .. وكان ابونواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها فيلقى اكثرها ويقتصر على العيون منهـا فلهذا قصّر اكثر قصـائده .. وكان البحترى يلقى من كل قصيدة يعملهـا جميع مايرتاب به فخرج شعره مهذبا .. وكان ابوتمـام لايفعل هذا الفعل وكان يرضى باول خاطر فنعى عليه عيب كثير ،،

وتخير الالفـاظ وابدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من احسن نعوته وازين صفـاته فأن امكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج كان احسن له وادعى للقلوب اليه وان اتفق له ان يكون موقعه فى الاطناب والايجاز اليق بموقعه واحق بالمقام والحال كان جامعاً للحسن بارعا فى الفضل وان بلغ مع ذلك ان تكون موارده تنبيك عن مصادره واوله يكشـف قناع آخره كان قدجمع نهاية الحسن وبلغ اعلى مراتب التمـام .. ومثاله .. ما انشدنا ابو احمد قال انشدنا ابوالحسن احمد * بن جعفر البرمكى قال انشدنا عبيدالله بن عبدالله بن طاهر * لنفسه

اشارَتْ بأَطْرافِ البنَانِ المُخضَّبِ ... وضنَّتْ بمَا تحتَ النقَابِ المكتَّبِ
وعضّتْ على تفـاحة فى يمينها ... بذى اُشرٍ عَذْبِ المذاقِ أشْنَبِ
وأوْمَتْ بها نحْوى فقمتُ مبادراً ... اليها فقالت هل سمعت بأشْعَبِ

فهذا اجود شـعر سبكا واشده التياما واكثره طلاوة وماءً .. وينبغى ان تجعل كلامك مشتبها اوله بآخره . ومطابقا هاديه لعجزه . ولاتتخالف اطرافه . ولاتتنافر اطراره . وتكون الكلمة منه موضوعة مع اختها . ومقرونة بلفقها . فان تنافر الالفـاظ من اكبر عيوب الكلام .. ولايكون مابين ذلك حشو يستغنى عنه ويتم الكلام دونه .. ومثـال ذلك .. من الكلام المتلائم الاجزاء . غير المتنافر الاطرار .. قول اخت عمرو ذى الكلب *

فأُقْسِمُ يا عمرو لونبّهَاك ... اذاً نبها منك داءً عُضَالا
إذاً نبهـا ليث عِرّينة [١] مُفيتاً مفيداً نفوساً ومالا

[١] ــ العرينة ــ ماوى الاسد والضبع وغيرهما وفى نسخة ــ عريسة ــ وذلك مأوى الاسد خاصة

وخَرْقٍ تجاوزتَ مجهُوله　　بِوَجْناءَ حَرْفٍ تشكي الكلالا [١]

فكنتَ النهــار به شمسه　　وكنتَ دُجَى اللّيْلِ فيه الهلالا

فجعلته الشمس بالنهــار . والهــلال بالليل .. وقالت .. مفنيــا مفيدا .. ثم فسرت فقالت .. نفوساً ومالا .. وقال الاخر

وفى اربع منّى حَلَتْ منكِ اربعٌ　　فما انادار ايُّهــا هاج لى كربى

اوجهُكِ فى عينى ام الريق فى فمى　　ام النطقُ فى سمعى ام الحبّ فى قلبى

واخبرنى ابو احمد .. قال كنت انا وجماعة من احداث بغداد ممن يتعاطى الادب نختلف الى مدرك * نتعلم منه علم الشعر .. فقال لنا يوما اذا وضعتم الكلمة مع لفقها كنتم شعراء .. ثم قال اجيزوا هذا البيت

ألا إنما الدنيا متاعُ غرورِ

فاجازه كل واحد من الجماعة بشئ فلم يرضه .. فقلت

وان عظُمَتْ فى أنْفُسٍ وصُدُورِ

فقال هذا هو الجيد المختار .. واخبرنا ابو احمد الشطى قال حدثنا ابو العباس بن عربى * قال حدثنا حماد عن يزيد بن جبلة [٢] * .. قال دفن مسلمة رجلا من اهله وقال

نروحُ ونغدُوا كل يَوْمٍ وليلة

ثم قال لبعضهم أجز فقال — فحتى متى هذا الرواح مع الغدو — فقال مسلمة لم تصنع شيئاً .. فقال آخر — فيالك مغداً مرةً ورواحا — فقال لم تصنع شيئاً .. فقال لآخر أجز انت .. فقال

وعمّا قليلٍ لانروحُ ولا نَغدُوا

فقال الآن تم البيت .. ومما لم يوضع الشئ مع لفقه من اشعار المتقدمين .. قول طرفة

---

[١] — الخرق — الارض البعيدة مستوية كانت اوغير مستوية .. والفلاة الواسعة ايضا — والوجناء — الناقة الشديدة شبهت بالوجين من الارض اى الصلبة ذات الحجارة — وقوله — حرف — صفة للناقة .. والحرف من الابل النجيبة الماضية التى انضتها الاسفار شبهت بحرف السيف فى مضائها .. وقيل هى الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل فى شدتها [٢] — نسخة — ابن حنظلة

ولستُ بحلاّلِ التِلاعِ مخــافةً ولكنْ متى يَسترفِدِ القَومُ أرفِد [١]

فالمصراع الثانى غير مشاكل الصورة للمصراع الاول وان كان المعنى صحيحاً .. لانه اراد ولست بحلال التلاع مخافة السؤال ولكنى انزل الامكنة المرتفعة ليتنابونى فارفدهم .. وهذا وجه الكلام فلم يعبر عنــه تعبيراً صحيحاً ولكنه خلطه وحــذف منه حذفاً كثيرا فصــار كالمتنــافر وأدوآء الكلام كثيرة .. وهكذا قول الاعشى

وانَّ امرءاً اسرى اليك ودونه سُهُوبٌ ومَوْمَاة وبيدآء سملقُ [٢]

لمحقوقة ان تَستَجيبى لصوتِهِ وأَنْ تعلمى انَّ المُعَــان موفقُ

قوله — وان تعلمى ان المعان موفق — غير مشاكل لما قبله .. وهكذا قول عنترة

حَرِقُ الجناحِ كأَنَّ لَحيَىْ رأسِه جَلَمَــان بالاخبار هَشٌّ مُولَعُ [٣]

انّ الذين نعبتَ لى بفراقهم هم اسلموا ليلى التمامَ واوجَعوا [٤]

ليس قوله — بالاخبار هش مولع — فى شئ من صفة جناحه ولحييه .. وقول السموءل

فنحنُ كماءِ المُزْنِ مافى نصابنا كهَامٌ ولافينا يُعَدّ بخيلُ [٥]

ليس فى قوله — مافى نصابنا كهام — من قوله — فنحن كماء المزن — فى شئ اذ ليس بين ماء المزن والنصاب والكهوم مقاربة ولوقال .. ونحن ليوث الحرب اواولوا الصرامة والنجدة مافى نصابنا كهام لكان الكلام مستويا .. اونحن كماء المزن صفاء اخلاق وبذل اكف لكان جيدا .. وجعل بعض الادباء من هذا الجنس قول امرئ القيس

كأَنِّىَ لَمْ اركبْ جواداً للذّةٍ ولم اتبطِنْ كاعِباً ذات خلخالِ

ولم اسْبَاءِ الزقّ الروىّ ولم اقل لخيلىَ كُرّى كرّةً بعد اجفال

---

[١] — التلاع — جمع تلعة والتلعة ماارتفع من الارض وما انهبط منها ايضا فهو من الاضداد .. قال فى الجمهرة واراد المنخفض لان البخيل يحل فى الاماكن المنخفضة لئلا يراه احد

[٢] — السهوب — من السهب بفتح السين واسكان الهاء الارض الواسعة — والمومات — تقدم تفسيره — والسملق — الارض المستوية .. وقيل القفر الذى لانبات فيه

[٣] — الحرق — فى الجناح قصر ريشه .. قال فى اللسان حرق ريش الطائر فهو حرق انحص — والجلمان — المقراضان واحدهما جلم

[٤] — النعب — من نعب الغراب نعيبا اذا مد عنقه فى نعاقه

[٥] — الكهام — من كهم الرجل كهامة اذا ضعف وجبن عن الاقدام .. اى ليس فينا رجل ضعيف

قالوا .. فلو وضع مصراع كل بيت من هذين البيتين فى موضع الاخر لكان احسن وادخل فى استواء النسج فكان يروى

كأنى لم اركب جواداً ولم اقل　　لخيلى كرى كرة بعد اجفال

ولم اسباء الزق الروىّ للذة　　ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

لان ركوب الجواد مع ذكر كرور الخيل اجود وذكر الخمر مع ذكر الكواعب احسن .. قال ابواحمد الذى جاء به امرؤ القيس هو الصحيح وذلك ان العرب تضع الشئ مع خلافه فيقولون الشدة والرخاء والبؤس والنعيم ومايجرى مع ذلك .. وقالوا فى قول ابن هرمة

وانى وتركى ندى الاكرمينَ　　وقَدْحِى بكفىَّ زنداً شَحَاحَا

كتارِكَةٍ بيضَهـا بالعَرآءِ　　ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ اُخْرَى جَنَاحَا

وقول الفرزدق

وانّك اذْ تَهْجُو تميماً وترتسى[١]　　سرابيل قَيْسٍ اوسحُوقَ العَمَائِمِ

كمُهْرِيق مَاءٍ بالفـلاةِ وغرَّه　　سرابٌ اذَا عَتْـهُ رياح السَمايِمِ

كان ينبغى ان يكون بيت ابن هرمة مع بيت الفرزدق و بيت الفرزدق مع بيت ابن هرمة .. فيقال

وانى وتركى ندى الاكرمين　　وقدحى بكفى زنداً شحاحا

كمهريق ماءٍ بالفـلاة وغرّه　　سرابٌ اذاعته رياحُ السمايم

وانك اذتهجوا تميماً وترتسى　　سرابيلَ قيس اوسحوقَ العمايم

كتـاركة بيضهـا بالعرآء　　وملبسة بيض اخرى جناحا

حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعاً .. ومن المتنافر الصدر والاعجاز .. قول حبيب بن اوس

محمدُ انّ الحاسـدين حُشودُ　　وانّ مَصَابَ المُزْنِ حيث تَرِيدُ

ليس النصف الاول من النصف الثانى فى شئ .. وقريب من ذلك .. قول الطائى *

قَوْمٌ هدىَ الله العباد بجدّهم　　والمُورثُونَ الضَيْفَ بالأزوادِ

ومن الشعر المتلايم الاجزآء المتشابه الصدور والاعجاز .. قول ابى النجم

[١] — هكذا فى الاصل المنقول عنه .. وفى نسخة — وترتشى — بالمعجمة ولم اقف عليه فى ديوانه

انّ الاعادى لَنْ تَنــال قديمًا ... حتّى تُنــالَ كواكبُ الجَوْزآء
كَمْ فى الجَحِيم مِنْ أغرّ كأنه ... صُبْح يَشــقّ طيالس الظلمــاء
ومجرّبٍ خضل السنانِ اذا التقى ... زَحفٌ بخاطِرة الصدورِ ظمآء

وكقول القطامىّ

يَمْشِينَ زهواً فلا الأعجاز خاذِلَة ... ولا الصُدورُ على الأعْجازِ تتّــكِلُ
فَهُنّ معترِضَات والحصَى رمضٌ ... والريح سَاكنة والظِلّ معتدلُ

الا ان هذا لوكان فى وصف نساءٍ لكان احسن .. فهو كالشئ الموضوع فى غير موضعه ،،
وينبغى ان تجتنب اذا مدحت اوعاتبت المعانى التى يتطير منهــا ويستشنع سماعها . مثل قول ابى نواس

سَلامٌ على الدُنيا اذا مافُقِدتم ... بنى بَرْمَكٍ من رائحين وغادى

واذا اردت ان تأتى بهذا المعنى فسبيلك ان تسلك سبيل اشجع السلمى .. فى قوله

لَقَدْ امسَى صلاحُ ابى علىّ ... لأهْل الارض كُلّهم صَلاحَا
اذا ما المَوْتُ اخطأهُ فَلَسْنا ... نُبالى الموْتَ حيث غدا وراحَا

فذكر اخطاء الموت اياه وتجاوزه الى غيره فجاد المعنى وحسن المستمع .. وقد احسن القائل

ولا تَحْسبنَّ الحُزْنَ يَبْــقى فأنه ... شِهَابُ حَريقٍ واقِدٌ ثم خَامِدُ
سَتألَفُ فقدَان الذى قَدْ فَقِدْتَه ... كالفك وجدانَ الذى انتَ واجدُ

فجعل مايتطير منه من الفقدان لنفســه وما يستحب من الوجدان للممدوح .. وقد اســاء ابو الوليد ارطأة بن شهبة * حين انشد عبدالملك

رأيتُ الدهرَ يأكُلُ كلَّ حَىّ ... كأكْلِ الارضِ ساقطةَ الحديدِ
ومَا تُبْــقِى المنِيّة حين تَغْدُو ... على نَفْسِ ابْن آدمَ من مزيدِ
واَعْلَمُ انهــا ستكرّ حتّى ... تُوفِى نَذْرَهَــا بأبِى الوليدِ

وكان عبدالملك يكنى ابا الوليد فتطير منه ومازال يرى كراهة شعره فى وجهه حتى مات ،،

واذادعت الضرورة الى سوق خبر واقتصاص كلام فتحتاج الى ان تتوخى فيه الصدق . وتحرى الحق . فان الكلام حينئذ يملك ويحوجك الى اتباعه والانقياد له .. وينبغى ان تأخذ فى طريق تسهل عليك حكايته فيها وتركب قافية تطيعك فى استيفائك له كما فعل النابغة فى .. قوله [١]

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فتاة الحىّ اذ نظرتْ ... الى حَمَامٍ سِرَاعٍ واردى الثَّمَدِ

يحفّهُ جَانِبَا نَيقٍ وتُتْبِعهُ ... مِثْل الزُّجَاجَةِ لم تكْحَل من الرَّمَدِ

قَالَتْ أَلَالَيْتَمَا هذا الحمامُ لنا ... الى حَمَامَتِنَا اَوْ نِصْفهُ فَقَدِ

فكمّلتْ مائةً فيها حَمَامتها ... واسرَعَتْ حسْبَةً فى ذلك العَدَدِ

فحسبُوهُ فَالفُوه كما حَسَبَتْ ... تِسْعاً وتسعِينَ لم تنقُص ولَمْ تَزِدِ

فهذا اجود مايذكر فى هذا الباب واصعب مارامه شاعر منه لانه عمد الى حساب دقيق فاورده مشروحا ملخصا وحكاه حكاية صادقة .. ولمّا احتاج الى ان يذكر العدد والزيادة والثمد بنى الكلام على قافية فاصلة الدال فسهل عليه طريقه واطرد سبيله .. ومثل ذلك مااتاه البحترى فى القصيدة التى اولها

هَاجَ الخيالُ لنا ذكرى اذا طافا ... وَافَا يخادِعُنَا والصُبْحُ قَدْ وَافا

وكان قد احتاج الى ذكر الآلاف . والاسعاف . والاضعاف . والاسراف . وترك الاقتصار على الانصاف . فجعل القصيدة فائية . فاستوى له مراده وقرب عليه مرامه .. وهو قوله

قَضَيْتَ عنى آبن بسْطَامٍ صَنيعَتهُ ... عندى وضَاعَفْتَ مااَوْلاهُ اضعَافَا

وكانَ معرُوفهُ قَصْداً الىَّ ومَا ... جَازَيْتَه عنه تبذيراً واَسْرَافَا

مِئُونَ عيناً تَوَلَيْتَ الثوابَ بِهَا ... حتّى آنْثَنَتْ لأبى العباسِ آلآفا

قَدْ كانَ يَكْفيهِ مِمَّا قدّمتْ يَدهُ ... ومَا يزيد على الآحادِ انْصَافَا

ولاينبغى ان يكون لفظك وحشيا بدويا . وكذلك لايصلح ان يكون مبتذلا سوقيا .. اخبرنا ابواحمد عن مبرمان عن ابى جعفر بن القتبى عن ابيه .. قال قال خلف الاحمر

[١] — قوله فتات الحى — اى زرقاء اليمامة وهى من بقايا طسم وجديس والحكاية مشهورة فى دواوين الادب — والثمد — هو الماء القليل الذى يكون فى الشتاء ويجف فى الصيف — والنيق — الجبل — وقوله اونصفه — بمعنى ونصفه لابمعنى الشك ومثل هذا فى اللغة موجود

قال شيخ من اهل الكوفة .. أما عجبت ان الشاعر قال — انبت قيصوماً وجثجاثا [١] — فاحتمل وقلت انا — انبت اجاصاً وتفاحا — فلم يحتمل ،،

والمختار من الكلام ماكان سهلا جزلاً لايشوبه شئ من كلام العامة والفاظ الحشوية وما لم يخالف فيه وجه الاستعمال .. الا ترى الى قول المتنبي

أَيْنَ البطاريق والحلف الذى حَلَفُوا   بِمَفْرِقِ ٱلْمَلِكِ والزَّعْمِ الّذِى زَعَمُوا

هذا قبيح جدا .. وانما سمع قول العامة حلف برأسه فاراد ان يقول مثله فلم يستو له فقال بمفرق الملك ولوجاز هذا لجاز ان يقول — حلف بيافوخ ابيه — وبقمحدؤة سيده — وقبح هذا يدل على ان امثاله غير جائزة في جميع المواضع .. وهذا النوع فى شعر المتنبي كبعد الاستعارة فى شعر ابى تمام ،،

ومن الالفاظ مايستعمل رباعيه وخماسيه دون ثلاثيه .. ومنها ماهو بخلاف ذلك فينبغي ان لاتعدل عن جهة الاستعمال فيها ولايغرك ان اصولها مستعملة فالخروج عن الطريقة المشهورة والنهج المسلوك ردئ على كل حال .. الا ترى ان الناس يستعملون — التعاطى — فيكون منهم مقبولا .. ولو استعملوا — العطو — وهو اصل هذه الكلمة وهو ثلاثى والثلاثى اكثر استعمالا لما كان مقبولاً ولاحسناً مرضيا فقس على هذا ،،

ومن الالفاظ ما اذا وقع نكرة قبح موضعه وحسن اذا وقع معرفة مثل قول بعضهم

لَمّا التَقَيْنَا صَاحَ بِينٌ بَيْنَنَا   يُدْنِي من القُرْبِ البعاد لِحَاقَا

فقوله — صاح بين بيننا — متكلف جدا .. فلوقال — البين — كان اقرب على ان البيت كله ردئ ليس من رصف البلغاء ،،

وينبغي ان تجتنب ارتكاب الضرورات وان جاءت فيها رخصة من اهل العربية فانها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه .. وانما استعملها القدماء فى اشعارهم لعدم علمهم كان بقباحتها .. ولان بعضهم كان صاحب بداية والبداية مزلة وماكان ايضا تنقد عليهم اشعارهم ولوقدنقدت وبهرج منها المعيب كما تنقد على شعرآء هذه الازمنة ويبهرج من كلامهم مافيه ادنى عيب لتجنبوها .. وهو كقول الشاعر

لَهُ زَجَلٌ كأنّه صَوْتُ حَادٍ   اذا طَلَبَ الوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

[١] — القيصوم — نبات ذهبي الزهر ورقه كالسذاب وثمره كحب الاس الى غبرة طيب الرائحة يتداوى به — والجثجاث — نبت مر حتى قيل انه من امرار الشجر

فلم يشبع .. وقول الاخر

أَلَمْ يأتِيكَ والأَنْبَاءُ تَنْمِى ... بِمَا لَاقَتْ لبُونُ بَنِى زِيَادِ

فقال — الم يأتيك — فلم يجزم .. وقال ابن قيس الرقيات

لابارَكَ اللهُ فى ٱلغَوَانِى هَلْ ... يُصْبِحْنَ الّا لَهُنّ مُطّلَبُ

فحرك حرف العلة .. وقال قعنب بن ام صاحب

مَهْلًا اعاذِلَ قَدْ جرّبتِ من خُلُقِى ... انى اجُودُ لِأَقْوَامٍ وان ضَنِنُوا

فاظهر التضعيف .. ومثله قول العجاج

تَشْكو ٱلوجىَ مِنْ اَظْلَلٍ واَظْلَلِ [١]

وقال جميل

ألالارى اثنيْنِ احْسَنَ شيمةً [٢] ... على حَدَثانِ ٱلدهْرِ منى ومنْ جُمْلِ

وقال

اذَا جاوزَ الاثنَيْنِ سِرٌ فانّه ... بنَشْرٍ وتكثيرِ الوُشَاةِ قَمِينُ

فقطع الف الوصل .. وقال غيره [٣]

من الثَّعَالِى وَوَخزٌ مِنْ اراِنِيهَا

---

[١] — الوجى — الحفا وقيل قبل الحفا والحفا قبل النقب .. ووجى الفرس بالكسر وهو ان يجد وجعاً فى حافره — والاظل — ماتحت منسم البعير اى ماتحت ظفره قاله فى اللسان وبه استشهد واورد بعده (من طول املال وظهر املل)

[٢] — نسخة — بدل قوله احسن .. اجمل .

[٣] — القائل .. ابو كاهل اليشكرى يشبه ناقته بالعقاب وصدر البيت (لها اشارير من لحم تتمره) — وثعالى — جمع ثعلب يقال ثعالب وثعالى بالباء والياء .. قال ابن جنى فى تفسير البيت يحتمل عندى ان يكون الثعالى جمع ثعالة وهو الثعلب واراد ان يقول الثعائل فقلب اضطرارا .. وقيل اراد الثعالب والارانب (اى فى قوله ارانيها) فلم يمكنه ان يقف الباء فابدل منها حرفا يمكنه ان يقفه فى موضع الجر وهو الياء .. قال صاحب اللسان وهذا اقيس وهكذا علله ابو على المظفر فى نضرة الاغريض بعد ان قال وقد جاء عنهم ابدال الحرف المتحرك بحرف لاتجرى فيه الحركة وهو من الضرورات التى لاتجوز للشاعر المولد ولاهى بالمستحسنة — والوخز — الشئ القليل من الخضرة فى العذق والشيب فى الرأس .. وقيل كل قليل وخز ..

الى غير ذلك مما يجرى مجراه وهو مكروه الاستعمال .. وينبغى ان تحامى العيوب التى تعترى القوافى مثل السناد والاقواء والايطاء وهو اسهلها والتوجيه .. وان جاء فى جميع اشعار المتقدمين واكثر اشعار المحدثين ،،

وينبغى ان ترتب الالفاظ ترتيباً صحيحاً فتقدم منها ما [كان] يحسن تقديمه وتؤخر منها مايحسن تأخيره ولاتقدم منها مايكون التأخير به احسن ولاتؤخر [منها] مايكون التقديم به اليق : فما افسد ترتيب الفاظه قول بعضهم

يَضْحَكُ منها كُلُّ عُضْوٍ لها   من بَهْجَةِ العَيْشِ وحُسْنِ القَوامْ

تَرْفُلُ فى الدار لها وفرة   كوفرة الملط الخليع الغلامْ

كان ينبغى ان يقول — كوفرة الغلام الملط الخليع — او الغلام الخليع الملط — فاما تقديم الصفة على الموصوف فردئ فى صنعة الكلام جداً .. وقوله ايضا — بهجة العيش وحسن القوام — متنافر غير مقبول .. وقول ابن طباطبا *

وعَجْلَة تَشْدُو بالحانها   وكانتِ الكيِّسَة الخَادِمَهْ

لوقال — وكانت الخادمة الكيسة — لكان اجود .. وينبغى ان لايذكر فى التشبيب اسماً بغيضا .. فقد انشد جرير بعض ملوك بنى امية

وتقول بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ على العَصَا   هَلاَّ هَزِئْتِ بغَيرِنَا يا بَوْزَعُ

فقال له الملك افسدتها ببوزع .. وقد يقدح فى الحسن قبح اسمه ويزيد فى مهابة الرجل فخامة اسمه ولهذا تكنى البحترى بابى عبادة وكان يكنى ابا الحسن : وشهد رجل عند شريح وكان الرجل يكنى ابا الكويفر فرد شهادته ولم يسئل عنه : وسمع عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه رجلا يكنى ابا العمرين فقال لوكان عاقلا لكفاه احدهما : واتى ظالم بن سراق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليستعمله فرده .. وقال انت تظلم وابوك يسرق وظالم هذا جد المهلب بن ابى صفرة * وهذه جملة كافية اذا تدبرت وبالله التوفيق ،،

ومن عيوب الكلام تكرير الكلمة الواحدة فى كلام قصير : مثل قول سعيد بن حميد ومثل خادمك بين مايملك فلم يجد شيئا يفى بحقك . ورأى ان تقريظك بما يبلغه اللسان وان كان مقصراً عن حقك [١] ابلغ فى اداء مايجب لك : فكرر الحق فى المقدار اليسير من الكلام ،،

---

[١] — فى نسخة — وان كان مقصوراً على حقك .

وينبغي ان يتجنب الكاتب جميع مايكسب الكلام تعمية فيرتب الفاظه ترتيباً صحيحاً ويتجنب السقيم منه وهومثل ماكتب بعضهم : لفلان وله بي حرمة مظلمة : وكان ينبغي ان يقول — لفلان وانا ارعى حرمته مُظلمة — ومايجرى هذا المجرى من الترتيب المختار البعيد من الاشكال ..

الفصل الثاني من الباب الثالث

فيما يحتاج اليه الكاتب الى ارتسامه وامتثاله في مكاتباته

ينبغي ان تعلم ان الكتابة الجيدة تحتاج الى ادوات جمة والآت كثيرة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعاني والى الحساب وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور والاهلة وغيرذلك مما ليس هاهنا موضع ذكره وشرحه لانا انما عملنا هذا الكتاب لمن استكمل هذه الآلآت كلها وبقى عليه المعرفة بصنعة الكلام وهي اصعبها واشدها : والشاهد ماروى لنا ابواحمد عن مبرمان عن المبرد * انه قال لااحتاج الى وصف نفسي لعلم الناس بي انه ليس احد من الخافقين يختلج في نفسه مسئلة مشكلة الا لقيني بها واعدني لها فانا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لايخفى على مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة أو التماس حاجة فاجعل المعنى الذي اقصده نصب عيني ثم لااجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان ولقد بلغني ان عبيدالله بن سليمان ذكرني بجميل فحاولت ان اكتب اليه رقعةً اشكره فيها واعرض ببعض اموري فاتعبت نفسي يوماً في ذلك فلم اقدر على ما ارتضيه منها وكنت احاول الافصاح عما في ضميري فينصرف لساني الى غيره .. ولذلك قيل زيادة المنطق على الادب خدعة . وزيادة الادب على المنطق هجنة ..

فاول ماينبغي ان تستعمله في كتابتك .. مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم : والشاهد عليه ان النبي (صلى الله عليه وسلم) لما اراد ان يكتب الى اهل فارس كتب اليهم بما يمكن ترجمته فكتب .. من محمد رسول الله الى كسرى ابر ويز * عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله فادعوك بداعية الله فاني انا رسول الله الى الخلق كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين

فاسلم تسلم فان ابيت فاسم المجوس عليك .. فسهل (صلى الله عليه وسلم) الالفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لايخفى منها شئ على من له ادنى معرفة فى العربية ولما اراد ان يكتب الى قوم من العرب فخم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله .. فكتب لوائل * بن حُجْر [الحضرمى] .. من محمد رسول الله الى الأقيال العَبَاهلة من اهل حَضْرَ مَوْتَ باقام الصلاة وايتاء الزكاة على التَّبعَة الشاة والتيمَةُ لصاحبهـا وفى السُّيوب الخُمُسُ لاخِلَاطَ ولاوِرَاطَ ولاشِنَاقَ ولاشِغَارَ ومن أَجْبَى فقدْ أَرْبَى وكل مسكر حرام [١] ..

وكذلك كتابه (صلى الله عليه وسلم) لأُكَيْدِر صاحب دُومَة الجندل * .. من محمد رسول الله لأُكَيْدِر حين اجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله * ان لنا الضاحيةَ من الضَّحْل والبَوْرُ والمَعامىَ واغفالُ الارض والحَلْقَة والسلاح ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لاتُعْدَلُ سارحَتُكم ولا تُعَدُّ فاردَتُكم ولايحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة عليكم بذلك عهد الله وميثاقه [٢] ..

---

[١] — العباهلة — هم الذين اقروا على ملكهم لايزالون عنه .. وكل شئ اهملته فكان مهملا لايمنع مما يريد ولا يضرب على يديه فهو معبهل — والتبعة — بكسر الباء كما ضبط فى اصول الحفاظ مايتبع المال من نوائب الحقوق وفى نسخة والتيعة بالياء بعد الباء — والتيمة — الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى — والسيوب — الركاز لانها من سيب الله وعطائه .. قال ثعلب هى المعادن — والخلاط — مصدر خالطه يخالطه مخالطة وخلاطا والمراد ان يخلط رجل ابله بابل غيره او بقره او غنمه ليمنع حق الله تعالى منها ويبخس المصدق فيما يجب له قاله ابن الاثير — والوراط — الخديعة والغش فى الغنم وماوجبت الزكاة فيه من السوائم وهو ان يجمع بين متفرقين او يفرق بين مجتمعين — وقوله صلى الله عليه وسلم ولاشناق — اى لايؤخذ من الشنق حتى يتم والشنق على مافسره ابو عبيد القاسم بن سلام مابين الفريضتين وهو مازاد من الابل على الخمس الى العشر وما زاد على العشر الى خمس عشرة يقول لايؤخذ من الشنق حتى يتم — والشغار — بكسر الشين المعجمة على مافى الاصول وذلك نكاح كان فى الجاهلية قال الامام الشافعى وابوعبيد الشغار المنهى عنه ان يزوج الرجل الرجل حريمته على ان يزوجه المزوج حريمة له اخرى ويكون مهر كل واحدة منهما بضع الاخرى كانهما رفعا المهر واخليا البضع عنه — وقوله صلى الله عليه وسلم من اجبى فقد اربى — قال ابن الاثير الاصل فى هذه اللفظة (اى اجبى) الهمز ولكنه روى غير مهموز فاما ان يكون من تحريف الراوى او يكون ترك الهمز للازدواج باربى .. قال ابوعبيد الاجباء هنا بيع الحرث والزرع قبل ان يبدوا صلاحه .

[٢] — الضاحية — من ضحا الشئ يضحو فهو ضاح اى برز وظهر والضاحية من النخل الخارجة من العمارة التى لاحائل دونها — والضحل — بالسكون القليل من الماء وقيل الماء القريب المكان .. — والبور — هو بالفتح مصدر وصف به ويروى بالضم وهو جمع البوار وهى الارض الخراب

واعلم ان المعانى التى تنشأ الكتب فيها من الامر والنهى سبيلها ان تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام لا بجهة كثرة اللفظ لان حكم ماينفذ عن السلطان فى كتبه شبيه بحكم توقيعاته من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى هذا اذا كان الامر والنهى واقعين فى جملة واحدة لايقع فيهما وجوه التمثيل للاعمال فامّا اذا وقعا فى ذلك الجنس فان الحكم فيهما يخالف ما ذكرناه وسبيل الكلام فيها ان يحمل على الاطالة والتكرير دون الحذف والايجاز وذلك مثل مايكتب عن السلطان فى امر الاموال وجبايتها واستخراجها فسبيل الكلام ان يقدم فيها [١] ذكر مارأه السلطان فى ذلك ودبره ثم يعقب بذكر الامر بامتثاله ولا يقتصر على ذلك حتى يؤكد ويكرر لتأكد الحجة على المأمور به ويحذر مع ذلك من الاخلال والتقصير .. ومنها الاحماد والاذمام والثناء والتقريظ والذم والاستصغار والعدل والتوبيخ وسبيل ذلك ان تشبع الكلام فيه ويمد القول حسب مايقتضيه آثار المكتوب اليه فى الاحسان والاساءة والاجتهاد والتقصير ليرتاح بذلك قلب المطيع وينبسط امله ويرتاع قلب المسئ ويأخذ نفسه بالارتداع ،،

فامّا مايكتبه العمال الى الامرآء ومن فوقهم فان سبيل ماكان واقعاً منها فى انهاء الاخبار وتقرير صور مايلونه من الاعمال ويجرى على ايديهم من صنوف الاموال ان يمد القول فيه حتى يبلغ غاية الشفآء والاقناع وتمام الشرح والاستقصاء اذليس للايجاز والاقتصار عليه موضع [٢] ويكون ذلك بالالفاظ السهلة القريبة المأخذ السريعة الى الفهم دون مايقع فيه استكراه وتعقيد وربما تعرض الحاجة فى انهاء الخبر الى استعمال الكناية والتورية عن الشئ دون الافصاح لما فى التصريح من هتك الستر وفى حكايته عن عدو اطلق لسانه به وفيه اطراح مهابة الرئيس فيجب اجلاله عنه او فى الصدق مايسؤه سماعه ويقع بخلاف محبته فيحتاج منشئ الكلام الى استعمال لفظ فى العبارة لاتخرق معه هيبة الرئيس ولا يعترض فيه مايشتد عليه ولا يكون ايضاً معها خيانة فى طى مالايجب ستره ولايكمل لهذا الا المبرز الكامل المقدم ،،

التى لم تزرع — والمامى — واحدها معمى الاراضى المجهولة — وقوله اغفال الارض — اى التى ليس بها اثر عمارة — والحلقة — بسكون اللام السلاح عاما — وقوله الضامنة من النخل — قال ابو عبيد ماتضمنها امصارهم وكان داخلا فى العمارة واطاف بها سور المدينة — والمعين — الماء السائل وقيل الجارى على وجه الارض وقيل الماء العذب الغزير — وقوله ولا تعدل سارحتكم — قال ابو عبيد اراد ان ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده يقال عدلته اى صرفته فعدل اى انصرف والسارحة هى الماشية — ولاتعد فاردتكم — الفرد والفارد بمعنى المنفرد .. قال ابو عبيد يعنى الزائدة على الفريضة اى لاتضم الى غيرها فتعد معها وتحسب . [١] — نسخة — منه بدل قوله فيها

[٢] — هكذا فى نسخة وفى اخرى — اذ ليس الايجاز الاقتصار والاقتصار عليه موضع .

وسبيل مايكتب به فى باب الشكر ان لايقع فيه اسهاب فان اسهاب التابع فى الشكر اذا رجع الى خصوصية نوع من الابرام والتثقيل .. ولايحسن منه ان يستعمل الاكثار من الثناء والدعاء ايضا فان ذلك فعل الاباعد الذين لم تتقدم لهم وسائل من الخدمة ومقدمات فى الحرمة اوتكون صناعتهم التكسب بتقريظ الملوك واطرآء السلاطين .. فلايقبح اكثار الثناء من هؤلاء .. وليس يحسن منه ايضا تكرير الدعآء فى صدر الكتاب والرقاع عندما يجريه من ذكر الرئيس فان ذلك مشغلة وكلفة والحكم فيما يستعمله من ذلك فى الكتب مشبه بحكم مايستعمل منه شفاهاً .. ويقبح من خادم السلطان ان لايشغل سمعه فى مخاطبته اياه بكثرة الدعاء له وتكثيره عند استيناف كل لفظة ..

وسبيل مايكتب به التابع الى المتبوع فى معنى الاستعطاف ومسئلة النظرآء ان لايكثر من شكاية الحال ورقتها واستيلاء الخصاصة عليه فيها فان ذلك يجمع الى الابرام والاضجار شكاية الرئيس لسوء حاله وقلة ظهور نعمته عليه .. وهذا عند الرؤسآء مكروه جداً بل يجب ان يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير العائدة ..

وسبيل مايكتب به فى الاعتذار من شئ ان تجنب فيه الاطناب والاسهاب الى ايراد النكت التى يتوهم انها مقنعة فى ازالة الموجدة ولايمعن فى تبرئة ساحته فى الاساءة والتقصير فان ذلك مما تكرهه الرؤساء والذى جرت به عادتهم الاعتراف من خدمهم وخولهم بالتقصير والتفريط فى ادآء حقوقهم وتأدية فروضهم ليكون لهم فيما يعقبون ذلك من العفو والتجاوز موضع منة مستأنفة تستدعى شكراً . وعارفة مستجدة تقتضى نشراً .. فاما اذا بالغ المتنصل فى براءة ساحته من كل ماقذف به فلاموضع للاحسان اليه فى اعفائه عن ترك السخط بل ذلك امر واجب له وفى منع الرئيس حصته منه ظلم واساءة وينبغى ان يكثر الالفاظ عنده فان احتاج الى اعادة المعانى اعاد مايعيده منها بغير اللفظ الذى ابتدأه به : مثل ماقال معاوية رضى الله عنه .. من لم يكن من بنى عبد المطلب جواداً فهو دخيل . ومن لم يكن من بنى الزبير شجاعا فهو لزيق . ومن لم يكن من ولد المغيرة تياها فهو سنيد .. فقال دخيل ثم قال لزيق ثم قال سنيد والمعنى واحد والكلام على ماتراه احسن ولو قال لزيق ثم اعاده لسمج ..

هذا ادام الله عزك .. بعد ان تفرق بين من تكتب اليه فان رأيت . وبين من تكتب اليه فرأيك . وان تعرف مقدار المكتوب اليه من الرؤساء والنظرآء والغلمان والوكلاء فتفرق بين من تكتب اليه بصفة الحال وذكر السلامة . وبين من تكتب اليه بتركها اجلالاً واعظاما .. وبين من تكتب اليه انا افعل كذا .. وبين من تكتب اليه نحن نفعل كذا .. فأنا من كلام الاخوان والاشباه .. ونحن من كلام الملوك .. وتكتب فى اول الكتاب سلام عليك

وفي اخره والسلام عليك لان الشئ اذا ابتدأت بذكره كان نكرة فاذا اعدته صار معرفة .. كما تقول مربنا رجل فاذا رجع قلت رجع الرجل وكان الناس فيما مضى يستعملون في اول فصول الرسائل اما بعد وقد تركها اليوم جماعة من الكتاب فلايكادون يستعملونها في شئ من كتبهم واظنهم الموا بقول ابن القرية وسأله الحجاج عما ينكره من خطابته فقال انك تكثر الرد . وتشير باليد . وتستعين باما بعد . فتحاموه لهذه الجهة مع انهم رووا في التفسير ان قول الله تعالى ﴿ واتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ هو قوله اما بعد .. فان استعملته اتباعا للاسلاف ورغبة فيما جاء فيه من التأويل فهو حسن وان تركته توخيا لمطابقة اهل عصرك وكراهة للخروج عما اصلوه لم يكن ضائراً ،،

وينبغي ان يكون الدعاء على حسب ماتوجبه الحال بينك وبين من تكتب اليه وعلى القدر المكتوب فيه : وقد كتب بعضهم الى حبة له عصمنا الله واياك مما يكره .. فكتبت اليه .. ياغليظ الطبع لواستجيبت لك دعوتك لم نلتق ابداً ،،

واعلم ان الذى يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو ان تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع فان جعلتها مسجوعة كان احسن مالم يكن في سجعك استكراه وتنافر وتعقيد وكثير مايقع ذلك في السجع وقل مايسلم اذاطال من استكراه وتنافر ،،

وينبغي ان تجنب اعادة حروف الصلاة والرباطات في موضع واحد اذا كتبت مثل قول القائل منه له عليه . اوعليه فيه . اوبه له منه . واخفها له عليه .. فسبيله ان تداويه حتى تزيله بان تفصل مابين الحرفين : مثل ان تقول اقمت به شهيدا عليه : ولا اعرف احداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث الا المتنبي * فانه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما اعدمه شيئاً منها حتى تخطى الى هذا النوع فقال

ويسعدني في غَمْرة بعد غَمْرة ... سَبُوحٌ له منها عَلَيْها شواهِدُ

فأتى من الاستكراه بالايطار غرابه فتدبر ماقلناه وارتسمه تظفر ببغيتك منه ان شاء الله

الباب الرابع

فى البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك وخلاف ذلك

اجناس الكلام المنظوم (ثلاثة) الرسائل . والخطب . والشعر . وجميعها تحتاج الى حسن التأليف وجودة التركيب .. وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ومع سؤ التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية فاذا كان المعنى سبياً . ورصف الكلام ردّياً . لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة . واذا كان المعنى وسطا . ورصف الكلام جيداً . كان احسن موقعاً . واطيب مستمعا . فهو بمنزلة العقد اذا جعل كل خرزة منه الى مايليق بها كان رايعاً فى المرأى وان لم يكن مرتفعا جليلا [١] وان اختلّ نظمه فضمت الحبة منه الى مالايليق بها اقتحمته العين وان كان فايقا ثمينا : وحسن الرصف ان توضع الالفاظ فى مواضعها . وتمكن فى اماكنها . ولايستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة الاحذفا لايفسد الكلام ولايعمى المعنى ويضم كل لفظة منها الى شكلها وتضاف الى لفقها : وسؤ الرصف تقديم ماينبغى تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال فى نظمها : (وقال) العتابى : الالفاظ اجساد . والمعانى ارواح . وانما تراها بعيون القلوب فاذاقدمت منها مؤخراً . او أخرت منها مقدما . افسدت الصورة وغيرت المعنى . كما لوحول رأس الى موضع يد . اويد الى موضع رجل . لتحولت الخلقة . وتغيرت الحلية [٢] : وقد احسن فى هذا التمثيل واعلم به على ان الذى ينبغى فى صيغة الكلام وضع كل شئ منه فى موضعه ليخرج بذلك من سؤ النظم ،،

فمن سؤ النظم المعاظلة .. وقد مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهيراً لمجانبتها .. فقال كان لايعاظل بين الكلام .. واصل هذه الكلمة من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى وعاظل الرجل المرأة اذا ركبها فمن المعاظلة .. قول الفرزدق

تعالَ فانْ عاهَدْتنى لاتخوننى ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ ياذئب يَصْطَحِبَانِ

وقوله

هُوَ السَّيْفُ الّذِى نصر ابن اَرْوىْ ... به عُثمانَ مَرْوانُ المُصَابَا

[١] — ورد فى هذه الجملة — فى نسخة بدل قوله رائعاً . رائقا . وبدل جليلا . نبيلا .

[٢] — فى نسخة — الجبلة بدل قوله الحلية .

وقوله للوليد بن عبدالملك

إلَى ملك مَا امُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ　　ابوه ولا كانَتْ كُلَيْباً تُصَاهِرُهْ

وقوله يمدح هشام بن اسماعيل *

وما مثله فى الناس الا مُمَلَّـكاً　　ابو اُمّهِ حَيّ أبوهُ يُقَـارِبُهْ

وقوله

الشمسُ طَـالِعةٌ لَيْسَت بكاسِفَةٍ　　تَبْكِى عَلَيْك نجُومَ اللَّيْلِ والقَمَرا

وقوله

مَامِنْ ندَى رَجُلٍ احق بمَا اتَى　　مِنْ مَكْرُمَاتِ عظَائِمِ الاخطارِ

مِن راحَتَيْنِ تريد تقطع زَنْدَهُ　　كفَّاهُمَا واشـدّ عقد إزارِ

وقوله [١]

اذا جئْتَهُ اعطَاكَ عفواً ولم يَكُنْ　　على ماله حَالَ آلردَى مِثْلَ سَائِلُهْ

الى ملِكٍ لاتَنْصُفُ الساقَ نعله　　اَجَلْ لاَ وانْ كانت طِوالاً مَحامِلُهْ

وقال قدامة * لااعرف المعاظلة الا فاحش الاستعارة .. مثل قول اوس

وذاتِ هِدْمٍ عَارٍ نواشِرُهَا　　تُصْمِتُ بالمـاءِ تولباً جدعا [٢]

فسمى الصبي تولبا والتولب ولد الحمار .. وقول الاخر

وما رَقَدَ الوِلْدانُ حتى رأيْتَـهُ　　على البَكْر يَمْرِيه بساقٍ وحافِرِ [٣]

---

[١] — اوردالبيت الثانى صاحب اللسان فى مادة ن ع ل ونسبه لذى الرمة وقال ويروى حمائله بدل محامله

[٢] — الهدم — بالكسر الكساء الذى ضوعفت رقاعه وخص ابن الاعرابى به الكساء البالى من الصوف — والنواشر — عصب الذراع من داخل وخارج .. وقيل هى العصب التى فى ظاهرها .. وقال فى اللسان قال ابن برى عندقوله وذات بالكسر صوابه وذات بالرفع لانه معطوف على فاعل قبله وهو

ليبكك الشرب والمدامة والـ　　فتيان طراً وطـامع طمعا

[٣] — البكر — الفتى من الابل : وقوله — يمريه من مريت الفرس اذا استخرجت ماعنـده من الجرى : والبيت لُجَيْبها الاسدى يصف ضيفا طارقا اسرع اليه : وقبله

فابصر نارى وهى شقراء اوقدت　　بليـل فلاحت للعيـون النواظر

فسمى قدم الانسان حافراً .. وهذا غلط من قدامة كبير لان المعاظلة فى اصل الكلام انما هى ركوب الشئ بعضه بعضاً وسمى الكلام به اذا لم ينضد نضداً مستويا واركب بعض الفاظه رقاب بعض وتداخلت اجزاؤه تشبيها بتعاظل الكلاب والجراد على ماذكرناه وتسمية القدم بحافر ليست بمداخلة كلام فى كلام وانما هو بعد فى الاستعارة : والدليل على ماقلنا انك لاترى فى شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ويوجد فى اكثر شعر الفحول فنحو مانفاه عنه عمر (رضى الله عنه) وحده فما وجد [منه] فى شعر النابغة .. قوله

يُثِرْنَ الثَّرى حتى يباشرْن بُرده   اذا الشمس مَجَّتْ رِيقها بالكلاكِل [١]

معناه يثرن الثرى حتى يباشرن برده بالكلاكل اذا الشمس مجت ريقها .. وهذا مستهجن جداً لان المعنى تعمى فيه .. وقول الشماخ

تخامَصُ عن بَرْدِ الوشاح اذا مَشَتْ   تخامُص حافى الخيل فى الأَمْعَزِ الوَجِى [٢]

معناه تخامص الحافى الوجى فى الامعز .. وقول لبيد

وشَمُولٍ قهوةٍ باكرتُها   فى التباشير مع الصبح الأَوَلْ

اى فى التباشير الاول مع الصبح [٣] .. وكقول ذى الرمة

كأنَّ أصْوَاتَ منْ ايغالِهنَّ بنا   اواخر الميس أصْوات الفَراريج

يريد — كان اصوات آخر الميس اصوات الفراريج من ايغالهن [٤] — وقوله ايضا

نضَا البُرْد عنهُ وهو منْ ذوجُنُونهِ   اجارِىّ تَصهالٍ وصوتِ صَلاصِلِ [٥]

---

[١] — الكلكل : والكلكال — الصدر من كل شئ وقد يستعار لما ليس بجسم (كاهنا) — والمج — الرمى ومج بريقه لفظه ورماه .. والبيت فى ديوانه هكذا

يثرن الحصى حتى يباشرن برده   اذا الشمس مدت ريقها بالكلاكل

[٢] — التخامص — التجافى عن الشئ قاله فى اللسان واستشهد له بالبيت والامعز المكان الكثير الحصى الصلب — والوجى — تقدم معناه .. وجاء فى بعض النسخ بدل الحافى الجافى وبدل الامعز الامعر

[٣] — فى نسخة من الصبح بدل قوله مع الصبح فى المكانين

[٤] — الميس — التبختر — والايغال — السير السريع والامعان فيه

[٥] — الاجارى — ضرب من الجرى والصهل حدة الصوت : وجاء فى احدى النسخ هكذا

نضا البُرْد عنه وهو من ذوجنونه   اجارى تصهال وصوتِ صُلاصل

كانه من تخليطه كلام مجنون اوهجر مبرسم[١] .. يريد — وهو من جنونه ذواجارى —
وكقول ابى حية * النميرى

كما خُطَّ الكتاب بكفِ يوماً   يهودىّ يُقارِبُ او يزيلُ

يريد — كما خط الكتاب بكف يهودى يوما يقارب اويزيل — وقول الاخر

هُمَا اخوا فى الحربِ مَنْ لا اخا له   اذا خافَ يوماً نبوةً فدعَاهُما

— يريد اخوا لا اخا له فى الحرب — وليس للمحدث ان يجعل هذه الابيات حجة ويبنى عليها فانه لايعذر فى شئ منها لاجتماع الناس اليوم على مجانبة امثالها واستجادة مايصح من الكلام ويستبين واسترذال مايشكل ويستبهم : فمن الكلام المستوى النظم . الملتئم الرصف : قول بعض العرب

ايا شجرَ الخابور مالكَ مُورقاً   كأنك لم تحزنْ على ابن طَريفِ

فتىً لايُحِبُّ الزاد الاّ من التُقى   ولاالمال الاّ من قناً وسيوفِ

ولاالخيل الاكُلّ جرداَء شَطْبَةٍ   واجرد شَطْبٍ فى العنان خنُوفِ

كانك لم تشهدْ طعاناً ولم تقمْ   مقاماً على الاعداءِ غير خفيفِ

فلا تجزعا يابنىْ طريف فاننى   ارى الموت حلالاً بكل شريف

والمنظوم الجيد ماخرج مخرج المنثور فى سلاسته . وسهولته . واستوائه . وقلت ضروراته :
ومن ذلك قول بعض المحدثين

وقُوفكَ تَحْتَ ظِلالِ السيُو   فِ أقرَّ الخِلاَفة فى دَارِهَا

كانك مُطَّلِع فى القلو   ب اذا مَا تناجتْ باسرارِهَا

فكرَّاتُ طَرفِك مردو   دة اليك بغامض اخبارها

وفى راحتيك الرَّدىَ والندى   وكلتاهُما طوعُ ممتَارِهَا

واقضيةُ الله محتومة   وانت مُنَفِذُ اقدارهَا

[١] — المبرسم — هوالمصاب بعلة البرسام : قال الجوهرى علة معروفة : وقال فى اللسان البرسام الموم : وحكى عن ابن برى فى مادة م و م الموم الحمى

ولاتكاد القصيدة تستوى ابياتها فى حسن التأليف ولابد ان تخالف فمن ذلك : قول عبيد بن الابرص * [١]

وقَدْ علا لمتى شَيْبٌ فودّعنى　　منه الغوانى ودَاع الصّارم القَالى [٢]

وقد أُسَلّى همومى حين تحضُرُنى　　بجَسْرَةٍ كعَلَاةِ القَين شِمْلالِ [٣]

زَيّافةٍ بقدُودِ الرّحْل ناجِيَةٍ　　تفرى الهجير بتبغيلٍ وإرقالِ [٤]

[١] — الابيات من قصيدة ذكرها هبة الله العلوى فى مختاراته وقد اتى المصنف على اكثرها فنوردها هنا من رواية المختارات ليتأمل المطالع ما بينهما من الاختلاف ويستقيم له المعنى بتناسق ترتيبها : وهى

يادار هند عفاها كل هطال　　بالجو مثل سحيق اليمنة البالى

جرت عليها رياح الصيف فاطردت　　والريح مما تعفيها باذيال

حبست فيها صحابى كى اسائلها　　والدمع قد بل منى جيب سربالى

شوقا الى الحى ايام الجميع بها　　وكيف يطرب او يشتاق امثالى

وقد علا لمتى شيب فودعنى　　منه الغوانى وداع الصارم القالى

وقد اسلى همومى حين يحضرنى　　بجسرة كعلاة القين شملال

زيافة بقتود الرحل ناجية　　تفرى الهجير بتبغيل وارقال

مقذوفة بلكيك اللحم عن عرض　　كمفرد وحد بالجو ذيال

هذا وحرب عوان قد سموت لها　　حتى شببت لها نارا باشعال

تحتى مسومة جرداء مجلزة　　كالسهم ارسله من كفه الغالى

وكبش ملومة باد نواجذها　　شهباء ذات سرابيل وابطال

اوجرت جفرته خرصا فمال به　　كما انثنى مخضد من ناعم الضال

وقهوة كرفات المسك طال بها　　فى دنها كر حول بعد احوال

باكرتها قبل ان يبدو الصباح لنا　　فى بيت منهمر الكفين مفضال

وغيلة كمهات الجو ناعمة　　كان ريقتها شيبت بسلسال

قد بت العبها وهنا وتلعبنى　　ثم انصرفت وهى منى على بال

بان الشباب فآلى لايلم بنا　　واحتل بى من مشيب اى محلال

والشيب شين لمن ارسى بساحته　　لله در سواد اللمة الخالى

[٢] — اللمة — بالكسر شعر الرأس وهى دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فان زادت فهى الجمة : وفى نسخة (وقد علا مفرق) بدل لمتى

[٣] — الجسرة — الناقة اذا كانت طويلة ضخمة من قولهم رجل جسر : وقيل هى القوية التى تجسر على كل شئ — والعلاة — السندان اى الزبرة التى يضرب عليها الحداد الحديد

[٤] — الزيافة — الناقة المختالة التى تزيف فى سيرها — والقتود — بفتح القاف خشب الرحل : وفى نسخة (بقدود الرحل) وذلك سيوره — والتبغيل والارقال — ضروب من السير تقدم معناهما

وفيها

تَحتى مسـومّةٌ جرداآءُ عِجْلزة   كالسهم ارسـلَهُ من كفّهِ الغَالى [١]

والشيب شينٌ لمن ارسَى بساحته   لله درُّ سـوادِ اللّمّة الخـالى

فهذا نظم حسن وتأليف مختار : وفيها ماهو ردئ لاخير فيه وهو .. قوله

بانَ الشـبابُ فَآلىٰ لايُلِمَّ بنـا   واحتلّ بى من مَشِيبٍ كل محلاَلِ

وقوله

فَبِتُّ أُلْعِبُهـا طَوْراً وتُلْعِبُنِى   ثم انصرفتُ وَهِى منّى على بال [٢]

قوله ـ واحتل بى من مشيب كل محلال ـ بغيض خارج عن طريقة الاستعمال : وابغض منه قوله ـ وهى منى على بال ـ وفيها

وكَبْشِ مَلْمُومَةٍ بادٍ نواجذُهَا   شَهباآءَ ذاتَ سرابيلٍ وأَبْطَالِ [٣]

السرابيل : الدروع فلو وضع السيوف موضع الدروع لكان اجود : وفيها

او جَرْتُ جُفْرَتَهُ خُرْصاً فَمالَ به   كما انثنى مخضدٌ من ناعم الضال [٤]

النصف الثانى اكثر مآء من النصف الاول : وفيها

وقهْوَةٍ كرُضَابِ المِسْكِ طَالَ بها   فى دَنّها كرُّ حَوْلٍ بعد احْوَالِ

---

[١] ـ المسومة ـ المعلمة بعلامة الحرب : وقيل المخلاة فى سومها والسوم الذهاب فى المرعى ـ والعجلزة ـ الصلبة اللحم ـ والغالى ـ الذى يغلو بسهمه اى يباعد به فى الرمى

[٢] ـ العبها ـ اى احدثها بالشئ الذى تتعجب منه : ومن غريب التصحيف ماوجدته فى احدى نسخ الاصل ـ العنها . وتلعننى ـ بدل قوله العبها وتلعبنى

[٣] ـ الكبش ـ من القوم رئيسهم ـ والملمومة ـ الكتيبة المجتمعة

[٤] ـ الوجر ـ ان توجر ماء اودواء فى وسط حلق الصبي : ومنه اوجره الرمح لاغيره طعنه به فى فيه ـ والجفرة ـ وسط كل شئ ومعظمه ـ والخرص ـ سنان الرمح وتجوز فيه الحركات الثلاث ـ والمخضد ـ العود الناعم الذى اذا خضدته اى جذبته انجذب : وفى اللسان اذا كسرت العود فلم تبنه قلت خضدته ـ والضال ـ السدر البرى والمخضود منه الذى قطع شوكه : وصدر هـذا البيت اضطربت الاصول فى روايته ففى نسخة هكذا (اولجت حفوته خرصاً فمال به) وفى اخرى (اولجت جنبيه خرصانا فـال به) وما اثبتناه موافق لما فى المختارات واللسان الا فى قوله مخضد فان صاحب اللسان ذكره بصيغة المصدر فى مادة خ ر ص ثم وجدته قد ذكره فى خ ض د هكذا (اوجرت حفرته حرصا فمال به) الخ

هذا البيت متوسط

باكرتها قبل ان يبدو الصباحُ لنا في بيت منهمر الكفَّين مِفضال

النصف الثانى اجود من النصف الاول .. وقوله

امّا اذا دُعِيَتْ نَزالِ فإنهم يحدون للرُّكبات فى الأَبدانِ [١]

هذا ردیٔ الرصف .. وبعده

فَخلدتُ بَعْدهم ولستُ بخالد والدهر ذُوغير وذوالوانِ

متوسط .. وبعده

إلَّا لأعْلَمَ مَاجَهِلتُ بِعَقبِهم وتذكرى مافات اىّ أَوانِ

مختل النظم : ومعناه لست بخالد الا لاعلم ماجهلت وتذكرى مافات اى اوان كان .. وقول النمر بن تولب * [١]

لَعمرى لقَدْ انكرتُ نَفْسِى وَرَابَنِى معَ آلشيب آبْدالى التى اتبدلُ

فضولُ ارَاهَافى اَدِيمِى بعْدَمَا يكون كفافَ اللَحْم اوهُوَ اَفْضَلُ

وبُطِئٌ عن الداعى فَلست بآخذٍ سلاحى اليه مَثل ما كنتُ افعلُ

كانّ مِحَطّاً فى يدىْ حارثية صَناعٍ علَتْ منى به الجلد مِنْ عَلُ

---

[١] — النزال — مثل قطام بمعنى انزل وهو معدول عن المنازلة ولهذا انثه قاله الجوهرى : وفى نسخة بدل يحدون . يجزون وكتب بها مشها اى يجثون فليحرر

[١] الابيات هذه من قصيدته المشهورة اوردها ابوزيد فى الجمهرة : ومطلعها

تأبد من اطلال عمرة مأسل وقداقفرت منها شراء فيذبل

قوله فى البيت الثانى — كفاف اللحم — قال فى اللسان فلان لحمه كفاف لاديمه اذا امتلاء جلده (اى اديمه) من لحمه وانشد البيت وقد جاء فى بعض النسخ (كفاف اللحم اوهو اجمل) من فلاه اى بغضه : وفى بعضها افضل بدل اجمل وهى رواية ابو زيد فى الجمهرة : وقوله — وبطئ — هكذا فى سائر الاصول وفى الجمهرة بطئ على وزن فعيل : وقد اورده بعد قوله

وكنت صفى النفس لاشئ دونه فقد صرت من إقصا جيبى اذهل

وقوله — محطا — قال فى اللسان المحط حديدة اوخشبة يصقل بها الجلد حتى يلين ويبرق : وفى الجمهرة المحط الذى يحط به الادم : وفى نسخة مخطا بالخاء المعجمة وقد جعله فى اللسان شبيه المحط : وقوله — حارثية — قال فى الجمهرة اراد بالحارثية النسبة الى الحرث بن كعب لانهم اهل ادم وقوله — من عل — بضم اللام لغة فى قولهم من عل بكسرها اى من عال كما فى الصحاح وفى بعض النسخ قد رسمت موصولة مع فتح الميم

تَدارك ماقبل الشباب وبعده　　　حوادث ايّام تمرّ وأغفلُ

يَوُدّالفتى طول السلامة والغنى　　　فكيف ترى طول السلامة تفعل

يردّالفتى بعد اعتدالٍ وصحّةٍ　　　ينوءُ اذارام القيام ويُحمَلُ

فهذهالابيات جيدة السبك حسنة الرصف : وفيها

فلاالجارة الدنيا لها تُلحِينّها　　　ولاالضيفُ فيها إنْ اناخ مُحوَّلُ [١]

فالنصف الاول مختل : لانه خالف فيه وجه الاستعمال .. ووجهه ان يقول فهى لاتلحى الجارة الدنيا اى القريبة : وكذلك قوله

اذاهتكتْ أطْنابُ بيت وأهله　　　بمُعطِنَهَا لم يُورِدُوا المَآء قيّلوا [٢]

هذا مضطرب لتناوله المعنى من بعيد ووجه الكلام انيقول اذا دنت ابلنا من حى ولم ترد ابلهم الماء قيلوا من ابلنا ـ والقيل ـ شرب نصف النهار : واشد اضطرابا منه : قوله

وما قَمْنا فيه الوطابُ وحَوْلنا　　　بيوتٌ علينا كلها فوه مُقبلُ[٣]

ووجه الكلام انيقول لسنا نحقنالبن فنجعل الاقاع فىالوطاب لانحولنا بيوت افواههم مقبلة علينا يرجون خيرنا فاضطرب نظم هذهالابيات لعدولها عنوجهالاستعمال : ومثله

رأتْ امُتّنا كيَصا يُلَفِّفُ وَطْبه　　　الى الأنَس البادين فهو مزمَّلُ [٤]

---

[١] ـ قوله تلحينها ـ اى تنازعينها من قولهم لاحيته ملاحاة اذا نازعته : قال فىالجمهرة ادخل النون فى مستنكر يقول لاتلحى الجارة الابل اذا سقيت منهلة وهذا المعنى مغاير لمفهوم المصنف : والبيت فى بعض النسخ هكذا

فلا الجارة الدنيا اللتى تلحينها　　　ولاالضيف عنها ان اناخ محول

[٢] ـ المعطن ـ مبركالابل حولالحوض : وفىالجمهرة بمعظهما بالظاءالمشالة والميم بعدالهاء ولعله من غلط النساخ

[٣] ـ فى نسخة ـ فأقمنا فيها الوطاب الخ وقريب من ذلك رواية الجمهرة الاقوله ـ مقبل ـ فان الذى فىالجمهرة مقفل

[٤] ـ هكذا البيت ـ فى اصح نسخالاصل وفى بعضها

رأت امنا وطبا يجئ به امرؤ　　　من الماء للبادين فهو مزمل

وفىاللسان فىمادة كيص

رأت رجلا كيصا يلفف وطبه　　　فيأتى به البادين وهو مزمل

فقالتْ فلان قَدْ اغاثَ عيــالَه وأودى عيالُ آخرُون فهزلوا

ألمْ يكُ ولدانٌ اعانوا ومجلسٌ قريبٌ فيجرى اذْ يكفُ ويجملُ

[— الكيص — الذى ينزل وحده — والوطب — وعاء اللبن — والانس البـا دون — اهله لانه يرده اليهم فنهم من يتذمم فيسقى لبنه ومنهم من يرده كيصا مثل فعلى الذى ينزل وحده مزمل مبرد] [١]

فهذه الابيات سمجة الرصف لان الفصيح اذا أراد ان يعبر عن هذه المعانى ولم يسامح نفسه عبر عنها بخلاف ذلك : وكان القوم لا ينتقد عليهم فكانوا يسامحون انفسهم فى الاسأة ،،

فاما مثال الحسن الرصف من الرسائل فكما كتب بعضهم .. ولولا ان اجود الكلام. مايدل قليله على كثيره . وتغنى جملته عن تفصيله . لوسعت نطـاق القول فيما انطوى عليه من خلوص المودة . وصفاء المحبة . فجال مجال الطرف فى ميدانه . وتصرف تصرف الروض فى افتنانه . لكن البلاغة بالايجاز . ابلغ من البيان بالاطناب ،،

ومن تمام حسن الرصف ان يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه طلاوة ومآء وربما كان الكلام مستقيم الالفاظ . صحيح المعانى . ولايكون له رونق ولارواء ولذلك : قال الاصمعى لشعر لبيد : كانه طيلسان طبرانى اى هو محكم الاصل ولارونق له .. والكلام اذا خرج فى غير تكلف [وكد] وشدة تفكر وتعمل كان سلساً سهلا وكان له مآء ورواء ورقراق وعليـه فرند لايكون على غـيره مما عسر بروزه واسـتكره خروجـه .. وذلك مثل قول الحطيئة

هُمُ القَوْمُ الذين اذا الّمتْ من الايام مظلمة اضاؤا

وقوله

لَهُمْ فى بنى الحاجاتِ اَيْدٍ كأنها تساقط مآءِ المُزْنِ فى البلد القَفْرِ

---

[١] هذا التفسير لم اجده الا فى نسخة واحدة وقد فسر به ابوزيد فى الجمهرة : وقال فى اللسان بعد ان ذكر البيت وفسر الكيص بالرجل الاشر وحكاه عن ابى على ثم ذكر عن ثعلب بان الكيص الاثيم وانشد البيت وهذا بناء على ان الروايتان فى كيصا بكسر الكاف ثم ذكر عن ابى على ورجل كيص بفتح الكاف ينزل وحـده واختلف فى الالف من كيصـا فحكى عن ابى على وثعلب ان الالف الف النصب لاالف الالحاق : وقول المصنف فى التفسير مزمل مبرد اراد بالمبرد المغطى .. وقوله — قد اغاث عياله — هكذا فى الاصول وفى — الجمهرة قد اعاش عيـاله : وقوله قريب الخ البيت الذى فى الجمهرة — فتخزى اذا رأونا نحـل ونحمل — وفى بعض الاصول — اذيحل ويحمل — وفى ثالثة — يلف ويحمل — فليحرر

وكقول اشجع *

قَصْرٌ عليه تحيةٌ وسلام ... نشرَتْ عليه جمالَها الايّامُ

واذا سيوفك صافحت هَامَ العِدَى ... طارتْ لهنَّ عن الفِراخ الهامُ

برقتْ سماؤك لِلعَدوِّ فامطرتْ ... هَاماً لها ظِلّ السيوف غَمامُ

رأيُ الأمامِ وعزمهُ وحسامهُ ... جُنْدٌ ورآء المسلمين قيامُ

وكقول النمر

خاطرْ بنفسك كيْ تُصِيبَ غنيمةً ... انّ الجلوسَ مع العيالِ قبيحُ

فالمال فيه تجلّة ومَهَابةٌ ... والفقر فيه مذلة وقُبُوحُ

وكقول الآخر

نامتْ جدودُهم واسقطَ نَجْمُهم ... والنجم يَسْقُط والجدود تَنامُ

وكقول الآخر

لعنَ الآله تِعِلّة بن مُسَافِرٍ ... لعنًا يُشَنُّ عليه من قُدَّامِ [١]

ففى هذه الابيات مع جودتها رونق ليس فى غيرها مما يجرى مجراها فى صحة المعنى وصواب اللفظ : و [من] الكلام الصحيح المعنى واللفظ . القليل الحلاوة العديم الطلاوة : قول الشاعر

ارى رجالا بأدْنَى الدين قَدْ قنعوا ... ولااراهمْ رضوا فى العيش بالدونِ

فاستَغْنِ باللهِ عَنْ دُنْيا الملُوكِ كما آسْ ... ستغنَى الملوك بدُنيَاهُمْ عَنِ الدّينِ

ومن الشعر المستحسن الرونق : قول دعبل [٢]

وانَّ آمْرَءاً امْسَتْ مساقط رحله ... بأسوانَ لم يترُكْ له الحرص مَعْلَمَا

حللتَ محلا يقصرُ البرق دونَهُ ... ويعجز عنه الطيف ان يتجشما

---

[١] نسخة مساور بدل مسافر : وفى اللسان فى مادة علل ما يصحح الاول [٢] تقدم ذكرهما فى صفحه ٤١ برواية — الحزم — بدل — الحرص

الباب الخامس

فى ذكر الايجاز والاطناب فصلانه

الفصل الاول من الباب الخامس فى ذكر الايجاز

قال اصحاب الايجاز : الايجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل فى باب الهذر والخطل وهما من اعظم ادوآء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة .. وفى تفضيل الايجاز : يقول جعفر بن يحى لكتّابه : ان قدرتم ان تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا : وقال بعضهم الزيادة فى الحد نقصان : وقال محمد الامين * عليكم بالايجاز فان له افهاما . وللاطالة استبهاما : وقال شبيب بن شبة * : القليل الكافى . خير من كثير غير شاف : وقال آخر : اذا طال الكلام عرضت له اسباب التكلف ولا خير فى شئ يأتى به التكلف : و[قد] قيل لبعضهم : ما البلاغة. فقال الايجاز. قيل وما الايجاز. قال حذف الفضول . وتقريب البعيد : وسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلا يقول لرجل كفاك الله ما اهمك: فقال هذه البلاغة وسمع آخر يقول عصمك الله من المكاره: فقال هذه البلاغة : وقوله صلى الله عليه وسلم (اوتيت جوامع الكلم) وقيل لبعضهم : لم لا تطيل الشعر: فقال حسبك من القلادة ما احاط بالعنق : وقيل ذلك لآخر : فقال لست ابيعه مذارعة : وقيل للفرزدق : ماصيرك الى [القصايد] القصار بعد الطوال : فقال : لانى رأيتها فى الصدور اوقع . وفى المحافل اجول : وقالت بنت الحطيئة * لابيها : مابال قصارك . اكثر من طوالك : فقال لانها فى الاذان اولج . وبالافواه اعلق : وقال ابوسفيان * لابن الزبعرى : قصرت فى شعرك : فقال حسبك من الشعر غرة لائحة . وسمة واضحة : وقيل للنابغة الذبيانى : الا تطيل القصائد كما اطال صاحبك ابن حجر : فقال من انتحل انتقر [١] : وقيل لبعض المحدثين مالك لاتزيد على اربعة واثنين : قال هن بالقلوب اوقع . والى الحفظ اسرع . وبالالسن اعلق . وللمعانى اجمع . وصاحبها ابلغ واوجز : وقيل لابن حازم الا تطيل القصايد : فقال

[١] — الانتقار — الاختيار : وجاء فى نسخة بدل — انتحل — انتخل

أَبَىٰ لِى أَنْ أُطِيلَ الشِّعْرَ قَصْدِى	الى المعنى وعلمى بالصَّوابِ
وايجازى بمختصرٍ قريبٍ	حذفتُ بهالفضولَ مِنَ الجوابِ
فابعثهُنَّ اربعةً وستّاً	مثقفةً بالفاظٍ عِذابِ
[خَوالدَ ماحَدَا ليلٌ نهاراً	ومَاحَسُنَ الصبى باحى الشبابِ]
وَهُنَّ اذا وَسَمْتُ بِهِنَّ قَوْماً	كأطواقِ الحَمَايم فى الرقابِ
[وكُنَّ اذا اقمتُ مسافرات	تَهَادَاه الرُّوَاةُ مع الركابِ]

وقال اميرالمؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه : مارأيت بليغا قطالاوله فى القول ايجاز. وفى المعانى اطالة : وقيل لاياس بن معاوية * مافيك عيب غير انك كثير الكلام: قال افتسمعون صواباً ام خطاءً : قالوا بل صوابا : قال فالزيادة من الخير خير .. وليس كما قال لا ن للكلام غاية . ولنشاط السامعين نهاية . وما فضل عن مقدار الاحتمال . دعا الى الاستثقال . وصار سببا للملال. فذلك هو الهذر والاسهاب والخطل وهو معيب عند كل لبيب : وقال بعضهم : البلاغة بالايجاز . انجع من البيان بالاطناب : وقال : المكثار كحاطب الليل : وقيل لبعضهم : من ابلغ الناس : قال من حلّى المعنى المزيز . باللفظ الوجيز . وطبق المفصل قبل التحزيز ـ المزيز ـ الفاضل والمزُّ الفضل ـ وقوله وطبق المفصل قبل التحزيز ـ مأخوذ من كلام معاوية رضى الله عنه وهو قوله لعمرو بن العاص * رضى الله عنه لمااقبل ابو موسى * رضى الله عنه : ياعمرو انه قد ضُمّ اليك رجل طويل اللسان . قصير الرأى والعرفان . فاقلل الحز . وطبق المفصّل . ولاتلقه بكل رأيك : فقال عمرو اكثَرَ من الطعام ومابطن قوم الافقدوا بعض عقولهم ،،

والايجاز .. القصر والحذف : فالقصر تقليل الالفاظ وتكثير المعانى .. وهو قول الله عزوجلّ ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ ويتبين فضل هذا الكلام اذا قرنته بماجاء عن العرب فى معناه وهو قولهم ـ القتل انفى للقتل ـ فصار لفظ القرأن فوق هذا القول لزيادته عليه فى الفائدة وهو ابانة العدل لذكر القصاص واظهار الغرض[١] المرغوب عنه فيه لذكر الحياة واستدعاء الرغبة والرهبة لحكم الله به ولايجازه فى العبارة : فان الذى هو نظير قولهم ـ القتل انفى للقتل ـ انما هو ﴿ القصاص حياة ﴾ وهذا اقل حروفا من ذاك ولبعده من الكلفة بالتكرير وهو قولهم ـ القتل انفى للقتل ـ ولفظ القرأن برئ من ذلك وبحسن التأليف وشدة التلاؤم المدرك بالحس لان الخروج من الفاء الى اللام اعدل من الخروج من اللام

[١] نسخة ـ العوض ـ مكان الغرض

الى الهمزة : ومن القصر ايضا قوله تعالى ﴿ اذا لذهب كل آله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾ لايوازى هذا الكلام فى الاختصار شئ : وقوله تعالى ﴿ ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم ﴾ وقوله عز اسمه ﴿ ولايحيق المكر السئ الا بأهله ﴾ وانما كان سؤ عاقبة المكر والبغى راجعا عليهم وحايقا بهم فجعله للبغى والمكر الذين هما من فعلهم ايجازا واختصاراً : وقوله سبحانه ﴿ افنضرب عنكم الذكر صفحاً ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيّاً ﴾ تحير فى فصاحته جميع البلغاء ولايجوز ان يوجد مثله فى كلام البشر : وقوله تعالى ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ وقوله تعالى ﴿ يا ارض ابلعى ماءك ويا سماءُ اقلعى الآية ﴾ تتضمن مع الايجاز والفصاحة دلائل القدرة : وقوله تعالى ﴿ الا له الخلق والامر ﴾ كلتان استوعبتا جميع الاشياء على غاية الاستقصاء وروى انّ ابن عمر رحمه الله * قرأها نقال من بقى له شئ فليطلبه : وقوله تعالى ﴿ واختلاف السنتكم والوانكم ﴾ اختلاف اللغات والمناظر والهيئات : وقوله تعالى فى صفة خمر اهل الجنة ﴿ لايُصَدّعون عنها ولاينزفون ﴾ انتظم قوله سبحانه ﴿ ولاينزفون ﴾ عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب : وقوله تعالى ﴿ اولئك لهم الامن ﴾ دخل تحت الامن جميع المحبوبات لانه نفى به ان يخافوا شيئاً اصلا من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك من اصناف المكاره فلاترى كلمة اجمع من هذه : وقوله عز وجل ﴿ والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ﴾ جمع انواع التجارات وصنوف المرافق التى لايبلغها العد والاحصاء : ومثله قوله سبحانه ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ جمع منافع الدنيا والاخرة : وقوله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ ثلاث كلمات تشتمل على امر الرسالة وشرايعها و احكامها على الاستقصاء لما فى قوله ﴿ فاصدع ﴾ من الدلالة على التأثير كتأثير الصدع : وقوله تعالى ﴿ وكل امر مستقر ﴾ ثلاث كلمات اشتملت على عواقب الدنيا والاخرة : وقوله تعالى ﴿ وله ماسكن فى الليل والنهار ﴾ وانما ذكر الساكن ولم يذكر المتحرك لان سكون الاجسام الثقيلة مثل الارض والسماء فى الهواء من غير علاقة ودعامة اعجب وادل على قدرة مسكنّها : وقوله عز وجل ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ فجمع جميع مكارم الاخلاق باسرها لان فى العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالعرف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن الحُرمات والتبرؤ من كل قبيح لانه لايجوز ان يأمر بالمعروف وهو يلابس شيئاً من المنكر وفى الاعراض عن الجاهلين

الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يوتغ [١] الدين ويسقط القدرة : وقوله تعالى ﴿ اخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ فدل بشيئين على جميع ما اخرجه من الارض قوتاً ومتاعاً للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار [والملح] والماء لان النار من العيدان والملح من الماء والشاهد على انه اراد ذلك كله قوله تعالى ﴿ متاعا لكم ولانعامكم ﴾ : وقوله تعالى ﴿ تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ﴾ فانظر هل يمكن احداً من اصناف المتكلمين ايراد هذه المعانى فى مثل هذا القدر من الالفاظ : وقوله عز وجل ﴿ ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ﴾ جمع الاشياء كلها حتى لايشذ منها شئ على وجه : وقوله تعالى ﴿ وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ﴾ جمع فيه من نعم الجنة مالاتحصره الافهام . ولاتبلغه الاوهام ،،

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اياكم وخضراء الدِّمَن) [٢] وقوله صلى الله عليه وسلم (حبك الشئ يعمى و يصم) وقوله صلى الله عليه وسلم (انّ من البيان لسحراً) وقوله عليه الصلاة والسلام (مما يُنْبِتُ الربيعُ مايقتل حَبطا اويلمّ [٣]) وقوله صلى الله عليه وسلم (الصحة والفراغ نعمتان) وقوله عليه الصلاة والسلام (نية المؤمن خير من عمله) وقوله صلى الله عليه وسلم (ترك الشر صدقة) وقوله صلى الله عليه وسلم (الحُمَّى فى اصول النخل [٤]) فمعانى هذا الكلام اكثر من الفاظه واذا اردت ان تعرف صحة ذلك فحلها وابنها بناء آخر فانك تجدها تجئ فى اضعاف هذه الالفاظ : وقوله صلى الله عليه وسلم (اذا اعطاك الله خيرا فليبن عليك وابدأ بمن تعول وارتضخ من الفضل ولاتلم على الكفاف ولاتعجز عن نفسك) قوله صلى الله عليه وسلم (فليبن عليك) أى فليظهر اثره عليك بالصدقة والمعروف ودلّ على ذلك بقوله (وابدأ بمن تعول) (وارتضخ من الفضل)

---

[١] — الوتغ — بالتحريك الهلاك والاثم وفساد الدين

[٢] — الدمن — جمع دمنة والاصل فيه ماتدمنه الابل والغنم من ابعارها وابوالها اى تلبده فى مرابضها فربما نبت فيها الكلاء يرى له نضارة وهو وبئ المرعى منتن الاصل شبه به المرأة الحسناء فى المنبت السؤ لان تمام الحديث قيل وماذاك (قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء)

[٣] — الحديث — تقصى روايته الازهرى واورده عنه بطوله مفسراً صاحب اللسان فى مادة حبط : وقال ان قوله صلى الله عليه وسلم (ان مماينبت الربيع مايقتل حبطا) فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب التى تَحْلَوْلِيهَا الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك

[٤] — فى نسخة — النحل — ولم اقف على هذا الحديث مع التقصى الزائد فليراجع

اى اكسر من مالك واعطه واسم الشئ الرضيخة [١] (ولاتعجز عن نفسك) اى لاتجمع لغيرك وتبخل عن نفسك فلا تقدم خيراً ،،

وقول اعرابى اللهم هب لى حقك . وارض عنى خلقك : وقال آخر : اولئك قوم جعلوا اموالهم مناديلُ لاعراضهم . فالخير بهم زايد . والمعروف لهم شاهد : اى يقُون اعراضهم باموالهم : وقيل لاعرابى يسوق مالاً كثيرا لمن هذا المال .. فقال لله فى يدى : وقال اعرابى لرجل يمدحه انه ليعطى عطاء من يعلم ان الله مادته .. وقول آخر : اما بعد فعظ الناس بفعلك . ولاتعظهم بقولك . واستحى من الله بقدر قربه منك . وخفه بقدر قدرته عليك : وقال آخر .. ان شككت فىّ فاسئل قلبك عن قلبى ،،

ومما يدخل فى هذا الباب المساواة .. وهو ان تكون المعانى بقدر الالفاظ والالفاظ بقدر المعانى لايزيد بعضها على بعض وهو المذهب المتوسط بين الايجاز والاطناب واليه اشار القائل بقوله : كانّ الفاظه قوالب لمعانيه .. اى لايزيد بعضها على بعض ،،

فمما فى القرآن من ذلك . قوله عزوجل ﴿ حور مقصورات فى الخيام ﴾ [٢] وقوله تعالى ﴿ ودّوا لو تُدهن فيدهنون ﴾ [٣] ومثله كثير ،،

ومن كلام النبى صلى الله عليه وسلم (لاتزال امتى بخير مالم ترالامانة مغنما والزكاة مغرما) وقوله صلى الله عليه وسلم (اياك والمشارّة فانها تُميت الغُرّة وتُحيى العُرّة [٤]) ،،

ومن الفاظ هذه الفصول ماكانت معانيه اكثر من الفاظه وانما يكره تميزها كراهة الاطالة : ومن نثر الكتاب قول بعضهم : سئالت عن خبرى وانا فى عافية لاعيب فيها الا فقدك . ونعمة لامزيد فيها الا بك : وقوله علّمتنى نبوتك سلوتك . واسلمنى يأسى

---

[١] — الرضيخة — المطية القليلة والرضخ العطاء : وتفسير المصنف له بقوله (اى اكسر من مالك) رجوع الى اصل معنى الرضخ : وجاء فى نسخة — اكثر — من الاكثار بدل قوله اكسر

[٢] — مقصورات — اى محبوسات على ازواجهن : قال الفراء قصرن على ازواجهن اى حبسن فلايردن غيرهم ولايطمحن الى من سواهم

[٣] — المداهنة — من الادهان وهى المقاربة فى الكلام والتليين فى القول : وحكى فى اللسان من الفراء (ودوا لوتدهن فيدهنون) بمعنى ودوا لوتكفروا فيكفرون

[٤] — المشارة — المفاعلة من الشر اى لاتفعل به شرا فتحوجه الى ان يفعل بك مثله — والغرة — بالضم غرة الفرس وكل شئ ترفع قيمته فهو غرة والمراد به هنا الحسن والعمل الصالح : وفى نسخة بالفتح والضبط بالضم هو الموافق لما فى كتب الحديث — والعرة — بالضم فى اصح النسخ وهكذا ضبطها فى اللسان وقال بعدان ذكر لفظ الحديث : هى القذر وعذرة الناس فاستعير للمساوى والمثالب : وفى بعض النسخ بالفتح واختلف فى معناها على اقوال شتى والحديث اورده السيوطى فى الجامع الصغير من رواية البيهق عن ابى هريرة بلفظ (اياكم ومشارة الناس فانها تدفن الغرة وتظهر العرة)

منك. الى الصبر عنك : وقوله فحفظ الله النعمة عليك وفيك. وتولى اصلاحك والاصلاح لك . واجزل من الخير حظك والحظ منك . ومنّ عليك وعلينا بك : وقال آخر . يئست من صلاحك بى . واخاف فسادى بك . وقد اطنب فى ذم الحمار من شبهك به ،،

ومن المنظوم : قول طرفة

سَتُبْدِى لك الايامُ ما كنتَ جاهِلاً ... ويأتيك بالاخبــار من لَمْ تزَوِّدِ

وقول الاخر

تُهْدَى الامور باهل الرأى ماصَلَحَتْ ... فأنْ تأبّتْ فبــالاشرار تَنْقَــادُ [١]

وقول الاخر

فأمّا الذى يحصيهم فَـكَثّرُ ... وامّا الذى يُطرِيهُم فَمُقَلّلُ [٢]

وقول الاخر [٣]

أَهابكِ اجلالاً ومابكِ قدرةٌ ... علىّ ولكنْ ملْءُ عَيْنٍ حَبيبُهَا

وماهجرتُكِ النفس انك عِنْدها ... قليلٌ ولكن قلّ منك نصيبها

وقول الاخر

اصدُّ بأيدِى العِيسِ عَنْ قَصْدِ اَهْلِهَا ... وقَلْبِى الَيْهَــا بالمودَّةِ قاصِــدُ

وقول الاخر

يقول اناسٌ لايضيركَ فَقْدُهَــا [٤] ... بلىٰ كل ماشقّ النفوس يضيرهَا

وقال الاخر

يطُول اليَوْم لاالقـــاكَ فيه ... وحَوْلٌ نَلْتَقِى فيــه قَصيرُ

وقالوا لايَضِيركَ نَأى شَهْرٍ ... فقلتُ لصَــاحبى فَلِمَنَ يضيرُ

قوله — لصاحبى — يكاد يكون فضلا ،،

وامّا الحذف فعلى وجوه منها ان يحذف المضاف ويقيم المضاف اليه مقامه ويجعل الفعل له كقول الله تعالى ﴿ واسئل القرية ﴾ اى اهلها : وقوله تعالى ﴿ واشربوا فى قلوبهم العجل ﴾

---

[١] نسخة — فان تولت — بدل تأبت [٢] — الاطراء — مجاوزة الحد فى المدح

[٣] — فى الحماسة عجز البيت الثانى هكذا (قليل ولاان قل منك نصيبها)

[٤] — الضير — بمعنى الضر : وجاء فى نسخة بدل فقدها نأيها

اى حبه : وقوله عزوجل ﴿ الحجّ اشهر معلومات ﴾ اى وقت الحج : وقوله تعالى ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ اى مكركم فيهما .. وقال [المتنخل] الهذلى

يُمَشّي بَيْنَنَا حانوتُ خَمْرٍ ... مِنَ الخُرْسِ الصَراصِرَة القِطَاطِ [١]

يعنى صاحب حانوت فاقام الحانوت مقامه .. وقال الشاعر [٢]

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِبَالِ أَذِلَّةٌ ... سَواسِيَةٌ احْرَارُهَا وعبيدُها

يعنى اهل المجلس ،،

ومنها ان يوقع الفعل على شيئين وهو لاحدهما ويضمر للاخر فعله .. وهو قوله تعالى ﴿ فاجمعوا امركم وشركاءكم ﴾ معناه وادعوا شركائكم وكذلك هو فى مصحف عبدالله [بن مسعود] * وقال الشاعر

تراه كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ ... وعَيْنَيْه إنْ مولاه ثاب له وَفْرُ

اى ويفقأ عينيه .. وقول الاخر

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يَوْماً ... وزَجَّجْنَ الحواجِبَ والعيُونَا

العيون لاتزجج وانما اراد وكحلن العيون ،،

ومنها ان يأتى الكلام على ان له جوابا فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب : كقوله عزوجل ﴿ ولو انّ قرأناً سيرت به الجبال أو قطّعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً ﴾ اراد لكان هذا القرأن فحذف : وقوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وانّ الله رؤف رحيم ﴾ اراد لعذبكم .. وقال الشاعر

فاقسِمُ لَوْ شيْءٌ اتانا رسولهُ ... سِواكَ ولكنْ لم نجِدْ لكَ مَدْفَعَا

---

[١] — الخرس — معلوم — والصراصرة — نبط الشام : وقال الازهرى فى تفسير البيت — الخرس الصراصرة — هم خدم من العجم لايفصحون فلذلك جعلهم خرسا — والقطط — شعر الزنجى لقصره وتجعده وقد قطط شعره بالكسر وهو احد ماجاء على الاصل باظهار التضعيف والجمع اقطاط بالفتح واقطاط بالكسر وشاهده البيت

[٢] — البيت لذى الرمة : وقبله

وامثلُ اخلاق امرئٌ القيس انها ... صِلاب على عضّ الهوان جلودها

— الصهب — من الصهوبة بياض يخالطها حمرة — والسبال — واحدها سبلة : وهى الدائرة التى فى وسط الشفة العليا وقيل ماعلى الشارب من الشعر وقيل طرفه وعن ثعلب هى اللحية كلها : وقوله — سواسية — اى سواء بالنقص والجهل على حد قولهم (سواسية كاسنان الحمار)

اى لرددناه .. وقوله تعالى ﴿ ليسوا سوآءً من اهل الكتاب امةٌ قايمة ﴾ فذكر امةً واحدة ولم يذكر بعدها اخرى وسواء يأتى من اثنين [١] فما زاد : وكذلك قوله تعالى ﴿ امّنْ هو قانت آناءالليل ساجداً وقائما ﴾ ولم يذكر خلافه لانّ فى قوله تعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾ دليلا على ماأراد : وقال الشاعر

أراد فما أدرى اهمٌ هَمَمْتُه وذوالهمّ قِدْماً خاشعٌ متضايلُ [٢]

ولم يأت بالآخر . . وربما حذفوا الكلمة والكلمتين : كقوله تعالى ﴿ فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم ﴾ وقوله تعالى ﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾ اى ووصى بالوالدين احسانا : وقال النمر

فانَّ المنيَّة مَنْ يَخْشَها فَسَوْفَ تُصَادِفُه اينَما

اى — اينما ذهب : وقال ذوالرمة

لعِرفَانِها والعَهْدُناءٍ وقَدْبدا لذى نُهيَةٍ انْلاالى امّ سَالِمِ [٣]

[المعنى ان لاسبيل اليها ولاالى لقائها فاكتفى بالاشارة الى المعنى لانه قد عُرِف ما اراد كما : قال النمر بن تولب

فلا وأبى الناس لايعلمون لاالخير خير ولاالشر شر

اى — ليس بدايمين لاحد — والنهية العقل والجمع نهى] [٤] وقوله تعالى ﴿ فى يوم عاصف ﴾ اى فى يوم ذى عاصف : وقوله تعالى ﴿ وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ﴾ اى ولا من فى السماء بمعجز : ومثل ذلك قول الشنفرى

---

[١] — سوآء — اسم بمعنى الاستواء يوصف به كما يوصف بالمصادر وقد تأتى بمعنى الوسط كما فى قوله تعالى (فى سواء الجحيم) واختلف فى انه هل يثنى ويجمع والصحيح انه لايثنى ولايجمع لانه جرى عندهم مجرى المصدر : وقول المصنف — ياتى من اثنين فمازاد — هكذا فى نسختين : وفى نسخة : تأتى لاثنين فصاعدا

[٢] — المتضائل — المنقبض كالشئ اذا تقبض وانضم بعضه الى بعض : والضئيل النحيف

[٣] — هكذا رواية البيت — فى اصح النسخ وفى بعضها اقتصار على عجزه بهذا الضبط (لدى نَهْيَةِ الا الى ام سالم)

[٤] هذا التفسير — الى قوله نهى وجدته بهامش نسخة ملحقا بالاصل وقد كتب على طرة تلك النسخة انها بخط مصنفها ولم تثبت عندى هذه النسبة على انها اصح نسخة وقعت الى : والذى فى غيرها اقتصار على هذه العبارة (اى ان لاسبيل اليها) فقط

لاتدفنُونى انَّ دَفنِى محرَّمُ　　　عليكم ولكنْ خامرى اُمَّ عامرِ

اى — ولكن دعونى لاتى يقال لها خامرى ام عامر اذا صيدت[١] — يعنى الضبع — ،،

ومنها القسم بلا جواب : كقوله تعالى ﴿ ق والقرأن المجيد بل عجبوا ﴾ معناه والله اعلم ق والقرأن المجيد لتبعثن والشاهد ماجاء بعده من ذكر البعث فى قوله ﴿ أ ايذا متنا وكنا ترابا ﴾ ومن الحذف قوله تعالى ﴿ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ﴾ اى كباسط كفيه الى الماء ليقبض عليه : وقال الشاعر

إنى واياكم وشَوْقاً اليكم　　　كقابض ماءٍ لَم تَسِقْهُ انامِلُهْ [٢]

ومن الحذف اسقاط — لا — من الكلام فى قوله تعالى ﴿ يبين الله لكم ان تضلوا ﴾ أى —لان لاتضلوا — وقوله تعالى ﴿ ان تحبط اعمالكم ﴾ اى — لاتحبط اعمالكم — وقال امرؤ القيس

فَقُلْتُ يمين الله أبْرَحُ قاعداً　　　ولو قطعوا رأسى لَدَيْكِ وَأَوْصَالى

اى — لاابرح قاعداً — : وقال آخر

فَلَا وأَبى دُهْمَانَ زالتْ عزيزةً　　　على قَوْمِهَا مَافتَّل الزَّنْد قادِحُ

ومن الحذف ان تضمر غير مذكور : كقوله تعالى ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ يعنى الشمس [بدأت فى المغيب] : وقوله تعالى ﴿ ماترك على ظهرها من دابة ﴾ يعنى على ظهر الارض : وقوله تعالى ﴿ فاثرن به نقعا ﴾ اى بالوادى : وقوله تعالى ﴿ والنهار اذا جلاها ﴾ يعنى الدنيا اوالارض ﴿ ولايخاف عقباها ﴾ يعنى عقبى هذه الفعلة : وقال لبيد

حتّى اذا القتْ يداً فى كافرٍ　　　واجنَّ عَوْرَاتِ الثغور ظَلامُهَا [٣]

[١] — هكذا الرواية — فى سائر نسخ الاصول والذى فى اللسان فى مادة ع م ر

لاتقبرونى انّ قبرى محرم　　　عليكم ولكن ابشرى ام عامر

وقول المصنف — خامرى ام عامر اذا صيدت — اى يقال للضبع اذا اريد اصطيادها بعد ان يجئ الرجل الى وجارها فيسد فمه بعد ماتدخله لئلا ترى الضوء فتحمل عليه فيقول خامرى ام عامر ابشرى بجراد عظلى وكمر رجال قتلى فتذل له حتى يكعمها ثم يجرها ويستخرجها

[٢] — القائل — ضابئ بن الحرث البرجمى : وقوله — تسقه — اى لم تحمله : من وسقت الشئ اسقه وسقا اذا حملته : حكاه فى اللسان واستشهد له بالبيت المذكور

[٣] — الكافر — الليل لانه يستر بظلمته كل شئ — واجن — عليه الليل اذا اظلم — والثغور — واحده ثغر : وذلك كل فرجة فى جبل اوبطن واد اوطريق مسلوك : قال ابن السكيت ان لبيدا سرق هذا المعنى من قول ثعلبة بن صعيرة المازنى يصف الظليم والنعامة ورواحهما الى بيضهما عند غروب الشمس وذلك بقوله　فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما　　القت ذُكاء يمينها فى كافر

يعنى الشمس تدأب فى المغيب ،،

وضرب منه آخر : قوله تعالى ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً ﴾ اى من قومه: وقال العجّاج

تحتَ الذى آختار لهُ اللهُ الشّجرْ

اى من الشجر ،،

وضرب منه ماقال تعالى فى اول سورة الرحمن ﴿ فبأى ألاء ربكما تكذبان ﴾ وذكر قبل ذلك الانسان ولم يذكر الجانّ ثم ذكره : ومثله قول المثقب *

فما أدرِى اذَا يَمّمْتُ ارضاً　　اريدُ الخَيْرَ ايّهُمَا يَليِنى

أالخيرُ الذى انا ابتغيــه　　أمِ الشرالذى هو يبتَغينى

فكنى عن الشر قبل ذكره ثم ذكره ،،

ومن الحذف : قوله تعالى ﴿ يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل ﴾ اراد يشترون الضــلالة بالهدى : وقوله تعالى ﴿ وتركنا عليه فى الاخرين ﴾ اى ابقيناله ذكراً حســناً فى الباقين فحذف الذكر : ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ﴾ اى يبحث التراب على غراب آخر ليواريه فيرى هو كيف يوارى سوأة اخيه : وقوله تعالى ﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ﴾ اى فى مرضاتهم ،،

ومن الحذف : قول صعصعة * وقد سئل عن على بن ابى طالب رضى الله عنه : فقال لم يقل فيه مستزيد لوانّه . ولامستقصر انه . جمع الحلم . والعلم . والسلم . والقرابة القريبة . والهجرة القديمة . والبَصَر بالاحكام . والبلاء العظيم فى الاسلام : وقال علىّ رضى الله عنه : سبق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)وصلّى ابوبكر * وثلّث عمر وخبطتنا فتنة فماشاء الله[١]: وقال القيسى * مازلت امتطى النهار اليك. واستدل بفضلك عليك. حتى اذا جنّنى الليل. فقبض البصر . ومحاالاثر . اقام بدنى . وسافر املى . والاجتهاد عاذر. واذا بلغتك فقط : فقوله — فقط — من احسن حذف واجود اشـارة .. واخبرنا ابو احمـد قال اخبرنا

[١] — قوله وصلى ابوبكر — رضى الله عنه : قال ابوعبيد فى غريب الحديث واصل هذا فى الخيل فالسابق الاول والمصلى الثانى قيل له مصل لانه يكون عند صلاالاول وصلاه جانبا ذنبه عن يمينه وشماله : وقد وقع فى بعض النسخ — وخبطتنا — بالخاء المهملة والذى فى غريب الحديث موافق لما ذكرناه : وفى بعض الروايات وثنى ابوبكر رضى الله عنه

ابراهيم [بن الزغل] العبشمى قال حدثنا المبرد انّ عبدالله بن يزيد بن معاوية * اتى اخاه خالداً * فقال يا اخى لقد هممت اليوم ان افتك بالوليد * بن عبدالملك فقال خالد بئيس والله ماهممت به فى ابن امير المؤمنين وولىّ عهد المسلمين : فقال ان خيلى مرت به فعبث بها واصغرنى فيها : فقال انا اكفيك فدخل على عبدالملك : فقال ياامير المؤمنين ان الوليد بن امير المؤمنين مرت به خيل ابن عمه عبدالله بن يزيد فعبث بها واصغره فيها وعبدالملك مطرق ثم رفع رأسه وقال ﴿ ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ﴾ فقال خالد ﴿ واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ فقال عبدالملك افى عبدالله تكلمنى لقد دخل على فما اقام لسانه لحناً : فقال خالد افعلى الوليد تعول : فقال عبدالملك ان كان الوليد يلحن فان اخاه سليمان : فقال خالد ان كان عبدالله يلحن فان اخاه خالدا : فقال له الوليد اسكت فوالله — ماتعد فى العير ولا فى النفير — فقال اسمع يا امير المؤمنين ثم اقبل عليه : فقال ويحك فمن للعير والنفير غيرى جدى ابوسفيان * صاحب العير وجدى عتبة * بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان قلنا صدقت : وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم طرد الحكم * بن ابى العاص فصار الى الطائف يرعى غنيمه ويأوى الى حبلة وهى الكرمة ورحم الله عثمان اى لرده اياه : فهذا حذف بديع : وكذلك قول عبدالملك : ان كان الوليد يلحن فان اخاه سليمان : وقول خالد : ان كان عبدالله يلحن فان اخاه خالد : حذف حسن ايضا : ومثل هذا كثير فى كلامهم ولا وجه لاستيعابه ،،

ومن الحذف الردئ .. قول الحرث بن حلزة

وَالعَيْش خَيْرٌ فى ظِـلاَ ... لِ ٱلنُوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدّا [١]

وانما اراد — والعيش الناعم خير فى ظلال النوك من العيش الشاقّ فى ظلال العقل — وليس يدل لحن كلامه على هذا فهو من الايجاز المقصر : ومن الحذف الردئ ايضا : قول الاخر

أَعَاذِلَ عَاجِلُ مااشْتَهِى ... احبُّ من الاكثَرِ الرَّايِثِ [٢]

يعنى — عاجل مااشتهى مع القلة احب الى من رايثه مع الكثرة : ومثله قول عروة بن الورد *

عَجِبْتُ لَهُم اذيقتلُون نفوسهُم ... ومَقْتلهُم عندالوغَى كانَ أعْذَرَا

---

[١] — النوك — بالضم الحمق قال فى القاموس ويفتح ايضا وقد وجدته فى نسخ الاصل مضبوطا بالضم والمحفوظ ان الرواية بالفتح فليحرر

[٢] — الريث — الابطاء والرايث المبطى

يعنى اذيقتلون نفوسهم فى السلم : ومثله من نثر الكتّاب : ما كتب بعضهم : فانّ المعروف اذا زجا [١] . كان افضل منه اذا توفر وابطا : وتمام المعنى ان يقول — اذا قلّ وزجا — فترك مابه يتم المعنى وهو ذكر القلة : وكتب بعضهم : فمازال حتى اتلف ماله . واهلك رجاله . وقدكان ذلك فى الجهاد والابلا . احق باهل الحزم واولى .. والوجه ان يقول — فان اهلاك المال والرجال فى الجهاد والابلاء افضل من فعل ذلك فى الموادعة .. ومثل هذا مقصر غير بالغ مبلغ ما تقدم فى هذا الباب من الحذف الجيّد : واقبح من هذا كله : قول الآخر

لاَيَرْمضُون اذاجرَّتْ مشَافِرُهم ... ولاَترى مثلهُم فى الطَّعْنِ ميَّالاَ [٢]

وَيَفْشَلُون اذا نادَى ربِئُهم ... الاّ اركَبُنّ فقَدْ آنستُ ابطَالاَ [٣]

اراد — ولايفشلون — فتركه فصار المعنى كانه ذم : وقول المخبل * فى الزبرقان

وأبُوكَ بَدْرٌ كان يَنْتِهسُ الحصَى ... وَأبى الجَوَاد رَبيعةُ بن قَبالِ [٤]

فقال الزبرقان لابأس شيخان اشتركا فى صنعة ،،

الفصل الثانى من الباب الخامس

فى ذكر الاطناب

قال اصحاب الاطناب : المنطق انما هو بيان والبيان لايكون الا بالاشباع . والشفا لايقع الا بالاقناع . وافضل الكلام ابينه . وابينُه اشده احاطة بالمعانى . ولا يحاط بالمعانى احاطة

[١] — زجا — قال فى الصحاح زجا الخراج يزجو زجاء اذا تيسرت جبايته : فكانه اراد هنا الشئ المتيسر

[٢] — الرمض — شدة الحر : وقيل هوالحر — والجر — السوق — والمشافر — واحده مشفر وهو من البعير كالشفة من الانسان والجحفلة من الفرس والميم فيه زائدة :

[٣] — الربيئى — القائم فى حراسة القوم : قال فى اللسان ربأالقوم يربؤهم اطلّع لهم على شرف والاصل فيه التأنيث وحكى سيبويه انه يذكر ويؤنث فيقال ربئ وربيئة فمن انث فعلى الاصل ومن ذكر فعلى انه قدنقل من الجزء الى الكل : وجاء فى نسخة واحدة ربيئتهم

[٤] — النهس — القبض على اللحم ونتره ونهسته وانهسته بمعنى : وجاء فى نسخة هكذا

وابوك بدر كان ينتهش الحصى ... وابى الجواد ربيعة بن قبسان

وكذا بدل قوله — صنعة ضيعة فليحرر

تامة الا بالاستقصاء : والايجاز للخواص . والاطناب مشترك فيه الخاصة والعامة . والغبي والفطن . والريّض والمرتاض . ولمعنى ما اطيلت الكتب السلطانية . فى افهام الرعايا ،،

والقول القصد ان الايجاز والاطناب يحتاج اليهما فى جميع الكلام وكل نوع منه : ولكل واحد منهما موضع .. فالحاجة الى الايجاز فى موضعه كالحاجة الى الاطناب فى مكانه : فمن ازال التدبير فى ذلك عن جهته واستعمل الاطناب فى موضع الايجاز واستعمل الايجاز فى موضع الاطناب اخطأ : كما روى عن جعفر بن يحيى انه قال مع تحببه بالايجاز : متى كان الايجاز ابلغ كان الاكثار عيّا . ومتى كانت الكناية فى موضع الاكثار كان الايجاز تقصيرا : وامر يحيى بن خالد [بن برمك] اثنين ان يكتبا كتابا فى معنى واحد فاطال احدهما واختصر الاخر : فقال للمختصر [وقد نظر فى كتابه] ما ارى موضع مزيد : وقال للمطيل ما ارى موضع نقصان ،،

وقال غيره . البلاغة الايجاز فى غير عجز . والاطناب فى غير خطل : ولا شك فى ان الكتب الصادرة عن السلاطين . فى الامور الجسيمة . والفتوح الجليلة . وتفخيم النعم الحادثة . والترغيب فى الطاعة . والنهى عن المعصية . سبيلها ان تكون مشبعة . مستقصاة . تملاء الصدور . وتأخذ بمجامع القلوب : الا ترى ان كتاب المهلب * الى الحجاج فى فتح الازراقة

الحمد لله الذى كفى بالاسلام فقد ماسواه . وجعل الحمد متصلا بنعمته . وقضى ان لا ينقطع المزيد من فضله . حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم انا كنّا وعدوّنا على حالتين . مختلفتين . نرى فيهم ما يسرنا اكثر مما يسؤنا . ويرون فينا ما يسؤهم اكثر مما يسرهم . فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم . ينصرنا الله ويخذلهم . ويمحصنا ويمحقهم . حتى بلغ الكتاب بنا وبهم اجله . فقطع دابر القوم الذى ظلموا والحمد لله رب العالمين ،،

وانما حسن فى موضعه ومع الغرض الذى كان لكاتبه فيه : فامّا ان كتب مثله فى فتح يوازى ذلك الفتح فى جلالة القدر وعلو الخطر وقد تطلعت انفس الخاصة والعامة اليه وتصرفت فيه ظنونهم فيورد عليهم مثل هذا القدر من الكلام فى اقبح صورة واسمجها واشوهها وانجها كان حقيقا ان يتعجب منه : وكذلك لو كتب عن السلطان فى العذل والتوبيخ وما تجب القلوب منه من التغيير والتنكير : بمثل ماروى : ان الوليد بن يزيد * كتب الى والى العراقين حين عتب عليه : انى اراك تقدم فى الطاعة رجلاً وتؤخر اخرى فأعتمد على ايتهما شيئت والسلام : و[بمثل ما] كتب جعفر بن يحيى الى عامل شكيَ : قد كثر شاكوك . وقل شاكروك . فاما عدلت . واماّ اعتزلت : ومثل هذا ما كتب به بعض الكتّاب الى عامله على الخراج وقد وقع عليه تحامل على الرعية :

ان الخراج عمود الملك . وما استغزر بمثل العدل . ولا استنزر بمثل الجور : فهذا الكلام في غاية الجودة والوجازة ولكن لا يصلح من مثل صاحبه وبالاضافة الى حاله : فالاطناب بلاغة . والتطفيل والتطويل عى .. لان التطويل بمنزلة سلوك مايبعد جهلا بما يقرب .. والاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوى على زيادة فائدة ،،

وقال الخليل : يختصر الكتاب ليحفظ . ويبسط ليفهم : وقيل لابى عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل : قال نعم : كانت تطيل ليسمع منها . وتوجز ليحفظ عنها ،،

والاطناب اذا لم يكن منه بد ايجاز : وهو فى المواعظ خاصة محمود : كما ان الايجاز فى الافهام [محمود] ممدوح

والموعظة : كقول الله تعالى ﴿ افأمن اهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾ فتكرير ما كرر من الالفاظ هاهنا فى غاية حسن الموقع : وقيل لبعضهم متى يحتاج الى الاكثار : قال اذا عظم الخطب : وانشد

صَمُوتٌ إذَا ماالصَّمتُ زيّن أهلَهُ   وفتّـاق ابكارِ الكَلَامِ المحبّرِ

وقال آخر

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِوَالِ وتارةً   وَحْيَ المُلاحِظِ خَشْيَةَ الرُقبـآءِ

وقال بعضهم

اذَا ماابْتَدَى خَاطِباً لَمْ يَقُلْ   لَهُ اَطِلِ القَوْلَ اَوْ قَصِّرِ

طَبيبٌ بَدَآءِ فنُونِ الكلَا   مِ لَمْ يَعْىَ يَوْماً وَلَمْ يَهْـذِرِ

فإنْ هُوَ اَطْنَبَ فى خُطبَةٍ   قُضِى لِلْمُطِيلِ علَى المُقصِرِ

وانْ هُوَ اوْجَزَ فى خُطْبَةٍ   قُضَى لِلمُقِلّ علَى المكثِرِ

ووجدنا الناس اذا خطبوا فى الصلح بين العشائر اطالوا . واذا انشدوا الشعر بين السماطين فى مديح الملوك اطنبوا . والاطالة والاطناب فى هذه المواضع ايجاز .. وقيل لقيس بن خارجة * ماعندك فى حمالات داحس : قال عندى قرى كل نازل . ورضى كل ساخط . وخطبة من لَدُن مطلع الشمس الى ان تغرب . آمر فيها بالتواصل . وانهى عن التقاطع .. فقيل لابى يعقوب الخزيمى * هلاّ اكتفى بقوله — آمر فيها بالتواصل — عن قوله — وانهى عنه التقاطع — فقال اوماعلمت ان الكناية والتعريض لاتعمل

عمل الاطناب والتكشيف : وقد رأينا الله تعالى اذا خاطب العرب والاعراب اخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى . واذا خاطب بنى اسرائيل اوحكى عنهم جعل الكلام مبسوطا ،،

فما خاطب به اهل مكة قوله سبحانه ﴿ ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ وقوله تعالى ﴿ اذاً لذهب كل آله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض ﴾ وقوله تعالى ﴿ اوالقى السمع وهو شهيد ﴾ فى اشباه لهذا كثيرة .. وقلّ ماتجد قصةً لبنى اسرائيل فى القرأن الامطولة مشروحةً ومكررة فى مواضع معادة لبعد فهمهم كان وتأخر معرفتهم : وكلام الفصحاء انما هو شوب الايجاز بالاطناب والفصيح العالى بما دون ذلك من القصد المتوسط ليستدل بالقصد على العالى وليخرج السامع من شئ الى شئ فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته فيصرفوه فى وجوه الكلام ايجازه واطنابه حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع .. وقد جاء فى القرأن وفصيح الشعر منه شئ كثير : فمن ذلك قوله تعالى ﴿ كلاّ سوف تعلمون ثم كلاّ سوف تعلمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ فانّ مع العسر يسراً انّ مع العسر يسرا ﴾ فيكون للتوكيد كما يقول القائل أرم ارم واعجل اعجل : وقد قال الشاعر

كَمْ نِعْمَةٍ كانتْ لكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر

هَلاّ سئالت جمُوع كِنْدَةَ يَوْمَ ولوّا أَيْنَ أَيْنَا

وانما جاءوا بالصفة وارادوا توكيدها فكرهوا اعادتها ثانية فغيروا منها حرفا ثم اتبعوها الاولى : كقولهم — عطشان. نطشان — كرهوا ان يقولوا عطشان عطشان فابدلوا من العين نونا وكذلك قالوا — حسن . بسن — وشيطان . ليطان — فى اشباه له كثيرة : وقد كرر الله عز وجل فى سورة الرحمن قوله ﴿ فباى الاء ربّكما تكذّبان ﴾ وذلك انه عدّد فيها نعماه . واذ كر عباده الائه . ونبههم على قدرها . وقدرته عليها . ولطفه فيها . وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع مااسداه اليهم منها : وقد جاء مثل ذلك عن اهل الجاهلية : قال مهلهل *

عَلَىٰ أنْ لَيْسَ عَـدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ

فكررها فى اكثر من عشرين بيتاً : وهكذا قول الحارث بن عباد *

قَرّبا مَرْبَطَ النَعَامَةِ مِنّى

كررها اكثر من ذلك : هذا لما كانت الحاجة الى تكريرها ماسة . والضرورة اليه داعية .

لعظم الخطب . وشـدة موقع الفجيعة : فهذا يدلك على انّ الاطناب فى موضعه عندهم مستحسن كما ان الايجاز فى مكانه مستحب .. ولا بد للكاتب فى اكثر انواع مكاتباته من شعبة من الاطناب يستعملها اذا اراد المزاوجة بين الفصلين ولا يعاب ذلك منه : وذلك مثل ان يكتب . عظمت نعمنا عليه . وتظاهر احساننا لديه : فيكون الفصل الاخير داخلاً فى معناه فى الفصل الاول وهو مستحسن لا يعيبه احد : ولما احيط بمروان * قال خادمه باسل * من اغفل القليل حتى يكثر . والصغير حتى يكبر . والخفى حتى يظهر . اصابه مثل هذا : وهذا كلام فى غاية الحسن وان كان معنى الفصلين الاخيرين داخـلاً فى الفصل الاول : وهكذا قول الشاعر[١]

إنّ شَرْخَ الشبَابِ والشعرِ الاسْـ ـوَدِ مَا لَمْ يُعـاضَ كان جنُونا

فالشعر الاسود داخل فى شرخ الشباب : وكذلك قول ابى تمام

رُبَّ خَفْضٍ تحت السُرَى وغناء من عناءٍ ونَضرَة مِنْ شُحُوبِ[٢]

الغناء داخل فى الخفض والعناء داخل فى السرى فاعلم : ومما هو اجـل من هذا كله قول الله عز وجل ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ فالاحسـان داخـل فى العدل وايتـاء ذى القربى داخل فى الاحسـان والفحشـاء داخل فى المنكر والبغى داخل فى الفحش : وهـذا يدل على ان اعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ لانّ المعانى اذا دخل بعضها فى بعض هذا الدخول وكانت الالفاظ مختـارة حسُن الكلام .. واذا كانت مرتبة حسنة والمعارض سيئة كان الكلام مردوداً . فاعتمد على ما مثلته لك وقس عليه ان شاء الله

[١] — الشاعر — هو حسان بن ثابت الانصارى (رضى الله عنه) — وشرخ الشباب — اوله

[٢] — السرى — بالضم نصال دقاق ويقال قصار يرمى بها الهدف : حكاه فى اللسان عن ابن الاعرابى — والنضرة — الرونق والحسن — والشحوب — تغير اللون والجسم

الباب السادس

فى حسن الاخذ وحل المنظوم : فصلان

الفصل الاول من الباب السادس فى حسن الاخذ

ليس لاحد من اصناف القائلين غنىً عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصبّ على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ويوردوها فى غير حليتها الاولى ويزيدوها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها : ولولا ان القائل يؤدّى ماسمع لما كان فى طاقته ان يقول .. وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين : وقال امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه : لولا انّ الكلام يعاد لنفد .. وقال بعضهم كل شئ ثَنَيْتَه قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال : على ان المعانى مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقى والنبطى والزنجى .. وانما تتفاضل الناس فى الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها : وقد يقع للمتأخر معنىً سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للاخر : وهذا امر عرفته من نفسى فلست امترى فيه وذلك انى عملت شيئاً فى صفة النساء

سَفَرْنَ بدوراً وانتقَبْن اهلّة

وظننت انى سبقت الى جمع هذين التشبيهين فى نصف بيت الى ان وجدته بعينه لبعض البغداديين فكثر تعجبى وعزمت على ان لااحكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكماً حتما : وسمعت ماقيل انّ من اخذ معنىً بلفظه كان [له] سارقا . ومن اخذه ببعض لفظه كان [له] سالخا . ومن اخذه فكساه لفظاً من عنده اجود من لفظه كان [هو] اولى به ممن تقدمه : وقالوا ان ابا عُذْرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن اخذ معنىً بلفظه فليس له فيه نصيب : على ان ابتكار المعنى والسبق اليه ليس هو فضيلة يرجع الى المعنى وانما هو فضيلة ترجع الى الذى ابتكره وسبق اليه .. فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه . والوسط وسط . والردىّ ردئ . وان لم يكونا مسبوقا اليهما : وقد اطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم فليس على احد فيه عيب الا اذا اخذه بلفظه كله اواخذه فأفسده

وقصر فيه عمّن تقدمه وربما اخذ الشاعر القول المشهور ولم يبال : كما فعل النابغة فأنه اخذ .. قول وهب بن الحرث بن زهرة * [١]

تبدُوا كواكِبه والشمسُ طالعة   يجْرِى على الكاسِ منه الصَابُ والمِقرُ

وقال النابغة

تَبدُوا كواكبه والشمسُ طَالعَة   لاالنُور نورٌ ولاالاظلام إظلامُ

واخذ قول رجل من كندة فى عمرو بن هند *

هُو الشمسُ وافتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَاَفْضَلَتْ   على كلِ ضَوْءٍ والملوكَ كَواكِبُ

فقال

بأنك شَمسٌ والملوك كواكبٌ   اذا طلعَتْ لَمْ يَبْدُ منهنّ كَوْكَبُ

وسنشبع القول فى هذا الباب : والحاذق يخفى دبيبه الى المعنى يأخذه فى سترة فيحكم له بالسبق اليه اكثر من يمر به .. واحد اسباب اخفاء السرق [٢] ان يأخذ معنىً من نظم فيورده فى نثر . اومن نثر فيورده فى نظم . اوينقل المعنى المستعمل فى صفة خمر . فيجعله فى مديح . اوفى مديح . فينقله الى وصف . الاّ انه لايكمل لهذا الاالمبرز . والكامل المقدم : فمن اخفى دبيبه الى المعنى وستره غاية الستر : ابونواس فى قوله

اعْطَتْكَ رَيْحَانَها العُقَارُ   [وحَانَ من لَيْلكَ انسفَارُ]

ان كان قد اخذه من قول الاعشى على ماحكوا فقد اخفاه غاية الاخفاء : وقول الاعشى

وَسَبِيئَةٍ ممـا تُعتّقُ بابِلِ   كدم الذبيح سَلبْتُها جِرْيَالَها [٣]

سئل الاعشى عن — سلبتها جريالها — فقال شربتها حمراء . وبلتها بيضاء . فبقى حسن لونها فى بدنى : ومعنى — اعطتك ريحانها العقار — اى شربتها فانتقل طيبها اليك : وهكذا .. قوله

لاينزلُ اللَيْل حَيْثُ حلّتْ   فَدهر شُرَّابِهـا نَهَارُ

[١] — نسخة — زهير بدل زهرة : وقوله فى البيت — الصاب . والمقر — فالصاب : عصارة شجر مر : وقيل هو عصارة الصبر : والمقر الحامض : وقيل انه المر : وقيل هو الصبر نفسه .. وفى اللسان قال ابو حنيفة هو نبات ينبت ورقا فى غير افنان

[٢] — نسخة — واحد اسباب السرق الخفى الخ

[٣] — السبيئة — الخمر — وجريالها — لونها : وقال ثعلب الجريال صفوة الخمر

من قول قيس بن الحطيم *

قضى الله حين صوّرها الـ ... خالق الا تكنّها السُدَفُ [١]

وهذا المعنى منقول من الغزل الى صفة الخمر فهو خفى : ومن هذا مانقله من قول : اوس بن حجر فى صفة الفرس فجعله فى صفة امرأة

فجرّدها صفرآء لا الطول عابها ... ولا قِصَرٌ أزرى بها فتعطّلا

وقول ابى نواس

فوق القصيرة والطويلة فوقها ... دون السمين ودونها المهزولُ

وان كان اخذه من .. قول ابن الاحمر

تفوتُ القِصار والطوال تفتُنها ... فمن يرها لم ينسَها ماتكلّما

اومن قول ابن عجلان النهدى *

ومخملة باللحم من دون ثوبها ... تطولُ القِصار والطوال تطولُها [٢]

فقد اخذه بلفظه واحد هذين اخذه من قول اوس والاحسان فيه له : ومما اخذه ونقله من معنىً الى معنىً : قوله

كُمَيتٌ جِسمُها معنًا ... وريّاها على سَفَرِ

وممن أخفى الاخذ ابو تمام فى : قوله

جمعتَ عُرى أعمالها بعد فرقةٍ ... اليك كما ضمّ الانابيب عامِلُ [٣]

قالوا هو من .. قول الحبال الربعىّ *

اولئك اخوانُ الصفاءِ رُزِيتهمُ ... فما الكفُّ الا إصبعٌ ثم إصبعُ

---

[١] ـــ السدف ـــ الظلمة : قال الاصمعى وذلك فى لغة نجد وفى لغة غيرهم هو الضوء فهو من الاضداد والبيت اورده فى الموازنة هكذا

(وقضى الله حين صورها الـ ... خالق الا يكنها سدف)

وفى احدى نسخ الاصل (وقضى لها الله الخ)

[٢] ـــ الخمل ـــ هدب القطيفة ونحوها مما ينسج والخمل ايضا ريش النعام وكلاهما يصح التشبيه به

[٣] ـــ الذى فى النسخة المطبوعة من ديوانه (جمعت عرى اماله بعد فرقة) : وقول المصنف اخذه من قول الحبال الربعى : فقد خالفه الآمدى فى الموازنة وقال انه اخذه من قول بشار وانشد

خلقوا قادة فكانوا سواء ... ككعوب القناة تحت السنان

وهكذا : قوله وقد نقله من معنىً الى آخر

مكارِمُ لجّتْ فى عُلوّ كأنمـا ... تُحاوِل ثاراً عند بَعْضِ الكواكِبِ [١]

قالوا هو من.. قول الاخطل

عَرُوف لِحَقِّ السائلينَ كأنَّهُ ... بِعَقْرِ المَتَالِى طالِبٌ بذُنُوبِ [٢]

وهكذا قول بشار

يا أطيَبَ الناس رِيقاً غير مُخْتَبَرٍ ... الاَّ شَهَـادَة اطْرَاف المَسَاوِيكِ

من قول سُلَيك *

وتَبسِمُ عَنْ ألمى اللثاتِ مُفَلّجٍ ... خليق الثنايا بالعذُوبَةِ والبَرْدِ

ومن قول الاخر

ومَاذُقْتُه الا بعَيْنِي تَفرّساً ... كما شِيم فى أعْلا السَّحابةِ بَارِقُ

ومما اخذه وزاد فيه على الاول : قوله [٣]

اَفْنَاهُمُ الصَبْرِ اذ أَبْقَاكُمُ الجَزَعُ

من قول السمؤل

يُقرّب حُبُّ المَوْتِ أجالَنا لنا ... وتكرهُـه آجالهم فتطولُ

اورده ابو تمام فى نصف بيت واستوفى التطبيق : ومن هذا الضرب قوله

عَلّمنى جُودكَ السماح فَمـا ... اَبقيْتَ شَيْئاً لدىّ من صِلتَكْ

من قول ابن الخياط *

لَمَسْتُ بكفى كفـه أبتغى الغنى ... ولم أدرِ اَنَّ الجود من كفّه يُعدِي

فلا انا منـه مَا افاد ذووا الغِنى ... افَدتُ وأَعْدَانِي فاتلفت مَا عندى

---

[١] ــ البيت فى ديوانه (معال تمادت فى العلو كانما ... تحاول ثارا عند بعض الكواكب) : وفى نسخة من الاصل ــ كانها ــ بدل كانما

[٢] ــ المتالى ــ الابل ــ وعقرها ــ جزرها والبيت نهاية فى وصف الممدوح بالكرم

[٣] ــ صدر البيت كما فى ديوانه : فيم الشماتة اعلانا باسد وغى

ومما نقل المعنى من صفة الى اخرى البحترى فانه : قال فى المتوكل *

وَلَوْ اَنّ مُشْتَاقاً تكلّفَ غَيْرُمَا　　فى وسْعِهِ لسعَى اليْك المِنْبَرُ

اخذه من : قول العرجى فى صفة نساءٍ

لو كان حيّــا قبلهُنّ ظَعــايِناً　　حيّا الحطيم وجوُهِهن وزَمْزَمُ

الا انه غير خاف : وممن اخذ المعنى فزاد على السابق اليه زيادة حسنة ابونواس فى : قوله

[يَبْكِى فيُذْرِى الدرّ منْ نرجس]　　ويلْطم الورد بعُنّــابِ

اخوذه من قول الاسود بن يعفر *

يَسْعَى بِهَا ذُو تُومَتَيْنِ كأنّمَا　　قَنأَتْ انَامِلُهُ مِنُ الفرْصَادِ [١]

واخذ بعض المتأخرين بيت ابى نواس فزاد عليه زيادة عجيبة : فقال

واسبلَتْ لُؤلؤاً من نَرْجِسٍ فَسقَتْ　　وَرْداً وعضّت على العُنّــاب بالبَرَدِ

فجاء بما لايقدر احدان يزيد عليه : ومن ذلك ايضا : قوله وقد زاد فيه على الاول

فتمشّتْ فى مَفــاصِلهُم　　كتمشّى البرء فى السقَمِ

اخذه من : قول مسلم

تَجْرِى محبّتها فى قَلْبِ عَاشِــقهَا　　تَجْرِىَ المُعَافَاةِ فى اَعْضَاءِ مُنْتَكِسِ [٢]

وجميع ذلك مأخوذ من .. قول بعض ملوك اليمن

منَعَ البقــاء تقلُب الشّمسِ　　وطلوُعهَا من حَيْثُ لاتُمْسِى

تجْرى على كَبِدِ السمــاء كما　　يَجْرِى حِمَام المَوْتِ فى النَفْس

ومن ذلك .. قول مسلم

احبُّ الريح ماهبّتْ شمَــالاً　　واحسُدُهَا اذا هَبّتْ جَنُوبَا

---

[١] — التومتين — مثنى تومة وهى الحبة من الدر — والفرصاد — الحمرة : والرواية فى غير نسخ الاصول — منطق بدل — كانما : وقبله　ولقد لهوت وللشباب بشاشة　　بسلافة مزجت بماء غوادى

[٢] — عجز البيت فى احدى النسخ هكذا (جرى السلامة فى اعضاء منتكس)

فقسم تقسيماً حسناً : ومعناه ان الشمال تجئ من ناحية حبيبه اليـه فاحيها والجنوب تهب الى الحبيب فحسدها لمباشرتها جسمه : وهو مأخوذ من .. قول جران العود *

اذا هَبَّتِ الارواح من نحو ارضكم ‏ ‏ ‏ ‏ وجدت لريَّاهـا على كَبِدى بَرْدَا

وزاد مسلم فى قوله ايضا

ويُغْمِدُ السيف بين النحر والجيد

على ان السابق الى هذا المعنى هو بعض الفرسان اذ يقول

جَعَلْتُ السَّيفَ بَيْنَ اللِّيتِ مِنْهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وبَيْنَ سَوَادِ لِحْيَتِهِ عِـذَارَا [١]

لأن الاغماد فيه اشد تأثيرا من وضع العذار عليه : وقد زاد ابونواس على جرير فى .. قوله

وقَدْ اطولُ نِجادَ السَّيفِ مُحْتَبِياً ‏ ‏ ‏ ‏ مِثْلَ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّتْهُ الأَنَابِيبُ

فقال ابونواس

سَبْطُ البَنَانِ اذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ غَمْرَ الجَمَاجِمِ والسِّمَاط قِيَامُ

قوله — غمر الجماجم — احسن من قول جرير — مثل الرديني : وهكذا .. قوله

اشمُّ طِوَالُ السَّاعِدَيْنِ كأنما ‏ ‏ ‏ ‏ يُلاَثُ نِجَاداً سَيفه بلواءِ [٢]

احسن لفظاً وسبكا من .. قول عنتر

بَطَلٌ كانَّ ثيـابه فى سَرْحَـةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بتوأمِ [٣]

---

[١] — فى بعض النسخ هكذا (جعلنا السيف بين الليت منه ‏ ‏ ‏ ‏ وبين سواد لحيته عذارا) — والليت — بالكسر صفح العنق : وقيل ادنى صفحتى العنق من الرأس عليهما ينحدر القرطان وهما وراء لهزمتى اللحيين : وقيل غير ذلك

[٢] — يلاث — من لاث الشئ لوثا اداره مرتين كما تدار العمامة والازار : والذى فى نسخة ديوانه المطبوع — يناط — وهو قريب من معنى الاول وهذا البيت من شـواهد البيانيين من قصيدة يمدح بها الرشيد ومطلعها (لقد طال فى رسم الديار بكائى ‏ ‏ ‏ ‏ وقد طال تردادى بها وعنائى)

[٣] — هكذا — اورد البيت صاحب اللسان فى س ب ت وكذا ابوزيد فى الجمهرة وفى بعض نسخ الاصل بدل قوله — سرحة — سرجه وبدل — تحذى — يحذى وقال فى الجمهرة — السرحة — من عظام الشجر — ونعال السبت — هى النعال المعمولة من الجلود المدبوغة — وقوله ليس بتوأم — التوأم الذى يولد معه آخر فيكون ضعيفا : وقال فى اللسان مدحه فى هذا البيت باربع خصـال كرام .. جعـله بطلا شجاعا .. وانه طويلا لتشبيهه بالسرحة .. وانه شريفا للبسه نعال السبت (لان الملوك كانت تلبسها) وانه تام الخلق ناميا لان التوأم يكون انقص خلقا وقوة وعقلا

وهو ايضاً افخم لفظاً من .. قول الاخر

فجاءَت به عَبْلَ العِظامِ كأنما ... عِمَـامتُه بينَ الرجَال لِوَاءُ

ومما اخذه فجاء به احسن لفظاً وسبكاً .. قوله في ذنب الناقة

أمَّا اذا رَفَعتْهُ شَـامِذَةً ... فتَقُولُ رنَّقَ فَوقَها نسرُ [١]

اخذه من ابي دواد

تَلوِي بذِي خُصَلٍ ضافٍ تُشَبِّهُهُ ... قَوَادِماً من نُسُور مَضْرَحِيَّاتِ [٢]

ومما اخذه فجاء به احسن رصفاً وزاد في المعنى زيادة بينة .. قوله

وماخُبْرُهُ الَّا كُلَيْبُ بنُ وَائِلٍ ... لَيالِيَ يَحْمِي عِزُّهُ مَنْبِتَ البَقْلِ

واذهو لايستَبُّ خصمان عنده ... ولاالصوتُ مَرْفوعٌ بجِدٍّ ولاهَزْلِ

اخذه من .. قول مهلهل

أَوْدى الخِيارُ مِنَ المَعاشِر كُلهم ... واستَبَّ بعدَكَ ياكُلَيبُ المجلِسُ

وهكذا قوله [هو محمد بن عطيّة العطويّ]

مَاالعَيْشُ الاّ في جنُون الصِبَىَ ... فَانْ تَوَلّى فجُنُون المُـدَام

رَاحٌ اذا مَاالشيْخُ وَالىَ بِهَـا ... خَمْسـاً تَرَدَّى بِرِدَاءِ الغُـلاَمْ

احسن رصفا من .. قول حسان (رضي الله عنه)

انَّ شَرْخَ الشبَابِ والشَعرَ الأسْـ ... ـوَدَ مالم يُعَـاضَ كَان جُنُـونَا

وقول ابي تمام

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حيثُ شئتَ مِنَ الهَوَى ... ماالحبُّ اِلَّا للحَبِيبِ الأوَّلِ

ابين وادخل في الامثال من .. قول كثير

---

[١] — الشمذ — رفع الذنب — وترنيق الطائر — على وجهين : احدهما صفه جناحيه في الهواء لايحركهما : والآخر ان يخفق بجناحيه : وهذا البيت مما لم اجده في نسخة ديوانه المطبوع

[٢] — الخصلة — الشعر المجتمع وجمعها خصل — والمضرحي — من الصقور ماطال جناحاه : وقيل المضرحي النسر اراد تشبيه ذنب الناقة في طوله وضفوه بجناحي النسر

إذَا مَا أرَادتْ خُلَّةٌ انْ تُزِيلَنَا ... أَبَيْنَا وقُلْنَا الْحَاجِبِيَّة أوَّلُ [١]

وقد زاد ابو تمام ايضاً فى .. قوله

وَأنْجَدْتُم من بعــد إتْهــام دَارِكُمْ ... فَيَــادَمْعُ أنْجِدْنِى على سَاكِنِى نَجْدِ

على الاعرابى فى .. قوله

ومُسْتَنْجِدٍ للحُزْنِ دَمْعاً كأنَّهُ ... عَلَى الْخَدِّ مِمَّا لَيْسَ يَرْقَا حَايِرُ

بقوله — انجدنى على ساكنى نجد — وقد زاد ايضا فى .. قوله

وَانْ يبنِ حِيطَاناً عليهِ فإنَّمَا ... اؤلٰئك عُقَّــالاَتُه لاَمَعَاقِلُهْ [٢]

على زهير فى قوله (والسيوف معاقله) لمـا جاء به من التجنيس فى قوله — عقــالاته . ومعاقله — على ان قول زهير فى معناه لايلحقه لاحق وانمـا زاد عليه ابو تمام فى اللفظ .. واخذ قول ابى تمـام ابراهيم بن العباس .. فقال .. وَأَصْبَحَ مَاكَانَ يُحْرِزُهُم . يُبْرِزُهُمْ . ومَا كَانَ يَعْقِلهم . يَقْتِلُهُمْ ونقله الى موضع آخر .. فقال واسْتَنْزَلُوهُ مِنْ مَعْقِلٍ . الى عِقَالٍ . وبَدَّلُوهُ آجَالاً من آمال . وقوله — آجالاً . من آمال — مأخوذ من .. قول مسلم

[مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهَجٍ] ... كأنَّه أجَــلٌ يَسْــعَى الى أمَلِ

[يَنَــالُ بالرِّفق مَايَعْيَا الرِجَالُ بِهِ] ... [كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يأتى على مَهلِ]

وقد اخذ ايضا .. قول ابى دهبل * [٣]

مَازِلْتَ فِى العَفْوِ لِلذُّنُوبِ واط ... لاقِ لِعَــانٍ بجُرْمه غَلِقِ

حــتَّى تَمَنَّى البُرَاةُ أنَّهُم ... عِنْدَكَ أسْرَى فِى القِدِّ والْحَلَقِ

---

[١] — انشده فى الموازنة هكذا (اذا وصلتنا خلة كى تزيلها ... ابينا وقلنا الحاجبية اول)

[٢] — العقالات — واحدهـا عقلة مايعقل به كالقيد والعقـال — والمعـاقل — واحدها معقل الملجاء والحصن

[٣] — سماه الامدى فى الموازنة : ابو ذهيل الجمحى : وقوله — لعان بجرمه غلق — العانى الاسير . والغلق الاسير الذى لم يفـد : — والقـد — بالكسر سير من جلد غير مدبوغ يقيد به الاسير

فجاء به فى بيت واحد وهو .. قوله

وَتكَفَّلَ الأَيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وددْنَا أَنَّنا أَيْتَــامُ

وسبق ايضا من تقدمه فى قوله حتى صار لايلحقه فيها احد بعده

وَرَكْبٍ كأَطرافِ الاسِنَّةِ عرَّسُوا على مِثْلِها واللَّيلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

لأمْرٍ علَيْهِمْ ان تَتِمَّ صُدُورُهُ وليْسَ عَلَيهم انْ تَتِمَّ عَواقِبُهْ

سبقاً بيّناً بهذه المعانى وانما اخذ البيت الاول من .. قول البعيث * [١]

أَطَافَتْ بِرَكْبٍ كالأَسِنَّةِ هُجَّد بِخَاشِعَةِ الاصْوَآءِ غُبْرٍ صُحُونها

والبيت الثانى من بعض الاعراب

غُــلامُ وَغَىً تَقَحَّمها فَأَبْلَى فَخانَ بلاءَهُ الزَّمَنُ الخَؤُونُ

وكان على الفَتَى الإقدامُ فيها وليس عليه ماجَنَتِ المَنُونُ

وبين القولين بون بعيد وزاد ايضا فى .. قوله

اذا شَبَّ ناراً أَقْعَدَتْ كُلَّ قَايمٍ وقامَ لَهــا منْ خَوْفِه كلُّ قاعِدِ

على الاخر فى .. قوله

---

[١] — قوله : وانما اخذ البيت من قول البعيث : الذى فى الموازنة : انه اخذ صدر البيت الاول من قول كثير وانشد

وركب كاطراف الاسنة عرسوا قلائص فى اصلابهن نحول

ثم قال : ويشبه قول البعيث وانشد البيت وصدره (اطاف بشعث كالاسنة هجد) الخ وقوله (بخاشعة الاصواء غبر صحونها) — الخاشعة — الارض المتغيرة المتهشمة : اى المتهشمة النبات حكاه فى اللسان عن الزجاج — والاصواء — جمع صوى وواحد الصوى صوة : قال فى اللسان قال ابوعمرو : هى الاعلام من حجارة منصوبة فى الفيافى والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق : وقال الاصمعى : الصوى ماغلظ من الارض وارتفع ولم يبلغ ان يكون جبلا — والصحون — جمع صحن وذلك ساحة وسط الفلاة ونحوها من متون الارض

اتانى واهلى بالمدينة وقعةٌ   لآلِ تميم اقعدَتْ كُل قائم [١]

فقول ابى تمام — وقام لهـا من خوفه كل قاعد — زيادة حسـنة وكذلك .. قوله فى ابنى عبدالله بن طاهر [٢]

[نَجمَان شَآءَاللهُ أَنْ لَا يَطلُعَـا   الّا ارْتِدادَ الطَّرْفِ حَتَّى يأفلاَ]
[إنَّ الفَجيعَةَ بالرِيَاضِ نَوَاضِراً   لَأَجَلُّ منها بالرِيَاضِ ذَوابِلاَ]
لَهفِى عـلى تلك المَخايل فيهما   لوامْهِلَتْ حتَّى تَكُونَ شَمائِلاَ
لَوْ يُنْسَئَان لكَانَ هـذا غَارِباً   للمِكْرُماتِ وكان هَذا كاهِـلاَ
إنّ الهِـلاَلَ اذَا رأيتَ نُمُوَّهُ   أيقَنتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْراً كامِلاَ

احسن واجود مما اخذ منه هذه المعانى وهو .. قول الفرزدق

[وجَفْنُ سِلاَحٍ قَدْ رُزِيتُ فَلَمْ أنُحْ   عليـه ولم أُبْعِثْ عليه البَوَاكِيَا]
وفى جَوْفِه من دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ   لَوَ انَّ المَنَايَا أنْسَأَتْـهُ لَيالِيَا

لايقع بيت الفرزدق مع ابيات ابى تمام موقعاً وقد اجاد ايضا فى .. قوله

وَقـد عَلِمَ القِرْنُ المُسَامِيكَ انَّه   سَيَغْرَقُ فِى البحرِ الذى انتَ خَائِضُ [٣]

وزاد فيه على من اخذه منه وهو لقيط * بن يعمر

انّى اخَافُ عليها الأَزْلَمَ الجَذَعَا [٤]

بيت ابى تمام اكثر ماءً وابين معنى واخذ .. قول الفرزدق

وما اَمَرتْنِى النَفسُ فِى رِحْلَةٍ لَهَا   الى اَحَـدٍ الّا اليك ضَمِيرُهَـا

---

[١] — نسخة — ورحلى . بدل قوله واهلى

[٢] — اقتصر فى الموازنة على ايراد البيت الثالث والبيت الاخير : وفى اكثر نسخ الاصل اقتصار على الابيات الثلاثة الاخيرات

[٣] — القرن — بالكسر الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب ويجمع على اقران

[٤] — الازلم الجذع — الدهر وقيل الدهر الشديد : والعرب تقول (اودى به الازلم الجذع) (والازنم الجذع) اى اهلكه الدهر : يقال ذلك لما ولّى وفات ويئس منه

فشرحه .. فقال

وَمَا طـوَّفتُ فِي الآفَاقِ الاَّ ... ومِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

مُقِيم الظَنِّ عنـدك والأَمانِي ... وانْ قلِقَتْ ركابي في البِـلاَدِ

والى بيت الفرزدق يشير .. القائل

مَدَحْتُكَ جُهْدِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... فَقَصَّرَ عَمَّا فِيكَ من صَالحٍ جُهْدِي

فَمَا كُلُّ مَافِيـهِ مِنَ الخَيْرِ قُلْتُه ... ولا كُلُّ مافيهِ يَقُولُ الذِي بَعْدِي

وكُنْتُ اذَا هَيَّأْتُ مَدْحًا لمَاجِدٍ ... اتاني الذى فيه بأَدْنَى الذى عندِي

ومن هاهنا اخذ ابونواس .. قوله

اذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْك بِصَالِحٍ ... فَأَنْتَ كما نُثْنِي وفوق الذى نُثْنِي

وان جَرَتِ الأَلْفَاظُ يوماً بِمَدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إِنسَـاناً فأَنْتَ الذى نَعْنِي

ويشير الى .. قول الخنساء

ومَابَلغَ المهْدُونَ فى القَولِ مِدْحَةً ... وانْ أَطْنَبُوا الاَّ الَّذِي فيك افضَلُ

وقال البحترى

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوهُ عند ابتِسَـامها ... ومن لؤلؤٍ عند الحديث تُسَاقِطُهْ

احسن لفظاً وسبكاً من .. قول ابى حيّة

اذَا هُنَّ سَـاقَطْنَ الحَدِيثَ كأَنَّهُ ... سِقاطُ حصَى المَرْجَانِ مِن سِلْكِ ناظِمِ

وبيت البحترى ايضاً اتم معنىً لأنه تضمن مالم يتضمنه بيت ابى حية من تشبيه الثغر بالدر وقد زاد ايضاً فى .. قوله

[وفُرْسَانِ هيجاءَ تَجِيشُ صُدُورهَا ... بأَحْقَادِهَا حتَّى يضيق دُرُوعُهَا]

[تُقَتِّلُ من وترٍ اعزَّ نفوسها ... عليهَـا بأَيْدٍ ماتكَادُ تُطيعُهَـا]

اذَا احْتَرَبَتْ يوماً ففاظت نُفُوسُهَا ... تذَكَّرتِ القُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعها

شَواجِرُ أَرْمَاحٍ تُقَطِّعُ بينهَـا ... شَواجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا

على من .. قال

وَنبكى حين نَقْتُلكم عليكُمْ ··· ونَقتُلكُمْ كأنّا لانُبالِى

وقريب منه .. قول مهلهل

لقد قَتَلتُ بنى بكرٍ بِرَبّهم ··· حتّى بكيتُ ومايَبكى لهُم أحَدُ

وبيتا البحترى اجود من بيتهما بغير خلاف ومن ..قول فليسح * بن زيد الفهرى ايضاً

اتبكين من قَتْلِى وانت قَتَلتنِى ··· بحُبّكِ قتلاً بيّناً ليسَ يُشكِلُ

فأنتِ كذبّاحِ العصافيرِ دايباً ··· وعيناهُ من وَجد عليهنّ تهمُل

وبيته كُلّ عانٍ يُترَجّى فكّهُ ··· ولذاتِ الخالِ عَانٍ مَايُفكُّ

احسن رصفا من .. قول زهير وهو الاصل

وكُلُّ محِبٍّ احدَثَ النّائى عِندَهُ ··· سُلُوَّ فؤادٍ غيرُ حبُّكِ مَايَسلُو

وهكذا .. قوله

قَومٌ اذَا لَبِسُوا الدُرُوعَ لموقف ··· لبسَتْهُم الاحسَابُ فيهِ دُرُوعَا

اتم واجود من .. قول الاول

لَبِسُوا الدُرُوعَ على القُلو ··· ب مظاهرينَ لِدَفعِ ذَلِكْ

وقال اعرابى

انَّ النَّدَى حَيثُ تَرى الضِّغَاطَا [١]

فاخذه بشار وشرحه وبيّنه .. فقال

يَسقُطُ الطَيرُ حيثُ ينتَثِرُ الـ ··· ـحَبُّ وتُغشَى منَازِلُ الكُرَمَاءِ

ومثله .. قول الاخر

يَزدحِمُ النَاسُ على بَابِهِ ··· وَالمَنهَلُ العَذبُ كَثيرُ الزحَامْ

واخبرنى ابواحمد .. قال اخبرنى الصولى قال سمعت من يُنشد المبرد .. لسلم الخاسر

سَقَتْنِى بِعَينَيْهَا الهَوى وسقَيتُهَا ··· فَدبَّ دَبيبَ الخمرِ فى كُل مَفصِلِ

---

[١] ـ الضغاط ـ الزحام

فقال له المبرد قد حسنه ابونواس حيث .. يقول

وَيَدْخُلُ حُبُّهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ مَدَاخِلَ لاَ يُغَلْغِلُهَا المُدَامُ

وقول البحترى

وغَائِرَ حُبٍّ غَارَ بِي ثم أَنْجَدَا

اجود من قول من تقدمه وهو الاصل

اغَارَ الهَوى ياعبد قَيْس وأَنْجَدَا

واخذ ايضا ابو تمام خبر الشماخ مع أحيحة بن الجلاح * لما انشده الشماخ

اذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِين [٢]

فقال له احيحة بئيست المجازاة جازيتها فقبل ابو تمام هذا الخبر .. فقال

لَسْتُ كَشَمَّاخِ المُذَمَّمِ فى سوءِ مُكَافَاتِهِ ومُجْتَرَمِهْ
أَشْرَقَها مِنْ دَمِ الوَتِين لقَدْ ضل كَرِيمِ الأَخْلاَقِ عَنْ شِيَمِهْ
ذَلِكَ حُكْمٌ قَضَى بِفَيْصَلِهِ أُحَيْحَةُ بْنُ الجُلاَحِ فى أُطُمِه [٣]

واخبرنا ابو احمد .. قال قال ابو العيناء سمعت ابا نواس يقول والله ما احسن الشماخ حيث يقول

اذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

هلا قال كما ..قال الفرزدق

عَلاَمَ تَلَفَّتِينَ وأنتِ تَحْتِي وخيرُ النَّاسِ كُلِّهِم أَمَامِى
مَتَى تَرِدِى الرصافةَ تَسْتَرِيحِى من التَّهْجِير والدَّبَرِ الدَّوامِىْ [٤]

[٢] — عرابة — بالفتح اسم رجل من اوس الانصار — والوتين — عرق لاصق بالصلب من باطنه اجمع يسقى العروق كلها الدم ويسقى اللحم : وقيل الوتين يستقى من الفؤاد وفيه الدم : وقيل غير ذلك

[٣] — الاطم — حصن مبنى بحجارة : وقيل هو كل بيت مربع مسطح : وقيل غير ذلك

[٤] — الدبر — لعله من الدبرة بالفتح وذلك قرحة الدابة اوكالجراحة تحدث من الرحل : اراد به السفر الدائم : وحكى فى اللسان عن ابن الاعرابى ادبر الرجل اذا سافر فى دبار

وكان قول الشماخ عيباً عندى فلما سمعت قول الفرزدق تبعته .. فقلت

وإذَ المَطِيُّ بنا بلغنَ محمداً ... فَظُهُورُهُنَّ على الرِحَال حَرَامُ

قَرَّبْنَنَا من خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... فَلَها علَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

وقلت اقولُ لِنَاقَتِى إذْ بَلَّغَتْنِى ... لقَدْ اصْبَحْتِ عِنْدى بالثَّمِين

فلم أجْعَلْكِ لِلغِرْبَانِ نُحْلاً ... ولا قُلْتُ اشْرَقِى بِدَمِ الوتِين

حَرُمْتِ على الأَزِمَّةِ والوَلَايا ... واعْلَاقِ الرِحَالَةِ والوَضِين [١]

وتبع الشماخ ذوالرمة .. فقال

اذا ابْنَ أَبِى مُوسَى بِلَالاً بَلَغْتِهِ ... فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصْلَيْكِ جَازِرُ [٢]

وسمع ابوتمام .. قول على بن ابى طالب رضى الله عنه للاشعث بن قيس .. انك ان صبرت جرى عليك قضاء الله وانت مأجور . وان جزعت جرى عليك امر الله وانت موزور . فانك ان لم تسل احتساباً . سلوت كما تسلوا البهائم . فحكاه حكاية حسنة فى قوله

وقال على فى التَعَازِى لأشْعَثٍ ... وخَافَ عليْهِ بَعْضَ تِلْكَ المَآثِم

أَتَصْبِرُ للبَلْوَى رجَاءً وحِسْبَةً ... فَتُؤْجَرَ ام تَسْلُو سَلُوَّ البَهَائِمِ

خُلِقْنَا رِجَالاً للتَجَلُّدِ والأَسَى ... وتِلْكَ الغَوانِى للبُكَى والمَآتِم

والبيت الاخير من قول عبدالله بن * الزبير لما قتل مصعب * وانما التسليم والسلوة لحزماء الرجال . وان الهلع والجزع لربات الحجال .. وسمع قول زياد * لابى الاسود .. لولا انك ضعيف لاستعملتك .. فقال ابوالاسود : ان كنت تريدنى للصراع فانى لا اصلح له والا فغير شديد ان آمر وانهى .. فقال ابو تمام

تَعَجَّبُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِى نَحِيفاً ... كَأَنَّ المَجْدَ يُدْرَكُ بِالصِرَاعِ

وزاد ابوتمام ايضاً بقوله .

اطَالَ يَدِى على الايَّامِ حتَّى ... جَزَيْتُ صُرُوفَها صَاعاً بِصَاعِ

---

[١] — الولايا — البراذع التى تكون تحت الرحل — والوضين — بطان عريض منسوج من سيور اوشعر يشد به الرحل على البعير

[٢] — الفاس — معلوم — والجازر — اسم فاعل من الجزر اى الذبح : وفى نسخة بدل — قوله وصليك — جنبيك

على ابى طالب * فى قوله

فان يُقتَلا اويُمكِنِ اللهُ منهُما نكل لهما صَاعاً بِصَاعِ المُكَايِلِ

بيت ابى تمام اصفى وانصع وكذلك .. قوله

من النَكَبَاتِ النَاكِبَاتِ عَنِ الهَوَى فَحبوُبُها يَمْشِى وَمكرُوهُهَا يَعدُو

احسن رصفاً مما اخذه منه : وهوالذى انشد نيه ابو احمد .. قال انشدنا ابن دريد ..قال انشدنا الرياشى عن المعمرى * حفص بن عمر .. لبعض المسجونين

وتُعجِبُنَا الرُؤيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا اذا نَحْنُ اصبَحْنَا الحَدِيثُ عن الرُؤيَا
فانْ حَسُنَتْ لم تَأتِ عَجْلى وأبطَأَتْ وَانْ قَبُحَتْ لَمْ تَحْتَبِسْ واتَتْ عَجْلَى

واخبرنى ابو احمد .. قال اخبرنى الصولى .. قال حدثنى ابو بكر هرون * بن عبدالله المهلبى .. قال كنّا فى حلقة دعبل فجرى ذكر ابى تمام : فقال دعبل كان يتتبع معانىّ فيأ خذها .. فقال له رجل فى مجلسه مامن ذلك اعزك الله .. فقال قلت

وَإنَّ امرأ اسْدَى الىَّ بشافعٍ اليهِ ويَرْجُوالشُكْرَ منى لأحْمَقُ
شَفِيعُك فاشكُرْ فِى الحَوائِجِ انَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مكرُوهِهَا وَهوَ يُخْلِقُ

وقال هو [يمدح يعقوب بن ابى ربعى] [١]

انَّ الأَمِيرَ بلاَكَ فى أحْوَالِهِ فرآك أهْزَعَهُ غَداةَ نِضَالِه [٢]
فتَى اقوُمُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إذْجنَتْ بِالْغَيْبِ كَفّك لِى ثِمَارَ نَوالِه [٣]
[فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْك حُلْوَ عَطَائِه ولَقيتَ بيْنَ يدَىَّ مُرَّ سُؤَالِه]
[واذَا امرؤ اسْدَى اليْك صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكأنَّها من مَالِه]

فقال الرجل احسن والله : فقال دعبل كذبت قبحك الله : قال لئن كان سبق بهذا المعنى

[١] — هكذا فى احدى النسخ : وفى اخرى اقتصار على مادون الزايد فى الترجمة والابيات : وقوله يمدح الخ الذى فى ديوانه : وقال لاسحاق بن ابى الربعى كاتب ابى دلف ويسئاله ان يشفع اليه :
[٢] — الهزع — الاسراع من هزع الفرس يهزع اذا اسرع :
[٣] — البيت — فى نسخة الديوان هكذا (فتى النهوض بحق شكرك ان جنت) الخ

فتبعته لما احسنت .. وان كان اخذه منك لقد اجاد فصار اولى به منك .. فغضب دعبل وقام .. وسمع بشار قول المجنون *

أَلاَ إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ ۞ اذا غَمَزُوهَا بِالأَكُفِّ تَلِينُ

فقال والله لوجعلها عصاً من زبد اومخ لما احسن الا .. قال كما قلت

وحَوْرَاءِ المَدَامِعِ من مَعَدٍّ ۞ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قطعُ الجُمَانِ [١]

اذَا قَامَتْ لِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ ۞ كَأَنَّ عِظَامَهَا من خَيْزُرَانِ

ولما قال بشار

مَنْ رَاقَبَ النَاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ۞ وفَازَ بالطَيِّبَاتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ

تبعه سلم الخاسر .. فقال

من رَاقَبَ النَاسَ مَاتَ غَمّاً ۞ وفَازَ بِاللَّذةِ الجَسُورُ

فلما سمع بشار هذا البيت .. قال ذهب ابن الفاعلة بيتى (ومن) حسن الاتباع ايضاً .. قول ابراهيم بن العباس حيث كتب .. اذا كان للمحسن من الثواب مايقنعه . وللمسئى من العقاب مايقمعه . ازداد المحسن فى الاحسان رغبة . وانقاد المسئى للحق رهبة .. اخذه من قول على بن ابى طالب رضى الله عنه (اخبرنا به ابو احمد) قال اخبرنا ابو بكر الجوهرى * قال اخبرنا ابو يعلى المنقرى * قال اخبرنا العلاء بن الفضل بن جرير .. قال قال على بن ابى طالب رضى الله عنه : يجب على الوالى ان يتعهد اموره . ويتفقد اعوانه . حتى لايخفى عليه احسان محسن . ولا اساءة مسئى . ثم لايترك واحدا منهما بغير جزآء . فان ترك ذلك تهاون المحسن . واجترا المسئى . وفسد الامر . وضاع العمل .. وسمع بعض الكتاب .. قول نصيب

[فَعاجُوا فَأَثْنَوا بِالّذِى انتَ أَهْلُهُ] ۞ ولوسَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

فكتب : ولو امسك لسانى عن شكرك . لنطق علىّ اثرك .. وفى فصل آخر ولو جحدتك احسانك . لأَكْذَبَتْنِى آثارُهُ . ونَمَّتْ علىَّ شَوَاهِدُهُ .. وقريب منه قولهم .. شهادات الاحوال . اعدل من شهادات الرجال .. اخذه ابن الرومى فشرحه فى .. قوله

[١] ـــ نسخة ـــ كان حديثها ثمر الجنان ـــ والجمان ـــ حب يتخذ على اشكال اللؤلؤ من فضة فارسى معرب واحدته جمانة

حَالَ انْسِدَادُ فَمِي عَمَّا يُرِيبُكُم ... لَكِن فَمُ الحَالِ مِنِّي غيرَ مَسْدُودِ
حَالٌ بصِيحُ بما أَوْلِيتَ مُعْلِنَــةً ... وكلّ مَاتَدَّعِيهِ غَـيْرُ مَرْدُودِ
كُلِّيَ هِجَاءٌ وقتلى لا يَحِلُّ لَـكُمْ ... فما يُدَارِيكُمْ مِنِّي سِوى الجُودِ

وقريب منه ايضاً .. قول الشاعر [١]

أأُقَاتِلُ الحَجَّاجَ عَنْ سُـلْطَانِهِ ... بِيَـدٍ تُقِرُّ بأَنَّهَـا مَوْلَاتُهُ
مَاذَا أَقُولُ اذَا وَقَفْتُ إِزَائَهُ ... فِى الصَفِ وَاحْتَجَّتْ لهُ فعَلَاتُهُ

اخذه ابو تمام .. فقال

أَأُلبِسُ هُجْرَ القَولِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُه ... اذاً لَهَجَانِي عنه معرُوفه عندِي

و (ممن) احسن الاتباع ايضاً احمد بن يوسف * : وقد سمع : قول على رضى الله عنه .. لاتكونن كمن يعجز عن شكر مااوتى . ويلتمس الزيادة فيمابقى : فكتب .. احق من اثبتك العذر فى حال شغلك . من لم يخل ساعة من برك فى وقت فراغك : واخذه اخذاً ظاهرا .. احمد بن صبيح * فقال .. فى شكر ماتقدم من احسان الامير . شاغل عن استبطاء ماتأخر منه .. واخذه سعيد بن حميد * فقال .. لست مستقلا لشكر مامضى من بلائك . فاستبطى درك ما اؤمل من مزيدك .. ومن هذا ايضا .. قول ابى نواس

لاتُسْـدِيَنَّ الىَّ عَارِفَـةً ... حَتَّى أَقُومَ بِشُـكْرِ مَاسَلَفَا

واخبرنى ابو احمد .. قال اخبرنى على بن سليمان الاخفش (قال) قال ابوتمام لا بن ابى دواد لما غضب عليه .. انت الناس كلهم ولاطـاقة لى بغضب جميع الناس .. فقال ابن ابى دواد .. مااحسن هذا من اين اخذته (قال) من قول ابى نواس

وليْسَ للهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... انْ يجمعَ العَالَمَ فِى وَاحِدِ

---

[١] — قال فى الموازنة — الابيات من قول بعض الخوارج وقد سامه قطرى بن الفجاءة قتال الحجاج فابى لان الحجاج كان منَّ عليه فقال (أأقاتل) البيت وبعده

انى اذا لاخو الدناءة والذى ... غطت على احسانه جهلاته

وبعده (ماذا اقول) البيت وبعده

أأقول جار علـى لا انى اذا ... لأحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام ان صنائعـا ... غرست لدى فحنظلت نخلاته

ومن سمع هذا الكلام يظنه مسروقاً من .. قول جرير

اذَا غَضِبَتْ عَلَيَّ بنُو تَمِيمٍ ... حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

واخبرنا ابو احمد .. قال اخبرنا الاخفش .. قال اخبرنا المبرد عن الجاحظ (قال) سمع قليب * المعتزلى ابياتاً للعتبى .. وهى

أَفَلَتْ بِطَالَتُه وَرَاجَعَهُ ... حِلْمٌ وأَعْقَبَهُ الهَوى نَدَمَا

أَلْقَى عَلَيْهِ الدهرُ كَلْكَلَهُ ... وأَعَارَهُ الإِقْتَارَ والعَدَمَا

فاذَا أَلَمَّ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ ... غَضَّ الجُفُونَ وَجَمْجَمَ الكَلِمَا

(فقال) لبعض الملوك يستعطفه على رجل من اهله .. جعلنى الله فداك ليس هو اليوم كما كان . انه وحياتك افلت بطالته اى والله . وراجعه حلمه . واعقبه وحقك الهوى ندما . انحى الدهر والله عليه بكلكله . فهواليوم اذا راى اخاثقة غض بصره . وجمجم كلامه .. وبهذا يعرف ان حل المنظوم ونظم المحلول اسهل من ابتدا ئهما لان المعانى اذا حللت منظوماً اونظمت منثوراً حاضرة بين يديك تزيد فيها شيئاً فينحل اوتنقص منها شيئاً فينتظم .. واذا اردت ابتداء الكلام وجدت المعانى غايبة عنك فتحتاج الى فكر يحضركها ،،

والمحلول من الشعر على اربعة اضرب .. فضرب منها يكون بادخال لفظة بين الفاظه .. وضرب يحل بتأخير لفظة منه وتقديم اخرى فيحسن محلوله ويستقيم .. وضرب منه يحل على هذا الوجه ولايحسن ولايستقيم .. وضرب تكسو ماتحله من المعانى الفاظاً من عندك وهذا ارفع درجاتك ،،

(فأما الضرب الاول) فمثاله ماتقدم من صدر كلام قليب المعتزلى ،،

(واما الضرب الثانى) فمثاله ماذكره بعض الكتاب من .. قول البحترى

نَطلبُ الاكْثَرَ فِى الدنيا وقَدْ ... نَبلُغُ الحَاجَة فِيهَا بالأَقَلّ

ثم قال فاذا نثرت ذلك ولم تزد فى الفاظه شيئاً قلت — نطلب فى الدنيا الاكثر وقد نبلغ منها الحاجة بالاقل .. وقوله

أَطِلْ جَفْوَةَ الدنيَا وَتَهْوِينَ شَأْنِهَا ... فمَا الغَافِلُ المغرورُ فِيهَا بعَاقِلِ

يُرَجِّي الخُلودَ مَعْشَرٌ ضَلَّ سَعْيُهُمْ ... ودُونَ الذى يَبْغُونَ غَوْلُ الغَوَائِلِ

إِذَا مَاحَرِيزُ القَوْمِ بَاتَ وَمَالَهُ ... مِنَ اللهِ وَاقٍ فَهْوَ بَادِي المقَاتِلِ

فاذا مانثرت ذلك من غير ان تزيد فى الفاظه شيئاً قلت — اطل تهوين شأن الدنيا وجفوتها . فماالمغرورالغافل فيها بعاقل . ويرجوا معشر ضلرأيهم الخلود . وغول الغوائل دون مايرجون . واذا بات حرزالقوم ماله واق من الله . فهو بادى المقاتل — وهذا المعنى مأخوذ من .. قول التغلبي

لَعَمْرُكَ مَايدْرِىالفتى كيْفَ يتَّقِي اذَا هُوَ لم يجعـل لهُ الله واقِيَا

(واما الضرب الثالث) فهو ان توضع الفاظ البيت فى مواضع ولايحسن وضعها فى غيرها فيختل اذا نثر بتأخير لفظ وتقديم آخر فتحتاج فى نثره الى النقصان منه والزيادة فيه .. كقول البحترى

يُسَرُّ بِعُمْرَانِ الدِيَار مُضَلَّلٌ وعُمْرَانُها مُسْتَأْنَفٌ منخَرَابِهَا

وَلَمْ أَرْتَضِ الدُنيـا اوَانَ مَجِيئهَا فكيف أَرْتِضَائِهَا اوانَ ذَهَابِهَا

فاذا نثر على الوجه قيل — يسر مضلل بعمران الدنيا ومن خرابها عمر انها مستأنف ولم ارتض اوان مجيئهاالدنيا فكيف اوان ذهابها ارتضائها — فهذا نثر فاسد .. فاذا غيرت بعض الفاظه حسن وهو ان تقول .. يسرالمضلل بعمران الديار . وانما تستأنف عمرانها من خرابها . وما ارتضيت الدنيا او ان مجيئها . فكيف ارتضيها او ان ذهابها ،،

ونحن نقول ان من النظم مالا يمكن حله اصلاً بتأخير لفظة وتقديم اخرى منه حتى يلحق به التغيير والزيادة والنقصان مثل .. قول الشاعر

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنصْفٌ فُوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّاصُورَة اللَّحْمِ والدَّمِ

فالمصراع الاول يمكن ان يؤخر الفاظه وتقدم فيصير نثراً مستقيماً وهو ان تقول — فؤادالفتى نصف ولسانه نصف : ولايمكن فى المصراع الثانى ذلك حتى تزيد فيه اوتنقص منه .. فتقول لسان الفتى نصف وفؤاده نصف وصورته من اللحم والدم فضل لاغناء بها دونهما ولا معول عليها الا معهما [١] .. وزيادة الالفاظ التى تحصل فيه ليست بضايرة لان بسط الالفاظ فى انواع المنثور سائغ الا ترى انها تحتاج الى الازدواج ومن الازدواج مايكون بتكرير كلمتين لهما معنىً واحد وليس ذلك بقبيح الا اذا اتفق لفظاهما ويسوغ هذا فى الشعر ايضاً : كقول البحترى

بِودِّىَ لَوْ يَهْوَى العَذُولُ وَيَعْشَقُ [فيعْلم اسْبَابَ الهَوى كيف تَعْلَقُ]

[١] — نسخة — لاغناء بهما دونهما ولامعول عليهما الخ : واخرى لاغناء به . ولامعول عليه

— فيهوى . ويعشق — سـواء فى المعنى وهو حسن (الا) ان اكثر مايحسن فيه ايراد المعنى على غاية مايمكن من الايجـاز .. ومعنى قوله — فلم يبق الاصـورة اللحم والدم — داخل فى قوله — لسان الفتى نصف ونصف فؤاده — والمصراع الثانى انمـا هو تذييل للمصراع الاول .. فاذا اردت ان تحله حلاً مقتصراً بغير لفظه قلت .. الانسان شطران . لسان وجنان .. ومما لايمكن حله بتقديم لفظة منه وتأخير اخرى ايضاً .. قول ابى نواس

أَلاَ يَابْنَ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا   امَا واللهِ مَاذَهَبُوا لِتَبْـقَى

فتحل المصراع الاول فتقول .. الا يابن الذين ماتوا ومضوا .. فيحسن وتقول فى المصراع الثانى .. لتبقى اما والله ما ماتوا .. اولتبقى ما ماتوا ومضوا أما والله .. فلايكون ذلك شيئاً فتحتاج فى نثره الى تغييره وابدال الفاظه .. فتقول .. الا يابن الذين ماتوا ومضوا وظعنوا فناءً اما والله ماظعنوا لتقيم ولارا موا الا لتريم ولاماتوا لتحيي ولافنوا لتبقى : وفى هـذه الالفاظ طول وليس بضائر على ماخبرتك فان اردت اختصاره قلت .. اما والله ان الموت لم يصبك فى ابيك . الا ليصيبك فيك ،،

(والضرب الرابع) ان تكسو ماتحله من المنظوم الفاظاً من عندك وهذا ارفع درجاتك ،،

ثم نرجع الى السرقات .. قال بعضهم للربيع بن خيثم * وقد رأى اجتهاده فى العبادة [اتعبت نفسك] قتلت نفسك .. فقال راحتها اطلب : فقال الشاعر

سَـأَطْلُبُ بُعْدَالدَّارِ عنكم لِتَقْرَبُوا   وتَسْـكُبُ عَيْنَايَ الدمُوعَ لِتَجْمُدَا

وقال غيره [١]

تقُولُ سُلَيمَى لواقَتَ بارضِنَا   ولم تَدْرِ أَنِّي للمُقَـامِ اطوّفُ

: ومثل ذلك ان بعضهم راى اعرابياً مقبلاً الى مكة ليصوم فيها شهر رمضان والحر شديد .. فقال له .. اتجمع على نفسـك الصوم وحرّ تهامة : فقال من الحرافر .. وقيل لروح * بن قبيصة بن المهلب وهو واقف فى الشمس على باب الخليفة .. لقد طال وقوفك فى الشمس : فقال الظل اريد : فقال ابو تمام

أَ آلِفَـةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقٍ   أَظَلَّ فكانَ دَاعِيَـةَ اجْتِماعِ

وليْسَتْ فَرْحَةُ ألاوْبَاتِ الاَّ   لِمَوْقُوفٍ علَى تَرَحِ الوَدَاعِ

وقال امرؤ القيس

---

[١] — القائل عروة بن الورد : وسيأتى به فى مكان آخر منسوبا اليه

فَبَعْضَ اللوْم عَاذِلَتِي فَأَنِي   سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وانتِسَابي

يقول — لاانتسب الاّ الى ميت : وقال لبيد

فَانْ لمِ تجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالداً   ودُونَ مَعَــدّ فَلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ

فأخذه الحسن البصرى * فقال نثراً : ان آمرءاً لم يعد بينه وبين آدم عليه السلام الا اباً ميتاً لمعرق له فى الموت .. فاخذه ابو نواس .. فقال

ومَاالناسُ الاَّ هَالِكٌ وابنُ هالك   وذونسَبٍ فِي الهَالِكين عَرِيقُ

وقال الله عزوجلّ ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ﴾ فاخذه الشاعر .. فقال وقصر عنه

مازلتَ تحسبُ كُلَّ شئ بعدهمُ   خَيْلاً تَكرُّ عليهمُ ورجَالاَ

وكذا قصرت الخنساء فى .. قولها

ولوْلاَ كثرةُ البَاكين حَوْلى   على إخوَانهم لَقَتَلْتُ نَفْسِى

ومايكون مثل اخى وَلكن   اعزّى النفسَ عنــه بالتأسِى

عن قول الله تعـالى ﴿ ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون ﴾ ،، ومن خفى السرق .. ان ابا مسـلم قال لجلسـائه اى الاعراض الأم فقالوا واكثروا .. فقال الأمها عرض لم يرتع فيه حمد ولاذم : فاخذه المراغى * فقال

هَجَوْتُ زُهيراً ثم انى مَدحتُــه   ومازَالَتِ الاشْرَافُ تُهجَى وَتُمدَحُ

واخذ على بن الجهم * : قول الفرزدق

مَاالبَاهِلِيُّ بِصَادِقٍ لكَ وَعْـدُهُ   ومتَى تَعِدْكَ البَاهِلِيّةُ تَصْدِقُ

فقال

الرُّخجِيُّونَ لايُوفُونَ مَاوعَدُوا   والرُّخجِيَّاتُ لاَيُخْلِفْنَ مِيعَــادَا

وسمع بعضهم قول العرب : اذا فارق[١] القمر الثريا فقد ولى الشتاء : فنظمه .. فقال

اذا مافارقَ القمرُ الثريا   لثالثةٍ فقَدْ ذهبَ الشتاء

[١] — نسخة — قارن — بدل فارق وكذا فى البيت

وسمعت .. قول النبي صلى الله عليه وسلم (يسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم حيث ما كانوا) : فقلت

يسـعى بذِمَّتِهم أَدْنَاهُمُ وهُمُ — يَدٌ على من سِواهم حيثُ مَا كانُوا

وهذا يدلك على صحة ماتقدم : وسمع بعض الكتاب : قول ابى تمام

فانْ يَجِـدْ عِلَّةً تعمُّ بهـا — حتى تَرَانَا نُعادُ مِنْ مرضِهْ

فكتب : من نزل منزلتى من طاعتك ومشاركتك . كان حقيقاً ان يهنّا بالنعمة تحـدث عندك . ويعزى على النائبة تلم بك : فنقل العيادة الى المصـيبة والتعزية : وقال بعضهم الكتابة نقض الشعر : وقيل للعتابى بم قدرت على البلاغة : فقال بحل معقود الكلام : واحسن ابو تمام فى .. قوله

اليك هتكْنَا جُنْحَ ليْلٍ كأنّما — قد اكْتَحَلَتْ منْهُ البِلَادُ بإِثْمِدِ

وزاد فيه على ابى نواس ومنه اخذ وهو : قوله

[أَبِنْ لِى كيفَ صِرتَ الى حَرِيمِى] — وَجُنْحُ الليْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَـارِ

لان الاكتحـال يكون بالاثمد ولا يكون بالقـار [١] .. وممن اخفى الاخـذ ابن ابى عيينة * فى : قوله

مَا كُنتَ الاّ كَلَحْمِ ميْت — دعا الى اكلـه اضْطِرَارُ

اخذه من قول الاول

وإِنَّ بقَوْمٍ سُوَّدَ دُوك لَفَاقَةً — الى سَيّدٍ لوْ يَظْفَرُون بسَـيّدِ

ذكر ذلك عن المـأمون : وفيما زاد فيه المتأخر على المتقـدم فحسن معرضـه . وسهل مطلعه : قول ابن المعتز

ولاحَ ضَوْءُ هِـلَالٍ كادَ يفضَحُنَا — مِثْلَ القُلَامَة إِذْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ

وقال الاول

كأنَّ ابْنَ ليْـلَتِهِ جَانِحـاً — فَسِيطٌ لدى الأُفْقِ مِنْ خِنْصرِ [٢]

---

[١] — القار — لغة فى القير : واراد به سواد لونه

[٢] — هكذا — البيت فى نسخ الاصول : وفى التهذيب ونسبه لعمرو بن قميئة (كان ابن مزنتها جانحاً) البيت : وقال فى اللسان ويروى (كان ابن ليلتها الخ) ويروى بدل — فسيط . قصيص —

— القسيط قلامة الظفر — وما يعرف للمتقدم معنىً شريف الانازعه فيه المتأخر وطلب الشركة فيه معه الا بيت : عنترة

وترَى الذُبَابَ بها يُغَنِي وَحْدَهُ　　　هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّـارِبِ المُتَرَنِّمِ
غَرِداً يَحُكُّ ذِرَاعَـهُ بِذِرَاعِهِ　　　قَدْحَ المُـكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

فانه مانوزع فى هذا المعنى على جودته : وقد رامه بعض المجيدين فافتضح : واخذ البحترى : قول الشماخ [١]

وقَرَّبْتُ مُبْراةً كأن ضُلُوعَهَا　　　من المَاسِخِيَّاتِ القِسِيّ المُوَتَّرَا

— مبراة — من البرة وهى الحلقة تجعل فى انف الناقة فزاد عليه : فقال

كالقِسِّي المُعَطَّفاتِ بَلِ آلا　　　أسهمُ مبريةً بل الأَوتَارِ

وهذا ترتيب مصيب من اجل انه بداء بالاغلظ ثم انحط الى الادق وقد عيب ترتيب ابى تمام : فى قوله (اوكالخلوق اوكالملاب [٢]) فبداء بالانفس ثم انحط الى الاخس كما تقول هو مثل النجم بل القمر بل الشمس [فترتفع من الشئ الى ماهو اعلى منه واذاقلت هو مثل الشمس بل القمر بل النجم لم يحسن] وقال عروة بن الورد

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ اَقَمْتَ بأَرْضِنَا　　　ولم تَدْرِ اَنِّىَ لِلْمُقَـامِ اُطَوِّفُ

اخذه ابو تمام وزاد عليه : فقال

رُبَّ خَفضٍ تحتَ السُّرَى وَغَناءٍ　　　من عَناءٍ ونضْرَةٍ من شُحُوب

وقال ابراهيم بن العباس للفضل بن سهل *

---

[١] — البيت — اورده فى اللسان فى مادة ب ر ى ونسبه للنابغة الجعدى وانشد (فقربت مبراة تخال ضلوعها . الخ ثم اورده ثانية فى مادة م س خ منسوبا للشماخ : وقال الماسخيات القسى منسوبة الى ماسخة : وماسخة رجل من ازد السراة كان قواسا : قال ابن الكلبى هو اول من عمل القسى من العرب

[٢] — الملاب — بالفتح كل عطر مائع فارسى واورده فى اللسان فى مادة ل و ب وقال انه نوع من العطر ثم قال عن ابن الاعرابى انه من اسماء الزعفران : والبيت فى ديوانه هكذا

خلق كالمدام اوكرضاب المسـ　　　ـك اوكالعبير اوكالملاب

لِفَضْلِ بن سَهْلٍ يَدٌ ... تَقَاصَرَ عنْهَا المثَلْ

فَبسْطَتُهَا لِلغنَى ... وسَطْوَتُهَا للأَجَلْ

وَباطِنُهَا لِلنَّدى ... وظَاهِرُهَا للقُبَلْ

فاتبعه ابن الرومى * فاحسن الاتباع : فقال

اصبحتُ بين خَصاصةٍ وتجمل ... والحرّ بينهما يموتُ هزيلا [١]

فَامْدُدْ اليَّ يداً تَعَوَّدَ بَطْنُهَا ... بَذْلَ النَوالِ وَظهْرُهَا التَقْبِيلاَ

وقال بشار

الدَّهْرُ طَلاَّعٌ بأَحْدَاثِهِ ... وَرُسْلهُ فِيهَا المقَادِيرُ

مَحْجُوبَة تُنفْذ احكامُها ... ليْسَ لنا عن ذاك تأخيرُ

فاتبعه ابن الرومى واحسن الاتباع ايضاً .. فقال [٢]

بَطَلٌ عن الحرْبِ العَوَانِ بِمَعْزِلٍ ... وآثارُهُ فيهَا وانْ غَابَ شُهَّدُ

كما احْتَجَبَ المِقْدَارُ والحُكمُ حُكْمُه ... على الخلق طُرّاً لَيْسَ عنْهُ مُعرِّدُ

الا ان قول بشار اكثر ماءً وطلاوة : ومما لم يسئ الاتباع فيه .. قوله ايضا

سَكَنْتَ سُكُوناً كان رَهْناً بِوَثْبَةٍ ... عَمَاسٍ كذَاكَ الليْثُ لِلوَثْبِ يَلْبِدُ [٣]

وانما اخذه من .. قول النابغة

وقُلْتُ يَاقوم انَّ الليثَ مُنْقَبِضٌ ... على بَرَاثِنِهِ لِلوَثْبَةِ الضَّارِى

وكذلك .. قوله

كأنّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِداً ... رأَى كيف يَرْقَى فى المَعَالِى ويصْعَدُ

[١] — الخصاصة — سؤ الحال : وفى نسخة بدل قوله — هزيلا — قتيلا

[٢] — قوله بطل — هكذا فى اكثر النسخ وفى نسخة يظل — وقوله الحرب العوان — اى التى كان قبلها حرب فالعوان من النساء الثيب فكأنهم جعلوا الاولى بكر — وقوله يعرد — اى يفر : وفى اكثر النسخ يعدد

[٣] — العماس — من العمس كالحمس الشدة

اخذه من .. قول البحترى

سماه أُسْرَتُه العَلآءَ وانمـا　　قَصدُوا بذلك ان يَتِمَّ عُلاَهُ

وزاد ابوتمام ايضاً على الافوه . والنابغة . وابى نواس . ومسلم . فى معنىً تداولوه وهو .. قول الافوه

وتَرى الطيرَ عـلى آثارنا　　رأىَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمارْ [١]

وقول النابغة

إِذَا مَاغَزَوْا بالْجيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ　　عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَـائِبِ

جَوَانِحَ قـد أَيْقَنَّ ان قبيـلهِ　　اذا مَاالْتَقى الْجَمْعَـانِ اوَّلَ غَالبِ

وقول ابى نواس

تَتأَيَّى الطَّيرُ غَـدْوَتَهُ　　ثِقَةً بالشِبـعِ من جُزُرِهْ

وقول مسلم

قدْ عوَّدَالطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا　　فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كل مُرْتَحَـلِ

فقال ابوتمام

اقامَتْ مع الراياتِ حتى كأنها　　من الجيش الَّا انَّها لمْ تُقَاتِل

فقوله — اقامت مع الرايات زيادة — وزاد عليه بعض المحدثين : فقال

[يُطَمِّعُ الطَيْرُ فيهم طول اكلهم]　　حتَّى تكادَ على اخيَـائِهم تَقَعُ

وقال ابوتمام

هِمَّـةٌ تَنْطِحُ النُجُومَ وَجَـدٌّ　　آلِفٌ للحَضيضِ فهوَ حَضيضُ

اخذه البحترى فحسنه وهو .. قوله

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٍ　　فِى كُلِّ نَائِبَةٍ وجَّدٍ قَاعِدِ

ومما اخذه ايضاً من ابى تمام فقسمه تقسيماً حسناً : قوله

مَلِكٌ لهُ فى كُلِّ يَوْم كريهَةٍ　　اقدام عِزٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرِّبِ

[١] — قوله على آثارنا — فى نسخة على ارماحنا — وقوله ستمار — من قولهم امتار الميرة والميرة جلب الطعام

هو من قول ابي تمام

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ من بأسِهِ ... فاذا لقُوا فكأنهم أغمارُ

وقال ابوالعتاهية

كم نعمةٍ لا يُستقلّ بشُكرِهَا ... لِلّهِ فى طَيّ المكارِه كامِنَه

اخذه ابوتمام : فقال

قد يُنعِمُ الله بالبلوَى وان عَظُمَتْ ... ويَبتلِى اللهُ بعضَ القومِ بالنِعَمِ

فزاد عليه لانه اتى بضدالمعنى : وقال ابوتمام

رَأيتُ رَجَائى فيكَ وحْدَكَ هِمَّةً ... ولكِنَّهُ فِى سَائِرِ الناسِ مَطمَعُ

فاخذهالبحترى فاختصره : فقال

ثنَى أملى فاحتَازَه عن معَاشِرٍ ... يبيتُون والآمَالُ فيهم مطَامِعُ

واخذه ابن الرومى : فقال

بهِ صَدّق الله الأمانِى حديثَها ... وقدْ مَرّ دَهْرٌ والأمَانِى وسَاوسُ

وقال ابوتمام

رافِعٌ كفَّهُ لبرّى فما احْـ ... ـسِبُهُ جَاءَنى لغيرِ اللِّطَامِ

اخذهالبحترى فزاد عليه فى حسن اللفظ والسبك : فقال

وَوَعْدٌ ليس يُعرف من عبُوسٍ ... بأوْجُهِهِمْ اوَعْدٌ أمْ وَعِيدُ

وقال الحنيف بن السحف * [١]

وفرقْتُ بين ابنَىْ هُنَيم بَطعْنَةٍ ... لَها عَانِدٌ يكسُوا السَّلِيبَ ازارَها

يعنى — بالعاند الدم — فاخذهالبحترى فزاد عليه فى اللفظ : وقال

سُلبُوا وأشرَقتِ الدِمَاءُ عليهم ... مُحْمَرَّةً فكأنّهُمْ لمْ يُسْلَبُوا

[١] — نسخة — ابن السجف بالجيم

على ان حمرة حشو : وقال ابو تمام

كَأَنَّمَا خَامَرَهُ أَوْلَقٌ ... اوخَالَطَتْ هَامَتَهُ الْخَنْدَرِيسْ [١]

وقال البحترى

وتَخَالُ رَيْعَانَ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ ... من حِدَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ [٢]

فزاد عليه .. وقال ابو تمام

أَنْضَرَتْ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حتى ... عَادَ غُصْنِي سَاقاً وَكَانَ قَضِيبَا [٣]

فقال البحترى وزاد

حتى يعود الذئب ليثا ضيغماً ... والغصن ساقاً والقرارة نيقا [٤]

ومثل هذا كثير وفيما اوردت كفاية انشاءالله

الفصل الثانى من الباب السادس

فى قبح الاخذ

وقبح الاخذ ان تعمد الى المعنى فتتناوله بلفظه كله او اكثره اوتخرجه فى معرض مستهجن والمعنى انما يحسن بالكسوة : اخبرنا بعض اصحابنا قال قيل للشعبى * انا اذا سمعنا الحديث منك نسمعه بخلاف مانسمعه من غيرك : فقال انى اجده عارياً فاكسوه من غير ان ازيد فيه حرفاً : اى من غير ان ازيد فى معناه شيئاً .. فما اخذ بلفظه ومعناه وأدعى آخذه [او ادعى له] انه لم يأخذه ولكن وقع له كما وقع للاول : كما سئل ابوعمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى .. فقال عقول رجال توافت على السنتها .. وذلك .. قول طرفة

[١] الاولق — على وزن افعل وهو مألوق على وزن مفعول شبه الجنون : وفى نسخة ديوانه — فازلت — بدل قوله خالطت

[٢] — الافكل — على وزن افعل الرعدة تعلو الانسان — ولا فعل له

[٣] — عجز البيت فى ديوانه هكذا (صار ساقا عودى وكان قضيبا)

[٤] — نيقا — اى مرتفعا : والنيق ارفع موضع فى الجبل — والقرارة — اسفله وتقدم تفسيرها

وقوفاً بها صحبي عليَّ مَطِيَّهم　　يقولون لا تَهْلِكْ اسىً وتجلَّدِ

وهو .. قول امرؤالقيس

• وقوفاً بهـا صحبي عليَّ مطيّهم　　يقولون لاتهلك اسىً وتجمّلِ

فغير طرفةالقافية .. وقالالحرث بن وعلة *

الآن لمّـا ابيَضَّ مسرُبَتي　　وعَضِضْتُ من نابي على جِذْمِ [١]

وقال غسّان السليطيّ *

الآن لمّـا ابيَضَّ مسرُبَتي　　وعَضِضْتُ من نابي أجذَامي

وقال البعيث

أترْجُوا كُلَيْبُ ان يجيَّ حديثها　　بخير وقدأعْيَا كُلَيْباً قديمُهَا

وقالالفرزدق

اترجوا ربيْع ان تجيَّ صِغَارُها　　بِخَيْرٍ وَقَدْ أعْيا ربيْعاً كِبَارُهَا

ومثلهذا كثير في اشعارهمجداً .. والاخذ اذاكان كذلك كان معيباً وانادعى انّالاخر لم يسمع قول الاول بل وقع لهذا كما وقع لذاك فان صحة ذلك لايعلمها الاالله عز وجل والعيب لازم للاخر .. روى لنا انعمر بن ابي ربيعة * انشد ابن عباس * رضيالله عنه

(تشط غداً دار جيرانِنا)　فقال ابن عباس　(ولَلدار بعـدَ غد أبعدُ)

فقال عمر والله ماقلت الا كذلك .. واذاكان القوم في قبيلة واحـدة وفيارض واحدة فانخواطرهم تقع متقاربة كما اناخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة .. وانشدتالصاحب اسماعيل بن عباد *

(كانت سَراة الناس تحت أظلّه) فسبقني وقال (فغدت سُراةُالناس فوق سَراته)

وكذلك كنت قلت .. فعلى هذا جائز مايدعى لهم : والظاهر ماقلناه فهذا ضرب ،،

والضرب الاخر منالاخذ المستهجن ان يأخذالمعنى فيفسده او يعوصه او يخرجه في معرض قبيح وكسوة مسترذلة وذلك مثل : قول ابي كريمة *

قَفَاهُ وَجْهٌ ثم وَجْهُالذي　　قفَاهُ وَجْهٌ يَشْبِهُ البَدْرَا

[١] ــ الجذم ــ اصل الشئ وجذم الاسنان منابتها : والمعنى كبرت حتى اكلت على جذم نابي

وانما اخذ هذا من .. قول ابى نواس

[بِأَبِي انتَ مِنْ مَلِيحٍ بَدِيعٍ] بَذَّ حُسْنَ الوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكا

واحسن ابن الرومى فيه .. فقال

ماسآءنى إِعْراضُهُ عنى ولكن سَرَّنِى سَبالِقَفَاهُ عِوَضُ من كل شئ حسن

واليه اشار عبدالصمد * بن المعذل فى قوله

لَمَّا رأيتُ البدرَ فى أُفقِ السماءِ وقد تَعَلى

ورأيتُ قَرْنَ الشمسِ فى أُفقِ الغروبِ وقَدْ تَدَلَّى

شَبَّهتُ ذَاكَ وهذه وأَرَى شَبِيهَهُمَا اجلَّا

وجهَ الحَبِيبِ اذَا بَدَا وقفَا الحبيبِ اذا تولَّى

واخذه ابو نواس من قول النابغة بقوله للنعمان بن المنذر * ايفا خرك ابن جفنة واللات لامسك خير من يومه . ولقذالك احسن من وجهه . وليسارك اسمح من يمينه . ولعبيدك اكثر من قومه . ولنفسك اكبر من جنده . وليومك اشرف من دهره . ولوعدك انجز من رفده ولهزلك اصوب من جده . ولكرسيك ارفع من سريره . ولفترك ابسط من شبره . ولامك خير من ابية : والنابغة احذق الجماعة .. لانه ذكر القذال وهؤلاء قالوا القفا ولايستحسن ان يخاطب الرجل فيقال له قفاك حاله كذا وكذا : ومن ذلك قول الحسن بن وهب * وقد سمع قول اعرابى اجتمع مع عشيق له فى بعض الليالى : اجتمعت معها فى ظلمة الليل . وكان البدر يرينها . فلما غاب ارتنيه : فقال

ارَانِي البَدْرُ سُنَّتَهَا عِشَاءً فَلَمَّا أَزْمَعَ البَدْرَ الأُفُولاَ

أَرتنيه بسُنَّتها فكانَتْ مِنَ البَدْرِ المُنَوَّرِ لى بَدِيلاَ

فاطال الكلام وجعل المعنى فى بيتين وكرر السُّنَّة [١] والبدر : وقال البحترى فأربى على الاعرابى وزاد عليه

أَضَرَّتْ بِضَوْءِ البَدْرِ وَالبَدْرُ طالِعُ وقامتْ مَقَامَ البَدْرِ لما تَغَيَّبَا

---

[١] السنة — بالتشديد الصورة وسنة الوجه دوائره

وسمع بعضهم .. قول محمودالوراق *

اذا كانَ شكرِى نعمةَالله نعمةً ... علىَّ له فى مثلها يجبُ الشكرُ

فكيف بلوغ الشكر الا بفضلِه ... وان طالتِ الايام واتّصلَ العمرُ

اذا مسَّ بالسَّراءِ عمَّ سرورُها ... وان مسَّ بالضراءِ اعقبها الأجرُ

وما منهما الّا لهُ فيه نعمة ... تَضيقُ بِهَا الأَوهَامُ والبَرُّ والبَحرُ

فقال واساء

الحمدُ للهِ ان اللهَ ذونِعَمٍ ... لم يُحصِها عدداً بالشكر من حَمِدَا

شُكرِى له عَملٌ فيهِ علىَّ لهُ ... شكرٌ يكون لشكر قبلَهُ مَدَدَا

فهذا مثال قبح الاخذ فاعلمه : واخذ ابن طبا طبا * قول على رضى الله عنه .. قيمة كل امرئ مايحسنه : فقال

فيالائمى دعْنِى أُغالِ بقيمتِى ... فقيمةُ كُلِ الناسِ مَايُحسِنُونَهُ

فاخذه بلفظه واخرجه بغيضاً متكلفاً والجيد قول الاخر (فقيمة كل امرء علمه) فهذا وان كان اخذه ببعض لفظه فان — كلا — فى بيته احسن موقعاً منه فى بيت ابن طباطبا .. وقال فرواش بن خوط *

دَنوتُ له بأبيَض مشرَفىٍّ ... كمايَدنُوا المصَافحُ لِلعِنَاقِ

اخذه ابوتمام فقصر عنه : وقال

حنّ الى المَوتِ حتّى ظن جاهِلهُ ... بانه حنّ مشتاقا الى وطنِ

واحسن تقسيمه البحترى : فقال

تَسَرَّعَ حتّى قال منْ شَهِدَالوغَى ... لقاءُ أعادٍ ام لقاءُ حبائبِ

وقال ذوالرمة [١]

وليلٍ كجِلبَابِ العَرُوسِ ادَّرعتُهُ ... بأربَعةٍ والشخصُ فِى العَينِ واحِدُ

أحمُّ عُلافِىٌّ وابيَضُ صَارِمٌ ... وأعيَسُ مهرِىٌّ وارْوَعُ مَاجِدُ

[١] — البيت الثانى انشده فى اللسان : بكسر العين من علافى وفى سائر نسخ الاصول بالضم .. وقال — العلافى — اعظم الرحال آخرة وواسطا منسوب الى رجل اسمه علاف من قضاعة .. وقيل هو الرحل العظيم — والاحم — الاسود وقيل الابيض — والاعيس — واحد العيس وذلك مافى لونها ادمة من الابل وغيرها

اخذه ابوتمام فقصر : وقال

أَلبِيدُ والعِيسُ والليْلُ التمامُ معاً [١]   ثلاثةٌ ابداً يُقرَنَّ فى قَرَنِ

وبيت البحترى فى معناه اجود من هذا .. الا انه لايلحق بيت ذى الرمة

أطلبَا ثالِثاً سِـوَايَ فانِّي   رَابِعُ العِيس والدُّجى والبِيدِ

ومما قصر فيه البحترى : قوله

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الوَغَى   مشـغُوفةً بِمواطِنِ الكِتْمَانِ

اخذه من .. قول عمرو بن معدى كرب

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ ابيضَ مُرْهَفٍ   والطَّاعِنِينَ مَجَـامِعَ الاضغَـانِ

قوله — مجامع الاضغان — اجود من قوله — مواطن الكتمان — لانهم انما يطاعنون الاعدآء من اجل اضغانهم فاذا وقع الطعن فى موضع الضغن فذلك غاية المراد : ومما قصر فيه : قوله

من غَادَةٍ مُنِعَتْ وتَمْنَعُ نَيْلَها   فلَوْ أنَّها بُذِلَتْ لنَا لم تَبْذُلِ

اخذه من .. قول عبدالصمد بن المعذل [٢]

ظَبْيٌ كأَنَّ بِخَصْرِهِ   مِنْ دِقَّةٍ ظَمَاءً وجُوعَا

ومنَ البَلِيَّةِ أنَّنِي   عُلِّقتُ مَمْنُوعاً مَنُوعَا

بيت عبدالصمد ابين معنىً مع شـدة الاختصـار .. و بيت البحترى كالعويص لايقـام [اعرابه] الابعد نظر طويل — وقال جابر بن السليك * [الهمدانى]

ارمِى بِهَاالليلَ قُدَّامِى فيغشم بى   اذالكواكب مِثْلَ الأعيُنِ الحُولِ

---

[١] — صدر البيت فى نسخة ديوانه هكذا (العيس والهم والليل التمام معا . الخ وانشده فى الموازنة) كما فى الاصل

[٢] — انشد البيت الثانى فى الموازنة هكذا (انى علقت لشقوتى . ياقوم ممنوعاً منيعا) وتعقبه : فقال ان البحترى زاد على عبدالصمد بقوله — بذلت لنا لم تبذل — على ان المصنف ذهب الى حط بيت البحترى فتامل

اخذه البحترى فقصر فى النظم عنه .. فقال

وَخِدَانِ القِلَاصِ حُولًا اذا قَا　　بلْنَ حُولًا من انْجُمِ الأَسْحَارِ

الاول اسلس : وقال ابو تمام

فلم يَجْتَمِع شَرْقٌ وَغَرْبٌ لقَاصِدٍ　　ولا المَجْدُ فِي كَفِّ امرئٍ والدَرَاهِمُ

وقال البحترى فقصر

لِيَفِرْ وَفْرُكَ المُوفى وانْاءِ　　وَزَان يُجْمَعَ الندَى وَوُفورُه

واخذ ابو تمام : قول الشاعر

فقُلتُ لهم لا تَعذلونى وانظروا　　الى النَّازِعِ المَقْصُورِ كيف يَكُون

فقال وقصّر

هَرِمتَ بَعْدِى والربْعُ الذى افَلتْ　　منه بُدُورك مَعْذُورٌ على الهَرَم

متكلف ردئ الاستعارة ،،

وقد يتفق المبتدى للمعنى والآخذ منه فى الاساءة .. قال ابن اذينة *

كأَنَّمَا عَايبَهَا دَايِباً　　زَيَّنَها عِنْدِى بِتَزْيِين

فاتى بعبارة غير مرضية ونسج غير حسن واخذه ابونواس : فقال

كأَنَّمَا اثنَوْا ولم يَعْلَمُوا　　عليك عندى بالذى عابوا

فاتى ايضاً برصف مرذول ونظم مردود ،،

وقد يستوى الآخذ والمأخوذ منه فى الاجادة .. فى التعبير عن المعنى الواحد .. قال اعرابى

فَنَمَّ عليْهَا المِسْكُ والليْلُ عاكِفُ

وقال البحترى

وحَاوَلْنَ كِتْمَانَ التَرحُّلِ فى الدُجى　　فَنَمَّ بِهِنَّ المِسْكُ حتّى تَضَوَّعَا

وقال ايضاً

فكانَ العَبِيرُ بِهَا وَاشِياً　　وجرسُ الحُلْى عَلَيْهَا رَقِيبَا

وقال النابغة

فَانّكَ كالليل الذى هُو مُدرِكِى [وانخِلْتُ انَّ المُنتأَىٰ عنْكَ وَاسِعُ]

وقال ابونواس

لايَنْزِلُ الليلُ حيثُ حَلَّتْ [فَدهرُ شربَّا بِهَا نَهَارُ]

فاحسنا جميعاً فى العبارة : وللنابغة قصبة [١] السبق : ومثل ذلك قول لبيد

ولاَ بُدَّ يوماً انْ تُرَدَّ الودَايعُ

وقال بشار

وردَّ علىَّ الصِبَى مااستَعَارَا

وقال الفرزدق

تَفَارِيقُ شيْبٍ فِى الشَبَابِ لوامعٌ ومَاحُسْنُ ليْلٍ ليْسَ فيه نُجُومُ

وقال ابونواس

كَأَنَّ بقَايَا مَاعفَا مِنْ حَبَابِهَا تَفَارِيقُ شَيْبٍ فى سَوادِ عِذارِ

البيتان متساويان فى حسن الرصف وان كان ابونواس اساء فى اخذه لفظ الفرزدق وفى قول الفرزدق ايضاً زيادة وهى — وماحسن ليل ليس فيه نجوم — وانشد ابو احمد : قال انشدنا ابوبكر عن عبدالرحمن عن عمه

حَرَامٌ على ازماحِنَا طعْنُ مُدْبِرٍ وَتَنْدَقُّ قِدْماً فِى الصُّدُورِ صُدُورُهَا

مُسَلَّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِىَ فِى الوغى وَمَكْلُومَةٌ لَبَّاتُهَا ونُحُورُهَا

اخذه ابوتمام : فقال

أُنَاسٌ اذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرَّوْعُ كَسَّرُوا صُدُورَ العَوَالِى فى صُدُورِ الكَتَايِبِ

فاحسنا جميعاً : ومثله قول الاخر

يَلْقَى السيُوفَ بوَجْهِهِ وبنَحْرِه وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ المِغْفَرِ

ويَقُولُ لِلطَرْفِ اصْطَبِرْ لِشَبَا القَنَا فَهدَمْتُ رُكْنَ المجدِ انْ لمْ تُعْقَرِ

[١] — قصبة السبق — تقال للمراهن اذا سبق احرز قصبة السبق : ويقال احرز القصب لأن الغاية التى يسبق اليها تذرع بالقصب وتركز تلك القصبة عند منتهى الغاية : وجاء فى نسخة — فضيلة السبق

ومثله : قول بكر بن النطاح *

يَتَلَقَّى النَدى بِوَجْــهٍ حَيِيٍّ وصُدُورَ القَنَا بوجْهٍ وقَاحٍ

وهذا كله مأخوذ من .. قول كعب بن زهير

لايقعُ الطّعْنُ الاَّ فِي نحُــورِهِم ومَا لَهُمْ عَنْ حياضِ الموتِ تَهْلِيلُ [١]

وهو دون جميع ماتقدم ..وقد اتيت فى هذا الباب على الكفاية ولا اعلم احداً ممن صنف فى سرق الشعر فمثل بين قول المبتدى وقول التالى وبين فضل الاول على الآخر والاخر على الاول غيرى .. وانما كانت العلماء قبلى ينبهون على مواضع السرق فقط فقس بما اوردته على ماتركته فأنى لو استقصيته لخرج الكتاب عن المراد . وزاغ عن الايثار وبالله التوفيق ،،

تم الجزء الاول من كتاب الصناعتين .. يتلوه فى الجزء الثانى ان شاءالله الباب السابع فى التشبيه .. والحمدلله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلامه .. وهو حسبنا ونعم الوكيل

---

[١] — التهليل — النكوص والتأخر : يقال هلل عن الامر اذا ولى عنه ونكص : وقد وقع فى نسخ الاصول — وليس لهم عن حياض الموت تهليل — على ان الرواية الصحيحة ماذكرناه

﴿ الباب السابع ﴾

فى التشبيه فصلان

﴿ الفصل الاول من الباب السابع فى حد التشبيه ومايستحسن ﴾
﴿ من منثور الكلام ومنظومه ﴾

التشبيه الوصف بان احد الموصوفين ينوب مناب الاخر باداة التشبيه ناب منابه اولم ينب .. وقد جاء فى الشعر وسائر الكلام بغير اداة التشبيه وذلك قولك — زيد شديد كالاسد — فهذا القول الصواب فى العرف وداخل فى محمود المبالغة وان لم يكن زيد فى شدته كالاسد على الحقيقة .. على انه (قدروى) ان انسانا قال لبعض الشعراء زعمت انك لاتكذب فى شعرك وقد قلت

ولأنتَ اجراءُ من أُسَامة

أو يجوز ان يكون رجل اشجع من اسد فقال قديكون ذلك فانا قدراينا مجزأة * بن ثور فتح مدينة ولم نرالاسد فعل ذلك فهذا قول

ويصح التشبيه الشئ بالشئ جملة وان شابهه من وجه واحد مثل قولك — وجهك مثل الشمس — ومثل البدر — وان لم يكن مثلهما فى ضيائهما وعلوها ولاعظمهما وانما شبهه بهما لمعنى يجمعهما واياه وهوالحسن : وعلى هذا قول الله عز وجل ﴿ وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام ﴾ انما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها لامن جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها ولو اشبه الشئ الشئ من جميع جهاته لكان هو هو ،،

والتشبيه على ثلاثة اوجه .. فواحد منها تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون مثل تشبيه الليلة بالليلة . والماء بالماء . والغراب بالغراب . والحرة بالحرة [١] .. والآخر تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل كتشبيه الجوهر بالجوهر . والسواد بالسواد .. والثالث تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما كتشبيه البيان بالسحر : والمعنى الذى يجمعهما لطافة التدبير ودقة المسلك وتشبيه الشدة بالموت : والمعنى الذى يجمعهما كراهية الحال وصعوبة الامر ،،

واجود التشبيه وابلغه مايقع على اربعة اوجه ،،

---

[١] — نسخة — الحدة بالحدة

احدها اخراج مالايقع عليه الحاسة .. وهو قول الله عز وجل ﴿ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء ﴾ فاخرج مالايُحسّ الى مايُحسّ : والمعنى الذى يجمعهما بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ولوقال يحسبه الرأى ماء لم يقع موقع قوله الظمأن لان الظمأن اشد فاقة اليه واعظم حرصا عليه .. وهكذا قوله تعالى ﴿ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ﴾ والمعنى الجامع بينهما بعد التلاقى . وعدم الانتفاع : وكذلك قوله عز وجل ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث ﴾ اخرج مالايقع عليه الحاسة الى مايقع عليه من لهث الكلب : والمعنى ان الكلب لايطيعك فى ترك اللهث على حال وكذلك الكافر لايجيبك الى الايمان فى رفق ولاعنف : وهكذا قوله تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه ﴾ والمعنى الذى يجمع بينهما الحاجة الى نيل المنفعة والحسرة لما يفوت من درك الحاجة ،،

والوجه الآخر اخراج ما لم تجربه العادة الى ماجرت به العادة : كقوله تعالى ﴿ واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة ﴾ والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به الانتفاع بالصورة : ومن هذا قوله تعالى ﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء (الى قوله) كان لم تغن بالامس ﴾ هو بيان ماجرت به العادة الى ما لم تجربه : والمعنى الذى يجمع الامرين الزينة والبهجة ثم الهلاك وفيه العبرة لمن اعتبر . والموعظة لمن تذكر.. ومنه قوله تعالى ﴿ انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ﴾ فاجتمع الامران فى قلع الريح لهما واهلاكهما والتخوف من تعجيل العقوبة : ومن هذا الباب قوله تعالى ﴿ فكانت وردة كالدهان ﴾ والجامع للمعنيين الحمرة ولين الجوهر وفيه الدلالة على عظم الشان . ونفوذ السلطان : ومنه قوله تعالى ﴿ اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو (الى قوله عز وجل) ثم يكون حطاما ﴾ والجامع بين الامرين الاعجاب . ثم سرعة الانقلاب . وفيه الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها ،،

والوجه الثالث اخراج مالايعرف بالبديهية الى مايعرف بها : فمن هذا قوله عز وجل ﴿ وجنة عرضها السموات والارض ﴾ قد اخرج مالايعلم بالبديهة الى مايعلم بها : والجامع بين الامرين العظم .. والفائدة فيه التشويق الى الجنة بحسن الصفة : ومثله قوله سبحانه ﴿ كمثل الحمار يحمل اسفارا ﴾ والجامع بين الامرين الجهل بالمحمول .. والفائدة فيه الترغيب فى تحفظ العلوم وترك الاتكال على الرواية دون الدراية : ومنه قوله تعالى ﴿ كانهم اعجاز نخل خاوية ﴾ والجامع بين الامرين خلو الاجساد من الارواح .. والفائدة الحث على

احتقار مايؤول به الحال : وهكذا قوله سبحانه ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ فالجامع بين الامرين ضعف المعتمد .. والفائدة التحذير من حمل النفس على التغرير بالعمل على غير أس ،،

والوجه الرابع اخراج مالا قوة له فى الصفة على ماله قوة فيها : كقوله عز وجل ﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام ﴾ والجامع بين الامرين العظم .. والفائدة البيان عن القدرة فى تسخير الاجسام العظام فى اعظم مايكون من الماء : وعلى هذا الوجه يجرى اكثر تشبيهات القرآن وهى الغاية فى الجودة والنهاية فى الحسن .. وقد جاء فى اشعار المحدثين تشبيه مايرى العيان بماينال بالفكر وهو ردئ وان كان بعض الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة وهو مثل .. قول الشاعر

وكنت اعزُّ عزّاً من قُنُوعٍ ... يعوّضُهُ صفوحٌ من ملولِ

فصرت اذلُّ من معنىً دقيق ... به فَقْرٌ الى معنىً جليلِ

وكقول الاخر

وندمانٍ سقيتُ الراحَ صرفا ... وافُقُ الليل مرتفع السُّجُوفِ

صفَتْ وصفَتْ زجاجتها عليها ... كمعنىً دقّ فى ذهنٍ لطيفِ

فاخرج مايقع عليه الحاسة الى مالايقع عليه ومايعرف بالعيان الى مايعرف بالفكر ومثله كثير فى اشعارهم ،،

واما الطريقة المسلوكة فى التشبيه والنهج القاصد فى التمثيل عند القدماء والمحدثين فتشبيه الجواد بالبحر والمطر. والشجاع بالاسد . والحسن بالشمس والقمر . والسهم الماضى بالسيف . والعالى الرتبة بالنجم . والحليم الرزين بالجبل . والحيي بالبكر . والفايت بالحلم . ثم تشبيه اللئيم بالكلب . والجبان بالصفرد . [١] والطايش بالفراش والذليل بالنقد والنعل والفقع والوتد [٢] والقاسى بالحديد والصخر . والبليد بالجماد . وشهر قوم بخصال محمودة فصاروا فيها اعلاما فجروا مجرى ماقدمناه كالسموءل فى الوفاء . وحاتم فى السخاء . والاحنف فى الحلم . وسحبان * فى البلاغة . وقس فى الخطابة * . ولقمان

[١] — الصفرد — طائر اعظم من العصفور : قال ابن الاعرابى هو طائر جبان يفزع من الصعوة وغيرها

[٢] — النقد — السفل من الناس والنقد السلحفاة ولعله المقصود لانه من خساس الحيوان — والفقع — ضرب من أردا الكمأة : قال فى اللسان ويشبه به الرجل الذليل فيقال اذل من فقع بقرقر

فى الحكمة * : وشهر آخرون باضداد هذه الخصال فشبه بهم فى حال الذم كباقل فى العىّ [١]. وهبنّقة فى الحمق [٢] . والكُسَعىّ فى الندامة [٣] . والمنزوف ضرطا فى الجبن [٤] . ومادر فى البخل [٥] . والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ولهذا ماطبق جميع المتكلمين

---

[١] — باقل — اسم رجل يضرب به المثل فى العى : قال فى اللسان قال الاموى من امثالهم فى باب التشبيه انه — لأعيا من باقل — قال وهو اسم رجل من ربيعة وكان عيّياً فَدْماً واياه عنى الاريقط فى وصف رجل ملأ بطنه حتى عَيِىَ بالكلام فقال يهجوه (وانشد ابياتا وبيت الشاهد منها)

فمازال عند اللقم حتى كأنّه   من العىّ لما ان تكلم باقل

قال الليث بلغ من عىّ باقل انه كان اشترى ظبيا باحد عشر درهما : فقيل له بكم اشتريت الظبى ففتح كفيه وفرق اصابعه واخرج لسانه يشير بذلك الى احد عشر فانفلت الظبى وذهب فضربوا به المثل فى العى

[٢] — هبنّقة — اسمه يزيد بن ثوران : ويقال له ذو الودعات كان احمق بنى قيس بن ثعلبة : يضرب به المثل فى الحمق : قال الشاعر

عش بجدٍّ ولن يضرك نوكٌ   انما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هبنقة القيـ   ـسىّ نوكا اوشيبة بن الوليد

ربّ ذى اربة مقل من المـا   ل وذى عنجهية مجدود

شيْبَ ياشيب ياسخيف بنى القعـ   ـقاع ماانت بالحليم الرشيد

[٣] — الكسعى — اسمه محارب بن قيس من بنى كسيعة اوبنى الكسع بطن من حمير وكانوا رماة : ومنهم الكسعى هذا الذى يضرب به المثل فى الندامة وكان رام رمى بعد ما اسدف الليل عَيْرا فاصابه وظن انه اخطأه فكسر قوسه وقيل وقطع اصبعه ثم ندم من الغد حين نظر الى العير مقتولا وسهمه فيه فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله : وعليه قول الشاعر

ندمتُ ندامة الكسعى لما   رأت عيناه مافعلت يداه

[٤] — قال فى اللسان قال ابن برّى هو رجل كان اذا نبه لشرب الصبوح قال هلا نبهتنى لخيل قداغارت : فقيل له يوما على جهة الاختبار هذه نواصى الخيل فما زال يقول الخيل الخيل ويضرط حتى مات

[٥] — مادر — هو رجل من هلال بن عامر بن صعصعة سق ابله يوما فبقى فى اسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر به حوضه بخلا ان يشرب من فضله فضرب به المثل : قال الشاعر

لقد جلّلتْ خزيا هلالُ بن عامر   بنى عامر طرًّا بسلحة مادر

فاُفّ لكم لا تذكروا الفخر بعدها   بنى عامر انتم اشر المعاشر

من العرب والعجم عليـه ولم يستغن احد منهم عنه : وقد جاء عن القدماء واهل الجاهلية من كل جيل مايستـدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسـان : فمن ذلك ماقال صاحب كليلة ودمنة .. الدنيا كالماء الملح كلـا ازددت منه شربا ازددت عطشـاً .. (وقال) صحبـة الاشرار تورث الشر كالريح اذامرت على المنتن حملت نتنـاً واذا مرّت على الطيب حملت طيبا .. (وقال) من لايشكر له كان كمن نثر بذره فى السباخ ومن اشار على معجب كان كمن سارّ الاصم : وقد نظمت هذا المعنى : فقلت

اَلَا انما النُّعمى تجـازى بمثلهـا ۞ اذا كان مسداها الى ماجدٍ حُرِّ

فامّا اذا كانت الى غير ماجـدٍ ۞ فَقَدْ ذهبت فى غير اجرٍ ولا شكرِ

اذا المرءُ القى فى السِّبَاخ بذُورَهُ ۞ اضـاعَ فلم ترجع بزرع ولابذرِ

(وقال) لايخفى فضل ذى العلم وان اخفاه كالمسك يخبى ويستر ثم لايمنع ذلك رائحته ان تفوح : اخذه الصاحب فكتب .. فانت ادام الله عزك وان طويت عنا خبرك . وجعلت وطنك وطرك . فأنباؤك تأتينا . كما وشى بالمسك ريّاه . ونمّ على الصباح محيّاه : (وقال ايضاً) الرجل ذو المرؤة يكرم على غير مال كالاسد يُهاب وان كان رابضاً والرجل الذى لامرؤة له يهان وان كان غنيّا كالكلب يهون على النـاس وان عس وطوّف : (وقال) المودة بين الصالحين سريع اتصالها بطئ انقطاعها كانية الذهب التى هى بطيئة الانكسار هينة الاعادة والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطئ اتصالها كانية الفخار يكسرها ادنى شئ ولاوصل لها : (وقال) لايرد بأس العدو القوى بمثل التذلل له كما ان العشب انما يسلم من الريح العاصف بلينه لها وانثنائه معها : (وقال) لايحب للمذنب ان يفحص عن امره لقبح ماينكشف عنه كالشئ المنتن كلما اثير ازداد نتنا : (وقال) ايضا من صنع معروفا لعاجل الجزاء فهو كملقى الحب للطير لالينفعها بل ليصيدها به : (وقال) ايضا المال اذا كان له مدد يجتمع منه ولم يصرف فى الحقوق اسرع اليه الهلاك من كل وجه كالمـاء اذا اجتمع فى موضع ولم يكن له طريق الى النفوذ تفجر من جوانبـه فضاع : (وقال) ايضا الادب يذهب عن العاقل السـكر ويزيد الاحمق سكراً كالنهار يزيد البصير بصرا ويزيد الخفاش سوء بصر .. وقد احسن فى هذا المعنى جعفر * بن محمد رضى الله عنهما .. فقال الادب عند الاحمق كالمـاء العـذب فى اصول الحنظل كلما ازداد ريّا ازداد مرارة : (وقال) صاحب كليله ودمنه : الدنيـا كدودة القز لاتزداد بالابريسم على نفسها لفّاً الا ازدادت من الخروج بعـداً : (وقال)

اذا عثر الكريم لم ينتعش الا بكريم كالفيل اذا توحّل لم يقلعه الا الفيلة : وقال الشاعر في هذا المعنى

واذا الكريم كُبَتْ به ايامه　　　لم ينتعش الاّ بعطفِ كريم

(وقال) صاحب كليله ايضاً .. يبقى الصالح من الرجال صالحا حتى يصاحب فاسدا فاذا صاحبه فسد مثل مياه الانهار تكون عذبة حتى تخالط ماء البحر فاذا خالطته ملحت : وقال بعض الحكماء .. الدنيا كالمنجل استواؤها في اعوجاجها ،،

والتشبيه بعد ذلك في جميع الكلام يجرى على وجوه .. منها تشبيه الشئ بالشئ صورة : مثل قول الله عزوجل ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون[١] القديم ﴾ اخذه ابن الرومى : فقال في ذم الدهر

تأتى على القمر السّارى نوائبه　　　حتى يُرىٰ ناحلاً في شخص عُرْجُون

واين يقع هذا من لفظ القرأن ومن ذلك : قول امرئ القيس

كأنّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً　　　لدى وكْرِها العنّاب والحَشَفُ البالى [٢]

وقوله ايضا

كانّ عيون الوحش حولَ خبائنا　　　وأرحُلِنا الجِزْعُ الذى لَمْ يثقَّبِ [٣]

وقول عدى الرقاع ٭

تُزْجِي أغنَّ كانَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ　　　قَلَمٌ اصابَ من الدواةِ مِدَادَها [٤]

---

[١] — العرجون — العِذْقُ عامة وقيل لايكون عرجونا الا اذا يبس واعوّج : وقال الازهرى العرجون اصفر عريض شبه الله (تعالى) به الهلال لما عاد دقيقا (اى بعدما يبس) وقال ابن سيدة التشبيه في دقته واعوجاجه

[٢] — الحشف — مايبس من الثمر ولم يكن له طعم ولا نوى : قال الوزير ابوبكر هذا احسن بيت جاء باجماع الرواة في تشبيه شيئين بشيئين في حالتين مختلفتين شبه الطرى من القلوب بالعناب والعتيق بالحشف

[٣] — الجزع — الخرز اليمانى الذى فيه بياض وسواد تشبه به الاعين : قال الوزير ابوبكر عيون الوحش سود اذا كانت حية واذا ماتت ظهر ما كان يخفى من بياضها فتصير سودا وفيها بياض فتكون مثل الجزع : والجزع ضبطناه بالكسر تبعا لنسخ الاصول عامة وانشده في اللسان بالفتح وقال الجزع بالكسر بمعنى الخرز يروى عن كراع لاغير

[٤] — تزجى — قال في اللسان ازجيت الابل اذا سقتها وانشد البيت — والروق — القَرْن من كان ذى قرن

ومنها تشبيه الشئ بالشئ لونا وحسنا : كقول الله عز وجل ﴿ كانهن الياقوت والمرجان ﴾ وقوله تعالى ﴿ كانهن بيض مكنون ﴾ وكقول حميد بن ثور

واللبل قَدْ ظَهرَتْ نَحِيزَته ۝ والشمسُ فى صفرآءَ كالورسِ [١]

وكقول الآخر

قَوْمٌ رِبَاطُ الخيلِ وسط بيوتهم ۝ وأَسِنَّةٌ زُرْقٌ يُخَلْنَ نجُومَا [٢]

ومنها تشبيه به لوناً وسبوغاً .. كقول امرئ القيس

وَمشْدُودَةَ السَّكِ مَوْضُونَةً ۝ تَضَاءَلُ فِى الطىِّ كالمِبْرَدِ

يَفِيضُ عَلى المرْءِ ازدانُهَا ۝ كَفَيْضِ الأَتىِّ على الجَدْجَدِ

شبه الدرع [٣] بالأتى فى بياضها وسبوغها لانها تعم الجسد كما يعم الأتى الجدجد اذا تفجر فيه والأتىّ السيل .. ومنها تشبيه به لوناً وصورة : كقول النابغة

تجْلو بِقَادِمَتَىْ حَمَامَةِ ايْكَةٍ ۝ بَرَداً اسِفَّ لِثَاته بِالأَثْمَدِ [٤]

كَالأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبَّ سَمَائِهِ ۝ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وأَسفَلهُ نَدِى [٥]

---

[١] — النحيزة — الطريقة المستدقة : قال فى اللسان النحيزة طرة تنسج ثم تخاط على شفة الشقة من شقق الخباء فكان النحائز من الطرق مشبهة بها

[٢] — زرق الاسنة — صفاء لونها : والبيت لليلى الاخيلية

[٣] — الدرع — المشبهة بالاتى مفسرة من السك : والسك هى الدرع الضيقة الحلق ونصب مشدودة لانه معطوف على قوله

واعددت للحرب وثابةً ۝ جواد المحثة والمِرْوَد

والبيتان اوردهما نجم الدين الطوفى فى كتابه (موايد الحيس فى فوائد امرء القيس) هكذا

ومشدودة الشك موضونة ۝ تضال فى الطى كالمبرد

تفيض على المرء اردانها ۝ كفيض الاتى على الجدجد

وقال وهذا شئ لانعرفه لغيره اى ان هذا المعنى من مبتكراته : ثم قال فى معنى البيت الاول : اى يتقارب تكاسيرها وغضونها بعضها من بعض كتقارب حرور المبرد : وقال فى البيت الثانى : اى كفيض الجدول (والجدول النهر الصغير وهو الاتى الذى فسره المصنف بالسيل) على المكان الصلب (وهو الجدجد قال الاصمعى الجدجد الارض الغليظة) شبهت بالماء (اى الدرع شبهت بماء الجدول) لبرقها وصفائها ولينها

[٤] — اسف — اى اذر عليه الاثمد — واللثة — مغرز الاسنان

[٥] — الاقحوان — من نبات الربيع مفرض الورق دقيق العيدان له نَوْرٌ ابيض كانه ثغر جارية حدثة السن

شبه الثغر بالاقحوان لوناً وصورة لان ورق الاقحوان صورته كصورة الثغر سوآء واذا كان الثغر نقياً كان فى لونه سوآء : وكقول امرئ القيس

جمعت رُدَيْنِيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لهبٍ لمْ تَتَّصِلْ بِدُخَانِ [١]

ومما يتضمن معنى اللون وحده : قول الاعشى

وَسَبِيئَةٍ مما تعَتِّقُ بَابِلُ كَدَمِ النبيح سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

وقول الشماخ

اذا ما الليل كان الصبح فيه اشق كَمفرق الرأس الدهين

وقول زهير

وقد صار لون الليل مثل الأرَنْدَج [٢]

وقول امرئ القيس

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْر مُرْخٍ سُدُولَه علىَّ بأنواع الهموم لِيَبْتَلِى

وفى هذا معنى — الهول — ايضاً .. وقول كعب بن زهير

ولَيْلَةِ مُشْتَاقٍ كَأَنَّ نُجُومَها تَفَرَّقْنَ منها فى طَيَالِسَةٍ خُضْر

وقول ذى الرمة

ولَيْلٍ كَجِلْبَابِ العَرُوسِ ادَّرَعْتُه بارْبَعَةٍ والشخصُ فِى العيْنِ وَاحِدُ

وقوله ايضا [٣]

وقد لاحَ للسَّارِى الذى كَمَّلَ السُّرَى علــى أُخْرَيَات الليل فَتْقٌ مُشَهَّرُ

كلون الحصان الانْبَطِ البطن قائماً تمــايلَ عنه الجُلُّ واللّونُ اشْقَرُ

ومنها تشبيه به حركة .. وهو قول عنترة

---

[١] — الردينى — الرع زعموا انه منسوب الى امرأة السمهرى تسمى ردينة وكانا يقومان القنا بخط هجرى

[٢] — الارندج — جلد اسود تعمل منه الخفاف

[٣] — الانبط — الأبيض : قال بعض الادباء : شبه بياض الصبح طالعاً فى احمرار الافق بفرس اشقر قد مال عنه جله فبان بياض ابطه : وجاء فى بعض الروايات — فاللون اشقر بدل قوله واللون

غَرِداً يَحكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِــه قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ [١]

وقول الاعشى

غرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوارِضُهــا تَمْشِى الهُوَيْنَا كما يَمْشِى الوَجِى الوَحِلُ

وقول الآخر

كأَنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها مَرُّ السحَابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وقول الآخر

كأَنَّ أُنُوفَ الطَيْرِ فِى عَرَصَاتِهَا خَرَاطِيمُ أَقلامٍ تَخُطُّ وتُعْجَمُ

ومنها تشبيه معنى .. كقول النابغة

فَاِنَّكَ شَمْسٌ وَالملوك كواكِبٌ اذا طَلَعَتْ لم يَبْدُوا مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقوله

فَاِنَّكَ كاللَيْلِ الذِى هُوَ مُدْرِكِى وَانْ خلتُ انَّ المنتَأَى عنكَ واسِعُ

وكقول الآخر

وكالسَيْفِ انْ لاينْتَهُ لانَ مَتْنُه وحَدَّاهُ انْ خاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وقول مسلم بن الوليد

وانى واسماعيــلَ يومَ ودَاعِــه لكالْغِمْدِ يومَ الرَّوْعِ فَارقه النصْلُ

وقوله

فأنْ اغشَ قَوْماً بَعْدَهُ اوْ أَزُرْهُمْ فَــكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الأَنِسِ المَحِلُ

وقول الآخر

والدهْرُ يَقْرَعُنِى طوْراً وأَقْرَعُهُ كأَنَّهُ جَبَلٌ يَهْوَى الى جَبَلِ

---

[١] — الغرد — بالكسر من الغرد بالتحريك التطريب فى الصوت والغناء — والقدح — بالسكون فعل القادح وجاء فى اللسان — هزجا — بدل قوله غردا وكذا فى الجمهرة وقبله

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم

وقد تقدم ذكرهما فى صحيفة ١٦٨ فراجعهما

وقول الآخر

كم مِنْ فؤاد كأنّهُ جَبَلُ　　　ازَالَهُ عَنْ مَقَرّهِ النَظَرُ

وقد يكون التشبيه بغير اداة التشبيه : وهو كقول امرء القيس

له ايطَلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ　　　وارخاء سِرحَانٍ وتقريب تَتْفُلِ [١]

هذا اذا لم يحمل على التشبيه فسد الكلام لانّ الفرس لايكون له ايطلا ظبي ولاساقا نعامة ولاغيره مما ذكره وانما المعنى له ايطلان كأيطلى ظبي وساقان كساقى نعامة : وهذا من بديع التشبيه لانه شبه اربعة اشياء باربعة اشياء فى بيت واحد وكذلك : قول المرقش

النَشرُ مسكٌ والوجه دنا　　　نيرٌ واطرافُ الأكفّ عَنَمْ

فهذا تشبيه ثلاثة اشياء بثلاثة اشياء فى بيت واحد ،، وضرب منه آخر : [ومنه] قول امرئ القيس

سموْتُ اليْهَا بعد مانامَ اهلُها　　　سموّ حَبَاب الماء حالاً على حال [٢]

فحذف حرف التشبيه .. ثم نورد هاهنا شيئا من غرايب التشبيهات وبدايعها ليكون مادةً لمن يريد العمل برسمنا فى هذا الكتاب : فمن بديع التشبيه قول امرئ القيس

كانّ قلوب الطَيْر رطباً ويابساً　　　لدى وكرهَا العناب والحشفُ البالى

فشبه شيئين بشيئين مفصلا — الرطب . بالعناب — واليابس . بالحشف — فجاء فى غاية الجودة .. ومثله قول بشار

كانّ مُثارَ النقع فَوْقَ رُؤسنا　　　وأسيافنا ليلٌ تهاوَىٰ كواكبُهْ

فشبه — ظلمة الليل . بمثار النقع — والسيوف . بالكواكب [٣] — وبيت امرئ القيس

---

[١] قوله ايطلا ظبي — يريد خاصرتا ظبي واحدها ايطل وخص الظبي لانه ضامر قدانطوى (اى فرسه) والظبي ضامر كذا قاله ابوبكر بن عاصم : وقال الطوق فى الفوائد : استعار لفرسه هذه الاعضاء والافعال من هذه الحيوانات وهى احسن ماتكون فيها — والسرحان — الذيب : وارخاؤه مده عنقه مسترسلا — والتتفل — ولد الثعلب : وتقريبه جمع يديه ووثبه

[١] — حباب الماء — طرائقه المتكسرة فيه حكاه الطوق فى فوائده : واطال فى شرح معنى البيت فراجعه فانه من فرائد الفوائد

[٢] — قال السكاكى : ليس المراد من التشبيه تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانب منه : فتأمل

اجود لان قلوب الطير رطبا ويابسا اشـبه بالعناب والحشف من السـيوف بالكواكب : ومثل قول النمرى

لَيلٌ من النقع لاشمس ولاقمر الا جبينُك والمَذْرُوبَةُ الشُرُعُ [١]

وقول العتابى

مدّتْ سَنَابِكُها من فوق ارؤسهم ليلاً كواكبُه البيضُ المَبَاتِيرُ [٢]

ومن بديع التشبيه .. قول الآخر

نشرَتْ الىّ غدَائِراً من شَعْرِهَا حَذَرَ الكواشح والعدوّ المُوبق

فكأنّنى وكأنّهـا وكأنّهُ صُبْحانِ باتا تحتَ ليلٍ مُطْبَق

شبه ثلاثة اشياء بثلاثة اشياء مفصلة .. وقال البحترى

تبسّمٌ وقُطُوبٌ فى ندًى ووغىً كالغيثِ والبَرْقِ تحتَ العارضِ البردِ

واتم ما فى هذا .. قول الوأوآء

واسْبَلَتْ لؤلؤاً من نرجس فَسَقَتْ ورداً وعضّتْ على العُنّاب بالبَرَدِ

فشبه خمسة اشياء بخمسة اشياء فى بيت واحد — الدمع . باللؤلؤ — والعين . بالنرجس — والخد . بالورد — والانامل . بالعناب — لما فيهن من الخضاب — والثغر . بالبرد — ولااعرف لهذا البيت ثانيا فى اشعارهم .. وقول البحترى

كالسيف فى اخْذَامِه والغيث فى ارْهَامِـه والليث فى اقْـدَامِهِ [٣]

فشبه ثلاثة اشياء بثلاثة اشياء .. وقلت فى مثله

كالسيف فى عَمرَاتِه والبدرِ فى ظُلُمَـاتِه والغيثِ فى أَزْمَاتِهِ

---

[١] — المذروبة — المحدودة من ذرب الحديدة وذربها احـدها فهى مذروبة — والشرع — هكذا ضبط فى الاصل بالضم جمع شراع بالكسر كل مايشرع اى ينصب ويرفع

[٢] — سنا بكها — اطرافها — والمباتير — السيوف القاطعة

[٣] — الخـذم — سرعة القطع — والرهام — الامطار .. قال ابوزيد الرهمة هى اشد وقعا من الديمة واسرع ذهابا

وقال البحترى

شـقايق يَحمِلنَ النَدى فكأنَّهُ　　دُمُوعُ التصابى فى خدودِ الخرايدِ

فشبه شيئين بشيئين .. ومثله قول ابى نواس

ياقمراً ابصرتُ فى مأتم　　يَندُبُ شَجواً بَيْنَ اتْرَابِ

يبكى فيلقى الدُرَّ من نرجس　　ويَلطِمُ الوردَ بعُنَّـابِ

اخذه بعض المتأخرين فقلبه هجاءً .. فقال

ياقِرْدَةً ابصرتُ فى مأتم　　تندب شجواً بتخـاليطِ

تبكى فتلقى البعر من كُوَّة　　وتلطم الشَـوكَ ببلوطِ

وشبهتُ الهلال تشبيها يتضمن صفته من لدن هو هلال الى ان يكمل .. فقلت

وكؤوسٍ اذا دجاالليلُ دارتْ　　تحت سَقفٍ مرصّعٍ باللجَيْنِ

وكأنَّ الهـلال مرآتُ تِبْرٍ　　يَنجَلى كلَّ ليـلةٍ إصبَعَيْنِ

ومن بديع التشبيه .. قول سلمة بن عياش *

كأنَّ بنى ذالانَ اذ جاء جَمْعُهُمْ　　فراريج يُلقَى بينهنَّ سَوِيقُ

هذا لدقة اصواتهم وعجلة كلامهم .. وقوله

حـديثُ بنى قُرْطٍ اذا مالقيتَهم　　كنَزْوِ الدَّبا فى العَرْفَجِ المتقارِبِ [١]

وقال بعض المحدثين وهو ابن نباتة * فى فرس ابلق اغرّ

وكأنمـا لطمَ الصبَـاحُ جبينَهُ　　فاقتصَّ منه فخاضَ فى احشائِهِ

وقال آخر

ليل يَجُرُّ من الصباح ذلاذِلاً [٢]

---

[١] — العرفج — ضرب من النبات سهل سريع الانقياد واحدته عرفجة واختلفوا فى شكله

[٢] الذلاذل — بالذال اسافل القميص الطويل الواحد ذلذل مثل قمقم وقماقم

ومن مليح التشبيه وبديعه .. قول ابن المعتز

والصبح يتلو المشتري فكأنه　　عريان يمشي في الدجى بسراج

وقوله في صفة فرس

ومحجل غير اليمين كأنه　　متبختر يمشي بكم مسبل

وقال اعرابي

يغزو كولغ الذيب غاد ورائح　　وسير كصدر السيف لايتعرج

وقول ابن الرقاع

تزجي اغن كان ابرة روقه　　قلم اصاب من الدواة مدادها

وقول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه　　سيف على شرف يسل ويغمد

وقول ذي الرمة في الحرباء

ودوية جرداء حداء خيمت　　بها هبوات الصيف من كل جانب [١]

كأن يدي حربائها متململاً　　يدا مذنب يستغفر الله تايب

وقوله فيها

وقد جعل الحرباء يصفر لونه　　وتخضر من حر الهجير غباغبه

ويسبح بالكفين حتى كأنه　　اخو فجرة عالى به الجذع صالبه

اخذه البحتري .. فقال

فتراه مطرداً على اعواده　　مثل اطراد كواكب الجوزاء

مستشرفاً للشمس منتصباً لها　　في اخريات الجذع كالحرباء

وقال ذو الرمة

يصلي بها الحرباء للشمس مائلاً　　على الجذل الا انه لا يكبر

اذا حول الظل العشي رأيته　　حنيفا وفي قرن الضحى يتنصر

[١] ــ الدوية ــ الفلاة الواسعة : وقيل اذا كانت بعيدة الاطراف مستوية واسعة ــ والجرداء ــ التي لانبات فيها ــ والهبوات ــ جمع هبوة بالفتح الغبرة

— الحرباء — دويبة كالعظاية[١] تأتى شجرة تعرف بالتنضبة[٢] فتمسك بيديها غصنين منها وتقابل بوجهها الشمس فكيف مادارت الشمس دارت معها فاذا غربت الشمس نزلت فرعت .. والحرباء فارسية معربة وانما هى خُرْبا اى حافظ الشمس والشمس تسمى بالفارسية خر : وقد ملح ابن الرومى فى ذكرها حيث يقول فى قينة

مامالها قَدْ حُسِّنَتْ ورقيبُها ابداً قبيحٌ قُبِّحَ الرُقباءُ

ماذاك الاّ انها شمس الضحى ابداً يكون رقيبها الحِرباءُ

وقال ابن الرومى ايضا فى مصلوب

[كَمْ بارض الشأْ آمَ غادَرْتَ منهم غايراً مُوفياً على اهل نَجْدِ]

يَلْعَبُ الدَّسْتَبَنْدَ فَرْداً وانْ كان له شاغِلٌ عن الدَّسْتَبَنْدِ [٣]

وقال ابن المعتز

وقد عَلاَ فَوْقَ الهِلاَلِ كُرَتُهْ كهامَةِ الأَسْوَدِ شابتْ لِحْيَتُهْ

وقال

[ورأسه كمثل فَرْقٍ قَدْ مطِرْ] وصُدْغَه كالصَّوْلجان المنْكَسِرْ [٤]

ومن بديع التشبيه .. قول الآخر

بيضاء تسحَبُ من قيام فرعَها وتغيبُ فيه وهو جَثْلٌ أسحَمُ [٥]

فكانها فيه نهار ساطع وكأنه ليلٌ عليها مظلِمُ

---

[١] — العظاية — وفى نسخة العظأة — بالهمز حيوان على خلقة سام ابرص اعيظم منها شيئاً

[٢] — التنضبة — واحدة التنضب شجر له شوك قصار وليس من شجر الشواهق تألفه الحرابى : وقد اعتيد ان تقطع منه العصى الجياد

[٣] الد ستبند — لعبة للمجوس يدورون وقد امسك بعضهم يد بعض كالرقص ذكره فى اقرب الموارد : والدستبند مركب من دست بند : فالدست الغلب فى الشطرنج فارسية : والبند بيدق منعقد بفرزان

[٤] — الفرق — بالسكون الطائر — والصولجان — المحجن : وهذا البيت والذى قبله من ارجوزة له فى الملح والاوصاف .. اولها

لى صاحب قدلامنى وزادا فى ترك الصبوح ثم عادا

[٥] — الجثل — الكثير الملتف من فرعها اى شعرها — والاسحم — الاسود

ومن بديعه : قول مسلم

أجدَّكِ ماتَدْرِينَ أنْ رُبَّ ليــلة ... كأنّ دُجَاها من قرونك تُنْشَرُ

وقول الفرزدق

والشيب ينهضُ فى الشباب كأنه ... لَيْــلٌ يصيحُ بجانبيْهِ نَهَــارُ

وقلت

شمس هَوَتْ وهلالُ الشهر يتبعها ... كأنّهــا ســافرٌ قدّامَ مُنْتَقِبِ

تبدو الثريا وامرُ الليــل مجتمع ... كأنّهــا عقربٌ مقطوعةُ الذنب

وقلت

تلوحُ الثريا والظــلامُ مقطِبٌ ... فيضحك منها عَنْ اغرَّ مفلّجِ

تسير ورآءَ والهلالُ امامَها ... كما اومأتْ كفٌّ الى نصف دُمْلَجِ

[وقال عبدالله بن المعتز]

[اهلاً وسهلاً بالناىِ والعود ... وكأسِ ساقٍ كالغصن مقدودِ]

[قد انقضتْ دولة الصيام وقدْ ... بشّر سقمُ الهــلالِ بالعيــدِ]

وقال آخر

تبدو الثريا كفَاغِرٍ شَرِهٍ ... يفتحُ فاهُ لأكلِ عُنْقودِ [١]

وقال ابو الحرث * جميز .. فلان كالمشجب [٢] من حيث لقيته لا .. فقال ابو العبر *

لو كنتَ من شئ خلافك لَمْ تكنْ ... لتــكُونَ الاَّ مِشْجَباً فى مِشْجَبِ

ياليْتَ لى من جلد وجهك رقعة ... فأقُدَّ منهــا حافراً للاشهبِ

[١] — الفاغر — من فغر فمه اذا فتحه — والشره — الشديد الحرص على الطعام : وجاء فى نسخة : كفاغر فمه الخ البيت وقد نسبه لابن المعتز منضما لقوله (اهلا وسهلا) البيتان ولايصح ان يكون ذلك من صنيع المؤلف لاختلاف الوزن : على ان البيت لم اجده فى ديوان ابن المعتز

[٢] المشجب — خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر وقيل خشبتان : وقوله —لا— هكذا وقع فى اكثر النسخ وكأنه اراد بها صورة المشجب على انه خشبتان

وقال بعض الحكماء : العقل كالسيف والنظر كالمِسَنّ .. ونظر عبادة * الى سوداء تبكي .. فقال .. كانها تنور شنان [١] يكف : فنظمته وقلت

سوداءَ تَذرِفُ دَمْعَهَا مثلَ الأتُونِ اذا وَكَفْ

وقال ابن المعتز

وكأنَّ عقربَ صُدْغِهِ وقفتْ لمّا دنتْ من نار وجنتهِ

وقلت

كأنَّ نهوضَ النجم والافق اخضرٌ تَبَلُّجُ ثَغْرٍ تحت خُضْرَةِ شاربِ

وقال اوس بن حجر

حتى تُلُفَّ بدوركم وقصُورِكم جَمْعٌ كناصيةِ الحصان الاشقرِ

وقلت

بَكَرْنَا اليه والظلامُ كأنّه غرابٌ على عُرْفِ الصباح يُرَنِّقُ [٢]

وقلت

اذا التَوى الصُّدْغُ فوق وجنتِهِ رأيتَ تُفَّاحةً بها عَضَّهْ

وقلت

والغيم يأخذه ريح فتنفشه كالقُطْنِ يُنْدَفُ في زُرْقِ الدّواويجِ [٣]

وقلت

وقهوَة من يد المغنُوج صافيَةٍ كأنّها عُصِرَتْ من خَدّ مَغْنوجِ

وقلت [٤]

قم بنا نذعرِ الهمُومَ بكأسٍ والثريا لِمَفْرِقِ الليل تاجُ
وقد انجرّت المجرّةُ فيه كسبيبٍ يَمُدُّهُ نَسَّاجُ

وقلت

وكأنَّ النجومَ والليلُ داجٍ نَقْشُ عَاجٍ يلوحُ في سقفِ سَاجِ

---

[١] — الشنان — واحده شنة الخَلَقُ من كل آنية صنعت من جلد

[٢] — الترنيق — رفرفة جناح الطائر : وتقدم ذكره

[٣] — قوله والغيم الخ هكذا وقع لنا في اصح نسخ الاصول وليحرر

[٤] — نذعر — بمعنى نطرد — والسبيب — لعله من السب بالكسر ويطلق على الخمار والعمامة وشقة كتان رقيقة والسبيبة مثله ولم يحك في اللسان السبيب : وجاء في نسخة واحدة العسيب وذلك جريد النخل

وقلت

كأنّ الشُّمَيرِيَّاتُ فيه عقارب ... تجيءُ على زرق الزجاج وتذهبُ

وقلت

فأذرَيتُ دَمعاً بالدماءِ مُصبَّغاً ... كما يَتَواهى عقدُ عِقدٍ مُنَسَّقٍ

وقد باشر الليل الصباح كأنّه ... بقية كُحلٍ في حماليقِ ازرقِ

وهذا الجنس كثير وفيما اوردته كفاية انشاءالله

الفصل الثانى من الباب السابع

فى البيان عن قبح التشبيه وعيوبه

والتشبيه يقبح اذا كان على خلاف ماوصفناه فى اول الباب من اخراج الظاهر فيه الى الخافى . والمكشوف الى المستور . والكبير الى الصغير : كما قال النابغة

تَخدِي بهم أُدْمٌ كأنّ رحالَهَا ... عَلَقٌ اريقَ على متُونِ صِوارِ [١]

وقال لبيد

فَخمَةٌ دَفرآءَ تُرْتَى بالعُرى ... قُرْدُمَانيا وتركا كالبَصَلْ [٢]

وقال خفاف بن ندبة

أبْقى لها التَعْداءُ من عَتَدَاتِها ... ومتُونِها كخيُوطِة الكتَّانِ [٣]

— العتدات — القوائم — والمتون — الظهور : يقول دقت حتى صارت متونها وقوائمها كالخيوط [٤] : وهذا بعيد جدا : ومثل هذا محمود غير معيب عند اصحاب الغلو

[١] — تخدى — من الخدى وذلك سرعة السير من البعير وغيره مع زج قوائمه — والادم — الابل التى فى لونها ادمة — والعلق — الدلو — والمتن — الظهر — والصوار — بالكسر والضم القطيع من البقر وجاء فى نسخة صوارم جمع صارم

[٢] — تقدم ذكره فى صحيفة ٨١ فراجعه

[٣] — التعداء — حضر الفرس وغيره من عدا يعدو عدوا وتعداء

[٤] جاء فى نسخة (واراد ضلوعها فقال متونها) وذلك بدل قوله : دقت حتى صارت متونها وقوائمها كالخيوط

ومن يقول بفضله : واذا شبه ايضا صغيرا بكبير وليس بينهما مقاربة فهو معيب ايضا .. كقول ساعدة بن جوية

كساها رطيبَ الريش فاعتدلتْ لها ⁂ قِداحٌ كأعناق الظِباءِ الفوارقِ [١]

شبه السهام باعناق الظباء وليس بينهما شبه .. [ولو وصفها بالدقة لكان اولى] ومن معيب التشبيه : قول بشر

وجَرَّ الرامِسَاتُ بها ذيُولاً ⁂ كأنَّ شمالهــا بَعْدَ الدَّبُورِ [٢]

رَمَادٌ بين أظْأر ثلاثٍ ⁂ كما وشْمَ النواشر بالنؤور [٣]

فشبه الشمال والدبور بالرماد .. ومن خطاء التشبيه : قول الجعدي *

كأنَّ حِجَاجَ مُقْلَتِها قَلِيبٌ ⁂ [من السَّمْقَيْنِ اخلق مُشْتفاها] [٤]

— والحجاج — العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب : وليس هذا مما يغور وانما تغور العين : ومن التشبيه الكريه المتكلف : قول زهير

فزلَّ عنه وأوْفَى رأس مَرْقَبَةٍ ⁂ كمَنْصِبِ العِتْرِ دَمَّى رأسَهُ النُسُكُ [٥]

ومن التشبيه الردئ اللفظ : قول اوس بن حجر

كأنَّ هِرَاجنينا تحت غُرْضَتِها ⁂ والتَفَّ ديكٌ برجليْها وخِنْزِيرُ [٦]

واعجب من هذا : قول بشار

وبعض الجود خِنْزِيرُ [٧]

---

[١] — فى نسخة — قداح كاعناق الظباء رقاق

[٢] — الرامسات — الرياح الدوافن للآثار : ومثله الروامس : وجاء فى نسخة الوامسات

[٣] — الاظأر — جمع واحده ظأر بالفتح وذلك الشئ مع شئ مثله فهو ظأر — والنؤور — دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر

[٤] — هكذا عجز البيت وجدته ملحقا بها مش نسخة واحدة ولم اقف على معناه فليحرر

[٥] — العتر — بالكسر الصنم يعتره اى يذبح له : ويروى البيت كناصب العتر : قال فى اللسان يريد كنصب ذلك الصنم الذى يدمى رأسه بدم العتيرة

[٦] — هكذا فى اصح النسخ : وفى نسخة (كان هراجنيا عند غرضتها) وفى اخرى (حنينا تحت غرضتها) وفى رابعة — عرضتها — بالعين المهملة فليحرر

[٧] — هكذا فى اكثر النسخ : وفى نسخة الجرد كما تقدم التمثيل به فليحرر

ومن بعيد التشبيه : قول اعرابى

وما زلتَ ترجُو انَيْل سَلْمىٰ وودَّها ... وتبعُدُ حتّى ابيضَّ منك المَسايحُ [١]
ملاَ حَاجِبَيْك الشَيْبُ حتى كأنّه ... ظباء جَرتْ منهـا سنيحٌ وبارحُ

فشبه شعرات بيضاً فى حاجبيه بظباء سوانح وبوارح : وقال ابو تمام

كأنى حـين جرّدتُ الرجاءَ لهُ ... عَضْبٌ صببت به مآءً على الزمن [٢]

ولايكاد يرى تشـبيه ابرد من هذا : وكتب آخر الى اخ له يعتذر من ترك زيارته : قد طلعت فى احدى أنثَيَّ بثرة فعظمت حتى كأنها الرمانة الصغيرة : وقال على الاسوارى * : فلما رأيتـه اصفرّ وجهى حتى صار كأنه [لون] الكشوث [٣] .. وقال له محمد بن * الجهم : كم آخذ من الدواء الذى جئت به : قال مقدار بعرة : فجاء بلفظ قذر ولم يبن عن المراد لان البعر يختلف فى الكبر والصـغر ولايعرف أبعرة ظبى اراد ام بعرة شـاة ام بعرة جمل : ومن التشبيه المتنافر : قول الجمانى * يصف ليلا

كأنما الطّرفُ يَرْمى فى جَوانبه ... عن العَمى وكانَّ النّجم قِنْدِيلُ

اجتماع — العمى والقنديل — فى غاية التنافر ومن ردئ التشبيه : قول ابن المعتز

أرى لَيْلاً من الشَعْرِ ... على شمسٍ من النّاسِ

الجمع بين — الليل والناس — ردئ وقد وقع هاهنا بارداً

---

[١] — المسايح — جوانب الرأس

[٢] — نسخة — (غضا اخذت به سيفا على الزمن) وكذا فى نسخة ديوانه

[٣] — الكشوث — نبات مجتث مقطوع الاصل وقيل لا اصل له وهو اصفر يتعلق باطراف الشوك

الباب الثامن [*]

فى ذكر السجع والازدواج

لايحسن منثور الكلام ولايحلوا حتى يكون مزدوجا ولاتكاد تجد لبليغ كلاماً يخلوا من الازدواج . ولواستغنى كلام عن الازدواج لكان القرأن لانه فى نظمه خارج من كلام الخلق وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى اوساط الايات فضلا عما تزاوج فى الفواصل منه [١] : كقول الله تعالى ﴿ الحمدلله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ﴾ وقوله عز وجل ﴿ ان لونشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولستم بأخذيه الا ان تغمضوا فيه ﴾ وقوله تعالى ﴿ ياايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ﴾ الى غير ذلك من الايات .. واماما زوج بينه بالفواصل فهو كثير : مثل قوله تعالى ﴿ فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب ﴾ وقوله سبحانه ﴿ فاماالیتیم فلاتقهر واماالسائل فلاتنهر ﴾ وقوله عز وجل ﴿ والعصر ان الانسان لفى خسر ﴾ وقوله جل ذكره ﴿ وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا ﴾ وهذا من المطابقة التى لاتجد فى كلام الخلق مثلها حسنا ولاشدة اختصار على كثرة المطابقة فى الكلام .. وكذلك جميع مافى القرأن مما يجرى على التسجيع [٢] والازدواج مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة

---

[*] — التفات — وقع فى مقدمة المؤلف ان هذا الباب فصلان كأنه يريد ان يتكلم على السجع فى فصل وعلى الازدراج فى فصل آخر وهنا ادمج الكلام عليهما معاً وقدم ذكر الثانى على الاول : واثلا يظن المطالع بان فى النسخ سقطا اويتوهم شيئا منا فنبناه على ذلك .

[١] — نسخة — بالفاصل منه

[٢] — التسجيع — التكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن وصاحبه سجاعة : قال القاضى ابوبكر الباقلان وتحديد معنى السجع — هو موالاة الكلام على وزن واحد — قلت وقد اختلف العلماء فى نسبة السجع الى القرأن : فقال القاضى ابوبكر الباقلانى فى كتابه اعجاز القرأن ذهب اصحابنا كلهم الى نفى السجع من القرأن (واراد بهم اصحاب ابى منصور الماتريدى) وذكره ابوالحسن الاشعرى فى غير موضع من كتبه ثم قال بعد ان ذكر حجة القائلين به : ولوكان القرأن سجعا لكان غير خارج عن اساليب كلامهم (اى العرب) ولوكان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ولوجاز ان يقال هو سجع معجز لجاز لهم ان يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرأن اجدر بان يكون حجة من نفى الشعر لان الكهانة تنافى النبوات وليس كذلك الشعر الى آخر ما حكاه فى كتابه المذكور والحاصل ان المعتمد من مذهب اهل السنة نفى السجع من القرأن حتى انهم كرهوا تكلفه فى الدعاء والخطب

والماء [١] لما يجرى مجراه من كلام الخلق .. الا ترى قوله عز اسمه ﴿ والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ﴾ قد بان عن جميع اقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل .. قول الكاهن .. والسماء والارض . والقرض والفرض . والغمر والبرض [٢] : ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف .. ولهذا ماقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل .. قال له أندى من لاشرب ولا اكل ولاصاح فاستهل . فمثل ذلك يُطَلْ [٣] أسجعاً كسجع الكهان .. لان التكلف فى سجعهم فاش ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعا لقال أسجعاً ثم سكت وكيف يذمه ويكرهه واذا سلم من التكلف وبرئ من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام احسن منه .. وقدجرى عليه كثير من كلامه عليه السلم .. فمن ذلك ماحدثنا به يوسف الامام * بواسط قال حدثنا محمد بن خالد بن عبدالله ابوشهاب * عن عوف * عن زرارة * بن اوفى عن عبدالله بن * سلام .. قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبله فقيل قدم رسول الله فجئت فى الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب فكان اول شئ تكلم به ان (قال) .. ايها الناس افشوا السلام . واطعموا الطعام . وصلوا الارحام . وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام (وكان) صلى الله عليه وسلم ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الالفاظ واتباع الكلمة اخواتها .. كقوله صلى الله عليه وسلم .. اعيذه من الهامّة . والسامّة . وكل عين لامّة . وانما اراد — ملمّة — وقوله عليه السلام .. ارجعن مأزورات . غير مأجورات . وانما اراد — موزورات — من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة التسجيع .. فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البرائة من التكلف والخلو من التعسف .. وقد اعتمد فى موضع تجنّب السجع وهو معرّض له وكلامه كان يطالبه

[١] فى نسخة بحذف — والماء — وفى ثالثة واماما يجرى الخ

[٢] — البرض — القليل وماء برض قليل وهو خلاف الغمر

[٣] — قوله اندى الخ المعتمد فى الرواية كيف نَدى من الدية وذلك حق القتيل وقدساق الازهرى القصة ونقلها عنه فى اللسان : فقال قال الازهرى ولماقضى النبي صلى الله عليه وسلم فى جنين امرأة ضربتها الاخرى فسقط ميتا بغرة على عاقلة الضاربة قال رجل منهم كيف ندى من لاشرب ولا اكل ولاصاح فاستهل ومثل دمه يطل : قال صلى الله عليه وسلم اياكم وسجع الكهان : وفى رواية ذكرها القاضى ابوبكر الباقلانى اسجاعة كسجاعة الكهان — وقوله يطل — من طل دمه بالفتح اهدره كما اجازه الكسائى :

(فقال) وما يدريك انه شهيد .. لعله كان يتكلم بمالايعنيه و يبخل بمالاينفعه .. ولوقال بما لايغنيه لكان سجعا .. والحكيم العليم بالكلام يتكلم على قدرالمقامات .. ولعل قوله — ينفعه — كان اليق بالمقام فعدل اليه ،، [١]

والسجع على وجوه .. فمنها انيكون الجزآن متوازنين متعادلين لايزيد احدهما على الاخرمع اتفاق الفواصل على حرف بعينه .. وهوكقول الاعرابى .. سنة جردت . وحال جهدت . وايد جمدت . فرحم الله من رحم . فاقرض من لايظلم . فهذه الاجزاء متساوية لازيادة فيها ولانقصان والفواصل على حرف واحد : ومثله قول آخر من الاعراب .. وقد قيل له من بقى من اخوانك .. فقال كلب نابح . وحمار رامح . واخ فاضح .. وقال اعرابى لرجل سأل لئيما .. نزلت بواد غير ممطور . وفناء غير معمور . ورجل غير مسرور . فاقم بندم . او ارتحل بعدم .. ودعا اعرابى .. فقال اللهم هب لى حقك . وارض عنى خلقك .. وقال آخر .. شهادات الاحوال . اعدل من شهادات الرجال .. ودعا اعرابى .. فقال اعوذ بك من الفقر الا اليك . ومن الذل الا لك .. وقال اعرابى ذهب بابنه السيل .. اللهم ان كنت قد ابليت . فانك طال ماعافيت .. وقيل لاعرابى ماخير العنب .. قال ما اخضرّ عوده . وطال عموده . وعظم عنقوده .. وقال اعرابى .. باكرنا وسمىّ . ثم خلفه ولىّ . فالارض كأنها وشيٌ منشور . عليه لؤلؤ منثور . ثم اتتنا غيوم جراد . بمناجل حصاد . فاحترثت البلاد . واهلكت العباد . فسبحان من يهلك القوى الأكول . بالضعيف المأكول .. فهذه الفصول متوازية لازيادة فى بعض اجزائها على بعض

[*] — ملحق — عقد الشيخ ضياء الدين ابوالفتح نصرالله صاحب المثل السائر فى كتابه المذكور فصلا طويلا فى هذا الباب وحذى حذو المصنف واربى عليه حتى تكلف الى انجعل ماورد من نظم القرآن غير مسجع لارادة الايجاز والاختصار : ثم اورد حديث النهى عن التسجيع وتخرج منه بمالايحسن صدوره من امثاله ولااراه الايتغالى فى الفن الذى هويدعى السبق فيه : ولولا خوف سآمة المطالع من الاطالة لنقلت كلامه : وقد قال القاضى ابو بكر الباقلانى الذى يقدرونه انه سجع فهو وهم لانه قديكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان مايكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع وليس كذلك مااتفق مماهوفى تقدير السجع من القرآن لان اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى وفصّل بين انينتظم الكلام فى نفسه بالفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه وبين انيكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كأفادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى الخ ومن تأمل هذا الفصل بطوله وماذهب اليه المصنف وثم صاحب المثل السائر يظهرله الحق والله ولى التوفيق

بلى فى القليل منهـا وقليل ذلك مغتفر لايعتد به . فمن ذلك قوله — فسبحان من يهلك القوى الأكول — فيه زيادة على مابعده وهو حسن ،،

ومنها ان يكون الفـاظ الجزئين المزدوجين مسجوعة فيكون الكلام سجعا فى سـجع وهومثل .. قول البصير * حتى عاد تعريضك تصريحا . وتمريضك تصحيحا .. فالتعريض والتمريض سجع . والتصريح والتصحيح سجع آخر فهو سجع فى سجع .. وهذا الجنس اذا سلم من الاستكراه فهو احسن وجوه السجع .. ومثله قول الصـاحب .. لكنه عمد للشوق فاجرى جياده غرا وقرحا . وأورى زناده قدحا فقدحا .. (وقوله) هل من حق الفضل تهضمه شغفاً ببلدتك . وتظلمه كلفاً باهل جلدتك .. (وقوله) وقد كتبت الى فلان مايوجز الطريق الى تخلية نفسه . وينجز وعد الثقة فى فك حبسه .. فهذان الوجهان من اعلى مراتب الازدواج والسجع

والذى هو دونهما .. ان تكون الاجزاء متعادلة وتكون الفواصل على احرف متقاربة المخارج اذا لم يمكن ان تكون من جنس واحد .. كقول بعض الكتاب .. اذا كنت لاتؤتى من نقص كرم . وكنتُ لا أوتى من ضعف سبب . فكيف اخاف منك خيبة امل . اوعدولاً عن اغتفار زلل . اوفتورا عن لم شعث . اوقصورا عن اصـلاح خلل (فهذا) الكلام جيد التوازن ولوكان بدل — ضعف سبب — كلمة آخرها ميم ليكون مضاهيا لقوله — نقص كرم — لكان اجود وكذلك القول فيما بعده ،،

والذى ينبغى ان يستعمل فى هذا الباب ولابد منه هو الازدواج .. فان امكن ان يكون كل فاصلتين على حرف واحد اوثلاث او اربع لايتجـاوز ذلك كان احسن .. فان جاوز ذلك نسب الى التكلف .. وان امكن ايضا ان تكون الاجزاء متوازية كان اجمل وان لم يكن ذلك فينبغى ان يكون الجزء الاخير اطول .. (على) انه قد جاء فى كثير من ازدواج الفصحاء ماكان الجزء الاخير منه اقصر .. (حتى) جاء فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم منه شئ كثير .. كقوله للانصـار يفضلهم على من سواهم انكم لتكثرون عند الفزع . وتقلون عند الطمع .. (وقوله) صلى الله عليه وسلم . رحم الله من قال خيرا فغنم . اوسكت فسلم .. وكقول اعرابى . فلان صحيح النسب . مستحكم السبب . من اى اقطاره اتيته أتى اليك بحسن مقال . وكرم فعال .. وقال آخر من الاعراب .. اللهم اجعل خير عملى . ماولى اجلى ،،

وينبغى ايضـا ان تكون الفواصل على زنة واحدة وان لم يمكن ان تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن .. كقول بعضهم .. اصبر على حرّ اللقاء . ومضض النزال .

وشـدة المصاع [١] ومداومة المراس .. فلو قال على حرّ الحرب . ومضض المنازلة . لبطل رونق التوازن . وذهب حسن التعادل ،،

ومن عيوب الازدواج التجميع .. وهو ان تكون فاصلة الجزء الاول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثانى .. مثل ماذكر قدامة * ان كاتبا كتب .. وصل كتابك فوصل به مايستعبد الحُرّ وان كان قديم العبودية . ويستغرق الشكر وان كان سالف ودك لم يبق منه شيئا .. فالعبودية بعيدة عن مشاكلة منه ،،

ومن عيوبه التطويل .. وهو ان تجئ بالجزء الاول طويلا فتحتاج الى اطالة الثانى ضرورة .. مثل ماذكر قدامة ان كاتبا كتب فى تعزية .. اذا كان للمحزون فى لقاء مثله اكبر الراحة فى العاجل .. فاطال هذا الجزء وعلم ان الجزء الثانى ينبغى ان يكون طويلا مثل الاول واطول .. فقال وكان الحزن راتبا اذا رجع الى الحقايق وغير زائل .. فأتى باستكراه وتكلف عجيب وقد اعجب العرب السجع حتى استعملوه فى منظوم كلامهم وصار ذلك الجنس من الكلام منظوما فى منظوم وسجعا فى سجع .. وهذا مثل قول امرئ القيس

سليم الشَظَى عَبْلُ الشَوى شَنِجُ النَّسا [٢]

وقوله

وأَوتاده ماذيّة وعماده   رُدَيْنِيّة [فيها اسنّة قَعْضَبِ] [٣]

وقوله

فَتُور القِيَام قطيع الكلا   م يَفْتَرّ عَنْ ذى غُرُوب خَصِر [٤]

وسمى اهل الصنعة هذا النوع من الشعر المرصع وستراه فى موضعه مشروحاً مستقصىً ان شاء الله تعالى

---

[١] — المصاع — القتال والمجالدة : وفى اللسان ماصع قرنه جالده بالسيف ونحوه

[٢] — الشظى — عظم لاصق بالذراع فاذا زال قيل شظيت الدابة : والشظى ايضاً انشقاق العصب — والشوى — اليدان والرجلان — والشنج — التقبض والقصر — والنسا — عرق فى الفخذ : ولا يقال عرق النسا كما لايقال عرق الاكحل لان الاكحل هو العرق لان الشئ لايضاف الى نفسه : وعجز البيت (له حجبات مشرفات على الفالى) الحجبات رؤوس عظام الوركين : والفالى اللحم الذى على الورك

[٣] — ماذية — الماذية الدروع البيض — والردينية — الرماح وتقدم ذكر نسبتها — وقعضب — رجل كان فى الجاهلية يصنع الرماح

[٤] — الغروب — حدة الاسنان وماؤها — والخاصر — البارد

﴿ الباب التاسع ﴾

فى شرح البديع وهو خمسة وثلاثون فصلا

(الفصل الاول فى الاستعارة والمجاز) (الفصل الثانى فى التطبيق) (الفصل الثالث فى التجنيس) (الفصل الرابع فى المقابلة) (الفصل الخامس فى صحة التقسيم) (الفصل السادس فى صحة التفسير) (الفصل السابع فى الاشارة) (الفصل الثامن فى الارداف والتوابع) (الفصل التاسع فى المماثلة) (الفصل العاشر فى الغلوّ) (الفصل الحادى عشر فى المبالغة) (الفصل الثانى عشر فى الكناية والتعريض) (الفصل الثالث عشر فى العكس والتبديل) (الفصل الرابع عشر فى التذييل) (الفصل الخامس عشر فى الترصيع) (الفصل السادس عشر فى الايغال) (الفصل السابع عشر فى الترشيح) (الفصل الثامن عشر فى رد الاعجاز على الصدور) (الفصل التاسع عشر فى التكميل والتتميم) (الفصل العشرون فى الالتفات) (الفصل الحادى والعشرون فى الاعتراض) (الفصل الثانى والعشرون فى الرجوع) (الفصل الثالث والعشرون فى تجاهل العارف) (الفصل الرابع والعشرون فى الاستطراد) (الفصل الخامس والعشرون فى جمع المؤتلف والمختلف) (الفصل السادس والعشرون فى السلب والايجاب) (الفصل السابع والعشرون فى الاستثناء) (الفصل الثامن والعشرون فى المذهب الكلامى) (الفصل التاسع والعشرون فى التشطير) (الفصل الثلاثون فى المحاورة) (الفصل الحادى والثلاثون فى الاستشهاد والاحتجاج) (الفصل الثانى والثلاثون فى التعطف) (الفصل الثالث والثلاثون فى المضاعف) (الفصل الرابع والثلاثون فى التطريز) (الفصل الخامس والثلاثون فى التلطف)

فهذه انواع البديع التى ادعى من لا رويّة له ولا رواية عنده ان المحدثين ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها : وذلك لما اراد ان يفخّم امر المحدثين .. لان هذا النوع من الكلام اذا سلم من التكلف . وبرئ من العيوب . كان فى غاية الحسن . ونهاية الجودة . وقد شرحت فى هذا الكتاب فنونه . واوضحت طرقه . وزدت على ما اورده المتقدمون ستة انواع : التشطير . والمحاورة . والتطريز . والمضاعف . والاستشهاد . والتلطف : وشذبت على

ذلك فضل تشذيب [١] . وهذبته زيادة تهذيب . وبالله استعين على ما يزلف لديه . ويستدعى الاحسان من عنده . وهو تعالى وليه ومولیه ان شاء الله

الفصل الاول من الباب التاسع

فى الاستعارة والمجاز

الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها فى اصل اللغة الى غيره لغرض وذلك الغرض (اما) ان يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه (او) تأكيده والمبالغة فيه (او) الاشارة اليه بالقليل من اللفظ (او) يحسن المعرض الذى يبرز فيه : وهذه الاوصاف موجودة فى الاستعارة المصيبة .. ولولا ان الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة اولى منها استعمالا : والشاهد على ان للاستعارة المصيبة من الموقع ماليس للحقيقة ان قول الله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ ابلغ واحسن وادخل مما قصد له من قوله لو قال — يوم يكشف عن شدة الامر — وان كان المعنيان واحداً .. الا ترى انك تقول لمن تحتاج الى الجد فى امره .. شمر عن ساقك فيه . واشدد حيازيمك له .. فيكون هذا القول منك اوكد فى نفسه من قولك جدّ فى امرك : وقول دريد بن الصمة *

كَمِيش الإِزَار خارج نصفُ ساقه   صَبُورٌ على العزّآء طلاّعُ أنجُدِ [٢]

وقال الهذلى

وكنتُ اذا جارى دعا لِمَضُوفةٍ   أُشمِّرُ حتى ينصفَ السّاقَ مِئْزَرِى

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ولا يظلمون نقيرا ﴾ ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ وهذا ابلغ من قوله سبحانه ﴿ ولا يظلمون شيئاً ﴾ وان كان فى قوله — ولا يظلمون شيئا — انفى لقليل الظلم

[١] — الشذب — بفتحتين قشر لحاء الشجرة وكذا قطع اغصانها المتفرقة لاصلاحها : وشذبت بالتثقيل مثله اوللمبالغة والتكثير وكل شئ هذبته بتنحية غيره عنه فقد شذبته — والتشذيب — ايضا يطلق على العمل الاول فى القدح

[٢] — كميش الازار — بمعنى قصيره — وقوله طلاع انجد — كلمة تستعملها العرب : بمعنى ضابط للامور غالب لها : ومثله قولهم .. طلاع نجاد . وطلاع النجاد . وطلاع انجدة

وكثيره فى الظاهر .. وكذا قوله تعالى ﴿ مايملكون من قطمير ﴾ ابلغ من قوله تعالى ﴿ مايملكون شيئاً ﴾ وان كان هذا انفى لجميع مايملك فى الظاهر .. وتقول العرب — مازرأته زبالا — والزبال ماتحمله النملة بفيها يريدون مانقصته شيئا : وقال النابغة

يجمع الجيش ذا الأُلُوف ويعدو ثم لايرزأ العدوّ فتيلا [١]

ولو قلت ايضا مايملك شيئا البتة ومايظلمون شيئا لما عمل عمل قولك : مايملكون قطميرا . ولايظلمون نقيرا .. وان كان فى الاول مايؤكده من قولك البتة واصلا كذا حكاه لى ابو احمد عن ابيه عن عسل بن ذكوان .. وليس يقتضى هذا انهم يظلمون دون النقير . او يملكون دون القطمير . بل هو نفى بجميع الملك والظلم لايشك فى ذلك من يسمعه ،،

وفضل هذه الاستعارة وماشاكلها على الحقيقة انها تفعل فى نفس السامع مالا تفعل الحقيقة : ومن غير هذا النوع قوله تعالى ﴿ سنفرغ لكم ايها الثقلان ﴾ معناه سنقصد .. لان القصد لايكون الا مع الفراغ ثم فى الفراغ هاهنا معنى ليس فى القصد وهو التوعد والتهديد .. الا ترى قولك سافرغ لك يتضمن من الايعاد مالايتضمنه قولك ساقصد لك : وهكذا قوله تعالى ﴿ وافئدتهم هوآء ﴾ اى لاتعى شيئا .. لان المكان اذا كان خاليا فهو هوآء حتى يشغله شئ .. وقولك هذا اوجز من قولك لاتعى شيئاً فلا مجازه فضل الحقيقة : وكذلك قوله تعالى ﴿ اعثرنا عليهم ﴾ معناه اطلعنا عليهم .. والاستعارة ابلغ .. لانها تتضمن معنى غفلة القوم عنهم حتى اطلعوا عليهم .. واصله ان من عثر بشئ وهو غافل نظر اليه حتى يعرفه فاستعير الاعثار مكان التبيين والاظهار : ومنه قول الناس — ماعثرت من فلان على سوء قط — اى ماظهرت على ذلك منه : ومنه قوله عز اسمه ﴿ أَوَمَنْ كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ فاستعمل النور مكان الهدى لأنه ابين والظلمة مكان الكفر لانها اشهر : وكذلك قوله تعالى ﴿ ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ﴾ واصل الوزر ماحمله الانسان على ظهره : ومن ذلك قوله عز وجل ﴿ ولكنا حُمّلْنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها ﴾ اى احمالا من حُلّيهم فذكر الحمل واراد الاثم لما فى وضع الحمل عن الظهر من فضل الاستراحة وحسن ذكر انقاض الظهر وهو صوته لذكر الحمل لان حامل الحمل الثقيل جدير بانقاض الظهر والاوزار ايضا السلاح : ومنه قوله تعالى ﴿ حتى تضع الحرب اوزارها ﴾ وقال الشاعر

[١] — الالوف — هكذا فى الاصول بالضم ولعله جمع الف كما حكاه فى اللسان عن بعضهم — وقوله لايرزأ — اى لايبر العدو من رزأ فلان فلانا اذا ابره — فتيلا — اى شيئا قليلا : قال ابن السكيت القطمير القشرة الرقيقة على النواة والفتيل ما كان فى شق النواة

واعددتُ للحرب اوزارها ... رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا [١]

وقوله تعالى ﴿ ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه ﴾ اى ترخصوا .. والاستعارة ابلغ .. لانقولك غمض عنالشيء ادعى الى ترك الاستقصاء فيه من قولك رخص فيه .. وكذلك قوله تعالى ﴿ هن لباس لكم وانتم لباس لهن ﴾ معناه فانه يماس المرأة وزوجها ويماسها .. والاستعارة ابلغ .. لانها ادل على اللصوق وشدة المماسة ويحتمل ان يقال انهما يتجردان ويجتمعان فى ثوب واحد ويتضامان فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس فيجعل ذلك تشبيها بغير اداة التشبيه ،،

ولابد لكل استعارة ومجاز من حقيقة وهى اصل الدلالة على المعنى فى اللغة : كقول امرء القيس

[وَقَدِ اَغتدى والطيرُ فى وكناتها ... بمنجردٍ] قَيْد الاوابد [هَيْكلِ] [٢]

والحقيقة مانع الاوابد من الذهاب والافلات والاستعارة ابلغ .. لان القيد من اعلا مراتب المنع عن التصرف لانك تشاهد ما فى القيد من المنع فلست تشك فيه .. وكذلك قولهم — هذا ميزان القياس — حقيقته تعديل القياس .. والاستعارة ابلغ .. لان الميزان يصور لك التعديل حتى تعاينه وللعيان فضل على ماسواه .. وكذلك — العروض ميزان الشعر — حقيقته تقويمه : ولابد ايضا من معنىً مشترك بين المستعار والمستعار منه : والمعنى المشترك بين — قيد الاوابد — ومانع الاوابد — هو الحبس وعدم الافلات وبين — ميزان القياس — وتعديله — حصول الاستقامة وارتفاع الحيف والميل

[١] — قائله — الاعشى : قال فى اللسان قال ابن برى وصواب انشاده بفتح التاء من اعددت لانه يخاطب هوذة بن على الحنفى وقبله

ولما لقيتَ مع المخطرينْ ... وجدتَ الاله عليهم قديرا

[٢] — الوكنات — وفى نسخة الوكرات المواضع التى تأوى اليها الطير فى رؤس الجبال — والمنجرد — الفرس القصير الشعر وذلك من صفة الخيل العتاق وقيل المنجرد الذى ينجرد من الحلبة اى يتقدمها — والا وابد — واحده آبدة الوحش قيل لها ذلك لانها تعمر على الابد قال الاصمعى لم يمت وحش حتف انفه وانما يموت على آفة وجعله قيداً لها لانه سبقها فكأنه قيدها — والهيكل — الفرس الفخم المشرف قاله الوزير ابوبكر عاصم : وقال القاضى ابوبكر الباقلانى فى الاعجاز ويرونه (اى قوله قيد الاوابد) من الالفاظ الشريفة وعنى بذلك انه اذا ارسل هذا الفرس على الصيد صار قيداً لها وكانت بحالة المقيد من جهة سرعة احضاره واقتدى به الناس واتبعه الشعراء : فقيل قيد النواظر . وقيد الالحاظ . وقيد الكلام . وقيد الحديث . وقيد الرهان (الى ان قال) وذكر الاصمعى وابو عبيدة وحماد وقبلهم ابوعمرو انه احسن فى هذه اللفظة وانه اتبع فيها فلم يلحق

الى احدالجانبين .. وهكذا جميع الاستعارات والمجازات : ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا ﴾ حقيقته عمدنا .. وقد منا ابلغ .. لانه دل فيه على ما كان من امهاله لهم حتى كانه كان غائبا عنهم ثم قدم فاطلع منهم على غير ماينبغى فجازاهم بحسبه : والمعنى الجامع بينهما .. العدل فى شدة النكير لان — العمد — الى ابطال الفاسد عدل : واما قوله ﴿ هباءً منثورا ﴾ فحقيقته ابطلناه حتى لم يحصل منه شئ .. والاستعارة ابلغ .. لانه اخراج مالا يرى الى مايرى والشاهد ايضا على ان الاستعارة ابلغ من الحقيقة ان قوله تعالى ﴿ انا لما طغى الماء حملنا كم فى الجارية ﴾ حقيقته علا وطما .. والاستعارة ابلغ .. لان فيها دلالة القهر .. وذلك ان الطغيان علو فيه غلبة وقهر : وكذلك قوله تعالى ﴿ بريح صرصر عاتية ﴾ حقيقته شديدة .. والاستعارة ابلغ .. لان العتو شدة فيها تمرد : وقوله تعالى ﴿ سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ ﴾ حقيقة الشهيق هاهنا الصوت الفظيع وهما لفظتان والشهيق لفظة واحدة فهو اوجز على مافيه من زيادة البيان — وتميز — حقيقته تنشق من غير تباين : والاستعارة ابلغ .. لان التميز فى الشئ هو ان يكون كل نوع منه مباينا لغيره وصايرا على حدته وهو ابلغ من الانشقاق لان الانشقاق قد يحصل فى الشئ من غير تباين والغيظ حقيقته شدة الغليان وانما ذكر الغيظ لان مقدار شدته على النفس مدرك محسوس ولان الانتقام منا يقع على قدره ففيه بيان عجيب وزجر شديد لاتقوم مقامه الحقيقة البتة : وقوله تعالى ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ معناه ذهب وسكت ابلغ .. لان فيه دليلا على موقع العودة فى الغضب اذا تؤمل الحال ونظر فيما يعود به عبادة العجل من الضرر فى الدين كما ان الساكت يتوقع كلامه : وقوله تعالى ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾ وحقيقته ذر بأسى وعذابى.. الا ان الاول ابلغ فى التهدد .. كما تقول اذا اردت المبالغة والايعاد ذرنى واياه ولوقال ذر ضربى له وانكارى عليه لم يسد ذلك المسد ولعله لم يكن حسناً مقبولا .. وقوله عز وجل ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ معناه كشفنا الظلمة .. والاول ابلغ ..لانك اذا قلت محوت الشئ فقد بينت انك لم تبق له اثرا واذا قلت كشفت الشئ مثل الستر وغيره لم تبن انك اذهبته حتى لم تبق له اثرا .. وقوله سبحانه ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ حقيقته مضيئة .. والاستعارة ابلغ .. لانها تكشف عن وجه المنفعة وتظهر موقع النعمة فى الابصار وقوله تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ حقيقته كثر الشيب فى الرأس وظهر .. والاستعارة ابلغ .. لفضل ضياء النار على ضياء الشيب فهو اخراج الظاهر الى ماهو اظهر منه ولانه لايتلافى انتشاره فى الرأس كما لايتلافى اشتعال النار : وقوله تعالى ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴾ حقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهبه .. والقذف ابلغ من الايراد .. لان فيه بيان شدة الوقع وفى شدة الوقع بيان القهر وفى القهر هاهنا بيان

ازالة الباطل على جهة الحجة لا على جهة الشك والارتياب والدمغ اشد من الاذهاب لان في الدمغ من شدة التأثير وقوة النكاية ماليس في الاذهاب : وقوله تعالى (عذاب يوم عقيم) وقوله عز اسمه (اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم) فالعقيم التي لاتجئ بولد والولد من اعظم النعم واجسم الخيرات ولهذا قالت العرب .. شوهاء ولود . خير من حسناء عقيم : فلما كان ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جآء ولم يبق خيرا حين مر سمى عقيما .. ويمكن ان يقال انما سمى عقيما لانه لم يبق احداً من القوم كما ان العقيم لايخلف نسلاً وسمى الريح عقيما لانها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له اثر من نبات وغيره كما ان العقيم من النساء لاتأتى بولد يرجى .. وفضل الاستعارة على الحقيقة في هذا .. ان حال العقيم في هذا اظهر قبحاً من حال الريح التي لاتأتى بمطر .. لان العقيم كان عند العرب اكره واشنع من ريح لاتأتى بمطر لان العادة في اكثر الرياح ان لاتأتى بمطر وليست العادة في النساء ان يكون اكثرهن عقيما : وقوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وهذا الوصف انما هو على مايتلوح للعين لا على حقيقة المعنى .. لان الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند اظلامه لغروب الشمس واضاءته لطلوعها وليسا على الحقيقة شيئين يسلخ احدهما من الآخر الا انهما في رأى العين كانهما ذلك والسلخ يكون في الشئ الملتحم بعضه ببعض .. فلما كانت هوادى الصبح عند طلوعه كالملتحمة باعجاز الليل اجرى عليها اسم السلخ فكان افصح من قوله — يخرج — لان السلخ ادل على الالتحام المتوهم فيهما من الاخراج .. وقوله تعالى (فأنشرنا به بلدة ميتا) من قولهم انشر الله الموتى فنشروا ..وحقيقته اظهرنا به النبات .. الا ان احياء الميت اعجب فعبر عن اظهار النبات به فصار احسن من الحقيقة .. وقوله تعالى (أتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) يعنى الحرب فنبه على ماله تخاف الحرب وهو شوكة السلاح وهى حده فصار احسن من الحقيقة لانبائه عن نفس المحذور .. الاترى ان قولك لصاحبك — لأوردنك على حد السيف — اشد موقعا من قولك له — لأحاربنك .. وقوله تعالى (واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) اى كثير [١] .. والاستعارة ابلغ لان معنى العرض في مثل هذا الموضع التمام .. قال كثير .

انت ابن فرعى قريش لو تقايسها فى المجد صار اليك العرضُ والطولُ

---

[١] — قوله كثير — هكذا في اكثر النسخ وفي نسخة كبير : وفي اللسان في مادة عرض وقوله تعالى (فذو دعاء عريض) اى واسع وان كان العرض انما يقع في الاجسام والدعاء ليس بجسم ثم قال وقيل اراد كثير فوضع العريض موضع الكثير لان كل واحد منهما مقدار وكذلك لو قال طويل لوجه على هذا فافهم والذى تقدم اعرف انتهى

اى صار اليك المجد بتمامه .. وقد يكون كبير غير تام .. وقوله تعالى ﴿ والصبح اذا تنفس ﴾ حقيقته اذا انتشر .. وتنفس ابلغ لما فيه من بيان الروح عن النفس عند اضاءة الصبح لان الليل كرباً وللصبح تفرجا .. قال الطرماح

على ان للعينين فى الصبح راحةً ... بطرحيهما طرفيهما كل مطرح

والراحة التى يجدها الانسان عند التنفس محسوسة .. وقوله تعالى ﴿ مستهم الباساء والضرآء وزلزلوا ﴾ حقيقته ازعجوا .. والزلزلة ابلغ لانها اشد من الازعاج ومن كل لفظة يعبر بها عنه ايضا .. وقوله تعالى ﴿ افرغ علينا صبراً ﴾ حقيقته صبرنا .. والاستعارة ابلغ .. لان الافراغ يدل على العموم معناه ارزقنا صبراً يعم جميعنا كافراغك الماء على الشئ فيعمه .. وقوله سبحانه ﴿ ضربت عليهم الذلة ﴾ حقيقته حصّلت الّا ان الضرب تبيناً ليس للحصول وقالوا — ضرب على فلان البعث — اى اوجب واثبت عليه والشئ يثبت بالضرب ولا يثبت بالحصول .. والضرب ايضا ينبئى عن الاذلال والنقص وفى ذلك الزجر وشدة التقير عن حالهم .. وقوله تعالى ﴿ فنبذوه ورآء ظهورهم ﴾ حقيقته غفلوا عنه .. والاستعارة ابلغ : لان فيه اخراج مالا يرى الى مايرى .. ولانّ ماحصل وراء ظهر الانسان فهو احرى بالغفلة عنه مما حصل قدامه : وقوله تعالى ﴿ انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا ﴾ حقيقته ذا سرور .. والاستعارة ابلغ : لان العادة جرت فى الاعياد بتوفير السرور . عند الصغير والكبير . فتضمن من معنى السرور مالا تتضمنه الحقيقة : وكذلك قوله عز اسمه ﴿ واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ﴾ وقوله تعالى ﴿ فدلاهما بغرور ﴾ اخرج مالا يرى من تنقصهم بآيات القرأن الى الخوض الذى يرى : وعبر عن فعل ابليس الذى لايشاهد بالتدلى من العلو الى سفل وهو مشاهد : ولما كانوا يتكلمون فى آيات القرأن ويتنقصونها بغير بصيرة شبه ذلك بالخوض لان الخائض يطأ على غير بصيرة .. وكذلك قوله تعالى ﴿ ويبغونها عوجاً ﴾ حقيقته خطأ : [١]

---

[١] — ذكر العلامة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام فى كتابه (الاشارة والايجاز فى بعض انواع المجاز) قال فى فصل عقده لذكر انواع من مجاز التشبيه (النوع الرابع ذم الاقوال والافعال بلفظ الاعوجاج) الاعوجاج الحقيق ذم فى الاجرام ويتجوز بعوج المعانى عن نقضها وعيبها وله مثالان : احدهما قوله (ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا) اى ويطلبون لها عيبا وذما : الثانى قوله (ولم يجعل له عوجا قيما) اى ولم يجعل له عيبا كالتناقض والاختلاف وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالاجرام وفيه نظر من جهة اختلاف حركتى العين . والمجاز ان يستعمل اللفظ الحقيقى بسكناته وحركاته فيما تجوز به عنه انتهى : وقول المصنف الاعوجاج اى على وزن الافعلال لانه لايقال معوج على وزن مفعل الا للشئ الذى يركب فيه العاج (فائدة) العوج بفتح العين مختص بكل شخص مرئى كالاجسام وبالكسر بماليس بمرئى كالرأى والقول كذا قاله ابن الاثير فى النهاية

لان الاعوجاج مشاهد والخطأ غير مشاهد : وكذلك قوله سبحانه ﴿ او آوى الى ركن شديد ﴾ اى الى معين .. والاستعارة ابلغ : لان الركن مشاهد والمعين لايشاهد من حيث انه معين .. وكذلك قوله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ﴾ حقيقته لاتكونن ممسكا .. والاستعارة ابلغ : لان الغل مشاهد والامساك غير مشاهد فصور له قبح صورة المغلول ليستدل به على قبح الامساك : وقوله تعالى ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ﴾ حقيقته لنرينهم .. والاستعارة ابلغ : لان حس الذائق لادراك مايذوقه قوى وللذوق فضل على غيره من الحواس .. الا ترى ان الانسان اذا رأى شيئاً ولم يعرفه شمه فان عرفه والا ذاقه لما يعلم ان للذوق فضلا فى تبين الاشياء : وقوله تعالى ﴿ فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ﴾ حقيقته معنى الاحساس [١] بآذانهم من غير صمم يبطل آلة السمع كالضرب على الكتاب يمنع من قرآءته ولا يبطله .. والاستعارة ابلغ : لايجازه واخراج مالا يرى الى مايرى : وقوله عز اسمه ﴿ واذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ ليس فى جميع القرأن ابلغ ولاافصح من هذا .. وحقيقة القرض هاهنا ان الشمس تمسهم وقتا يسيراً ثم تغيب عنهم .. والاستعارة ابلغ : لان القرض اقل فى اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الالفاظ وهو دال على سرعة الارتجاع .. والفائدة ان الشمس لوطاولتهم بحرها لصهرتهم [٢] وانما كانت تمسهم قليلاً بقدر مايصلح الهوآء الذى هم فيه لان الشمس اذا لم تقع فى مكان اصلاً فسد ،،

فهذه جملة مما فى كتاب الله عز وجل من الاستعارة ولاوجه لاستقصاء جميعه لان الكتاب يخرج عن حده ،،

واما ما [جاء] فى كلام العرب منه — فمثل قولهم — هذا رأس الامر ووجهه .. وهذا الامر فى جنب غيره يسير — ويقولون — هذا جناح الحرب وقلبها .. وهؤلاء رؤس القوم وجماجمهم وعيونهم .. وفلان ظهر فلان .. ولسان قومهم .. ونابهم وعضدهم .. وهذا كلام له ظهر وبطن .. وفى العرب الجماجم . والقبائل . والافخاذ . والبطون .. وخرج علينا عنق [٣] من الناس .. وله عندى يد بيضاء .. وهذه سرة الوادى .. وبابل عين الاقاليم .. وهذا انف الجبل .. وبطن الوادى .. ويسمون النبات نوءاً : قال

وجف انوآء السحاب المرتزق

---

[١] — قوله حقيقته معنى الاحساس هكذا فى النسخ واصل العبارة حقيقته منع معنى الاحساس فسقط لفظ المنع كماهو المستفاد من تمام العبارة فليحرر

[٢] — الصهر — هنا بمعنى الاذابة من قولهم صهر الشحم ونحوه يصهره صهراً اذابه

[٣] — العنق — بالضم الجماعة الكثيرة من الناس مذكر والجمع اعناق واليه ذهب اكثر المفسرين فى تأويل قوله تعالى (فظلت اعناقهم لهاخاضعين) اى جماعاتهم كذا فى اللسان

اى جف البقل — ويقولون — للمطر سماء : قال الشاعر [١]

اذا سقطَ السماءُ بارض قَوْمٍ   رعَيْنَاهُ وانْ كانوا غِضابًا

— ويقولون — ضحكت الارض .. اذا انبتت : لانهـا تبدى عن حسن النبات كما يفتر الضـاحك عن الثغر — ويقـال — ضحكت الطلعة .. والنَّور يضـاحك الشمس : قال الاعشى

يُضَاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ   موزّر بعميم النَبتِ مُكتهِـلُ

— ويقولون — ضحك السحاب بالبرق .. وحن بالرعد .. وبكى بالقطر — ويقولون — لقيت من فلان عرق القربة .. اى شدة ومشقة : واصل هذا ان حامل القربة يتعب من نقلها حتى يعرق — ويقولون ايضا — لقيت منه عرق الجبين — والعرب تقول — بارض فلان شجر قدصاح : وذلك اذا طـال فتبين للناظر بطوله . ودلّ على نفسـه : لانّ الصائح يدل على نفسه — ويقولون — هذا شجر واعد .. اذا اقبل بماء ونضرة : كانه يعد بالثمر : قال سويد بن ابى كاهل * [٢]

لُعَاعٌ تهاداهُ الدكادك واعِدُ

ومثله : قول الشاعر

يريدالرمح صـدر أبى بَرَآءٍ   ويَرْغَبُ عن دمَآءِ بنى عُقَيْلِ

ومثله قوله تعالى ﴿ جدارا يريد ان ينقض ﴾ وانشد الفرآء *

انَّ دهراً يلفّ شملى بِسَلْمَى   لزَمَانٌ يهُمُّ بالأحْسَـانِ

ومما فى كلام النبى صلى الله عليـه وسـلم . والصحابة رضى الله عنهم . ونثر الاعراب . وفصول الكتّاب من الاستعارة : قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة ﴾ .. وقال طفيل

---

[١] — قائله — معاوية بن مالك المشهور بمعود الحكماء .. وسمى بذلك لقوله فى هذه القصيدة

اعود مثلها الحكماء بعدى   اذا ماالحق فى الحـدثان نابا

[٢] — اللعاع — نبات لين من احرار البقول فيه ماء كثير لزج — والدكادك — واحده دكدك . ودكداك .. قال فى اللسان قال الاصمعى .. وذلك من الرمل ماالتبد بعضه على بعض بالارض ولم يرتفع كثيراً .. وقال فى اللسان البيت لسويد بن كراع يصف ثوراً وكلابا .. وصـدره (رعى غير مذعور بهن وراقه) الخ

وللخيل ايّامٌ فمن يَصْطَبِرْ لهــا ويَعْرِفْ لها ايامَها الخيرُ تُعْقِبُ

وقول النبي صلى الله عليه وسلم (كلما سمع هيعة طار اليها [١]) وقوله صلى الله عليه وسلم (اكثروا من ذكر هادم اللذات) وقال عليه الصلاة والسلام (البلاء موكل بالمنطق) ورأى عليّا مع فاطمة رضي الله عنهما في بيت فردّ عليهما الباب وقال (جدع الحلال انف الغيرة) ،،

وقال على رضي الله عنه — السفر ميزان القوم — وقوله — فأمّا وقد اتسع نطاق الاسلام فكل امرء وما يختار [٢] — وقوله لابن عباس رضي الله عنه — ارغب راغبهم . واحلل عقدة الخوف عنهم — وقوله — العلم قفل ومفتاحه المسئلة — وقوله — [٣] الحلم والاناءة توأمان . نتيجتهما علوّ الهمة — وقوله — لبعض الخوارج والله ما عرفته حتى فغر الباطل فمه . فنجمت نجوم قرن الماعزة [٤] — وقال في بعض خطبه يصف الدنيا — ان امرءاً لم يكن منها في فرحة . الا اعقبته بعدها ترحة . ولم يلق من سرّائها بطناً . الامنحته من ضرّآئها ظهراً . ولم تظله فيها غيابة رخاء . الاهبت عليه مزنة بلاء . ولم يمس منها في جناح امن . الا اصبح منها على قوادم خوف ،،

وقال ابو بكر رضي الله عنه — ان الملك اذا ملك زهّده الله في ماله . ورغبه فيما في يدي غيره . واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل . و يسخط الكثير . جذل الظاهر . حزين الباطن . فاذا وجبت نفسه . ونضب عمره . وضحا ظلّه . حاسبه الله عز وجل فأشدّ حسابه . واقلّ عفوه ،،

(وكتب خالد بن الوليد رضي الله عنه) الى مرازبة فارس — الحمد لله الذى فضّ خدمتكم . وفرق كلمتكم [٥] (وقالت عائشة رضي الله عنها) كان عمل رسول الله

[١] — الهيعة — الصوت الذى تفزع منه وتخافه من عدو كذا في اللسان وصدر الحديث : خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما الخ الحديث

[٢] — قوله وما يختار — الذى في غير اصول الكتاب كل امرئ وما اختار وفي رواية فأمرأ وما اختار : وذلك حين قيل له لم لاتخضب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خضب فقال انما كان ذلك والدين في قل فأما الخ وفي رواية والاسلام بدل قوله والدين

[٣] — في غير نسخ الكتاب : سئل على رضي الله عنه بعض كبرآء فارس عن احمد ملوكهم عندهم فقال لازدشير فضيلة السبق غير ان احمدهم أنوشروان قال فأى اخلاقه كان اغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضي الله عنه هما توأمان ينتجهما علو الهمة

[٤] — قوله فنجمت — اى نبعت .. وفلان منجم الباطل والضلالة اى معدنه

[٥] — قوله خدمتكم — قال القاضي ابو بكر الباقلاني في الاعجاز الخدمة الحلقة المستديرة ولذلك قيل للخلاخيل خدام

صلى الله عليه وسلم ديمةً [١] (وقال الحجاج) دلونى على رجل سمين الامانة . اعجف الخيانة (وقال عبدالله بن وهب الراسبى لاصحابه *) لاخير فى الرأى الفطير . والكلام العضيب [٢] : فلما بايعوه : قال دعوا الرأى يغب فان غبوبه يكشف لكم عن محضه (وقيل لاعرابى) انك لحسن الكدنة : قال ذاك عنوان نعمة الله عندى (وقال اكثم بن صيفى *) الحلم دعامة العقل .. وسئل عن البلاغة (فقال) دنوّ المأخذ . وقرع الحجة . وقليل من كثير (وقال خالد بن صفوان *) لرجل رحم الله اباك فانه كان يقرى العين جمالا . والأذن بيانا (وقيل لاعرابية) اين بلغت قدرك .. قالت حين قام خطيبها (وقيل لاعرابية) كم أهلك .. قالت اب وام وثلاثة اولاد انا سبيل عيشهم (وقيل لرؤبة) كيف تركت ماوراك : قال : التراب يابس . والمال عابس (وقال المنصور) لبعضهم بلغنى انك بخيل : فقال : ما اجمد فى حق . ولااذوب فى باطل (وقال ابراهيم الموصلى) قلت للعباس بن الحسن * انى لأحبك : قال : رائد ذاك عندى (وقال بعضهم) الاستطالة . لسان الجهالة (وقال يحى بن خالد) الشكر كفء النعمة (وقال اعرابى) خرجت فى ليلة حندس . القت على الارض اكارعها [٣]. فمحت صورة الابدان. فما كنا نتعارف الا بالأذان (وقال اعرابى لآخر) يسار النفس . خير من يسار المال . ورب شبعان من النعم . غرثان [٤] من الكرم . (وغزت نميراً حنيفة) فاتبعتهم نمير فاتوا عليهم : فقيل لرجل كيف كان القوم : فقال : اتبعوهم والله رفدا حقبوا كل جمالية خيفانة. فمازالوا يحصفون آثار المطىّ بحوافر الخيل . فلما لقوهم جعلوا المران ارشية الموت. فاستقوا بها ارواحهم [٥] (وقال آخر) فلان املس ليس فيه مستقر لخير ولا لشر (وقال احمد بن يوسف) وقد شمه رجل بين يدى المأمون : رأيته يستملى مايلقانى به من عينيك (وقيل لاعرابى اى الطعام اطيب : قال الجوع ابصر (ومدح اعرابى رجلا) فقال كان يفتح من الرأى ابوابا منسدة . ويغسل من العار وجوها مسودة (ومدح اعرابى رجلا) فقال كان والله

---

[١] — قوله ديمة — الديمة المطر الدائم فى سكون شبهت عمله (صلى الله عليه وسلم) فى دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر الدائم واصل الحديث وسئلت رضى الله عنها عن عمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادته فقالت (كان عمله ديمةً)

[٢] — قوله العضيب — على وزن فعيل هكذا فى النسخ وفى بعضها بالصاد المهملة فالاول من العضب وذلك بمعنى القطع وقدجاء فى كلامهم ويريدون به التمدح والثانى من الشدة وكلاهما بعيد عن المعنى وفى غير اصول الاصل اقتصار على الجملة الاولى فليحرر

[٣] — اكارع — الارض اطرافها القاصية .. وقيل الكراع ركن من الجبل يعرض فى الطريق

[٤] — الغرث — أيسر الجوع وقيل شدته وقيل هو الجوع عامة

[٥] — الحقب — بالتحريك الحزام الذى يلى حقو البعير — والخيفانة — الفرس وتقدم تفسيرها — والحصف — العدو واحصف الرجل والفرس اذا عدا عدوا شديداً — والمران — الرمح

اذا عرضت له زينة الدنيا . هجنتها زينة الحمد عنده . وان للصنايع لغارة على امواله . كغارة سيوفه على اعدائه (ومدح اعرابى قوماً) فقال : اولئك غرر تضئ من ظلم الامور المشكلة . قدصغت اذان المجد اليهم (وقال اعرابى يمدح رجلاً) انه ليعطى عطاء من يعلم ان الله مادته (ومدح اعرابى رجلا) فقال : لسانه احلا من الشهد . وقلبه سجن للحقد (ومدح اعرابى رجلا) فقال : ان اسأت اليه احسن . وكأنه المسئ . وان اجرمت اليه غفر . وكأنه المجرم . اشترى بالمعروف عرضه من الأذى . فهو ولوكانت له الدنيا بأسرها فوهبها . رأى بعد ذلك عليه حقوقا . لايستعذب الخنا . ولايستحسن غيرالوفا ،،

(وذم اعرابى رجلا) فقال : يقطع نهاره بالمنى . ويتوسد ذراع الهم اذا امسى (وذم اعرابى رجلا) فقال : ان فلانا ليقدم على الذنوب . اقدام رجل قدم فيها نذراً . اويرى ان فى اتيانها عذرا (وقال اعرابى لرجل) لاتدنس شعرك بعرض فلان . فانه سمين المال . مهزول المعروف . قصير عمر المنى . طويل حيات الفقر (وسئال اعرابى) فقيل له عليك بالصيارف : فقال : هناك قرارة اللؤم (وذكر اعرابى قوما) فقال : اولئك قوم قدسلخت اقفاؤهم بالهجا . ودبغت جلودهم باللؤم . فلباسهم فى الدنيا الملامة . وزادهم فى الاخرة الندامة (وذم اعرابى قوما) فقال هم اقل دنواً الى اعدائهم . واكثر تجرما على اصد قائهم . يصومون عن المعروف . ويفطرون على الفحشاء . (وذم اعرابى رجلا) : فقال : ذاك رجل تعدو اليه مواكب الضلالة . ويرجع من عنده ببدور الاثام . معدم مما يحب . مثر مما يكره ،،

(وقال اعرابى) ماشد جولة الهوى . وفطام النفس عن الصبى . ولقد تصدعت نفسى للعاشقين . لوم العاذلين قرطة فى اذانهم . ولوعات الحب نيران فى ابدانهم (وقال اعرابى) مارأيت دمعة ترقرق فى عين . وتجرى على خد . احسن من عبرة امطرتها عينها . فاعشب لها قلبى (وقال اعرابى) وذكر قوما ذهاداً : فازقوم ادبتهم الحكمة . واحكمتهم التجارب . ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة . ورحل عنهم التسويف الذى قطع به الناس مسافة آجالهم . فاحسنوا المقال . وشفعوه بالفعال . تركوا النعيم ليتنعموا . لهم عبرات متدافقة . لاتراهم الا فى وجه عندالله وجيها (ووصف اعرابى واليا) فقال : كان اذا ولى طابق من جفونه . وارسل العيون على عيونه . فهو شاهد معم . فالمحسن آمن . والمسئ خائف (ووصف اعرابى داراً) فقال هى والله معتصرة الدموع . جرّت بها الرياح اذيالها . وحلت بها السحاب اثقالها .. (وذكر اعرابى رجلا) فقال : كان الفهم منه ذا اذنين . والجواب منه ذا لسانين . لم ار احداً كان ارتق لخلل الرأى منه . كان والله بعيد مسافة الرأى . يرمى بطرفه حيث اشار الكرم . يتحسى مرارة

الاخوان . ويسيغهم العذب .. (ووصف اعرابى قومه) فقال : كانوا والله اذا اصطفوا تحت القتام . سفرت بينهم السهام . بوقوف الحمام . واذاتصافحوا بالسيوف . فغرت المنايا افواهها . فكم من يوم عارم قد احسنوا اديه . وحرب عبوس قد ضاحكتها اسنتهم . وخطب شئز قد ذللوا مناكبه . انما كانوا كالبحر الذى لاينكش غماره . ولاينهنه تيّاره [١] .. (وقيل لاعرابى) يزعم فلان انه كساك ثوبا .. فقال : ان المعروف اذا من كدر . واذا محض أمر . ومن ضاق قلبه . اتسع لسانه .. (وذكر اعرابى رجلا) فقال : كلامه منقوض آثار القطا . وهو مع ذا رث عقال المودة . مسود وجه الصداقة . ولئن كان لبنى الآدميين سباخ انه لمن سباخ بنى آدم .. (وقيل لاعرابى) لم لاتشرب النبيذ : فقال : لا اشرب مايشرب عقلى .. (وقال معاوية) العيال أرضة المال .. (وقال خالد بن صفوان) اياكم ومجانيق الضعفاء [٢] .. (وقال) لاتضع معروفك عند فاجر . ولااحمق . ولالئيم .. فان الفاجر يرى ذلك ضعفا . والاحمق لايعرف ما اوتى اليه فيشكره على مقدار عقله . واللئيم سبخة لاينبت شيئاً ولايثمر .. ولكن اذا رأيت الثرى الثرى . فازرع المعروف . تحصد الشكر . وانا الضامن .. (واهدت امرأة من العجم) الى هوىً لها فى يوم نوروز ورداً (وكتبت اليه) هذا اليوم احد فتيان الدهر . وشباب اقسامه . والقصف فيه عروس . والورد فى البرد . كالدر فى النحر . وقد بعثت اليك منه مهراً ليومك . فزوج السرور من النفس . والطرب من القلب . ولا تستقل برا . فانا لانستكثر على قبوله شكراً .. (وقال آخر) فى رجل : ماذا تثير الخبرة من دفاين كرمه .. (وقال اعرابى) لخصمه : اما والله لئن هملجت الى الباطل . انك عن الحق لقطوف . ولئن ابطأت عنه . لتسرعن اليه : فاعلم انه ان لم يعد لك الحق . عدلك الباطل . والآخرة من ورائك .. (وقال آخر) الخط مركب البيان .. (وقال آخر) القلم لسان اليد .. (وسمعت) بعض الاطباء يقول : الماء مطية الطعام .. (وقال) الحسن بن وهب لكاتبه : لاترق ماء معروفى بالمن . فان اعتدادك بالعرف . يعقل لسان الشكر وامثال هذا كثير فى منثور الكلام وفيما اوردته كفاية ان شاء الله ،،

[١] ــ العارم ــ الشديد ــ والشئز ــ الموضع الغليظ الكثير الحجارة ــ وقوله لاينكش غماره ــ اى لاينزف ماءه

[٢] ــ المجانيق ــ جمع واحده منجنيق بفتح الميم وكسرها القذاف التى ترمى بها الحجارة فارسى معرب من (جى نيك) اى ما اجودنى اورده فى اللسان

فاما الاستعارة من اشعار المتقدمين .. فمثل قول امرئ القيس [١]

وليلٍ كموج البحر مُرْخٍ سُدُولَهُ　　　علىّ بانواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطىّ بصُلْبِهِ　　　واردف أعجازاً وناءَ بكلكلِ

وقال زهير

صحَا القلبُ عن لَيلي واقصر باطلهْ　　　وعُرِّيَ افراسُ الصِبَى ورواحِلهْ

وقول امرئ القيس

فبات عليه سَرْجُه ولجامُه　　　وباتَ بعيني قائماً غير مُرْسَلِ

اى كنت اراه واحفظه .. وعلى هذا مجاز قوله عز وجل ﴿ تجرى باعيننا ﴾ .. وقال زهير

اذا سُدَّتْ به لهوَاتُ ثَغْرٍ　　　يُشَارُ اليه جانبُهُ سقيمُ [٢]

وقال النابغة

وصدرٍ اراحَ الّليلُ عازبَ همِّهِ　　　تضاعفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جَانِبِ [٣]

وفي هذا البيت ليس مثله فى بيت زهير .. وقال عنترة

جَادَتْ عليه كل بكرٍ حرَّة　　　فتَرَكْنَ كل قرارةٍ كالدّرهَمِ [٤]

---

[١] — قال الباقلانى .. هذه كلها استعارات أتى بها فى ذكر طول الليل — وصلبه — فقار ظهره .. وكل شئ من الظهر فيه فقار فذلك الصلب وجاءت رواية الصلب فى عامة النسخ وكذا اورده قدامة فى النقد والباقلانى فى الاعجاز والتنوخى فى اقصى القريب .. والذى فى رواية ديوانه المطبوع والجمهرة لابى زيد (لما تمطى بجوزه — وجوزه وسطه — والكلكل — الصدر وتقدم تفسيره

[٢] — نسخة — متى تسدد به لهوات ثغر الخ — اللهوات — جمع لهاة بالفتح .. قال فى اللسان ولكل ذى حلق لهاة واللهاة اقصى الفم .. وقال ابن سيده هى اللحمة المشرفة على الحلق

[٣] — قال الباقلانى — استعاره من اراحة الابل (اى ردها) الى مواضعها التى تأوى اليها بالليل .. وقال القتيبي يقول رد عليه الليل ما كان عازبا (اى بعيداً) من همه وذلك ان المهموم يتعلل بالنهار ويشتغل فاذا امسى انفرد بهمه فتضاعف عليه اى صار ضعفا فوق ضعف

[٤] — فى نسخة — كل بكر ثرة .. ويروى هكذا

جادت عليه كل عين ثرّة　　　فتركن كل حديقة كالدرهم

— البكر — السحابة .. والحرة — السحابة الكثيرة المطر — والقرارة — القاع المستدير ولذا شبهه بالدرهم .. وفى الصحاح — عين ثرة — سحابة تاتى من قِبَلِ قبلة اهل العراق وانشد البيت

وقال مهلهل

تَلْقَى فوارسَ تغلبَ ابنةِ وائلٍ　　يُسْتَطْعِمُونَ الموتَ كلَّ هُمَامِ

وقال زهير

اذا لَقِحَتْ حربٌ عوَانٌ مضرَّةٌ　　ضَرُوسٌ تُهِرُّ الناس انيابُها عُصْلُ [١]

اخذه من قول اوس [بن حجر]

وانى امرُؤٌ أَعْدَدْتُ للحرب بعدما　　رأيتُ لهـا نابآ من الشر أعْصَلا

وقال المسيب بن علس

وانهم قَدْ دَعُوا دَعْوَةً　　سَيتبعُها ذنبٌ اهْلَبُ

اراد جيشا كثيفا [٢] .. وقال الاسود بن يعفر

فأدِّ حقوقَ قومك واجتنبهم　　ولا يَطْلَخْ بك العزُّ الفطير [٣]

اراد عزا ليس بالمحكم كفطير العجين : والفطير من الجلد مالم يدبغ : وقال طفيل [الغنوى]

وجعلتُ كُورِى فَوْقَ ناجيَةٍ　　يَقْتَاتُ شَحْم سنامهـا الرَّحْلُ [٤]

---

[١] — البيت انشده فى المختارات (وان لقحت الخ) وقال فى تفسيره — لقحت — اى هاجت — والحرب العوان — التى كانت قبلها حرب وتقدم تفسير ذلك — والضروس — العضوض (اى السيئة الخلق) — والعصل — المعوّج ضربه مثلا لانّ البعير اذا اسنّ اعوج نابه .. يقول هذه حرب قديمة قد اسنت

[٢] — فسر الجيش الكثيف من قوله ذنب اهلب والاهلب الكثير الشعر كما تقدم

[٣] — يطلخ — بالحاء المهملة بعد النون و فى نسخة بالخاء المعجمة .. قال فى اللسـان طلحت الابل وطلخت بشمت وقيل بالحاء سمنت وبالخاء المعجمة بشمت حكى ذلك الازهرى عن الاصمعى

[٤] — الذى فى الاصل هكذا — لعتات شحم الخ — ولم اقف على هذه المـادة .. وانشـده فى النقد هكذا

وحملت كورى فوق ناجية　　يقتات شحم سنامها الرحل

وفى اللسان (يقتات فضل سـنامها الرحل) — الكور — الرحل وقيل الرحل باداته — وناجية — وصف للناقة اذا كانت تنجو بمن ركبها — وقوله يقتات — قال فى اللسـان قال ابن الاعرابى معناه يذهب به شـيئاً بعد شئ وقال ابن سـيده عندى ان يقتاته هنا يأكله فيجعله قوتا لنفسـه ولم اسمع هذا الذى حكاه ابن الاعرابى الا فى هذا البيت وحده. فلا ادرى اتأولٌ منه ام سماع سمعه

وقال الحرث بن حلزة

حتّى اذا التفع الظِبــاءُ بأطرا   ف الظِلالِ وقُلْنَ فى الكُنُسِ

الالتفاع — لبس اللفاع وهو اللحاف .. ومثله قول الشماخ

اذا الأرْطى توسَّـدَ أَبْرَدَيْه   خدودُ جوازئٍ بالرَّمل عِين [١]

ابرداه — ظل الغداة والعشى — توسدته — جعلته بمنزلة الوسادة .. وقال آخر

ومَهْمَهٍ فيه السَّرابُ يَسْبَحُ   يَدْأَبُ فيه القومُ حتّى يَطْلَحُوا

ثم يبيتونَ كأَنْ لم يبرحوا   كأنّمــا امسوا بحيثُ اصْبحُوا

وقال عمرو بن كلثوم *

أَلَا أَبلغِ النُعْمانَ عنى رسالةً   فمجدُك حَوْلىٌّ ولؤمُك قارِحُ [٢]

وقال الحطيئة

الا يالقلبِ عَادمِ النظراتِ

وقال الجعدى

فان يَطْفُ اصحابُه يَرْسُبُ

وقال ابوذؤيب

واذا المنيةُ أَنْشَبَتْ أَظفارَهَا

وقال ابو خراش [الهذلى] *

أردُّ شُجَــاعَ البَطْنِ لو تعلمينَهُ   وأُوثِرُ غَيْرى من عَيالِكِ بالطُّعْمِ [٣]

---

[١] — الارطى — واحدته ارطاة شجر ينبت بالرمل .. قال فى اللسان قال ابو حنيفة هو شبيه بالغضى ينبت عِصيّا من اصل واحد يطول قدر قامة وله نَوْر مثل نور الخلاف (اى الصفصــاف) ورائحته طيبة — والجوازئ — الجازئ الذى يجوز لطلب الجائزة وهى السقية من الماء سقى اولم يسق — وعين — جمع عيناء وهى الواسـعة العين واصله فعل بالضم واراد بذلك بقر الوحش فان ذلك صفة غالبة لهم

[٢] — حولى — اى اتى عليه حول — وقارح — القــارح من ذى الحــافر بمنزلة البــازل من البعير ولا يبزل البعير (اى لايشق نابه) الا اذا اطعن فى التاسعة .. واراد ان مجده ابن عام ولكن لؤمه مسن

[٣] — شجاع البطن — شـدة الجوع .. حكاه الازهرى عن الاصمعى .. وقال انشـد البيت يخاطب به امرأته

وقال لبيد

قبتلك اذ رقص اللوامعُ بالضحى ... واجتابَ أرديةَ السرابِ إكامُها

وقال ايضا

وغداة ريحٍ قد كشفتُ وقِرَّةٍ ... اذ اصبحتْ بيدالشمال زمامُهـا

وقال اوس بن مغراء [١]

يشيبُ على لؤم الفعـال كبيرُها ... ويُغذى بثدى اللوم منها وليدُها

وقال الاخطل

وَأَهجُرُكَ هجراناً جميلاً وتنتحى ... لنـا من ليالينا العوادِمِ أوّلُ

وقال آخر

قَوْمٌ اذا الشرُّ أبدى ناجذَيه لهم ... طَارُوا اليه زَرَافاتٍ وَوُحدَانا [٢]

وقال

هم ساعِدُ الدهر الذى يُتّقَى به ... وماخَيْرُ كفٍّ لاتنوءُ بسَاعِدِ

وقال آخر

سأبكيك للدنيـا وللدِّين اننى ... رأيتُ يَدَالمعروف بعدك شَلَّتِ

وقال المقنع

أَسُـدُّ به ماقدأخلُّوا وضَيّعُوا ... ثغورَحقوق ماالطاقوا لها سَدَّا

وقال آخر

وذَابَ للشمس لُعَابٌ فنزل

اخذه من قول النابغة

اذاالشمس مَجَّتْ ريقها بالكَلاكلِ

وقال آخر

جاء الشتاءُ واجثأَلَّ القُبَّرُ ... وطلَعَتْ شمسٌ عليها مِغْفَرُ [٣]

جعل قطعةالسحاب الى جانب الشمس مغفراً لها — واجثأل — انتفش .. وقال الحطيئة

---

[١] — سماه فى النقد اوس بن معز .. وقال يهجو به بنى عامر

[٢] — الزرافات — الجماعات .. قال ابو عبيدة اتونى بزرافتهم بالتشـديد اى بجماعتهم قال فى اللسـان والتخفيف اجود ولا يحفظ التشديد عن غير ابى عبيدة

[٣] — نسبه فى اللسان لجندل بن المثنى .. وزاد (وجعلت عين الحرور تسكرُ)

— القبر — واحده قبرة طائر يشبه الحمرة والعامة تقول القنبرة وهكذا انشد هذا الرجز ابوعبيدة .. وتسكر اى يذهب حرها

وماخِلْتُ سلمىٰ قبلها ذاتَ رِحْلَةٍ اذا قَسْوَرِيُّ الليل جِيبَتْ سَرابِلُهْ [١]

وقال ايضا

ولَوْ وَأَعْطونا الذى سُئِلُوْ من بعدِ موتٍ ساقِطٍ ازرُهْ
انَّا لَنَشْكُوهمْ وان كَرُموا ضرباً يطير خِلالَهُ شَرَرُهْ

وقال ابو دُوَاد

وقد اغتدى فى بياض الصباح وأعجازُ ليلٍ مولّى الذنَبْ

وقال الأفوه

عافوا الإِتاوةَ واستقتْ أسلافهم حتّى ارتووْا عَلَلاً بأذنبةِ الرَّدا [٢]

وقال ابن مناذر *

بأَرْشِيَةٍ اطرافُها فى الكواكبِ

وقال الاخطل

حتى اذا اقتضَّ مآءُ المزن عُذْرَتَهَا راحَ الزُجَاجُ وفى ألوانه صَهَبُ

وقال غيره

وجَيْشٍ يَظَلُّ البلقُ فى حَجَرَاتِهِ ترى الأُكْمَ فيه سُجَّداً للحَوافِرِ [٣]

وقال ذوى الرمة

سَقَاهُ الكرى كأس النُعَاسِ فرأسهُ لدين الكرى من آخر الليل سَاجِدُ

قوله — سقاه الكرى — جيد وقوله — لدين الكرى — بعيد عندى .. وقال مضّرس بن ربعى *

اذودُ سَوامَ الطرف عنك ومالهُ على احَدٍ الّا عليك طريقُ

---

[١] — قسورى الليل — نصفه الاول .. وقيل هو من اوله الى السحر

[٢] — الاتاوة — الرشوة .. وخص بعضهم به الرشوة على الماء — والاذنبة — جمع ذنوب وهى الدلو تذكر وتؤنث وهذا الجمع فى ادنى العدد والكثير ذنائب — والردى — الزيادة

[٣] — حَجَراته — اى نواحيه — والاكم — جمع اكمة .. وقوله فيه هكذا فى الاصول والذى فى اللسان (ترى الاكم فيها الخ) — وسجد — اى خضع قاله فى اللسان وانشد عجز البيت

وقال تأبطّ شرّاً [١]

ويسبق وفدالريح من حيث تنتحى　　بمُنْخَرِقٍ من شَدّه المتَــدَارِكِ
اذاحاصَ عينَيه كرىالنوم لمْ يَزلْ　　له كالئٌ من قلب شَيْحــانَ فاتِكِ
ويجعــلُ عينَيْـه ربيئَةَ قلبِـه　　الى سَلّةٍ من صــارمِ الغربِ بَاتِكِ
اذا هزّه فى عظم قرن تَهَلّلَتْ　　نواجِذُ افوَاهِ المَنــايا الضَّواحِكِ

فى كل بيت من هذه الابيات استعارة بديعة .. وقد اخذ رؤبة قوله — ويسـبق وفد الريح — فقال

يَسْبقُ وَفْدَالريح من حيثُ انْخَرَقْ [٢]

وقال الراعى

يدعو اميرالمؤمنين ودونَهُ　　خَرْقٌ تجُرُّ به الرياحُ ذيولا

وقال اوس

لَيْسَ الحديثُ بِنُهْى بَيْنَهُنّ ولا　　سِرٌّ يحدّثنَهُ فى الحىّ منشُورُ

ومما جاء من ذلك فى كلام المحدثين .. قول ابى تمام [٣]

ليَالىَ نحن فى غفلاتِ عَيْشٍ　　كأنّ الدهرَ عنهــا فى وِثاقِ
وايّام لنــا ولهم لِدَان　　عَرَيْنا من حواشِيهَا الرّقاقِ

---

[١] — هكذا فى الاصول . . وفى النقد بدل قوله — حاص خاط — وهما بمعنى واحد يقال حاص الثوب اذا خاطه — والشيحـان — الحذر الحـازم — وقوله ويجعل عينيه البيت — الذى فى النقد (وان طلعتْ اولىَ العداة فنفرة الخ) وفى اللسان

اذا طلعتْ أُولىَ العدىّ فنفرة　　الى سلّة من صارم الغرّ باتك

— الباتك — القاطع — وقوله فى عظم قرن — نسخة فى وجه قرن وكذا فى النقد

[٢] — نسخة — يكل وفدالريح الخ

[٣] — قوله لدان — اى لينات .. والرواية فى ديوانه هكذا

سنبكى بعده غفلات عيش　　كان الدهر عنها فى وثاق
و ايا ما لنــا وله لدانا　　عرينا من حواشيها الرقاق

وقال العباس بن الاحنف أو الخليع *

قد سَحَبَ الناسُ أذيالَ الظنون بنا ... وفرّق الناسُ فينا قولَهُمْ فِرَقَا

فكاذبٌ قد رمَى بالظنّ غيرَكمُ ... وصادقٌ ليس يدرى انه صدَقَا

وقال مسلم

شَجَجْتُها بلُعابِ المزْن فاعتزَلتْ ... لسَجَيْن من بين محلولٍ ومعقودِ

وقوله

كأنهُ اجلٌ يسعى الى املِ

وقوله

يكسُوا السيوف نفوسَ الناكثين به ... ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنَا الذُبُلِ

وقوله

اذا ماتَكَحْنا الحربَ بالبيض والقَنا ... جعلنا المنايا عنـد ذاك طلاقَهَـا

وقوله

والدهرُ آخذ ما اعطى مكدّر ما ... أصفـا ومفسدُ ماأهوىَ لهُ بيـدِ

فـلا يغرَّنْك من دهرٍ عطيّتهُ ... فليس يتركُ ما اعطىَ على احـدِ

وقوله

ولم ينطقْ باسرارِهَا الحَجَلُ [١]

وقوله

ولمـا تلاقينَا قضَى الليـلُ نحبَهُ ... بوجه كأنّ الشمس من مائهِ مثْلُ [٢]

وماء كعَيْنِ الشمس لا تقبلُ القذَى ... اذا درجَتْ فيـهِ الصَّبَا خلْتَهُ يَغلُو

من الضُحُكِ الغُرّ اللواتى اذا التَقَتْ ... تحدّثَ عن اسرارِهَا السَّبَلُ الهَطْلُ [٣]

صَدَعْنا به حدَّ الشمُول وقد طغتْ ... فألبَسَها حلماً وفى حلمهـا جهْـلُ

---

[١] — صدر البيت كما فى ديوانه (خفين على غيب الظنون وغصت الـ بُرين فلم الخ

[٢] — نسخة — بوجه لوجه الشمس من مائه مثل .. وكذا فى ديوانه ومابعده الى آخر البيت الرابع لم يثبتهم جامع ديوانه فى هذه القصيدة

[٣] — السبل — المطر

تُساقط يُمْناهُ النّدى وشِمالهُ الـ ... ردى وعيون القول منطقه الفَصْلُ [١]

حُبىً لايُطيرُ الجهلُ من عذَباتِها ... اذا هىَ حُلَّتْ لمْ يَفُتْ حَلَّها ذَحْلُ [٢]

بكفِّ ابى العباس يُستمْطَرُ الغِنَى ... ويُستنْزَلُ النُّعمَى ويُسترْعفُ النَصْلُ

متى شِئْتَ رفَّعتَ الستور عن الغنى ... اذا انت زُرْتَ الفضل اَوْاذِن الفَضْلُ

وقال ايضا

كأنها ولسانُ الماءِ يُقلِبُها ... عقيقة ضَحِكَتْ فى عارِضٍ بَرَدِ

دارتْ عليه فزادت فى شمائله ... لينَ القضيب ولحظَ الشادِنِ الغَرِدِ

وقال ايضا

فأقسمتُ أنسى الدّاعياتِ الى الصِبَى ... وقد فاجأتْها العَيْنُ والسِتْرُ واقِعُ

فغطّتْ بأيدِيها ثمارَ نحُورِها ... كأيدى الأسارى اثقلتْها الجوامِعُ

وقال ايضا

نفضتْ بكَ الأَحْلاسَ نفضَ اقامةٍ ... واسترْجعَتْ نُزّاعَها الأمصارُ

اجلٌ ينافسه الحِمام وحُفْرَةٌ ... نفستْ عَليْها وجهَك الاحفَارُ

فاذهبْ كما ذهبَتْ غوادِى مُزْنَةٍ ... اثنى عليها السَهْلُ والأوْعَارُ

اخذ — نفست عليها وجهك الاحفار — بعضهم فقال

لوعلِمَ القبْرُ مايُوارِى ... تاه على كلِّ مايليهِ

وقال

ويُخطِئُ عُذْرِى وجه جُرْمِىَ عِنْدَها ... فأجنى اليها الذنب من حيثُ لاادْرِى

اذا اذنبتْ اعْدَدَتُ عُـذْراً لذنبها ... وانْ سخطتْ كان اعتذارى من العُذْرِ

---

[٥] — نسخة ب — هكذا

تساقط يمناه ندىً وشماله ... ردىً وعيون القول منطقه الفصل

[٦] — الذحل — الثأر وقيل طلب مكافأة بجناية جنيت عليك اوعداوة اوتيت اليك ..
ووجدت البيت فى ديوانه هكذا

حبىً لا يَطير الجهلَ فى عذباتها ... اذا هى حلّت لم يفت حلها ذحل .

وقال فى تفسير معناه — حبىً — جمع حبوة وذلك الالتفاف فى رداء يقول انهم يحلون فى مجالسهم فاذا غزوا عدوهم وطلبوه بذحل لم يفتهم

وقال

يُذَكِّرُنيك اليأسُ فى خَطْرة المُنى وان كنتُ لم اذكرك الاّ على ذكْرِى

وقال

تجرى الرياحُ بها حَسْرى مُولّهةً حَيْرى تَلوذُ بأطْرَافِ الجلاميدِ [٢]

وقال ابو الشيص

خَلَع الصِبَى عَنْ منكبيه مَشيِبُ

وقال ابو العتاهية

اَتَتْهُ الخلافةُ مُنْقَادةً اليــه تُجرِّرُ اذيَالَهــا

وقال ابو النواس [*]

فاسقِنِى البِكْرَ التى اختمَرَتْ بِخِمَارِ الشــيْبِ فى الرَّحِمِ

ثُمّتَ انصَاتَ الشبَابُ لهــا بعد انْ جَازَتْ مدىَ الهَرَمِ

فهى لليوم الذى نُزِلَتْ وهى تِلْوُ الدهرِ فى القِــدَمِ

ومنها قوله

فتمشَّــتْ فى مفَــاصِلهمْ كتَمَشِّى البُرْءَ فى السّــقَمِ

صَنَعتْ فى البَيْتِ اذْ مُزِجَتْ كَصَنيــعِ الصُبْحِ فى الظُــلَمِ

قوله ـــ انصات الشباب لها ـــ كانها صوتت به فانصات لها اى اجابها .. وقوله

اعطتك ريحانها العقار وحان من ليلك انسفار

اى شربتها فتحول طيبها اليك .. وقوله

لنا رواميشُ يُنْتَخَبْنَ لنا تَظَلُّ آذانُنــا مطَاياهَا

ـــ الرامشة ـــ ورقة آس لها رأسان .. وقال

---

[١] ـــ نسخة ـــ (تمشى الرياح به حسرى مولهة حيرى تلوذ باكناف الجلاميد)

[*] ـــ تنبيه ـــ لقد اكثر المصنف الاستشهاد فى هذا الباب بكثير من شعر ابى نواس وابى تمام والبحترى وحيث ان دواوين شعر هؤلاء الثلاثة متيسر الوقوف عليها لكل طالب بل مايستشهد به من شعرهم محفوظ جله فى صدور الادباء فقد تركنا تطبيق هذه الشواهد على نسخ دواوينهم المنشورة للمطالع الا النزر القليل منها

حتى تَخيرت بنتَ دَسْكرةٍ   قدعاجَمَتْهاالسِنُون والحِقَبُ [١]

وقوله [٢]

حتى اذا ماعلاماَء الشباب بها   وافْعَمَتْ فى تمام الجسم والقصَب

وجُمّشَتْ بخَفِىّ اللحظِ فانْجَمَشَتْ   وجرّتِ الوعدَ بين الصدق والكذِب

وقوله فى السحاب

وجرّتْ على الرُبَا ذنَبَا

وقال

فراح لاعطَّلَتْه عافيةٌ   وباتَ طرفى من طرْفِهِ جُنُبَا

وقال

دَعِ الألبَانَ يشربُها رجالٌ   رقيق العيش بينهُم غريبُ

وقوله

ولا عجيبٌ ان جفَتْ دمنَةٌ   عن مُسْتَهامٍ نومُه قوتُ

وقوله

فقمتُ والليل يجلوه الصباحُ كما   جَلا التبسُّم عن غُرِّ الثنِيّاتِ

وقوله

من قَهْوةٍ جاءتك قبل مزاجِهَا   عُطُلاً فألبَسَها المزاجُ وشَاحَا

وقوله منها

---

[١] — الدسكرة — بناء كالقصر حوله بيوت للاعاجم يكون فيها الشراب والملاهى .. وانشد الاخطل   فى قباب عند دسكرة   حولها الزيتون قد ينعا

[٢] — هكذا فى الاصول واورده جامع ديوانه المطبوع فى الخمريات يصف ساقية هكذا .. واول الابيات

ساع بكأس الى ناش على طرب   كلاهما عجب فى منظر عجب

وبعده   حتى اذا ما غلى ماء الشباب بها   وافعمت فى تمام الجسم والعصب

وجشمت بخفى اللحظ فانجشمت   الخ

التجشم بمعنى المتكلف على كره وما فى الاصل اطبق للمعنى لأن التجميش بمعنى المغازلة وقد جمشه وهو يجمشها اى يقرصها ويلاعبها

شكّ البزالُ فوأدَهــا فكأنّما ... اهدتْ اليك بريحها التُّفّاحا
صفرآء تفترسُ النفوسَ فلا ترى ... منها بهنّ سوى السباب جراحًا
عُمِرَتْ يُكاتمكَ الزمانُ حديثها ... حتى اذا بلغ السـئآمةَ باحا

وقوله

جريتُ مع الصِبى طَلَقَ الجموحِ ... وهانَ عــلىّ مأثورُ القبيحِ
وجــدتُ ألذَّ عاريةِ الليــالى ... قرانَ النَّغم بالوترِ الفصيحِ

وقوله منها

تمتَّعْ من شــبابٍ ليس يَبْقى ... وصِلْ بُعرى الغَبوقِ عُرى الصَبُوحِ
وخذهــا من مُشَعْشَعَةٍ كُمَيْتٍ ... تُنَزِّلُ دِرَّةَ الرجــل الشــحيحِ
فانى عالم ان ســوف يَنــأىٰ ... مســافة بين جُثمانى ورُوحى

وقوله

فاستنطق العودَ قد طال السكوتُ به ... لَنْ ينطقَ اللهُوُ حتى ينطقَ العودُ

وقوله

صفرآء، تَغنِقُ بين الماَء والزَبَدِ [١]

وقوله

وقد لاحت الجوزآء وانغمس النسْرُ

وقوله

تجرّزُ اذيالَ الفجورِ ولا فَجْرُ

وقوله

لا ينزل الليل حيث حلّتْ ... فدهرُ شرّابها نهــارُ

وقوله

وريّان من مآء الشباب كأنمــا ... يُظَمّاءُ من صم الحشا ويُجاعُ

وقوله

وتنحَّ عن طربٍ وعن قَصْفِ

وقوله

[١] — قوله تغنق — من قولهم عنقت السحابة اذا خرجت من معظم الغيم تراها بيضاء لاشراق الشمس عليها .. فكأنه يقول تشرق

عَيْنُ الخليفة بي موكّلةٌ عقدَ الحِذارُ بطرْفها طَرْفي
صحَّتْ علانيتي له وأرى دينَ الضمير له على حَرْفِ

وقوله

سلبوا قِناعَ الطين عن رمقٍ حيّ الحياة مُشارف الحَتْفِ
فتنفّستْ في البيت اذ مزجتْ كتنفُّس الريحان في الأنف

وقوله

تنجيه مُزْنة من عود كرمٍ تُضيُّ الليل مضروب الرِواقِ

وقوله

حلبْتُ لاصحابي بها درَّة الصِبَى بصفراء من ماء الكروم شَمولُ

وقوله

دعاهُمُّه من صَدْرِه برحيلِ

وقوله

ولمّا توفى الليل جنحاً من الدُجى

وقوله

وقام وزنَ الزمانِ فاعتدلا

وقوله

فقد اصبح وجه الزمانِ مقتبلا

وقوله

كأنَّ الشبابُ مطيّة الجهلِ

وهو من قول النابغة

فانَّ مطيّة الجهلِ الشبابُ

وقوله

وحططتُ عن ظهر الصِبى رَحْلي

وقوله

ومتصلٌ بأسباب المعالي له في كل مكرُمَةٍ حميمُ
رفعت له النداء بقُمْ فخذها فقَدْ اخذتْ مطالِعَها النجومُ

وقوله

الَا لاَارَى مثلى امترىاليومَ فى رسْم [١] تغُصُّ به عينى ويلفظه وهْمِى

وقوله — تغص به — اى تمتلئُ بالدموع — ويلفظه وهمى — اى ينكره .. وقوله

وكأنما يتلوا طرائدَها نجمٌ تواترَ فى قفا نجْمِ

وقوله

شمولاً تخطَّتْهُ المنونُ وقد اتتْ سنُونَ لهــا فى دَنّها وسِنُونُ

وقوله

فتقرنْتُ بصِرف عُقَــار نشاءَتْ فى حُجْر امّ الزّمَانِ

وقوله

ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحْسَرُ حتّى مايقــلّ جفونهــا

وقوله

فى مجلس ضحكَ السرورُ به عنْ ناجذَيْه وحلتِ الخمْرُ

وقول ابى تمام

وحسنُ منقلب تبدوا عواقبُهُ جاءت بشــاشتُه فى سؤ منقلَبِ

وقوله

رخُصَتْ لها المُهجَاتُ وهى غوال

وقوله

وتنظّرى خببَ الركاب ينُصُّه [٢] مُحْى القريض الى مُميتِ المَــالِ

وقوله

تطــلُّ الطلول الدمع فى كل منزِلِ وتمثــل بالصبر الديارُ الموَاثِلُ

دوارس لم يجفُ الربيع ربوعَها ولامرَّ فى اغفالهــا وهُو غافِلُ

فقد سحبتْ فيها السحابُ ذيولَها وقدْ اَخْملَت بالنَّوْر فيها الخمايلُ

ليــالىَ أضللْتَ العَزآءَ وحوّلتْ [٣] بعقلك أرآمُ الخدورِ العقــايلُ

---

[١] — فى ديوانه — ألا لاأرى مثل امترائى فى رسم

[٢] — ينصه — اى يرفعه

[٣] — نسخة — وخذلت

وقوله

بسقيم الجفون غير سقيم　　　ومريب الألحاظ غير مريب

وقوله

غابلي على خالدٍ خالدٌ　　　وضيف همومى طويل الثواءِ

ألا ايها الموتُ فجعتنا　　　بماء الحياةِ وماء الحياء

اصبتنا بكنز الغنى والاما　　　م أمسى مصاباً بكنز الغناء [١]

وقوله

ثوى فى الثرى من كان يحيى به الثرى　　　ويغمرُ صرفَ الدهرِ نائله الغمرُ

وقوله

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النوى بسعادِ

وقوله

اذا سيفهُ اضحى على الهامِ حاكماً　　　غدا العفوُ منه وهو فى السيف حاكمُ

وقوله

لئن اصبحتِ ميدانَ السوافى　　　لقد اصبحتُ ميدان الهمومِ

اظنُّ الدمعَ فى خدى سيبقى　　　رسوماً من بكائى فى الرسومِ

وليلٍ بتُّ اكلؤه كأنى　　　سليمٌ اوسهدتُ على سليم

ارَاعى من كواكبه هجاناً　　　سواماً لاتريعُ الى المسيمِ

يكادُ نداه يتركه عديماً　　　اذا هطلَتْ يداهُ على عديمِ

سفيه الرمح جاهله اذا ما　　　بدا فضل السفيه على الحليم

وقوله

عهدى بهم تستنير الارضُ ان نزلوا　　　فيها وتجتمعُ الدنيا اذا اجتمعوا

ويضحك الدهر منهم عن غطارفةٍ　　　كأنَّ ايامهم من أنسها جمعُ

وقوله

وضل. بك المرتادُ من حيث يهتدى　　　وضرّتْ بك الايام من حيث تنفعُ

وقوله

تردُ الظنون به على تصديقها　　　وتحكم الآمال فى الاموال

[١] — قوله بكنز الغناء — هكذا فى سائر الاصول والذى فى ديوانه — بكنز الغناء

وقوله

اذا احسن الاقوامُ أنْ يتطاولوا　　بلا منّــةٍ احسنْتَ انْ تتطوّلا
تعظّمتَ عن ذاك التعظّم منهم　　وأوصاك نبلُ القدر أنْ تتنبّلا

وقوله

فاطلُب هدوّاً فى التقلقل واستثر　　بالعيس من تحت السُّهَــاد هجودا

وقوله

ايّامُنا مصقُولة اطرافُها　　بك والليالى كلُّها اسحارُ

وقال البحترى

بيضاء يُعطيك القضيب قوامها　　ويريك عَيْنَيْها الغزالُ الأحْوَرُ

وقوله

فحاجبُ الشمس احياناً يضاحكها　　وريّقُ الغيثِ احيــاناً يُبَاكيها

وقوله

وللقضيب نصيبٌ من تثنّيها

وقوله

أصبابةً برســوم رامةَ بعــدمَا　　عرفَتْ معارفها الصَّبَا والشمألُ

وقوله

صفتْ مثل ماتصفوا المدام خلالُه　　ورقّتْ كما رقّ النســيمُ شمائلهْ

وقوله

نثرتْ وردها عليه الخدودُ

اخذه آخر فقال

وحيــاءٌ نثرَ الوردَ على الخدِّ الأسيل

وقوله

سَحابٌ خطانى جودُهُ وهو مسبلٌ　　وبحرٌ عدانى فَيضُهُ وهو مفعَمُ

وقوله

أرجنَ عليّ الليل وهو مُمَسّكٌ　　وصَبّحْنَنا بالصُّبْح وهو مُخَلّقُ [١]

[١] — ارجن — بالتخفيف اى اثرن عليه الليل واغرينه عليه .. من قولهم ارجت بالتشديد بين القوم تأريجا اذا اغريت بينهم وارجت الحرب اذا اثرتها

وقوله

في مقامٍ تخرُّ في ضَنْكِهِ البيـــضُ على البيض رُكعاً وسجودا

وقوله

جَارَىَ الجياد فطار عن اوهامها سَبْقاً وكادَ يطيرُ عن اوهَـامِهِ

وقوله

فطوَاهُنَّ طيّهُنَّ الفيـا في واكْتَسَيْنَ الوجيفَ حتى عَرِينا

وقوله

فأَضْلَلْتُ حلمي والتفتُّ الى الصِّبَى سَفاهاً وقدْ جزتُ الشبابَ مَراحِلا

وقوله

اذا سرايا عطاياه سَرَتْ اَسَرَتْ

وقوله

ليلٌ يبيتُ الليلُ فيه غَرِيبَا

وقول ابن الرومي

وماتَعتَريها آفــةٌ بشريَّةٌ من النوم الا انهـا تتخـثَّرُ

كذلك أنفاسُ الرياح بُسُحْرَةٍ تطيبُ وانفـاسُ الانام تغيَّرُ

وقوله

يارُبَّ ريق باتَ بدْرُ الدُجى يمُجُّــه بــين شـناياكا

يُرْوى ولاينهاك عن شربة والخمر يُرْويك وينْهاكا

وقول العتابي

وأشـعَثَ مُشتَاقٍ رَمَى في جفونه غريب الكَرى بين الفجاجِ السَّبَاسِبِ

اماتَ الليالي شـوقه غـير زفرة تردّدُ مابَـينَ الحشى والترائبِ

سَحَبْتُ له ذيل السُرى وهو لابسٌ دُجى الليــل حتى مجَّ ضوءُ الكواكبِ

ومن فوق أكوار المطَـايا لُبانةٌ احلّ لهــا اكلُ الذرى والغوارِبِ

اذا ادَّرع الليـل انجـلى وكأنّهُ بقيــة هنديّ حُسَـام المضَـاربِ

بركْب ترى كسْر الكرى في جفونهم وعَهْد الفيافي في وجوهٍ شواحِبِ

وقول ابى العتاهية

أسرَى اليه الرَّدى فى حَلْبَة القَدَرِ

ومن ردىء الاستعارة .. قول علقمة [الفحل]

وكلُّ قوم وان عَزُّوا وان كَرُموا　　عريفهم بأثافى الدهر مرجُوم [١]

اثافى الدهر — بعيد جدا .. وقول ذى الرمة

تَيمَّمْنَ يافوخَ الدجى فصدَعْنَهُ　　وجَوْز الفلا صَدْع السيوف القواطِعِ [٢]

وقال تأبط شرا

نحزّ رقابهم حتَّى نَزَعْنَا　　وأنْفُ الموتِ منخرهُ رثيمُ [٣]

وقول الحطيئة

سقوا جارك العَيْمانَ لمَّا جَفَوْتَهُ　　وقلَّص عن بَرْدِ الشراب مشافِرُهْ [٤]

وقول الآخر

فما رقد الولدان حتى رأيتــه　　على البكر يمريه بسَاقٍ وحَافِرِ

وقول الآخر

---

[١] — هكذا رواية البيت فى الاصول .. وفى ديوانه

بل كل قوم وان عزوا وان كثروا　　عريفهم باثا فى الشر مرجوم

وكذا انشده فى اللسان — والاثافى — جمع أثفية وذلك الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها .. وقولهم رماه الله بثالثة الاثافى يعنون الجبل لانه يجعل صخرتان الى جانبه وينصب عليه وعليهما القدر .. ويريدون بذلك رماه الله بما لايقوم له .. وذهب ابو سعيد الى ان معناه رماه بالشر كله فجعله أثفية بعد أثفية حتى اذا رمى بالثالثة لم يترك منها غاية واستدل على ذلك ببيت علقمة هذا

[٢] — قوله الفلا هكذا فى نسخة الموازنة والذى فى الاصل وجوز الفيافى الخ

[٣] — الرثم — الكسر .. قال فى اللسان منسم رثيم ادمته الحجارة وحصىً رثيم ورثم اذا انكسر

[٤] — هكذا فى الاصول .. والذى فى ديوانه من رواية ابو سعيد السكرى

قروا جارك العيمان لما تركته　　وقلص عن برد الشراب مشافره

— العيمان — الرجل الذى ذهبت ابله فاصبح يشتهى اللبن واصل العيمة شهوة اللبن

قدآفنى اناوِــلَهُ أَزْمُهُ فأضحى يعضُّ على الوَظِيفَا [١]

واذا اريد بذلك الذم والهجاء كان اقرب الى الصواب .. واما القبيح الذى لايشــك فى قباحته .. فقول الاخر

سأمنعها اوسوف أجعَلُ امرها الى ملك أظْــلافه لم تشقق

وقول ذى الرمة

يُعِزُّ ضِعَافَ القوم عِزَّةُ نفســه ويقْطَعُ أنْفَ الكبرياء من الكِبْرِ

وقول خويلد الهذلى * اوغيره

تخــاصم قَوْماً لاتلقّى جوابهم وقَدْ اخذتْ من أنفِ لحيَتِكَ اليدُ

— اى قبضت بيدك على مقــدم لحيتك كما يفعل النــادم اوالمهموم — وأنف كل شئ مقدمه وانوف القوم ســادتهم .. والأنف فى هذا البيت هجين الموقع كما ترى .. وقد وقع فى غيره احسن موقع وهو .. قول الشاعر

اذا شمَّ أنفَ الضَّيْفِ الحق بطنه مراس الاواسى وامتحان الكرائم [٢]

ويقولون — انف الريح .. وانف النهــار .. ورعينــا انف الربيع : اى اوله .. قال امرؤ القيس

قَدْ غــدا يحملنى فى أنفِــه لاحقُ الأَطلَيْن محبوكٌ مُمَرْ [٣]

وروى بعض الشيوخ الثقــات فى انفه مضموم الالف .. قال هو من قوله كأس انف . وروضة انف .. وقال اعرابى يصف البرق

---

[١] — الأزم — شدة العض والقطع بالناب .. وجاء فى نسخــة اذمه بالضم وذلك الانيــاب — والوظيف — هو مستدق الذراع والساق من الخيل والابل ونحوهما

[٢] — البيت لذى الرمة رواه الآمدى فى الموازنة .. وقال قال ابوالعبــاس عبدالله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعرآء وهذا البيت فر الطائى حتى اتى بما اتى به وانما اراد ذوالرمة بقوله انف الضيف كقولهم انف النهــار اى اوله انتهى قلت وعجز البيت فى احــدى نسخ الاصل هكذا (مراس الاوابى وامتحان الكواتم)

[٣] — الاطلين — مثنى اطل مثــال ابل وذلك منقطع الاضــلاع من الحجبة وقيل القرُبُ وقيــل الخاصرة كلها .. وفى ديوانه — لاحق الايطل — اى ضامر الخصر — والمحبوك — هو الشديد المدمج الخلق — وممر — شديد فتل اللحم قاله الوزير ابوبكر شارح ديوانه . والايطل . والاطل . واحــد والف الاول اصلية كذا فى اللسان

اذاشِيمَ انفُ الليل اَوْمضَ وسْطهُ　　سنـاً كابْتسام العامِريّة شاغِفُ

اراد اول الليل ،، ومن بعيد الاستعارة .. قول اعرابى .. مازال مجنوناً على است الدهر . ذاحسد ينمى . وعقل يجرى [اى ينقص] وسئل مسلم بن الوليد عن .. قول ابى نواس

رسْمُ الكرى بين الجفون محيل　　عفّى عليه بُكا عليك طويل

قال ان كان قول ابى العذافر * — باض الهوى فى فوأدى وفرّخ التذكار — حسناً كان هذا حسناً : ومن عجيب هذا الباب قول بعض شعرآء عبدالقيس *

ولمّا رأيتُ الدهر وعراً سبيله　　وأبدى لنا ظهراً أَجبَّ مُسَلعا

ومعرفةً حصّاء غـير مُفاضةٍ　　عليـه ولوناً ذاعثانين أنزَعَا

وما اعرف متى رأى هـذا للدهر جبهة كالشراك [١] مع هذا الذى عـدده فجاء بمـا يضحك الثكلى .. وقال الكميت

ولمّا رأيتُ الدهر يقلبُ بطنَـهُ　　على ظهره فعل المُمَتّك فى الرمْلِ

كما طعنت عنّا قُضَـاعةُ طعنةً　　هى الجِدُّ مادُوم التحيزةِ بالهَزْلِ

ومن ذلك .. قول الاخطل

اكسير هذا الخَلق يُلْقى واحدٌ　　منـه على ألف فيكرمُ خيمُـهُ

وقول ابى تمام

حتّى اتّقتْهُ بِكيمياءِ السُّودَدِ

فلا ترى شيئاً ابعد من اكسير الخلق وكيمياء السودد .. وقد اكثر ابوتمام من هذا الجنس اغتراراً بما سـبق منه فى كلام القدماء مما تقدّم ذكره فأسرف فنعى عليـه ذلك وعيب به وتلك عاقبة الاسراف فمن ذلك .. قوله

يادهر قوّم من آخْدَعيك فقدْ　　اضججْتَ هذا الانام من خُرُقِكْ [٢]

[١] — قوله كالشراك هكذا وقع فى الاصل وقد سقط البيت الذى ذكر فيه هذا الشاعر الشراك واورده الآمدى هكذا

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة　　وصعّر خديه وانفا مجدعا

[٢] — تنبيه — عقد الآمدى فى كتابه الموازنة فصلا اشبع فيه الكلام على بعد هذه الاستعارات وقد رأيت المصنف رحمه الله اقتضب فصله هذا منه فاحببت ان اذكر ذلك للمطالع اتماما للفائدة فليتنبه

وقوله

كانوا ردآءَ زمانهم فتصدّعوا ‏ ‏ ‏ فكأنما لبسَ الزمانُ الصُّوفا

وقوله

نزحتُ به رَكيَّ العَيْنِ انّى ‏ ‏ ‏ رأيتُ الدمع من خير العَتَاد [١]

وقوله

ولين اخَادِع الزمَنِ الأبيّ [٢]

وقوله

فضربتُ الشتاءَ في اخدَعَيْه ‏ ‏ ‏ ضَرْبةً غادرته عَوْداً رَكُوبَا

وقوله

تروح علينا كل يوم وليلة ‏ ‏ ‏ خطوبٌ كأنَّ الدهر منهنّ يصرعُ

وقوله

الَا لا يَمُدُّ الدهر كفّاً بسيّئٍ ‏ ‏ ‏ الى مجتدى نَصْرٍ يقطعْ من الزَّنْدِ [٣]

وقوله

والدهرُ ألأَمُ من شَرِقتَ بلؤمه ‏ ‏ ‏ الَّا اذا أشرَقتَــهُ بكرِيمْ

وقوله

تحملّتُ مالو حمّل الدهر شطره ‏ ‏ ‏ لفكر دهراً ايّ عبأيهِ أثقَلُ

وقوله يصف قصيدة

تحلّ بقاع المجد حتى كأنّها ‏ ‏ ‏ على كل رأس من يد المجدِ مغفرُ

لها بين ابواب الملوك مزامرٌ ‏ ‏ ‏ من الذكر لم تنفخ ولاهى تزمَرُ

وقوله

به اسلم المعرُوف بالشام بَعدَمَا ‏ ‏ ‏ ثوى مُنْذُ أوْدى خالدٌ وهو مُرْتَدُّ

وقوله

كان المجدَ قد خَرِفا [٤]

---

[١] — العتاد — الشيء الذي تعده لامر ما وتهيئه له

[٢] — صدر البيت كما في ديوانه : سأ شكر فرجة الليت الرخي

[٣] — الذي في نسخة ديوانه : الى مجتدى نصر فتقطع للزند : والذي في الاصل موافق لما في الموازنة

[٤] — اول البيت .. لولم تفتّ مسن المجد مذزمن ‏ ‏ بالجود والبأس الخ .

وقوله

الى ملك فى ايكة المجد لم يزل على كبد المعروف من نَيْلِهِ بَرْدُ

وقوله

فى غلةٍ اوقدتْ على كبد النّـ ايل ناراً أخْنَتْ عـلى كبدِهْ

وقوله

حتى اذا اسوَدَّ الزمانُ توضحوا فيه فغودرَ وهو منهم أبلقُ

وقوله

وكَمْ ملكتْ منَّا عـلى قُبْحِ قدّهـا صُروفُ النوى من مُرْهَفٍ حسنِ القَدِّ [١]

وقوله

اذا الغَيْثُ غادَى نسجـه خِلْتَ انّه مضَتْ حِقْبَةٌ حرسٌ له وهو حائكُ

وقوله يرثى غلاماً

انزلَتْهُ الايامُ عن ظهرها من بعد اثبـاتِ رجله فى الركابِ

وقوله

وكانَّ فارسهُ يصَرّفُ اذغدا فى متنه ابناً للصباح الأَبلَقِ

وقوله

حتى مَحضتُ الامانىَ التى احتُلِبَتْ عادتْ هموماً وكانت قبلها هِمَما

وقوله

كلوا الصَّبْرَ مُرّاً واشربوه فانكم اثرْتُمْ بعيـرَ الظلم والظلمُ باركُ

وقد جنى ابو تمام على نفسه بالاكثار من هذه الاستعارات واطلق لسان عايبه وأكد له الحجة على نفسه واختيارات الناس مختلفة بحسب اختلاف صورهم والوانهم .. ومن ردئ الاستعارة ايضا .. قول بعضهم

انا ناقة وليس فى ركبتى دمَاغُ

---

[١] ـــ رواية البيت فى ديوانه هكذا

وكم احرزت منكم على قبح قدها صروف الردى من مرهف حسن القد

وانشد ابوالعنبس *

ضِرامُ الْحُبِّ عَشَّشَ فى فوأدى ❊ وحضَّن فوقَـهُ طيرُالبُعَـادِ

وقد نَبذَ الهـوى فى دنّ قلبى ❊ فعَزبدتِ الهمومُ عـلى فوأدى

ومثله كثير ولاوجه لاسـتيعابه لانّ قليله . دال على كثيره . وجملته مبينة عن تفسـيره ان شاء الله

الفصل الثانى من الباب التاسع

فى المطابقة

قد اجمع النـاس ان المطابقـة فى الكلام هو الجمع بين الشئ وضده فى جزء من اجزآء الرسالة اوالخطبة اوالبيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسـواد .. والليل والنهـار .. والحر والبرد .. وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب (فقال) المطابقـة ايراد لفظتين متشابهتين فى البناء والصيغة مختلفتين فى المعنى : كقول زياد الاعجم

وَنُبئتهم يستنصرون بكاهل [١] ❊ وللّوم فيهم كاهِلٌ وسَـنَامُ

وسمى الجنس الاول التكافوء واهل الصنعة يسمون النوع الذى سماه المطابقه التعطف .. (قال) وهو ان يذكر اللفظ ثم يكرره والمعنى مختلف وستراه فى موضعه ان شاءالله ،،

والطباق فى اللغة الجمع بين الشيئين يقولون — طابق فلان بين ثوبين — ثم استعمل فى غير ذلك فقيل — طابق البعير فى سـيره — اذا وضع رجـله موضع يده وهو راجع الى الجمع بين الشيئين .. قال الجعدى

وخيلٍ تطابق بالدارعين طِبَا ❊ قَ الكِلابِ يَطـأْنَ الْهَراسَـا

وفى القرأن (سبع سماوات طباقا) اى بعضهن فوق بعض كأنه شـبه بالطبق يجعـل فوق الاٌناء .. قال امرئ القيس

طبَقُ الارض تحرَّ وَتَدُرْ

وكلّ فقرة من فقر الظهر والعنق طبق وذلك انّ بعضها منضود على بعض ،،

[١] — هكذا فى الاصل .. وانشده الباقلانى فى الاعجاز (ونبأتهم يستنظرون بكاهل) الخ

فمما فى كتاب الله عز وجل من الطباق قوله تعالى ﴿ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ﴾ وقوله تعالى ﴿ ليخرجكم من الظلمات الى النور ﴾ اى من الكفر الى الايمان .. وقوله عز وجل ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ وقوله سبحانه ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ وهذا على غاية التساوى والموازنة .. وقوله تعالى ﴿ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ﴾ وقوله جل شأنه ﴿ ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ﴾ وقوله عز اسمه ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ وقوله سبحانه ﴿ فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ وقوله جل ذكره ﴿ وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحى ﴾ وقد تنازع الناس هذا المعنى .. قال ابن مطير *

تضحك الارضُ من بكاء السماءِ

وقال آخر

ضحك المُزنُ بها ثم بكى

وقال آخر

فله ابتسامٌ فى لوامع بَرْقِه ... وله بُكا من وَدْقِه المتسرب

وقال آخر

لا تعجبى ياسَلْمُ من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

فلم يقرب احد من لفظ القرآن فى اختصاره وصفائه . ورونقه وبهائه . وطلاوته ومائه . وكذلك جميع مافى القرآن من الطباق ،،

ومما جاء فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم من الكلام المطابق قوله للانصار (انكم لتكثرون عند الفزع . وتقلون عند الطمع) وقوله عليه الصلاة والسلام (خير المال عين ساهرة لعين نايمة) يعنى عين الماء ينام صاحبها وهى تسقى ارضه وقوله عليه الصلاة والسلام (اياكم والمشارّة فانها تميت الغرة وتحى العره) ،،

ومن سائر الكلام .. قول الحسن مارأيت يقينا لاشك فيه . اشبه بشك لا يقين فيه من الموت .. وقال ايضا رضى الله عنه ان من خوّفك حتى تبلغ الأمن . خير ممن يؤمنك حتى تلقى الخوف .. وقال ابو الدرداء رضى الله عنه معروف زماننا منكر زمان قدفات . ومنكره معروف زمان لم يأت ... وقال بعضهم ليت حلمنا عنك . لا يدعوا جهل غيرنا اليك .. وقال عبد الملك ماحمدت نفسى على محبوب ابتدأته بعجز . ولا لمتها على مكروه ابتدائه بحزم .. وقالوا الغنى فى الغربة وطن . والفقر فى الوطن غربة .. وقال اعرابى لرجل ان فلانا وان ضحك لك . فانه

يضحك منك. فان لم تخذه عدواً فى علانيتك . فلاتجعله صديقا فى سريرتك .. وقال على رضى الله عنه اعظم الذنوب ماصغر عندك .. وشتم رجل الشعبى : فقال ان كنت كاذبا فغفر الله لك . وان كنت صادقا فغفر الله لى .. واوصى بعضهم غلاما .. فقال ان الظن اذا اخلف فيك . اخلف منك .. ونحوه قول الآخر : لاتتكل على عذر منى . فقد اتكلت على كفاية منك .. وقال الحسن اما تستحيون من طول مالا تستحيون .. ونحوه قول الاعرابى فلان يستحى من ان يستحى .. وقال من خاف الله اخاف الله منه كل شئ . ومن خاف الناس اخافه الله من كل شئ .. وقيل لابى داود وابنته تسوس دابته فى ذلك فقال كما اكرمتها بهوانى .. معناه ان كانت تصونى عن سياسة دابتى وتبذل هى فها انى اصونها واتبذل دونها بالقيام فى امر معاشها واصلاح حالها .. فاخذ اللفظ بعضهم فقال فى السلطان

اهين لهم نفسى لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التى لاتهينها

وقال بعضهم لعليل .. ان اعلك الله فى جسمك . فقد اصحك من ذنوبك .. وقال بعض الكريم واسع المغفرة . اذا ضاقت المعذرة .. وقال كثير بن هراسة لابنه يابنى ان من الناس ناسا ينقصونك اذا زدتهم . وتهون عليهم اذا اكرمتهم . ليس لرضاهم موضع فتقصده . ولالسخطهم موقع فتحذره . فاذا عرفت اولئك باعيانهم . فأبدلهم وجه المودة . وامنعهم موضع الخاصة . ليكون ما ابديت لهم من وجه المودة حاجزا دون شرهم . ومامنعتهم من موضع الخاصة قاطعا بحرمتهم .. وقال خالد بن صفوان لرجل يصف له رجلاً ليس له صديق فى السر . ولاعدو فى العلانية .. وقال آخر فى العمل ماهو ترك للعمل ومن ترك العمل ماهو اكبر العمل [١] وقال آخر انا لانكافئ من عصى الله فينا باكثر من ان نطيع الله فيه .. وقال الحسن كثرة النظر الى الباطل . تذهب بمعرفة الحق من القلب .. وقال سهل بن هرون من طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها . ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها .. وكتب رجل الى محمد بن عبدالله : ان من النعمة على المثنى عليك الا يخاف الافراط . ولا يأمن التقصير . ولايحذر ان تلحقه نقيصة الكذب . ولاينتهى به المدح الى غاية الا وجد فى فضلك عوناً على تجاوزها .. وفى الحديث (ماقل وكفى خير مما كثر وألهى) وقال معاوية .. ليس بين ان يملك الملك جميع رعيته . او يملكه جميعها . الاحزم . اوتوان .. وقال بعضهم اذا شربت النبيذ فاشرب به مع من يفتضح بك . ولاتشربه مع من تفتضح به .. وقال بعضهم سوداء ولود خير

[١] — هكذا فى الاصل المنقول منه وليحرر

من حسناء عقيم .. وقال ابن السماك * للرشيد يا امير المؤمنين تواضعك فى شرفك اشرف من شرفك .. وقال ابن المعتز طلاق الدنيا مهر الاخرة .. وقالوا غضب الجاهل فى قوله . وغضب العاقل فى فعله .. وشرب احدهم بحضرة الحسن * بن وهب قدحا وعبس .. فقال له والله ما انصفتها تضحك فى وجهك . وتعبس فى وجهها .. وقال طاهر بن الحسين لابنه . التبذير فى المال ذمه حسب التقتير فيه . فاتق التبذير واياك والتقتير .. وقال اعرابى أتيت بغداد فاذا ثياب احرار . على اجساد عبيد . اقبال حظهم . ادبار حظ الكرم . شجر فروعه عند اصوله . شغلهم عن المعروف رغبتهم فى المنكر .. وقال اعرابى الله مخلف ما اتلف الناس . والدهر متلف ما اخلف الله . فكم من منية علتها طلب الحياة . وحياة سببها التعرض للموت .. وهذا مثل قول الشاعر

تأخرتُ استبقى الحياة فلم اجد لنفسى حياة مثل أنْ اتقدما

وقال آخر كدر الجماعة . خير من صفو الفرقة .. وقال بعضهم وكان اعتدادى بذلك اعتداد من لاتنضب عنه نعمة تغمرك . ولايمر عليه عيش يحلولك .. وقال بعضهم وكان سرورى بذلك . سرور من لا تأفل عنه مسرة طلعت عليك . ولاتظلم عليه محلة انارت لك .. وقال المنصور لاتخرجوا من عز الطاعة . الى ذل المعصية .. ووصف اعرابى غلاما : فقال ساع فى الهرب . قطوف فى الحاجة .. وكتب سعيد بن حميد فى كتاب فتح : ظنا كاذبا لله فيه حتم صادق . وامـلاً خايبا لله فيه قضاء نافذ .. وقال الافوه الاودى سهما تقربه العيون وان كان قليلا . خير مما وجلت به القلوب وان كان كثيرا .. ونحوه قول الشاعر

الا كل ماقرّتْ به العين صالح

ومن الاشعار فى الطباق .. قول زهير

لَيثُ بِعَثَّرَ يصطادُ الرجال اذا ما اللّيثُ كذّب عن أقرانه صَدَقَا[١]

وقول امرئ القيس

مِكَرّ مِفَرّ مقبلٌ مدبرٌ معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

[١] — عثر — على وزن فعل بالتشديد موضع بأيمن وقيل هى ارض مأسدة بناحية تبالة

وقول الطفيل الغنوى [يصف فرسا]

[بساهم الوجه لم تُقْطَعْ اباجله]   يصان وهو ليوم الروع مبذول [١]

وقول الاخر [٢]

رمى الحدثان نسوةَ آل حربٍ   بمقدار سَمَدْنَ له سُمودا

فردّ شعورهن السود بيضاً   وردّ وجوهَهن البيضَ سُودا

وقال حسين * بن مطير [٣]

ومبتلة الاطراف زانت عقودها   باحسنِ مما زيّنتها عقودهـا

بصفر تراقيها وحمر اكفها   وسود نواصيها وبيض خدودها

وقال فى وصف السحاب

ولَهُ بلا حزن ولا بمسرّة   ضحك يراوحُ بينه وبكاء

وقال آخر

لئن سأنى ان نلتنى بمساءة   لقد سرنى انى خطرتُ ببالك

وقال النابغة

وان هبطا سهلا اثارا عجاجة   وان علوا حَزْنًا تَشَظّتْ جنادل [٤]

---

[١] — ساهم الوجه — اى متغير الوجه لحمله على كريهة الجرى — والابجل — عرق وهو من الفرس والبعير بمنزلة الاكحل من الانسان

[٢] — شاهد الطباق فى البيت الثانى — والسمود — اللهو وقيل السهو عن الشئ .. وذكر فى اللسان عن ابن عباس رضى الله عنهما السمود الغناء بلغة حمير .. وقيل السمود يكون سروراً وحزنا وانشد البيت

[٣] — هكذا فى الاصول .. واوردها ابو تمام فى الحماسة بهذه الرواية

بسود نواصيها وحمر اكفها   وصفر تراقيها وبيض خدودها
مخصرة الاوساط زانت عقودها   باحسن مما زينتها عقودها

[٤] — قوله تشظت — بالظاء المشالة اى تكسرت .. وفى ديوانه تشطت بالمهملة ولعله غلط وروى ابن الاعرابى انقضت من الانقضاض — والجنادل — الحجارة

وقال مسافع * [١]

أَبَعدَ بني أمّي أُسَرُّ بمقبلٍ ... من العيش او آسى على أثرِ مُدْبِرِ

أُولاكَ بنو خيرٍ وشرٍ كليهما ... وأبناء معروف ألمَّ ومنكرِ

وقال اوس بن حجر

أطعنا ربنا وعصاه قومٌ ... فذقنا طَعْمَ طاعتنا وذاقوا

وقال الفرزدق

لعن الآله بني كُلَيب انهم ... لايغدرون ولايَفُونَ لجارِ

يستيقظون الى نهيق حمارهم ... وتنام اعينهم عن الاوتارِ

وقال امرؤ القيس

بماء سحاب زلّ عن ظهر صخرة ... الى بطن أُخرى طيّب طعمه خَصِرْ [٢]

وقال النابغة

ولاتَحْسَبُون الخيرَ لاشرَّ بعده ... ولاتحسبون الشرّ ضربةَ لازب

وقال يهس بن عبدالحرث * يصف الشيب

حتى كأنّ قديمه وحديثه ... ليلٌ تلفّعَ مدبرا بنهار

فطابق — بين قديم وحديث . وليل ونهار — فاخذه الفرزدق .. فقال

والشيبُ ينهضُ في الشباب كأنه ... ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ

طابق — بين الشيب والشباب . والليل والنهار — وهذا احسن من قول يهس سبكا ورصفا . وفيه نوع اخر من البديع وهو يصيح بجانبيه نهاره أُخذه من .. قول الشماخ

ولاقى بصحراء الاهالة ساطعاً ... من الصبح لمّا صاح بالليل نَفَّرا

---

[١] — اوردها صاحب الحماسة — برواية بني عمرو . بدل قوله بني امي .. وبدل قوله وابناء معروف . جميعا ومعروف

[٢] — الخصر — البارد .. ورواية البيت في ديوانه هكذا

بماء سحاب زل عن متن ظهره ... الى بطن اخرى طيب ماؤها خصر

وقال ابو دواد قبله

تصيح الرُّدَيْنِيَّاتُ فى حَجَبَاتِهِم   صياح العوالى فى الثقاف المثقب

وقال آخر

تصيح الردينيات فينا وفيهم   صياح بنات الماء اصبحن جُوَّعَا

وقال آخر فى صفة قوس

فى كفه مُعْطِيَّة منوعُ [١]

وقال آخر

مَرَحَتْ وصاح المَرْوُ من اخفافها [٢]

وقال آخر فى صفة ناقة

خرقاء الاّ انها صَنَاعُ [٣]

وقال آخر

فجأ ومحمود القرى يستفزه   اليها وداعى الليل بالصبح يصفر

ومما فيه ثلاث تطبيقات .. قول جرير

وباسط خير فيكم بيمينه   وقابض شر عنكم بشماليا

فطابق — بباسط وقابض . وخير وشر . ويمين وشمال — ومثله قول الآخر

فلا الجود يفنى المال والجد مقبل   ولا البخل يبقى المال والجد مدبر

ومثله قول الآخر

فسرى كاعلانى وتلك سجيتى   وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

ومما فيه طباقان .. قول المتلمس

واصلاح القليل يزيد فيه   ولا يبقى الكثير على الفساد

[١] — القوس المعطية — اللينة التى ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها

[٢] — المرح — النشاط — والمرو — هى الحجارة التى يقدح منها النار وتقدم تفسيره — والاخفاف — سرعة السير

[٣] — الخرقاء — التى لا تتعهد مواضع قوائمها — والصناع — فى الاصل وصف للحذق بالعمل فيقال للمرأة اذا كانت حاذقة بالعمل .. امرأة صناع وللرجل رجل صنع .. وفى شرح القاموس اصنع الاخرق اذا تعلم واحكم

وقال اوس بن حجر

فتحدركم عبس الينا وعامر   وترفعنا بكر اليكم وتغلب

اذا ماعلوا قالوا ابونا وامنا   وليس لهم عالين ام ولا اب

وقول قيس بن الحطيم

اذا انت لم تنفع فضر فانما   يُرجّى الفتى كيما يضرو ينفعا

وهذا تطبيق وتكميل ومثله .. قول عدى * بن الرعلاء

ليس من مات فاستراح بميت   انما المَيْتُ ميّتُ الاحياء

فاستوفى المعنى فى قوله — ليس من مات فاستراح بميت — وكمل فى قوله — انما الميت ميت الاحيأ .. وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشئ وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك .. كقول الحطيئة

واخَذْتَ اطرار الكلام فلم تَدعْ   شتماً يضر ولا مديحا ينفع

والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب .. وهكذا قول الآخر

يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة   ومن اساءة اهل السوء احسانا

فجعل ضد الظلم المغفرة .. ومن المطابقة فى اشعار المحدثين .. قول ابى تمام

اصمّ بك الناعى وان كان اسمعا   واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقالوا هذا احسن ابتدأ فى مرثية اسلامية .. وقال ابو تمام ايضا

وضلّ بك المرتادُ من حيث يهتدى   وضرّتْ بك الايام من حيث تنفعُ

وقدكان يدعى لابس الصبر حازما   فاصبح يدعى حازما حين يجزع

وقال سديف * فى النساء

واصح مارأت العيون جوارحا   ولهن امرض مارأيت عيونا

وقال عمارة * بن عقيل

وارى الوحش فى يمينى اذا ما   كان يوماً عنانه بشمالى

وقال ابو تمام

[فيمَ الشَّماتة أعلانًا بأسدٍ وغىً] أفناهم الصَّبرُ إذ أبقاكُمُ الجَزَعُ

فجأ بتطبيقتين في مصراع .. وقال البحترى

انّ ايامَهُ من البيض بيضٌ مارأين المفارق السودَ سودا .

وقال النمرى ..

ومنازلٌ لك بالحمى وبها الخليط نزول

ايامهنّ قصيرة وسرورهن طويل

وسعودهن طوالع ونحوسهن افول

والمالكية والشبـ ـاب وقَينةٌ وشمول

وقال آخر

براذين ناموا عن المكرمـ ـات فايقظهم قَدَرٌ لم يَنَمْ ..

.. فياقبحهم في الذي خوّلوا ويا حُسنَهم في زوال النِعَمْ

وقال آخر

أفاطِمَ قَدْ زُوجتِ مِنْ غيرِ خِبرَةٍ فتًى مِنْ بَنِي العباسِ ليسَ بِطائِلِ

فَأنْ قُلْتِ مِنْ آلِ النَّبِيِّ فَإنَّهُ وإنْ كَانَ حُرُّ الأصلِ عبدُ الشَّمائِلِ

ونحوه في معناه لافي التطبيق .. قول على بن الجهم في بعض بني هاشم

ان تكن منهم بلا شك فَللعُود قُتارْ

ومثله

فماخَبَثٌ من فضّة بعجيب

ومثله

لئيم اتاه اللؤمَ من عند نفسه ولم يأته من عند امٍّ ولا اب

وقول ابى تمام

نثرتْ فريد مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرَم

وصَلَتْ نجيعاً بالدموع فخدّها في مثل حاشية الرداء المُعلَمَ

اخذه من قول ابى الشيص

وصلت دما بالدمع حتى كأنما ... يذاب بعينى لؤلؤ وعقيق

وقول ابى تمام

جفوف البلى أسرعت فى الغُصُن الرّطْبِ [١]

وقوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ... ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقول الاخر

عجِلَ الفراقُ بما كرهتُ وطالما ... كان الفراق بما كرهت عجولا

وارى التى هام الفوآد بذكرها ... اصبحت منها فارغا مشغولا

وقال بكر بن النطاح

وكأنّ اظلام الدروع عليهم ... ليل واشراق الوجوه نهار

وقول ابى تمام

غُرّة مرة ألا انما كنـ ... ـت أغر ايام كنت بهيما

دقة فى الحياة تدعى جلالا ... مثل ماسمى اللديغ سليما

وقول آخر

فخلست منها قبلة ... لما رويت بها عطشت

وقلت

اذا معشر فى المجد كانوا هواديا ... فقيسوا به فى المجد عادوا تواليا

رأيت جمال الدهر فيك مجددا ... فكن باقيا حتى ترى الدهر فانيا

وقلت

قل لمن ادنيه جهدى ... وهو يقصينى جهده

و لمن ترضاه مو ... لاك ولا يرضاك عبده

امليح بمليح الشـ ... ـكل ان يخلف وعده

ام جميل بجميل الو ... جه ان ينقض عهده

ما الذي صدك عني ... ليت ما صدك صده

وقلت

فلمَا ذا أبيعه وبنفسى أشتريه

وقلت

فِى كُلِّ خُلقٍ خُلَّةٌ مَذْمُومَةٌ ... وَوَرَا كُلِّ مُحبّبٍ مَكْرُوهُ

ومن عيوب التطبيق .. قول الاخطل

قُلْتُ المقَامُ وَنَاعِبٌ قَالَ النَّوَى ... فَعَصَيْتُ قَوْلِى والمُطَاعُ غُرَابُ

وهذا من غث الكلام وبارده .. وقال

كَمْ جَحْفَلٍ طَارَتْ قُدَامى خَيْلهُ ... خَلَّفْتُهُ يَوْمَ الوغى منْتُوفَا

اعْلَمْتُ نَابَكَ وهو رأسٌ انه ... سيكون بعدك حافرا وَوَظِيفَا

وقال آخر فى القاسم بن عبيدالله

مَنْ كَانَ يعلم كيف رِقة طَبْعِهِ ... هو مقسم أَنَّ الهوآء تَخِينُ

وقال ابوتمام

فيا ثلجَ الفوآدِ وكانَ رَضْفاً [١] ... وَيَا شَيبى بمقدمه وريّ

وقال

وإِذَا الصُّنْعُ كَانَ وَحْشاً فَمَ ... ليتَ برغم الزَّمَان صُنْعاً رَبِيبَا

وقال

قَدْ لاَنَ اَكْثَرُ مَا تريدُ أوَ بَعْضُهُ ... خَشِنٌ وأَنّى بالنجاح لِوَاثِق

وقوله

لَعَمْرِي لَقَدْ حَرَّرتُ يَوْمَ لَقِيتُهُ ... لَوْ انَّ القَضَاء وَحدَهُ لَمْ يُبرِّد

وقوله

وإِنْ خفرتْ امْوَالَ قَوْمٍ أَكُفُّهُمْ ... مِنَ النَّيْلِ والجَدْوَى فَكَفَّاه مُقْطعُ

وقوله

يَوْمٌ أَفَاضَ جَوىً أَغَاضَ تَعَزِّياً ... خاضَ الهَوَى بَحْرِي حِجَاهُ المزبد

فجعل الحجى فى هذا البيت مزبدا ولا اعرف عاقلا يقول ان العقل يزبد وليس المزبد

[١] — الرضف — فى الاصل الحجارة المحماة يوغر بها اللبن كالرضافة ورضفه يرضفه كواه بها

[هاهنا] نعتا للبحرين لانه قال — بحرى حجاه المزبد — فلو جعل المزبد نعتا للبحرين لقال المزبدين وخوض الهوى بحر التعزى ايضا من أبعد الاستعارة ونحو منه .. قوله ايضا

يَا يَوم شَرَّدَ يوم لَهْوَى لَهْوه بصبابَتِي واذلَّ عِزَّ تَجَلّدِي

وقوله [١]

عَرضَ الظلاَّمُ اواعْتَرَتْهُ وَحْشَةٌ فاستَأْنَسَتْ رَوَعَاته بِسُهادى

بَلْ ذِكْرةٌ طرَقَتْ فَلَمَّا لم أَبِتْ بَاتَتْ تُفَكِّرُ فِي ضُرُوبِ رُقَادي

أَغرَتْ هُمُومِي فاسْتَلَبْنَ فصولها نَوْمِي وَبِتْنَ عَلَى فضول وِسَادِي

وهذه الابيات مع قبح التطبيق الذى فى اولها وهجنة الاستعارة لايعرف معناها على حقيقته

الفصل الثالث من الباب التاسع

فى ذكر التجنيس

التجنيس ان يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها فى تأليف حروفها على حسب ماالف الاصمعى كتاب الاجناس .. فمنه ماتكون الكلمة تجانس الاخرى لفظا واشتقاق معنى ،، كقول الشاعر [٢]

يوماً خلجت على الخليج نفوسهم [عَصْباً وانت لمثلها مُسْتَامُ]

— خلجت — اى جذبت — والخليج — بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير فهاتان

[١] — رواية هذه الابيات فى نسخة ديوانه هكذا

عرض الظلام ام اعترته وحشة فاستأنست اوطانه بسهادى

بل زفرة طرقت فلما لم ابت باتت تفكر فى ضروب رقادى

اغرت همومى فاستجبن همومها نومى وبتن على فضول وسادى

[٢] — هو اسحاق بن حسان الخريمى .. هكذا وجدته فى هامش نسخة — العصب — الطى الشديد .. وعصب الشجرة عصباً ضم ماتفرق منها بحبل ثم خبطها ليسقط ورقها — وستام — من السوم

اللفظتـان متفقتان فىالصيغة [١] واشـتقاق المعنى والبناء ،، ومنه مايجانســه فى تأليف الحروف دون المعنى [٢] كقول الشاعر [٣]

فَأَرْفِقْ بِهِ ان لَوْمَ العاشقِ اللُّومُ

وشرط بعض الادباء من هذا الشرط فى التجنيس وخالفه فىالامثلة .. فقال وممن جَنَّسَ تجنيسين فى بيت زهير .. فى قوله .

بِعَزْمَةِ مأمورٍ مُطِيعٍ وآمرٍ مُطَاعٍ فَلاَ يُلْفَى لحزمهم مثلُ

وليس المأمور والامر والمطيع والمطاع من التجنيس .. لان الاختلاف بين هذه الكلمات لاجل ان بعضها فاعل وبعضها مفعول به . واصلها انمـا هوالامر والطاعة .. وكتاب الاجناس الذى جعلوه لهذا البـاب مثالا [٤] لم يصنف على هذا السبيل ويكون المطيع مع المستطيع . والامر مع الامير تجنيسا .. وجعل ايضا من التجنيس .. قول الاخر

فَذُوا الحلم مِنّا جَاهِلٌ دونَ ضَيْفِهِ وذوالجهـل منـا عن اذاهُ حَلِيمُ

ليس بتجنيس .. وكذلك قول خداش * بن زهير

ولكن عايشٌ ماعاش حتّى إِذَا مَا كَادَهُ الايَّامُ كَيْدَا

وقال الشنفرى

وانى لحلو ان اريد حـلاوتى ومر اذا النفس العزوف امرت [٥]

وقال العجير السلولى *

يسرك مظلوما ويرضيك ظالماً وكلّ الذى حمّلته فهو حامله

وقول الاخر

وسَاعٍ مَعَ السلطانِ يَسْعَى عَلَيْهِم ومحترسٌ من مِثْلِهِ وهو حارِسُ

---

[١] — نسخة — فى الصنعة والبناء واشتقاق المعنى

[٢] — هذا النوع — مذهب الخليل بن احمد الفراهيدى حكاه عنه الباقلانى فى الاعجاز

[٣] — قائله — مسلم بن الوليد .. وصدره (ياصاح ان اخاك الصب مهموم)

[٤] — نسخة — انما يصنف على هذه السبيل الخ

[٥] — العزوف — من العزف اى اللهو .. ورجل عزوف عن اللهو اذا لم يشتهه

وقول تأبط شرا

يرى الوحشة الأُنس الانيس ويهتدى   بحيث أهْتَدَتْ ام النجوم الشـوابك [١]

وقول الاخر

صُبَّتْ عليه وَلَمْ تنصبَّ من كَثَب   ان الشقاءَ عَلَى الاشقَيْنَ مَصْبُوبُ

ليس فى هذه الالفـاظ تجنيس .. وانما اختلفت هذه الكلم للتصريف : فمن التجنيس فى القرآن قول الله تعـالى ﴿ واسلمت مع سليمان ﴾ وقوله عز وجـل ﴿ فاقم وجهك للدين القيم ﴾ وقوله تعـالى ﴿ تتقلب فيه القلوب والابصـار ﴾ وقوله سـبحانه وتعـالى ﴿ والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ﴾ وقوله تعـالى ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ﴾ وقوله عز وجل ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ الروح الراحة والريحان الرزق [٢] وقوله سـبحانه ﴿ ثم كلى من كل الثمرات ﴾ وقوله تعـالى ﴿ أزفت الآزفة ﴾ [٣] الآزفة اسم ليوم القيـامة . فهذا كقول امرئ القيس — لقـد طمح الطماح — وليس هذا كقولهم — أَمَرَ الآمِرُ — هـذا ليس بتجنيس .. وفى كلام النبى صلى الله عليه وسـلم (عصية عصت الله ورسوله . وغفار غفر الله لها . واسـلم سالمها الله) وقوله عليه الصلاة والسلام (الظلم ظلمات يوم القيمة) اخذه ابو تمام .. فقال

جَلاَ ظلمات الظلم عن وجه امَّةٍ   أَضَاءَ لَهَا من كوكب العدل آفله

وقيل له صلى الله عليه وسلم من المسلم .. فقال ﴿ من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ وقال معاوية لابن عباس رضى الله عنهم ما بالكم يا بنى هاشم تصابون فى ابصاركم .. فقال كما تصابون فى بصايركم [يا بنى امية] .. وقال صدقة * بن عامر وقد مات له بنون سبعة فرآهم قد سجوا اللهم انى مسلم مسلم .. وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك .. قال خالد بن صفوان بن الأهتم .. فقال الرجل ان اسمك لكذب ما خلد احد . وان اباك لصفوان وهو حجر . وان جدك لأهتم وان الصحيح خير من الأهتم .. قال خالد من اى قريش انت .. قال

[١] — ام النجوم — المجرة لانها مجتمع النجوم .. واشتبكت النجوم اى ظهرت جميعها واختلط بعضها ببعض لكثرة ما ظهر منها .. وجاء فى نسخة ام بالفتح من ام يؤم اى قصد ولا اراه صحيحاً

[٢] — تفسير الروح بالراحة هنا محفوظ عن الزجاج والمشهور من تفسير الاية بان الروح الرحمة وان الريحان الرزق على التشبيه .. وقال الازهرى وجائز ان يكون ريحـان هنا تحية لاهل الجنة

[٣] — أزف — اقترب وسميت القيامة بالآزفة لقربها وان استبعد الناس مداها

من بني عبدالدار .. قال فمثلك يشتم تميما في عزها وحسبها . وقد هشمتك هاشم . وامتك امية . وجمحت بك جمح . وخزمتك مخزوم . واقصتك قصي . فجعلتك عبد دارها . وموضع شنارها . تفتح لهم الابواب اذا دخلوا . وتغلقها اذا خرجوا ،، وقال رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم ﴿ لايكون ذوالوجهين عندالله وجيها ﴾ وكتب بعض الكتاب العذر مع‌التعذر واجب .. وقيل لبعضهم مابقي من‌نكاحك . قال ماتقطع حجتها ولاتبلغ حاجتها .. وروى عن عمر بن‌الخطاب رضي‌الله عنه انه .. قال هاجروا ولا تَهَجَّرُوا . اي لاتشبهوا بالمهاجرين من غير اخلاص .. وكتب بعض الكتاب قد رخصت الضرورة في‌الالحاح . وارجوا ان يحسن‌النظر كما احسنت الانتظار .. واخبرنا ابواحمد .. قال حكى‌لي محمد بن يحيي عن عبدالله بن‌المعتز .. قال قدّم في بعض المجالس اليّ صديق لنا بخور .. فقال له صاحب المجلس تبخر فانه نَدٌّ فلما استعمله لم يستطبه فقال هذا نَدٌّ عن‌الندّ .. ومثله ماحكى لنا ابواحمد عن‌الصولي ان ابراهيم بن‌المهدي .. زار صديقا له استدعى زيارته فوجده سكران فكتب في‌رقعة جعلها عند رأسه .

رُحْنا اليك وقد راحَتْ بك‌الراحُ

وروى بعضهم ان عبدالله بن * ادريس سئل عن‌النبيذ .. فقال جل امره عن‌المسئلة . اجمع اهل الحرمين على تحريمه .. وذم اعرابي رجلا .. فقال اذا سأل ألحف . واذا سُئل سوف . يحسد على‌الفضل . ويزهد في‌الافضال .. وكتب العتابي الى مالك بن طوق * اما بعد فاكتسب ادبا . تحى نسبا . واعلم ان قريبك من قرب منك خيره . وان ابن عمك من عمك نفعه . وان احب الناس اليك . اجداهم بالمنفعة عليك وقال آخر اللُّهى تفتح اللَّها .. واخبرنا ابوالقاسم عبدالوهاب بن ابراهيم الكاغدي .. قال اخبرنا ابو بكر العقدي .. قال اخبرنا ابوجعفرالخراز .. قال دخل فيروز حصين * على الحجاج وعنده الغضبان بن القبعثرى * فقال له الحجاج يافيروز زعم‌الغضبان ان قومه خير من قومك .. فقال اكذاك ياغضبان قال نعم .. فقال فيروز اصلح‌الله الامير اعتبر قومي وقومه باسمائهم .. هذا غضبان غضب‌الله عليه . والقبعثرى اسم قبيح من بني ثعلبة شرالسباع . ابن‌بكر شرالابل . ابن‌وائل له‌الويل . وانا فيروز فيروزبه . حصين حصن وحرز . والعنبر ريح طيبة . من بني عمرو عمارة وخير . من‌تميم تم . واما قومي خير من‌قومه وانا

خير منه [١] .. واخبرنا ابواحمد عن ابى بكر عن ابى حاتم * عن الاصمعى .. قال سمعت الحى يتحدثون ان جريرا .. قال لولا ماشغلنى من هذه الكلاب [٢] لشببت تشبيبا تحن منه العجوز الى شبابها .. ومن اشعار المتقدمين فى التجنيس .. قول امرئ القيس

لقد طَمَحَ الطمّاح من بُعْدِ أرضه ليُلْبِسَنِي من دآئه ماتلبّسا [٣]

[واخذه الكميت فقال]

[ونحن طمحنا لامرئ القيس بعدما رجا الملك بالطماح نَكْباً على نَكْب]

[وقال الفرزدق وذكر واديا]

[خفافُ اخفّ الله عنه سحَابَهُ وأوْسَعه من كلّ شاف وحاصب [٤]]

وقال زهير

كأن عينّى وقدسال السليلُ بهم وجيرة ماهم لو انّهم اَمَمُ [٥]

وقال الفرزدق

قد سال فى أسَلاتِنا أوْ عضَّه عضبٌ بضَرْبَتِهِ الملوكُ تُقَتَّلُ [٦]

وقال النابغة

واقطع الخرْقَ بالخرْقاءِ لاهِيَة [٧]

---

[١] — هكذا وقع لنا ضبط هذه الجملة على ثلاث نسخ .. غير انى وجدت فى احداهم عند قوله من بنى ثعلبة وشر السباع بن بكر وشر الابل ولم يتيسر لى الوقوف على النسخة الرابعة المحفوظة فى دار كتب المرحوم راغب باشا فلتحرر من مظانها

[٢] — يعنى بهم — الاخطل . والفرزدق . والبعيث . ممن كان يهاجيهم .. وقوله تشبيبا هكذا فى نسخة وفى اخرى شبابا

[٣] — طمح — نظر اليه من بعد — والطماح — رجل من بنى اسد بعثه قيصر الى امرئ القيس بحلة مسمومة . واختلف فى السبب الذى سمه قيصر من اجله واصح ماقيل فى ذلك هجوه له بقوله

لأنت اقلف الاماجنى القمر

[٤] — الحاصب — السحاب الذى يرمى بالبرد والثلج .. واورده فى النقد (من كل ساف وصاحب)

[٥] — قوله وجيرة — هكذا فى احدى نسخ الاصل ومثله فى النقد وباقى النسخ — وعبرة — وقوله السليل اى الوادى

[٦] — هكذا فى الاصل .. وفى مناقضاته مع جرير .. قدمات فى أسلاتنا اوعضه عضب برونقه الخ .. وكذا انشده فى اللسان — والأسلات جمع اسل الرماح وشاهده هذا البيت

[٧] — الخرق — الفلاة الواسعة — والخرقاء — الناقة وتقدم تفسيره ولم اقف على هذا الشطر فى المدون من شعر النابغة .. حتى وجدته فى الموازنة وقد نسبه لمسكين الدارمى وعجزه (اذا الكواكب كانت فى الدجى سرجا) وكذا اورده قدامة بن جعفر فى النقد

وقال غيره

على صَرْمآءَ فيها أصرماها وخِرّيتُ الفلاةِ بها مَليلُ [١]

وقال قيس * بن عاصم

ونحنُ حفزْنا الحوْفزانَ بطعنةٍ سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا [٢]

وقال

وقاظ اسيرا هانئٌ وكأنما مفارقُ مفروق تَغَشّيْنَ عَنْدَما [٣]

وقال امية بن ابى الصلت

فما أعتبَتْ فى النائبات مُعتَّبٌ ولكنّها طاشتْ وضلّت حلومُها

وقال اوس بن حجر

قد قلتُ للركْب لوْلا أنهم عَجِلوا عوجوا علىّ فحيوا الحىّ اوسيروا

وفيها

عِزٌّ غَرايِرُ أَبكارٌ نَشَأْنَ مَعاً خُشْنُ الخَلايِقِ عَمَّا يُتَّقَى زورُ

وفيها

---

[١] — قائله — مرار الفقعسى — والصرماء — المفازة التى لاماء فيها — والأصرمان — الذئب والغراب سميا بذلك لانصرامهما من الناس — والخريت — المتخرج وفى بعض النسخ بالحاء المهملة — وقوله مليل — قال ابن برى مليل ملته الشمس اى احرقته

[٢] — الحفز — الطعن بالرمح — والحوفزان — اسم الحرث بن شريك الشيبانى لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه فأعجله حكاه فى اللسان عن الجوهرى .. وقال قال ابن سيده سمى بذلك لان قيس بن عاصم التميمى حفزه بالرمح حين خاف ان يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمى بتلك الحفزة حوفزانا حكاه ابن قتيبة وانشد البيت منسوبا لجرير يفتخر بذلك . ونازعه فى هذه النسبة الجوهرى .. وثم تعقبه ابن برى .. فقال انما هو لسوار بن حبان المنقرى قاله يوم جدود .. وبعده

وحمران أدته الينا رماحنا ينازع غلا فى ذراعيه مثقلا

ورواه فى الاعجاز لقيس بن عاصم وابدل — سقته — بكسته وكذا فى رواية اللسان

[٣] — هكذا فى الاصل منسوبا لقيس بن عاصم .. وقال فى النقد هو من قول العوام فى يوم العظالى وقد جاء فى نسخة من الاصل وفاض اسيرا هابه الخ وكذا انشده فى النقد — وقاظ — من قولهم قاظ بالمكان اذا اقام به فى الصيف من القيظ اى الحر

لَكِنْ بِفرْتَاجَ فالْخَلْصَاءِ أبتَ بِهَا　　فَحَنْبِلٍ فَعُلَى سَرَّاءَ مَسْرُورُ [١]

وفيها

حَتَّى اشب لهنَّ الثَّوْرُ مِنْ كَثَبٍ　　فَأَرْسلوهُنَّ لمْ يدروا بما ثيروا

وقال الكميت

فَقُلْ لجذامٍ قد جذمتم وسيلةً　　الينا كمختار الردافِ على الرَّحْلِ

وقال طرفة

بحسام سيفك اوسنانك والْكَلِمْ

الاصل كأرغب الكلم .. وقال القخيف *

بخيل من فوارسها أختيال

وقال النعمان * بن بشير [لمعاوية]

الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا　　[ولَيْلُكَ عمّا نَابَ قومَكَ نائمُ]

وقال العبسى [٢]

[أبلغْ لديْك بنى سعد مُغَلْغَلَةً　　ان الذى بَيْنَهَا قَدْ ماتَ أوْ دَنفا]

[وذَاكُمُ انَّ ذُلَّ الجارحا لفَكُمْ]　　وان آنُفَكُمْ لا تَعْرِفُ الأنَفَا

وقال جُلَيْح بن سويد

أقْبَلْنَ من مضر يبارين البرا [٣]

وقال ذوالرمة

كَأَنَّ البُرى والعاج عيجت مُتُونُه　　[على عُشَرٍ نَهَّا بِهِ السيل أبطح] [٤]

---

[١] — فرتاج — موضع وقيل موضع فى بلاد طئ — والخلصاء — ماء فى البادية .. وقيل موضع .. وقيل موضع فيه عين ماء — والحنبل — موضع بين البصرة ولينة .. وجاء هذا البيت فى نسخة

لكن بفرتاخ فالخلصاء أنت بها　　فحنبل وعلا سرآء مسرور

[٢] — فى الموازنة .. وقول رجل من عبس (وذلكم ان ذل الجار حالفكم) الخ البيت وانشده فى النقد هكذا

ان ذل جاركم بالكره حالفكم　　وان آنفكم لايعرف الانفا

وانشده فى الاعجاز كما رواه المصنف

[٣] — فى الاعجاز (من مصر) بالصاد المهملة

[٤] — البرى — تقدم تفسيره — وقوله نها — كذا فى هامش اصح النسخ وقيده باشارة صح وفى الموازنة تهى — وفى النقد نهى بتقديم النون وليحرر

[وقال حيان بن ربيعة الطائى]

[لقد علم القبائلُ انَّ قومى ... لَهُمْ حَدّ اذا لبِسَ الحديدُ]

وقال القطامى

فَلَمَّا رَدَّهَا فى الشَّوْلِ شَالت ... بِذَيَّال يكونُ لَهَا لِفَاعَا [١]

وقال جرير

ومازال معقولاً عقالُ عن الندى ... ومازال محبوسا عن الخير حابس [٢]

وقال امرىءُ القيس

بِلَادٌ عَرِيضَةٌ وَأَرْضٌ أَرِيضَةٌ ... [مدافعُ غيث فى فضاءٍ عريضِ]

وقال آخر

وطيبُ ثِمارٍ فى رياضٍ أَرِيضَةٍ

وقال حميد الأرقط

مرتجز فى عارض عريض

ومن اشعار المحدثين .. قول الشاعر [٣]

وسميته يحيى ليحى ولم يكن ... الى رد أمر الله فيه سبيل

تيممت فيه الفأل حين رزقته ... ولم ادر ان الفأل فيه يفيل

وقال البحترى

نسيم الروض فى ريح شمال ... وصوب المزن فى راحٍ شمول

وهذا من احسن ما فى هذا الباب .. وقال ابو تمام

سعِدَت غربة النوى بسُعَاد ... فهى طوع الأتهام والأنجادِ

---

[١] — الشول — من النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها — والذيال — الطويلة الذيل

[٢] — انشده جامع ديوانه هكذا

فمازال معقولا عقالا عن العلى ... ومازال محبوساً عن المجد حابس

[٣] — اوردهما صاحب المعاهد فى قسم الجناس المستوفى ونسبهما لمحمد بن عبدالله بن كناسة الاسدى الكوفى وروى البيت الثانى هكذا

تفاءلت لو يغنى التفاؤل باسمه ... وماخلت فألا قبل ذاك يفيل

وهذا من الابتداآت المليحة .. وقال فيها

عَائِقٌ مُعْتِقٌ من اللوم إلا ... من معاناة مغرم اونجاد

ملّيتك الاحساب اىّ حياةٍ ... وحيا ازمة وحيّة وادِ

لو تراخت يداك عنها فواقا ... أكلتها الأيام اكل الجراد

كادت المكرمات تنهدّ لولا ... أنها أيّدت بجى ايادِ

وقال البحترى

راحت لاربعك الرياح مريضةً ... واصابَ مغناك الغمام الصيّبُ

وقال مسلم بن الوليد

لعبت بها حتى محت اثارها ... رَيْحَان رايحتان باكرتانِ

وقال آخر

[لا تُصْغَ لِلَّوْم ان اللوم تضليل ... وآشرب ففي الشرب للأحزان تحليل]

[فقد مضى القيظ وَاحتُثَّتْ رواحله] ... وطابت الراح لما آل أيلول

[لم يبق فى الأرض نَبْتٌ يشتكى مَرَهاً ... الا وناظره بالطلّ مكحول]

وقال اليزيدى * للاصمعى

وما أنت هَلْ أنت الا امرؤ ... اذا صحّ اصلك من باهله

وللباهلى على خبزه ... كتاب لآكله الاء كله

وقال آخر

قد بلغت الاشُدّ لاشدكا ... لله وجاوزته وانت مُليمُ [١]

وقال مسلم

يورى بزندك اويسعى بمجدك او ... يَفْرى بحدك كل غيرُ محدود

وقال

وليس يبالى حين يحتك جمرها ... صدود صَدآء واجتناب بنى جَنْب

---

[١] — نسخة — وانت مريب

وقال البحترى

لولا على بن مُرٍّ لاستمرّ بنا   خلفٌ من العيش فيه الصابُ والصَّبِرُ
بَرْد الحشى وهجير الروع محتفل   ومِسْعَرٌ وشهابُ الحرب يستعر
ألوى اذا شابك الاعداء كرّهم   حتى يروح وفى اظفاره الظفر
جافى المضاجع ماينفك فى لجب   يكاد يُقْمِرُ من لألآئه القمر

وقال

حيا الارض ألقت فوقه الارض ثقلها   وهول الا عادى فوقه الترب هايل
ستبكيه عين لا ترى الخير بعده   اذا فاض منها هامل عاد هامل

وقال الطائى

ورمى بثُغْرته الثغورَ فسدها   طلق اليدين مؤملا مرهوبا

وانشدنى العتبى

دنس القميص غليظه   من غزل لحمته سداه
وشعاره من شعره   فكأنه من مسك شاه[١]

وجنس ابوتمام اربع تجنيسات فى بيت واحد ولعلّه لم يسبق اليه وهو .. قوله

بجوافر حُفُر وصُلْب صُلّبِ   وأشاعر شُعْر وخُلْق أخْلَقِ

وقوله ايضا

لسلمى سلامان وعَمْرَة عامر   وهند بنى هند وسُعْدَى بنى سعدى

ومما جنس فيه تجنيسين .. قوله

فَقَصَلْن منه كل مجمع مَفْصل   وفعلن فاقرةً بكل فَقَار

ومن التجنيس ضرب آخر وهو ان تأتى بكلمتين متجانستى الحروف .. الا ان فى حروفها تقديما وتأخيرا .. كقول ابى تمام

بيض الصفائح لاسود الصحايف فى   متونهن جلاء الشك والريب

وقلت فى حية

---

[١] — نسخة — فى مسك شاه

منقوشة تحكي صدور صحايف　　　أبانَ يبدوا من صدور صفائح

وقيل لابنة الخُسّ [١] كيف زنيت مع عقلك .. فقالت طول السواد . وقرب الوساد ..

ومن التجنيس نوع آخر يخالف ماتقدم بزيادة حرف اونقصانه .. وهو مثل قول الله عز وجل ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ وقوله تعالى ﴿ كعرض السماء والارض ﴾ وقوله جل ذكره ﴿ والليل وماوسق والقمر اذا اتسق ﴾ وقوله سبحانه ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق و بما كنتم تمرحون ﴾ .. وكتب عبد الحميد الناس اخياف مختلفون . واطوار متباينون . منهم عِلْق مضنة لايباع . ومنهم غُلٌّ مظنة لايبتاع .. ورفع رجل هاشمي يسمى عبد الصمد صوته في مجلس المأمون عند مناظرة .. فقال المأمون لاترفعن صوتك ياعبد الصمد . ان الصواب في الاسد لاالاشدّ .. وكتب كافي الكفاة رحمه الله فأنت ادام الله عزك . وان طويت عنا خبرك . وجعلت وطنك وطرك . فانباؤك تأتينا . كما وشي بالمسك ريّاه . ودل على الصبح محياه .. وقال علي رضي الله عنه كل شئ يعز حين ينزر . والعلم يعز حين يغزر .. وقال بعضهم عليك بالصبر . فانه سبب النصر . ولاتخض الغمر . حتى تعرف الغور .. وقال آخر راش سهامه بالعقوق . ولوى ماله عن الحقوق . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة) .. ودعا علي بن عبد العزيز المافروخي * صاعد بن مخلد في يوم مطير . فتخلف عنه واعتذر اليه .. فكتب اليه علي . ماشق طريق. هدى الى صديق. وانما جعلت المماطر. لليوم الماطر. فركب اليه .. ومن المنظوم قول الاعشى

رّب حيّ اشقاهم آخر الدهـ　　　ـر وحّيٍ اسقاهم بسجال

وقوله

بلبون المعزابة المعزال [٢]

وقول اوس بن حجر :

اقول فأما المنكرات فأتقي　　　واما الشذا عني الملّم فأشذب [٣]

وقال امرئ القيس

بسامٍ ساهم الوجه حسان

---

[١] نسخة — ابنة الخس بالخاء المعجمة

[٢] — المعزابة — الناقة الطالبة الكلاء

[٣] — الشذا — بالذال المعجمة من الاذى وشاهده البيت — واشذب — القى

وقال ابن مقبل *

يمشين هيل النقا مالت جوانبه   يَنْهَالُ حينا وينهاه الثرى حينا

وقال زهير

هم يضربون حبيك البيض ان لحقوا   لاينكلون اذا ما استلحموا وحموا

وقال

فى متناه متناه كوكبه

وقال الحطيئة

وان كانت النعماء فيهم جَزَوْا بها   وان انعموا لا كدّورها ولا كدوا

وقال آخر

مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى القرى

وقال ابو ذويب (ذؤيب)

اذا ما الخلاجيم العلاجيم نكلوا   وطال عليهم حمثها واستعارها [١]

وقال آخر

على الهام منها قَيْضُ بيض مُفَلّقِ [٢]

وقال

كفّاه مخلفةٌ ومتلفة   وعطاؤه متخرقٌ جَزِلُ

ومن شعر المحدثين .. قول البحترى

من كل ساجى الطرف اغيدَ اجيدِ   ومهفهف الكَشْحَيْنِ أحوى احورِ

وقوله

فقف مُسْعداً فيهن ان كنت عاذرا   وسر مُبْعِدا عنهن ان كُنْتَ عاذلا

وقوله

سنان امير المؤمنين وسيفه   وسيب امير المؤمنين ونائله

---

[١] — هكذا فى سائر نسخ الاصل .. وانشده فى اللسان

اذا ما العلاجيم الخلاجيم نكلوا   وطال عليهم ضرسها وسمارها

قال — العلاجيم — الطوال (اى من الابل) ونقل عن الكلابى بانه شداد الابل وخيارها — والخلاجيم — اراد الخلاجم .. (والخلجم الجسيم العظيم) فأشبع الكسرة فنشأت بعدها ياء

[٢] — القيض — قشرة البيضة العليا اليابسة

وقوله

هل لما فات من تلاف تلافى   أو لشـاك من الصبابة شـافى

وقول ابى تمام

يمـدون من أيد عواص عـواصم   تصـول بأسياف قواض قواضب
اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا   صدور العوالى فى صدور الكتائب

وقوله

ولم ارى كالمعروف تدعى حقوقه   مغارم فى الاقوام وهى مغـانم

وقول الاخر

لله ماصنعت بنـا   تلك المحاجر فى المعاجر
امضى وانفذ فى القلو   ب من الخناجر فى الخناجر

وقلت

عذيرى من دهر موار موارب   له حسـنات كلهن ذنوب

وقلت

آفة السر من جفو   ن دوام دوامـع
كيف يخفى مع الدمو   ع الهوامى الهوامع

وقلت ايضا

خليفـة شهم كلما أسمحت محت   معالم جدب لم يطق محوها المطر

ومما عيب من التجنيس .. قول ابى تمام

أهْيَسُ ألْيَسُ لجـاء الى هِمَم   يُعَرِّفُ الهَيْسَ فى آذيِّها اللَّيْسَا [١]

---

[١] — هكذا رواية البيت فى اصح نسخ الاصل .. وفى نسخة

تغرق الاسد فى آذيها الليسا

وكذا جاء فى نسخة ديوانه .. قال فى الموازنة فانّ ابا تمام كان لعمرى يتتبعه (اى وحشى الكلام) ويتطلبه ويتعمد ادخاله فى شعره فمن ذلك قوله

اهلس اليس لجاء الى همم   تعرف الغيس فى آذيها الليسا

ثم قال ويروى ــ اهيس . اليس — والاهيس الجاد وهذه الرواية اجود — والهلاس ــ السلال من الهزال فكأن قوله اهلس يريد خفيف اللحم — والاليس — الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة وهو الذى لايكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر او يهلك .. وفى هامش احدى النسخ — اهيس — من صفة الاسد وهو المقدام ــ والاذى — الموج — والليسا — جمع أليس مثل ابيض

ومما عيب من التجنيس الاول .. قول ابى تمام ايضا

خان الصفا اخ خان الزمان اخا   عنه فلم تتخون جسمه الكمد

وقوله

قَرّتْ بقُرّان عَيْنُ الدين وانشترتْ   بالاشترين عيونُ الشرك فاصطُلما [١]

فهذا مع غثاثة لفظه وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر وهو ان انشتار العين لايوجب الاصطلام .. وقوله

ان من عق والديه لملعو   ن ومن عق منزلا بالعقيق

وقوله

خَشُنْتِ عليه أختَ بَنِى خُشَيْنِ

وهذا فى غاية الهجانة والشناعة .. وقد جاء فى اشعار المتقدمين من هذا الجنس نبذ يسير .. منه قول امرئ القيس

وسِنّ كَسُنَّيْقٍ سناءً وسُنّمًا   [ذَعَرْتُ بمدلاجِ الهجير نهوضُ][٢]

ولم يعرف الاصمعى وابو عمرو معنى هذا البيت .. وقال الاعشى

وقد غدوتُ الى الحانوت يتبعنى   شَاوٍ مِشَلٌّ شلولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ [٣]

---

[١] — قوله وانشترت — هكذا فى الاصول .. وفى ديوانه واشتترت اى استرخت عينه وانشقت — والاشتران — قائدان للمتعصم ابليا ذلك اليوم بلاءً حسنا

[٢] — قال فى الموازنة — ولم يعرف الاصمعى هذا .. وقال ابو عمرو هو بيت مسجدى اى من عمل اهل المسجد .. وقال الاصمعى — السن — الثور ولم يعرف سنيقا ولاسنما .. ويقال — سنيق — جبل ويقال اكمة — وسنم — ههنا البقرة الوحشية — سناء — اى ارتفاعا .. ويروى سناما — اى ارتفاعا ايضا من سنمت الجبل علوته .. ووجدت فى هامش نسخة — السنم — نوع من بقر الوحش — والسنيق — الصخرة — وقوله مدلاج — من دلج اى مشى ليس من ادلج كما زعم بعضهم قاله الوزير ابو بكر

[٣] — قال ابو بكر الوزير — الشاوى — الذى شوى — والشلول — الخفيف — والمشل — المطرد — والشلشل — الخفيف القليل وكذلك الشول والالفاظ متقاربة اريد بذكرها والجمع بينها المبالغة (نادرة) قال الامدى قرأ هذه القصيدة على ابى الحسن على بن سليمان النحوى قارئ فلما بلغ الى هذا البيت قال ابو الحسن صرع والله الرجل

تبعه مسلم بن الوليد .. فقال

سُلَّتْ وسَلَّتْ ثم سُلَّ سَلِيلُهَا　　فأتى سليلُ سـليلها مسلولا [١]

وقال ابو الغمر * [يصف السحاب]

[نَسَجَتْهُ الجنُوبُ وهى صَنَاعٌ　　فترقَّى كأنه حَبَشِيٌّ]
وقرى كل قَرْيَة كان يقرو　　ها قرىً لا يُجَفُّ منه قَرِيٌّ

وهذا مستهجن لا يجوز لمتأخر ان يجعله حجة فى أتيان مثله .. لان هذا وامثاله شاذ معيب والعيب من كل احـد معيب .. وانمـا الاقتدأ فى الصواب لا فى الخطأ .. وقد قال بعض المتأخرين ماهو اقبح من جميع مامر فى قوله وليس من التجنيس [٢]

ولا الضعفَ حتى يتبعَ الضعف ضعفُهُ　　ولا ضعفَ ضعفِ الضِّعفِ بل مثلُهُ ألفُ

وقوله

فقلقلتُ بالهمّ الذى قَلْقَلَ الحشى　　قلا قِلَ عيس كلُّهنَّ قـلا قلُ

وقيل لابى القمقام الا تخرج الى الغزاة بالمصيصة. فقال امصنى الله اذاً بظرامى .. ومن التجنيس المعيب قول بعض المحدثين .. انشده ابن المعتز

اكابد منكم اليم الأَلَمْ　　وقد انحلَ الجسم بَعْدَ الجَسَمْ

وقول الاخر

كم رأسِ رأسٍ بكى من غير مقلته　　دماً وتحسبُهُ بالقاع مُبْتَسِمَاَ

وقول [ابراهيم ابو الفرج *] البند نجى فى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

هى الجـاء آزر الا انهـا حـور　　كأنهـا صُـوَرٌ لكنهـا صُـورُ
نور الحجـال ولكن من معايبهـا　　اذا طلبت هواهـا أنهـا نورٌ

---

[١] — نسخة — بدل فأتى .. ففدا .. وفى نسخة ابدل فى سائر حروفها السين المهملة شينا معجمة ولا شك انه من تصحيف النسـاخ .. وفى نسخة ديوانه بدل وسلت .. فسلت وقال شـارحه يقول رققت بطول القدم ثم رقق رقيقها فأتى رقيق رقيقها مرققا (يعنى الخمر)

[٢] — قائله ابو الطيب المتنبي .. وكذا الذى بعده ولم اره فى نسخة ديوانه المطبوع

غيداآءَ لو بُلّ طرف البابليّ بهـا — لارتدّ وهـو بغيرالسحر مسحورُ
ان الرواح جلا رَوْحَ العراق لنـا — أصْـلا وقد فصَلَتْ من مكة العير
تشكوا العقوق وقدعق العقيق لها — وارض عُرْوَةَ من بطحـان فالنير
يحثّهـا كل زَوْل دأبه دأبْ — من طول شـوق وهجيراه تهجـير
مُقْوَرّةالاءَال من خَوْض الفلاة اذا — ما اعتمّ بالاءَال فى ارجائهـا القورُ

هذا البيت قريب من قول ابى تمام [١]

احطت بالحزم حَيْزُ وماً اخاهم — كشّاف طخياء لاضَيْقاً ولا حَرجا

وقال المخزومى فى طاهر بن الحسين [٢]

ولو رأى هَرِمُ معشـار نائله — لقيل فى هرم قد جنَّ أوهَرِما

الفصل الرابع من الباب التاسع

فى المقابلة

المقابلة ايرادالكلام ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ على جهةالموافقة اوالمخالفة .. [٣] فاما ما كان منها فى المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل .. مثاله قول الله تعالى ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾ فخوآء بيوتهم وخرابهـا بالعذاب مقابلة لظلمهم .. ونحو قوله تعـالى ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا ﴾ فالمكر من الله تعـالى العذاب جعله الله عزوجل مقـابلة لمكرهم بانبيائه واهل طاعته .. وقوله سبحانه ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴾ ومن ذلك قول تأبط شرا

اهُزّبه فى نَدْوَةَ الحىّ عِطْفَهُ — كماهَزَّ عطفى بالهجان الأوارك

[١] — هكذا فى نسختين .. وفى نسخة .. وقال ابوتمام
[٢] — نسخة .. وقال المهزمى .. وعندهـا اشـارة الصحة
[٣] — نسخة — بمثله فى المعنى اواللفظ على جهة الموافقة والمخالفة

وقول الاخر [١]

ومن لو أراه صاديا لسقيته ومن لو رآنى صاديا لسقانى
ومن لو أراه عانيا لفديته ومن لو رآنى عانيا لفدانى

فهذا مقابله باللفظ والمعنى .. واما ما كان منها بالالفاظ .. فمثل قول عدى بن الرقاع

ولقد تبيت يد الفتاة وسادة لى جاعلا احدى يدى وسادها

وقال عمرو بن كلثوم

ورثناهن عن اباء صدق ونورثها اذا متنا بنينا

ومن النثر .. قول بعضهم فان اهل الرأى والنصح . لايساويهم ذوو الافن والغش . وليس من جمع الى الكفاية الامانة . كمن اضاف الى العجز الخيانة .. فجعل بازآء الرأى الأفن وبأزاء الامانة الخيانة فهذا على وجه المخالفة .. وقيل للرشيد ان عبدالملك بن صالح يعد كلامه فانكر ذلك الرشيد .. وقال اذا دخل فقولوا له ولد لامير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعلوا .. فقال سرك الله ياامير المؤمنين فيما سآءك . ولاساءك فيما سرك . وجعلها واحدة بواحدة . ثواب الشاكر . واجر الصابر .. فعرفوا ان بلاغته طبع .. وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث * الى يحى بن خالد يستعفيه من عمل.. شكرى لك على ما اريد الخروج منه . شكر من نال الدخول فيه .. وكتب بعض الكتاب الى رجل فلوان الاقدار اذا رمت بك فى المراتب الى اعلاها . بلغت بك من افعال السودد منتهاها . لوازنت مساعيك . مراقيك . وعادلت النعمة عليك . النعمة فيك . ولكنك قابلت رفيع المراتب . بوضيع الشيم . فعاد علوك بالاتفاق . الى حال دونك بالاستحقاق . وصار جناحك فى الانهياض . الى مثل ماعليه قدرك فى الانخفاض . ولاعجب ان القدر أذنب فيك فأناب . وغلط بك فعاد الى الصواب . فاكثر هذه الالفاظ مقابلة .. وقال الجعدى [٢]

فتًى كان فيه مايَسُرُّ صديقَه على انَّ فيه ماتَسُوءُ ألاعاديا

---

[١] — قائلهما — عروة بن حزام .. ويروى — فانيا — بدل عانيا

[٢] — اورده الطائى فى الحماسة .. واورد بعده

فتىً كملت خيراته غير انه جواد فما يبقى من المال باقيا

قال الخطيب التبريزى فى الشرح موضع — فتى — فى البيتين جميعا نصب على الاختصاص كأنه قال اذكر فتى هذه صفته ولايمتنع ان يكون موضعه رفعا على انه خبر مبتدا محذوف .. وقوله — كان فيه — اورده فى الاعجاز فتى تم فيه الخ

وقال آخر

واذا حديث سأني لم اكتئب ‌ ‌ ‌ ‌ واذا حديث سرني لم آشر [١]

وهذا في غاية التقابل ،، ومن مقابلة المعاني بعضها لبعض وهو من النوع الذي تقدم في اول الفصل .. قول الاخر

وذى اخوة قطّعتُ اقران بينهم ‌ ‌ ‌ ‌ كما تركوني واحـداً لاأخاليا

وقول الاخر [٢]

اسرناهم وانعمنا عليهم ‌ ‌ ‌ ‌ وأسقينا دماءهم التُرابا

فما صبروا لبأس عند حرب ‌ ‌ ‌ ‌ ولا ادوا لحسن يد ثوابا

فجعل بازآء الحرب ان لم يصبروا وبازاء النعمة ان لم يثيبوا فقابل على وجه المخالفة : وقال آخر

جزى الله عنّا ذات بَعْل تصدقتْ ‌ ‌ ‌ ‌ على عَزَبٍ حتى يكونَ له أهْلُ

فانّا سنجزيها بمثل فِعَالِها [٣] ‌ ‌ ‌ ‌ اذا ما تزوجنا وليس لها بَعْلُ

فجعل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزب ووصاله اياها في حال عزبتها كوصالها اياه في حال عزبته . فقابل من جهة الموافقة .. ومن سؤ المقابلة .. قول امرئ القيس

فلو انها نفس تموت سويّةً ‌ ‌ ‌ ‌ ولكنّها نفس تُساقطُ انفسا

ليس — سويّة — بموافق — لتساقط — ولا مخالف له . ولهذا غيره اهل المعرفة فجعلوه جميعة [٤] لانه بمقابلة تساقط اليق .. وفساد المقابلة ان تذكر معنى تقتضى الحال ذكرها توافقه او تخالفه فيؤتى بما لا يوافق ولا يخالف .. مثل ان يقول فلان شديد البأس. نقي الثغر. أوجواد الكف . ابيض الثوب .. اوتقول ماصاحبت خيرا . ولا فاسقا . وما جاءني احمر . ولا اسمر .. ووجه الكلام ان تقول ماجاءني احمر ولا اسود . وما

---

[١] — الاشر — المرح والبطر .. وقد وقعت هنا بعد الالف في سائر الاصول وكذا في النقد وخالفهما في الاعجاز فرواه هكذا (واذا حديث سرني لم أسرر) فليحرر

[٢] — نسبهما في النقد للطرماح بن حكيم .. وقول المصنف (ان لم يثيبوا) الذي في النقد .. وبازاء ان انعموا عليهم ان يثيبوا .. فتأمل

[٣] — في النقد — فانا سنجديها كما فعلت بنا — والجدا — العطية

[٤] — قوله فجعلوه جميعة — هي رواية الاصمعي وقوله — تساقط — قال الوزير ابو بكر بضم التاء ومعناه يموت بموتها بشر كثير

صاحبت خيراً ولاشريرا . وفلان شديد الباس . عظيم النكاية . وجواد الكف . كثير العرف .. ومايجرى مع ذلك لان السمرة لاتخالف السواد غاية المخالفة .. ونقاء الثغر لايخالف شدة البأس ولا يوافقه فاعلم ذلك وقس عليه .. ومما يقرب من هذا .. قول ابى عدى القرشى *

يابنَ خيرالأخيار من عبد شمس ‏ ‏ ‏ ‏ انتَ زينُ الورى وغيثُ الجنـود

فوضع زين الورى مع غيث الجنود فى غاية السماجة .. وقريب منه .. قول الآخر

خَوْدٌ تكامل فيها الدّلُّ والشنبُ

ومثله قول ابى تمام

وزير حق ووالى شرطة ورحى ‏ ‏ ‏ ‏ ديوان ملك وشيعىّ ومحتسب

ومن مختار المقابلة وكان ينبغى تقديمه فلم يتفق .. ماكتب الحسن بن وهب . لاترض لى بيسير البر . فانى لم ارض لك بيسير الشكر . ودع عنى مؤونة التقاضى . كما وضعت عنك مؤونة الالحاح . واحضر من ذكرى فى قلبك . ماهو اكفى من قعودى بصدرك . فأنى احق من فعلت به . كما انك احق من فعله بى . وحقق الظن . فليس وراءك مذهب . ولاعنك مقصر ،،

﴿ الفصل الخامس من الباب التاسع ﴾

فى صحة التقسيم

التقسيم الصحيح ان تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع انواعه ولا يخرج منها جنس من اجناسه .. فمن ذلك قول الله تعالى (هوالذى يريكم البرق خوفا وطمعا) وهذا احسن تقسيم لان الناس عند رؤية البرق بين خايف وطامع ليس فيهم ثالث ،،

ومن القسمة الصحيحة : قول اعرابى لبعضهم النعم ثلاث . نعمة فى حال كونها . ونعمة ترجى مستقبلة . ونعمة تأتى غير محتسبة . فابقى الله عليك ما انت فيه . وحقق ظنك فيما ترتجيه . وتفضل عليك بما لم تحتسبه : فليس فى اقسام النعم التى يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى هذه الاقسام .. ووقف اعرابى على مجلس الحسن . فقال رحم الله عبدا

اعطى من سعة . أو آسى من كفاف . أو آثر من قلة . فقال الحسن ماترك لاحد عذراً : فانصرف الاعرابى بخير كثير .. وقول ابراهيم بن العباس وقسم الله تعالى عدوه اقساما ثلاثة. روحا معجلة الى عذاب الله . وجثة منصوبة لاولياء الله . ورأساً منقولا الى دار خلافة الله .. ليس لهذه الاقسام رابع ايضا فهى فى نهاية الصحة .. ومن المنظوم قول نصيب

فقال فريقُ القوم لا وفريقهم　　نَعَمْ وفريقٌ لايْمُنُ الله ماندرى [١]

فليس فى اقسام الاجابة عن المطلوب اذا سئل عنه غير هذه الاقسام .. قال الشماخ

متى ماتقع أرساغه مطمئنّةً　　على حجر يرفَضّ اويتدحرجِ [٢]

والوطء الشديد اذا صادف الموطوء رخواً ارفضّ منه اوصلبا تدحرج عنه .. وقول الاخر

يا أسْمَ صبراً على ما كان من حَدَثٍ　　انّ الحوادثَ مَلْقِيّ ومُنْتَظَرُ

وليس فى الحوادث الاملاقى اوانتظر لقيه .. وقول الاخر [٣]

والعيش شُحٌّ واشفاقٌ وتأميل

وكان عمر رضى الله عنه يتعجب من صحة هذه القسمة .. وقول زهير

فان الحق مقطعُهُ ثلاثٌ　　يمينٌ اونفَارٌ اوجلآءُ [٤]

[فذلكم مقاطعُ كلِّ حق　　ثلاثٌ كُلُّهُنَّ لكم شِفآء]

[١] — هكذا فى نسختين من الاصل .. وفى نسخة بحذف الف الوصل من قوله — أيمن الله — قال فى اللسان — وأيمن — اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل عند اكثر النحويين ولم يجئ فى الاسماء ألف وصل مفتوحة غيرها .. ثم قال وقد تدخل عليه اللام لتأكيد الابتداء تقول — ليمن الله — فتذهب الالف فى الوصل وانشد بيت نصيب هكذا

فقال فريق القوم لما نشدتهم　　نعم وفريق ليمن الله ماندرى

ووجدت قدامة اورده فى الباب المذكور من النقد هكذا

فقال فريق القوم لا وفريقهم　　نعم وفريق قال ويحك لاأدرى

[٢] — فى غير اصول الكتاب — متى وقعت ارساغه الخ والبيت يصف فيه صلابة سنابك الحمار وشدة وطئه على الارض

[٣] — قائله عبدة بن الطبيب .. وصدره (والمرء ساعٍ لامرٍ ليس يدركه)

[٤] — فى هامش نسخة .. قوله يمين الخ — اى يحلفون انهم لم يفعلوا اويتنافروا الى حاكم يحكم بينهم اويكشفوا الامر حتى ينجلى اى يفضح والجلية الامر البين الواضح ومنه الجلاء كل مايجلو البصر

وكان يعجب ايضا بهذا البيت ويقول لو ادركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته .. ومن عيوب القسمة .. قول بعض العرب

سقاه سقيتين الله سقياً ... طهوراً والغمامَ يرى الغماما

فقال — سقيتين — ثم قال — سقيا طهورا — ولم يذكر الاخرى وقيل اراد فى الدنيا وفى الآخرة وهذا مردود لان الكلام لا يدل عليه .. وقول عبيدالله بن سليم [١]

فهبطتِ غيثا ما يُفزّعُ وحشُهُ ... من بين مِسْرَبِ ناوئ وكَنُوسُ

فقسم قسمة ردئية .. لانه جعل الوحش بين سمين وداخل فى كناسه .. وكان ينبغى ان يقول — من بين سمين وهزيل — او بين كانس وظاهر — ويجوز ان يكون السمين كانساً وراتعا والكانس سمينا وهزيلاً .. وما اعرف لهذا شبها الاقول كيسان حين سأل .. فقال علقمة بن عبدة . جاهلى اومن بنى تميم .. ومثله ما كتب بعضهم فمن بين جريح مضرج بدمائه . وهارب يلتفت الى ورائه . فالجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا .. ولو قال فمن قتيل لصح المعنى . ومثله قول قيس بن الخطيم

وسلوا ضريحَ الكاهنَينِ ومالكاً ... كم فيهُمُ من دَارع ونجيبِ

ليس — الدارع من النجيب — بشئ [٢] وقريب منه .. قول الاخطل

اذا التقتِ الابطالُ أبصرتَ لَوْنَه ... مضيئا واعناقُ الكماةِ خضوعُ

كان ينبغى ان يقول وألوان الكماة كاسفة .. ومضيئه مع خضوع ردئ جدا .. ومن القسمة الردئية قول جرير

صارتْ حنيفة اثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلثٌ من موالينا

فانشده ورجل من حنيفة حاضر .. فقيل له من اى قسم انت .. فقال من الثلث الملغى ذكره ..

ومن هذا الجنس ماذكره قدامة .. ان ابن ميادة كتب الى عامل من عماله هرب

---

[١] — فى نسخة — عبيدالله بن سليمان .. وقوله — ناوئ — اى سمين .. يقال نوئ اذا سمن .. قاله فى النقد وسمى قائله عبدالله بن سليم الغامدى ورواه سربا بدل غيثا وسرب بدل مسرب فليحرر

[٢] — نسخة — ليس النجيب من الدارع فى شئ

من صارفه . انك لاتخلوا فى هربك من صارفك . ان يكون قدمت اليه اساءة خفته معها . او خشيت فى عملك خيانة رهبت بكشفه اياك عنها . فان كنت اسأت

فأول راضى سنّةً من يسيرها [١]

وان كنت خفت خيانة فلا بد من مطالبتك بهـا .. فكتب العامل تحت هذا التوقيع .. فى الاقسام مالم يدخل فيما ذكرته. وهو انى خفت ظلمه اياى بالبعد عنك . وتكثيره على الباطل عندك . فوجدت الهرب الى حيث يمكننى فيـه دفع مايتخرصه ألنى للظنة عنى . وبعدى عمن لايؤمن ظلمه اولى بالاحتياط لنفسى ،،

ومن القسمة الرديئة ايضا .. قول ابن القرية . الناس ثلاثة عاقل . واحمق. وفاجر. فالفاجر يجوز ان يكون احمق ويجوز ان يكون عاقلا . والعـاقل يجوز ان يكون فاجرا وكذلك الاحمق واذا دخل احدالقسمين فى الآخر فسـدت القسمة .. كقول امية بن ابى الصلت

لله نعمتنا تبـارك ربُّنـا   ربُّ الانام ورب من يتأبد [٢]

داخل فى الانام من يتأبد .. وكذلك قول الاخر

أبادر اهلاك مستهلك   لمالى وان عبث العابث

فعبث العابث داخل فى اهلاك المستهلك .. وكذلك قول الاخر

فمـا برحت تومى اليك بطرفهـا   وتومض احيانا اذا طرفها غفل [٣]

فتومى وتومض واحد .. وقول جميل

لوكان فى قلبي كقدر قلامة   حب وصلتك أوأتتك رسائلى

---

[١] — عجز بيت لم اقف على قائله وصدره (فلا تجزعن من سنة أنت سرتها)

[٢] — قال قدامة فى النقد .. ليس يجوز ان يكون اراد بقوله — من يتأبد — الوحش لان من لاتقع على الحيوان غير الناطق .. واذا كان الامر على هذا — فمن يتـأبد — يتوحش داخل فى الانام .. اويكون اراد بقوله يتأبد اى يتفوت من الابد وذلك داخل فى الانام

[٣] — نسخة — خصمهـا .. بدل قوله طرفها .. وكذا رواه فى النقد وروى — الى — بدل قوله اليك

فأتيان الرسائل داخل في الوصل .. ومن ذلك ايضا ما كتب بعضهم ففكرت مرة في عزلك. ومرة في صرفك وتقليد غيرك .. وفي فصل آخر كتب هذا الرجل الى عامل .. فتارة تسرق الاموال وتختزلها . وتارة تقتطعها وتحتجبها .. فمعنى الجزءين واحد

الفصل السادس من الباب التاسع

في صحة التفسير

وهو ان يورد معاني فيحتاج الى شرح احوالها فاذا شرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني [١] من غير عدول عنها اوزيادة تزاد فيها .. كقول الله تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ فجعل السكون لليل . وابتغاء الفضل للنهار. فهو في غاية الحسن. ونهاية التمام .. ومن النثر ما كتب بعضهم .. ان الله عزوجل نعما. لو تعاون خلقه على شكر واحدة منها لافنوا اعمارهم قبل قضاء الحق فيها . ولي ذنوب لو فرقت بين خلقه جميعا . لكان كل واحد منهم عظيم الثقل منها . ولكنه يستر بكرمه . ويعود بفضله. ويؤخر العقوبة انتظاراً للمراجعة من عبده . ولا يخلي المطيع والعاصي من احسانه وبره .. فذكر جملتين وهما نعم الله تعالى وذنوب عبده ثم فسر كل واحدة منهما مرتين تفسيرا صحيحا .. قوله يستر بكرمه راجع الى الذنوب وقوله يعود بفضله راجع الى النعم فاستوفى .. ثم قال ويؤخر العقوبة فهذا ايضا راجع الى الذنوب .. وقوله — ولا يخلي المطيع والعاصي من احسانه وبره راجع الى النعم فهو تفسير صحيح في تفسير صحيح .. ومن ذلك قول بعض اهل الزمان وقد كتب اليه بعض الاشراف كتابا وسأله ان يصلح ما يجد فيه من سقم .. فكتب اليه فاما مارسمه من سد ثلمه . وجبر كسره . ولم شعثه . فاي ثلم يوجد في اديم السماء . واي كسر يلفى في حاجب ذكاء . واي شعث يرى في الزهرة الزهراء .. ففسر الثلاثة ولم يغادر منها واحدا . ومثاله من المنظوم .. قول الفرزدق

لقد جيئت قوما لو لجأت اليهم   طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لالفيت فيهم معطياً أو مطاعناً   وراءك شزرا بالوشيج المقوم

---

[١] — نسخة — وهو ان يورد معنى يحتاج الى شرح احواله فاذا شرحت تأتي بتلك المعاني في الشرح الخ

ففسر قوله — حاملا ثقل مغرم — بقوله — تلقى فيهم من يعطيك — وقوله طريد دم بقوله — تلقى فيهم من يطاعن دونك — وقال ابن مطير فى السحاب

وَلَهُ بلا حزن ولا بمسرة ضَحِك يراوح بينه وبكاء [١]

وقول المقنع

لاتضجرنّ ولا يدخلك معجزة فالنجح يهلك بين العجز والضجر

وضرب منه قول صالح بن جناح اللخمى *

لئن كنت محتاجا الى الحلم انى الى الجهل فى بعض الاحايين احوج

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوّم ومن رام تعويجى فانى معوج

وقول سهل بن هرون [٢]

فواحسرتا حتى متى القلب موجع بفقد حبيب اوتعذر افضال

فراق حبيب مثله يورث الاسى وخلة حرّ لايقوم لها مالى

وقال آخر

شبه الغيث فيه والليث والبدر فَسَمْحٌ ومُحْرِبٌ وجميل

وقلت

كيف أسلوا وأنت حقفٌ وغصن وغزال لحظاً وردفاً وقدّا [٣]

وقال آخر

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومِعْصَمِ

ومن عيوب هذا الباب ماانشده قدامة

فيا ايها الحيران فى ظلمة الدجى ومن خاف ان يلقاه بَغْيٌ من العدا

تعال اليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحراً من الندا

وكان يجب ان يأتى بازاء بغى العدى بالنصرة او بالعصمة او بالوزر اوما يجانس ذلك مما يحتمى به الانسان كما وضع بازاء الظلمة الضياء .. فاما اذا وضع بازاء مايتخوف من بغى العدا

---

[١] — نسخة — يؤلف .. بدل يراوح

[٢] — هكذا وقع اسمه فى سائر الاصول .. وفى النقد سهل بن مهران وانشدهما

[٣] — الاحقف — الخميص من الجمال

بحراً من الندى فليس ذلك تفسيرا لذلك .. ومن فساد التفسير .. ما كتب بعضهم .. من كان لا ميرالمؤمنين كما انت له من الذب عن ثغوره . والمسارعة الى ما يهيب به اليه من صغير امره وكبيره. كان جديرا بنصح اميرالمؤمنين فى اعماله . والاجتهاد فى تثمير امواله .. فليس الذى قدّم من الحال التى عليها هذا العامل من الذب عن الثغور والمسارعة فى الخطوب ما سبيله ان يفسر بالنصح فى الاعمال وتثمير الاموال .. ولعله لو اضاف الى ذكر الذب عن الثغور ذكر الحياطة فى الامور لكان بهذا المضاف يجوز ان يُفسر بالنصح فى الاعمال والتثمير للأموال

الفصل السابع من الباب التاسع

فى الاشارة

الاشارة ان يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها . ولمحة تدل عليها [١] وذلك كقول الله تعالى ﴿ اذ يغشى السدرة مايغشى ﴾ وقول الناس لو رأيت عليا بين الصفين .. فيه حذف واشارة الى معان كثيرة . واخبرنا ابو احمد .. قال اخبرنا ابو بكر الصولى .. قال اخبرنا الحزنبل * قال لما ولى المهتدى بالله وزارته سليمان بن وهب .. قام اليه رجل من ذى حرمته .. فقال اعزالله الوزير . خادمك المؤمل لدولتك . السعيد بايامك . المنطوى القلب على مودتك . المبسوط اللسان بمدحتك . المرتهن الشكر بنعمتك . وانما انا كما قال القيسى . مازلت امتطى النهار اليك . واستدل بفضلك عليك . حتى اذا اجننى الليل . فقبض البصر . ومحا الاثر . قام بدنى . وسافر املى . والاجتهاد عذر. واذا بلغتك فقط .. فقال سليمان لابأس عليك فانى عارف بوسيلتك. محتاج الى كفايتك. ولست أوخر عن يومى هذا توليتك. بما يحسن عليك اثره . ويطيب لك خبره . ان شاءالله .. فقوله — واذا بلغتك فقط — اشارة الى معان كثيرة يطول شرحها .. وكتب آخر الى آخر اتعيرنى وانا انا . والله لازرّن عليك الفضاء .

[١] — فى هامش احدى النسخ ملحق بغير اشارة الصح هذه العبارة .. كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال هى لمحة دالة .. ثم وجدتها بحروفها فى النقد ومن حيث لها رابطة بالاصل نبهت عليها

ولابغضنك لذيذ الحياة . ولاحبين اليك كريه الممات .. ما اظنك تربع على ظلعك . وتقيس شبرك بفترك . حتى تذوق وبال امرك . فتعتذر حين لاتقبل المعذرة . وتستقيل حين لاتقال العثرة .. فقوله — وانا انا — اشارة الى معان كثيرة وتهديد شديد وايعاد كثير .. ومن المنظوم قول امرئ القيس

فأن تهلك شَنُوءَةُ اوتبدّلْ ‏ فَسيرى انّ في غسّانَ حالا

بعِزّهم عززت وان يذلوا ‏ فذُلهم انا لك ما أنالا

فقوله — ان في غسان حالا [٢] وانا لك ما انا لا — اشارة الى معان كثيرة وضرب منه .. قوله

على سابح يعطيك قبل سؤآله ‏ افانين جرى غير كزّ ولا وان

فقوله — افانين جرى — مشار به الى معان لوعدت لكثرت وضم الى ذلك جميع اوصاف الجودة في قوله — يعطيك قبل سؤآله — وانشدنا ابو احمد لبعضهم

لم آت مطلّباً الا لمطلّب ‏ وهمةٌ بلغت بى افضل الرتب

اعملت عيسى الى البيت العتيق على ‏ ما كان من دأب فيها ومن نصب

حتى اذا ماانقضى حجى ثنيت لها ‏ فضل الزمام فأمت سيدالعرب

هذا رجائى وهذى مصر معرضة ‏ وأنت أنت وقدناديت من كثب

فقوله — أنت أنت — مشار به الى نعوت من المدح كثيرة .. ومن هذا .. قول ابى نواس

أنت الخصيب وهذه مصر

---

[٢] — هكذا في الاصول — حالا — بالمهملة ولم اجدهما في المطبوع من ديوانه والذى في النقد خالاً بالمعجمة .. وعبارته .. فبينة هذا الشعر على ان ألفاظه مع قصرها قد اشير بها الى معان طوال فمن ذلك قوله تهلك أو تبدل ومنه قوله ان في غسان خالا ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله انالك ما انالا — وقوله شنوءة — قال ابن السكيت ازد شنؤة بالهمز على فعولة ممدودة ولايقال شنوّة .. وحكى في اللسان عن ابو عبيد الرجل الشنؤة الذى يتقزز من الشئ قال واحسب ان ازد شنوءة سمى بهذا ثم حكى عن الليث ان ازد شنؤة اصح الازد اصلا وفرعا

الفصل الثامن من الباب التاسع

فى الارداف والتوابع

الارداف والتوابع ان يريد المتكلم الدلالة على معنىً فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ويأتى بلفظ هو ردفه وتابع له فيجعله عبارةً عن المعنى الذى اراده .. وذلك مثل قول الله تعالى ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ وقصور الطرف فى الاصل موضوعه العفاف على جهة التوابع والارداف .. وذلك ان المرأة اذا عفت قصرت طرفها على زوجها .. فكان قصور الطرف ردفا للعفاف والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف .. وكذلك قوله تعالى ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ وذلك ان الناس يتكافون عن الحرب من اجل القصاص فيحيون فكأن حياتهم ردف للقصاص الذى يتكافون عن القتل من اجله .. ونحوه قول الشاعر

وفى العِتَاب حَياة بَيْن اقوام

ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الفَرَع (فقال حق وأن تتركه حتى يكون أبن مخاض او أبن لبون خير من ان تُكْفِئُ اناءك وتُوله ناقتك وتدعه يلصق لحمه بوبره) — الفرع — اول شئ تنتجه الناقة وكانوا يذبحونه لله عزوجل[١] .. فقال هو حق الا انه ينبغى ان يترك حتى يكون ابن مخاض او ابن لبون فيصير للحمه طعم .. وقال هو خير من ان تكفاء اناك فهذا من الارداف .. اراد انك اذا ذبحته حين تضعه امه بقيت الام بلا ولد ترضعه فانقطع لبنها فردف ذلك ان يخلو اناؤك من اللبن فكأنك قد كفاءته ومثله .. قول امرئ القيس

وأفْلَتَهُنّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً ... وَلَوْ أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ

اى لو ادركنه يعنى الخيل قتلنه واستقن ابله فصفرت وطابه ومن ذلك .. قول الاعشى

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذلك اليَوْ ... م وأسْرى من مَعْشرٍ أقْيالِ[٢]

— الرفد — القدح [العظيم] الضخم يقول استقت الابل فخلا الرفد فكأنك قد

[١] — هكذا لفظ الحديث فى الاصول .. والذى فى النهاية وغيرها .. خير من ان تذبحه يلصق لحمه بوبره باسقاط لفظة وتدعه .. وقوله — وتوله ناقتك — اى تجعلها والهة بذبح ولدها .. وفى نسخ الاصل وتولد ناقتك .. ولعله من تحريف النساخ

[٢] — علباء — اسم رجل .. وهو علباء بن حارث الكاهلى — والجريض — الذى يأخذ بريقه من الجرض وهو الغصص بالريق — وقوله ادركنه — بالنون هى رواية الاصول ونسخة ديوانه .. وفى اللسان — ادركته — بالتاء مع رفعها فليحرر

هرقته .. ومن الارداف قول المرأة لمن سألته .. اشكوا اليك قلة الجرذان .. وذلك ان قلة جرذان البيت ردف لعدم خيره .. ويقولون — فلان عظيم الرماد — يريدون [انه] كثير الاطعام للاضياف .. لان كثرة الاطعام يردف كثرة الطبخ ومن المنظوم .. قول التغلبي

وكل أناس قاربوا قَيْدَ فحلهم   ونحنُ خلعنا قَيْدَهُ فهو سَارِبُ

اراد ان يذكر عز قومه فذكر تسريح الفحل في المرعى والتوسيع له فيه .. لان هذه الحال تابعة للعزة رادفة للمنعة .. وذلك ان الاعداء لعزهم لايقدمون عليهم فيحتاجون الى تقييد فحلهم مخافة ان يساق فيتبعه السرح .. ومن ذلك قول الآخر

ومهما فِيَّ من عَيْبٍ فانّي   جبانُ الكلب مهزول الفصيل

يعني ان كلبه يضرب اذا نبح على الاضياف فيردف ذلك جبنه عن نبحهم وان اللبن الذي يسمن به الفصيل يجعل للأضياف فيردف ذلك هزال الفصيل .. وقول الاخر

وكل أناسٍ سَوْفَ تدخلُ بينهم   دُوَيْهِيَّةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

يعني الموت فعبر عنه باصفرار الانامل لأنها تصفر من الميت فكأن اصفرارها ردف .. وقول امرئ القيس

ويضحى فَتيتَ المسك فوقَ فراشها   نؤوُمُ الضحى لَمْ تَنْتَطِقْ عن تفضُّلِ

اراد انها مكفية ونؤمة الضحى وترك الانتطاق للخدمة يردفان الكفاية فعبر بهما عنها واراد ايضا انها من اهل الترفه والنعمة فتستعمل المسك الكثير فينتثر في فراشها .. وهذه الحال تردف الترفه والنعمة .. وقول عمر بن ابي ربيعة

بعيدةُ مَهْوَى القرط امّا لنوفلٍ   ابوها واما عبدُ شمسٍ وهاشم

فاراد ان يصف طول عنقها فاتى بما دل عليه من طول مهوى القرط وبعد مهوى القرط ردف لطول العنق .. وقول الخنساء [١]

ومُخَرَّقٍ عنه القميصُ تخَالَهُ   بين البيُوتِ من الحياءِ سقيما

ارادت وصفه بالجود فجعلته مخرق القميص لان العفاة يجذبونه — فتمزيق قميصه — ردف لجوده .: وقول الشاعر

طويلُ نجَادِ السّيفِ لا متضائلٍ   ولا زَهِلٌ لبَّاتُهُ وأبادِلُهْ

---

[١] — يروى — لليلى الاخيلية .. وهو المعروف وكذا نسبه قدامة وغيره

اراد وصفه بطول القامة فذكر طول نجاده لان طوله ردف لطول القامة .. وقد ادخل بعض من صنف فى هذا امثلة باب الارداف فى باب المماثلة وامثلة باب المماثلة فى باب الارداف فافسد البابين جميعا فلخصت ذلك وميزته وجعلت كلا فى موضعه وفيه دقة واشكال

الفصل التاسع من الباب التاسع

فى المماثلة

المماثلة ان يريد المتكلم العبارة فيأتى بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر .. الا انه ينبئى اذا اورده عن المعنى الذى اراده .. كقولهم — فلان نقى الثوب — يريدون به انه لاعيب فيه .. وليس موضوع نقاء الثوب البرآء من العيوب وانما استعمل فيه تمثيلا .. وقال امرئ القيس

ثيابُ بنى عوف طَهَارُ نقيَّةٌ　　　وَأَوْجُهُهُمْ غرّ المشاهد غُرَّانِ [٢]

وكذلك قولهم — فلان طاهر الجيب — يريدون انه ليس بخائن ولاغادر وقولهم — فلان طيب الحجزة — اى عفيف .. قال النابغة

رقاقُ النعال طيّب حُجُزَاتِهِمْ　　　يُحَيَّون بالريحان يَوْمَ السباسبِ

وقال الاصمعى .. اذا قالت العرب الثوب والازار .. فانهم يريدون البدن .. وانشد

الاَ أبلغ ابا حفص رسولا　　　فِدَى لك من اخى ثقة ازَارِى

وقالوا فى قول ليلى

رموها بأثواب خِفَافٍ فلا ترى　　　لهـا شَبَهاً الاّ النعـام المنفرا

اى رموها باجسامهم وهى خفاف عليها : ووضع الثوب موضعا آخر .. فى قول الشاعر

فَتِلْكَ ثيابُ ابراهيم فينا　　　بواقٍ مادُنِسْنَ ولابلينـا

---

[٢] — هكذا فى الاصول .. وفى ديوانه

ثياب بنى عوف طهارى نقية　　　واوجههم عندالمشاهد غران

قال ابو على — غران — بناه مثل سودان وحمران .. والاغر الابيض

ويقولون — فلان اوسع بنى ابيه ثوبا — اى اكثرهم معروفا — وفلان غمر الرداء — اذا كان كثير المعروف .. قال كثير

غَمْرُ ٱلرِّدَآء اذا تَبَسَّم ضاحكاً غَلِقَتْ لضحكته رقابُ المــال

وكذلك قولهم — فلان رحب الذراع — وفلان دنس الثوب — اذا كان غادرا فاجرا .. قال الشاعر

ولكننى أَنِفِي عن ٱلذَّم والدى وبعضهم لِلذَّمِ فى ثَوْبِهِ دَسْمُ

ويقولون — دم فلان فى ثوب فلان — اى هو صاحبه .. قال ابو ذؤيب

تَبَرَّاءُ من دمّ القتيــل وبزّهِ وقد عَلِقَتْ دَمَ ٱلقتيل إِزَارَها

هذيل تؤنث الازار — اى علقت دم القتيل هى ورواه ابوعمرو الشيبانى — وبَزُّهُ — بالرفع اى وبزة ازارهــا وقد علقت دمه .. ويقولون للفرس — انه لطرب العنان — وللبعير — قد سفه جديله — والجديل الزمام .. وقال ذوالرمة

وأشقَر مُوَشِيّ القميص نَصَبْتُهُ على خَضِرٍ مقْلات سَفِيه جَديلها

وفى القرأن ﴿ كالتى نقضت غزلهــا من بعد قوة انكاثا ﴾ فمثّل العمل ثم احباطــه بالنقض بعد الفتل .. وكذلك قوله تعالى ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها ﴾ وقوله عز وجل ﴿ هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ﴾ وقوله سبحانه ﴿ ولاتجعل يدك مغولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط ﴾ فمثّل البخيل الممتنع من البذل بالمغلول لمعنىً يجمعهما وهو ان البخيل لايمديده بالعطية فشــبهه بالمغلول .. ويقولون — عركت هذه الكلمة بجنبى — اذا اغضيت عنها — وفلان قدطوى كشحه عن فلان — اذا ترك مودته وصحبته .. ويقولون — كبازند العدو. وصلف زنده . وأفل نجمه . وذهبت ريحــه . وطفيئت جمرته . واخلف نؤه . واخلقت جدته . وانكسرت شوكتــه . وكلّ حده . وانقطع بطانه . وتضعضع ركنه . وضعف عقده . وذلت عضده . وفت فى عضده . ورق جانبه . ولانت عريكته — يقــال ذلك فيه اذا ولى امره تمثيلا وتشــبيها .. وقال النبى صلى الله عليه وسلم (اياكم وخضرآء الدمن) ارادالمرأة الحسناء فى منبت السؤ فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلا .. وقال بعضهم كنا فى رفقة فضللنا الطريق فاسترشدنا عجوزا .. فقالت . استبطن الوادى . وكن سيلا حتى تبلغ .. وكتب احمــد بن يوسف الى عبدالله

ابن طاهر عن المأمون بعزله عن ديار مصر وتسليم العمل الى اسحاق بن ابراهيم .. اما بعد فأن امير المؤمنين قد رأى تولية اسحاق بن ابراهيم مايتولاه من اعمال المعاون بديار مصر. وانما هو عملك نقل منك اليك . فسلمه من يدك الى يدك والسلام .. واغتاب رجل رجلا عند سلم بن قتيبة * فقال له [سلم] اسكت فوالله لقد تلمظت مضغة طالما لفظها الكرام .. ومن المنظوم قول طرفة

أَبِنِي أَفي يمنى يدَيْكِ جَعَلْتني فأفرحُ أم صَيَّرتَنِي فى شِمَالك

اى ابيني منزلتى عندك او ضيعة هى أم رفيعة .. فذكر اليمين وجعلها بدلاً من الرفعة والشمال وجعلها عوضاً من الضعة .. واخذه الرماح بن ميادة .. فقال

أَلَم تك فى يُمْنَى يَدَيْك جَعَلْتَنى فلا تجعلنّى بعدها فى شمالكا

وَلَوْ انى أذنبتُ ماكنتُ هالكاً على خِصْلَةٍ من صالحات خِصَالكا

وقال آخر [١]

تركتُ الركاب لأربابِهَا وأكْرهتُ نفسى على ابن الصَعِق

جعلتُ يدى وشاحًا له وبعضُ الفوارس لاَيَعتَنِق

فقوله — جعلت يدى وشاحا تمثيل — وقول زهير

ومن يَعْصِ اطراف الزِجَاج فأنه يطيعُ العَوالى رُكّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ

اراد ان يقول — من أبى الصلح رضى بالحرب — فعدل عن لفظه وأتى بالتمثيل فجعل — الزُجّ — للصلح لانه مقبل فى الصلح — والسنان — للحرب لانّ الحرب به يكون .. وهذا مثل قولهم — من عصى الصوت أطاع السيف — ومنه .. قول امرئ القيس

وماذَرَفَتْ عَيْنَاك الاّ لتضربى بِسَهْمَيْكِ فى أعْشارِ قلب مُقَتَّلِ

[١] — لم اقف على قائله — وقوله ابن الصعق — الصعق ان يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه .. قال سيبويه .. قالوا فلان ابن الصعق والصعق صفة تقع على كل من اصابه الصعق ولكنه غلب عليه حتى صار بمنزلة زيد وعمرو .. قلت ويروى عجز البيت الثانى فى غير الاصول هكذا (فأجزأ ذاك من المعتنق)

فقال — بسهميك — واراد العينين .. وقال العباس بن مرداس

كانوا أَمَامَ المؤمنين دَرِيئَةً   والشمسُ يَوْمَئذٍ عليهم أَشْمُسُ

أراد — تلألؤَ البيض فى الشمس — فكأن على كل رأس شمساً .. وجعل قدامة من امثلة هذا الباب .. قول الشاعر

أَوْرَدْتُهم وصدورُ العيس مُسْنَفَةٌ   والصبح بالكوكب الدرى منحورُ

وقال قد اشار الى الفجر اشارة الى طريقه بغير لفظه [١] .. وليس فى هذا البيت اشارة الى الفجر بل قد صرح بذكر الصبح وقال هو منحور بالكوكب الدرى .. اى صار فى نحره .. ووضع هذا البيت فى باب الاستعارة اولى منه فى باب المماثلة .. ومما عيب من هذا الباب .. قول ابى تمام

أَنْتَ دلوٌ وذُو السَّمَاح ابو   موسى قَلِيبٌ وأنت دَلْوُ القليبِ

ائُّها الدلو لاعــدمتك دلْواً   من جياد الدِّلاءِ صُلْب الصليبِ

الفصل العاشر من الباب التاسع

فى الغلو

الغلو تجــاوز حد المعنى والارتفــاع فيه الى غاية لايكاد يبلغهــا .. كقول الله تعالى ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ وقال تأبط شرا

ويَوْمٍ كيَوْمِ العَيْكَتَيْنِ وعطْفَةٍ   عطفتُ وقد مسّ القلوبَ الحناجرُ [٢]

[١] — البيت — لعبد الرحمن بن على بن علقمة بن عبدة هــكذا نسبه قدامة فى النقد .. وقال .. فقد اشــار الى الفجر اشارة ظريفة بغير لفظه .. وهذا غير ماحكاه المصنف فليحرر .. وقوله فى الشاهد — مسنفة — بفتح النون هكذا فى الاصول ويروى بكسرهــا .. وهى المتقدمة فى السير وفرق الجوهرى .. فقال اذا سمعت فى الشعر مسـنفة بكسر النون فهى الفرس تتقدم الخيل فى سـيرها واذا سمعت مسنفة بفتح النون فهى الناقة من السـناف اى شد عليها (السناف خيط يشد من حقب البعير الى تصديره ثم يشد فى عنقه اذا ضمر وهو بمنزلة اللبب للدابة)

[٢] — العيكتين — تثنية عيكة موضع فى ديار بجيلة

وقال الله تعـالى ﴿ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ بمعنى اتكاد تزول منه .. ويقـال انهـا فى مصحف ابن مسعود * مثبتة .. وقد جاءت فى القرأن مثبتة وغير مثبتة .. قال الله تعالى ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ﴾ .. وقال الشاعر

يتقارضونَ اذا آلتَقَوا فى مَوْطِنٍ   نظراً يزيل مواطئَ الأقـدامِ [١]

— وكاد — انما هى للمقاربة .. وهى ايضا مع اثباتها توسع .. لان الجبال لاتقارب البلوغ الى الحناجر واصحابها احياء .. وقوله تعالى ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ وهذا انما هو على البعيد .. ومعناه لايدخل الجمل فى سم الخياط ولايدخل هؤلاء الجنة .. ومثله قول الشاعر

اذا زالَ عنكم أسْودُ العين كنتُمُ   كِراماً وأنتمْ مَاأقام ألائمُ [٢]

وقول الاخر [٣]

فَرجّى الخَيْرَ وأنتظرى إيابى   اذا ما القَـارِظُ العَنَزِىُّ آبَا

وقال النابغة

فأنك سوف تحلم أوْ تناهى   اذا ماشِبْتَ أوشابَ الغُرابُ

ومثال الغلو من النثر .. قول امرأة من العجم كانت لاتظهر اذا طلعت الشمس .. فقيل لها فى ذلك .. فقالت اخاف ان تكسـفنى .. وقال اعرابى لنـا تمرة فطسآء جردآء تضع التمرة فى فيك. فتجد حلاوتها فى كعبك .. وقيل لاعرابى ماحُضْرُ فرسك .. قال تحضر ماوجد ارضا .. ووصف اعرابى فرسه : فقـال ان الوابل ليصيب عجزه . فلايبلغ الى معرفتـه حتى ابلغ حاجتى .. وذم اعرابى رجلا : فقال يكاد يُعْدى لؤمه . من تسمى بأسمه .. وكتب بعضهم يصف رجـلا : فقال اما بعد فانك قد كتبت تسـئل عن فلان كأنك قد هممت بالقدوم عليه . اوحدثت نفسك بالوفود اليه . فلاتفعل . فان حسن الظن به لايقع

[١] — يتقارضون — اى ينظر بعضهم الى بعض بالبغضآء والعداوة .. وقيل يتقارضـون اى يتضاربون من القراض وهى المضاربة فى لغة اهل الحجاز

[٢] — نسخة — اذا زل عنكم الخ .. وفى اللسان (اذا مافقدتم اسـود العين كنتم). قال — واسود العين — جبل .. ثم حكى عن الهجرى انه فى الجنوب من شعبى

[٣] — قائله — بشر بن ابى خازم من قصيدة انشدها ابنته وهو يجود بنفسـه — والقارظ العنزى — رجل من عنزة خرج يطلب القرظ فلم يرجع الى اهـله فضربته العرب مثلا لكل شئ يفوت فلا يرجع .. والقرظ شجر أوورق شجر السلم يدبغ به الادم

الا بخذلان الله تعالى . وان الطمع فيما عنده . لايخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله تعالى . والرجاء لما في يديه . لاينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله تعالى . لايرى الا ان الأقتار الذى نهى الله عنه . هو التبذير الذي يعاقب عليه . والاقتصاد الذى امر به . هو الاسراف الذى يغضب منه . وان الصنيعة مرفوعة . والصلة موضوعة . والهمة مكروهة . والثقة منسوخة . والتوسع ضلالة . والجود فسوق . والسخاء من همزات الشياطين . وان مواساة الرجل اخاه من الذنوب الموبقة . وافضاله عليه احدى الكبائر المرهقة . وان الله تعالى لايغفر ان يؤثر المرء على نفسه . ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيداً . وخسر خسرانا مبينا . كأنه لم يسمع بالمعروف . الا فى الجاهلية الذين قطع الله دابرهم . ومحا معالمهم . ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم . وحظر عليهم ان يختاروا مثل اختيارهم . يظن ان الرجفة لم تأخذ اهل مَدْيَن الا لسخاء كان فيهم . ولم تهلك عاداً بالريح العقيم الا لتوسع كان فيهم . فهو يخشى العقاب على الانفاق . ويرجو الثواب على الامساك . ويعذر نفسه فى العقوق . ويلوى ماله عن الحقوق . خيفة ان ينزل به قوارع العالمين [١] . ويأمرها بالبخل خشية ان يصيبه ما أصاب القرون الأولين . فأقم رحمك الله على مكانك . واصطبر على عسرتك . عسى الله ان يبدلنا واياك خيرا منه زكاة واقرب رحما .. وقالت سكينة * بنت الحسين رضى الله عنهما : وقد اثقلت ابنتها بالدر . ما البستها اياه الا لتفضحه : ونحوه قول الشاعر

جارية الطيبُ من طيبها والطيبُ فيه المسكُ والعنبرُ
ووجها احسنُ من حُليها والحَلْيُ فيه الدرُّ والجوهرُ

وقال بن مطير

مُخَصَّرةُ الأوساطِ زانتْ عقودَها بأحسن مّما زينتها عقودُها

وقيل لاعرابى : فلان يدّعى الفضل على فلان : فقال والله لئن كان اطول من مسيره . مابلغ فضله . ولو وقع فى ضحضاح معروفه غرق .. وقال اعرابى الناس يأكلون اماناتهم لقماً . وفلان يحسوها حسواً . ولو نازعت فيه الخنازير لقضى به لها . لقرب شبهه منها . وما ميراثه عن آدم . الا انه سمى آدميا .. وذكر اعرابى رجلا .. فقال كيف يدرك بثاره وفى صدره حشو مرفقه من البلغم . وهو المرءُ لو دقّ بوجهه الحجارة لرضها . ولو خلا

[١] — نسخة — قوارع العلمين — والقوارع — جمع قارعة وذلك الأمر العظيم ينزل بالانسان فيهلك والعياذ بالله

بالكعبة لسرقها .. واخبرنا ابواحمد .. قال اخبرنا الصولى قال حدثنا الحسن * بن الحسين الازدى قال حدثنا ابن أبى السرى * عن رزين العروضى * .. قال لقيت ابا الحرث جميزاً [١] ومعه غلام لمحمد بن يحيى البرمكى متعلق به : فقلت له مالهذا متعلق بك : فقال لأنى دخلت امس الى مولاه وبين يديه خوان من نصف خشخاشة فتنفست فطار الخوان فى أنفى فهذا يستعدى على : فقلت له اما تستحى مما تقول : فقال الطلاق له لازم لو ان عصفورا نقرحبة من طعام بيدره مارضى حتى يؤتى بالعصفور مشويا بين رغيفين والرغيفان من عند العصفور : قلت قبحك الله ما اعظم تعديك : فقال على المشى الى بيت الله الحرام ان لم يكن صعود السماء على سلم من زبد حتى يأخذ بنات نعش ايسر عليه من ان يطعمك رغيفا فى اليوم ،، ومن المنظوم .. قول امرئ القيس

من القاصرات الطرف لودبّ مُحوِلٌ ... من الذّرِّ فوق الإتْبِ منها لأثّرا [٢]

وقول الاعشى

فتىً لوينادى الشمس ألقت قناعها ... أوالقمر السارى لألقى المقالدا

[ينادى — اى يجالس] .. وقول ابى الطمحان

اضاءتْ لهم احسابُهم ووجوههم ... دُجى الليل حتى نظّم الجَزْعَ ثاقبه

ومثله

وجوهٌ لوانّ المُدلجينَ أعتَشُوا بها ... صدَعْنَ الدُّجى حتّى ترى الليل يَنْجلى

وقول الآخر

من البيض الوجوه بنى سنان ... لو انك تستضئ بهم اضاء [٣]

وقول النابغة الجعدى

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وانّا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

وقول النمر

يظل يحفر عنه إنْ ضَرَبْتَ به ... بَعْدَ الذراعَيْن والسّاقَيْن والهادِى

---

[١] — نسخة — جمساً .. واخرى جمساً

[٢] — المحول — الذى قد اتى عليه حول .. وقال الوزير ابوبكر والاحسن ان يكون الصغير من الذر — والاتب — قيص غير مخيط الجانبين .. وقال الاصمعى الاتب البقيره وهو ان يؤخذ برد فيشق المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب

[٣] — قائله — الحكم الخضرى .. وبعده

فكن ياجارهم فى خير دار ... فلا ظلم عليك ولا جفاء

ثم وجدت قدامة اورد هذا البيت فى النقد .. وقال فقوله فلا ظلم عليك ولاجفاء توكيد ومبالغة

وقول الطرماح

تميمٌ بطرق اللّؤم اهدى من القطا ... ولو سلكتْ سُبْلَ المكارم ضلّتِ
ولو انّ بَرْغُوثاً على ظَهْرِ قَمْلَةٍ ... يكرُّ علـى صَفَّىْ تميمٍ لولّتِ
ولو انّ اُمَّ العَنْكبوتِ بَنَتْ لهـا ... مظلّتهـا يَوْمَ الندى لاستظلّتِ
ولو جُمِعَتْ يوماً تميمٌ جموعَهـا ... علـى ذَرَّةٍ معقولة لاستقلّتِ
[ولَوْ أن يربوعاً يُزَقّقُ مَسْكُهُ ... اذاً نَهِلَتْ منـه تميم وعلّت]

[يزقق — اى يجعل منه زقاقا] .. [وقال الآخر]

[وتبكى السماواتُ اذا مادَعَى ... وتستغيثُ الارض من سَجْدَته]
[لما اشتهى يوماً لحومَ القطـا ... صَرَّعها فى الجوّ من نَكْهَته]

ومثله فى الافراط .. قول الخثعمى *

يُدْلى يَدَيْه الى القليب فَيَسْتَقِى ... فى سرجه بَدَلَ الرشاءِ المحصد [١]

وكما افرطوا فى صفة الطول كذلك افرطوا فى صفة القصر .. قال بعضهم

فأقسِمُ لَوْ خرّتْ من آستِكَ بَيْضَةٌ ... لَمَا آنكَسَرَتْ من قُرْبِ بعضِك من بعضِ

وقال آخر فى صفة كثير عزة .. وكان قصيرا

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته ... يعضُّ القراد بأسْته وهو قائمُ

وقال بعض المحدثين

[وقصيرٌ لا تَعْمِلُ الشمـ ... ـس ظِلاًّ لقَامَتِهِ]
يَعْثُرُ النـاس فى الـ ... طريق به من دمَامَتِهِ

وقال [ابو عثمان الناجم *]

الا يا بَيْدَقَ الشّطْرَ ... نـج فى القِيمَةِ والقَامَهْ [٢]

[١] — نسخة — المُكْرَب .. قال ابن سيده .. كل شديد العقد من حبل او بناء او مفصل مكرب — والمحصد — من الحبل ما كان محكم الفتل ايضا

[٢] — وجدت فى هامش النسخة المحفوظة فى دار كتب الوزير الكبرلى .. هذه الابيات الاربعة ملحقة بهذا البيت ونسب ذلك لابى عثمان الناجم وقد تسلطت الأرضة على بعض الحروف فكتبت ما تبين لى منهم

لقد صغر منك الـ ... كل غير الدبر والهامه
فـما تنفك وجعـاؤ ... ك للكافر مستامه
وكـ ... كالخال أو الشامه
لقـد ضـل امرؤ ... عدك ناطوطو علامه

وقال ابونواس .. يصف قدرا

يغصّ بحيزوم الجرادة صَدْرُها ويَنْضَجُ مافيهـا بعود خِـلاَلِ
وتَغْلى بذكر النار من غير حرّها وتنزلهـا عَفْواً بغير جعَـالِ
هِيَ القِدْرُ قِدْر الشيـخ بكر بن وائلٍ ربيعُ اليتامى عام كل هُزالِ

وقال آخر فى خلاف ذلك

بِقِدْرٍ كأنَّ الليل شحمة قَعْرِهَا ترى الفيل فيها طافياً لَمْ يُقَطَّعِ

ومن الافراط .. قول المؤمل *

من رأى مثل حِبَّتى تشبـه البدر اذ بدا
تدخل اليوم ثم تد خل أردافهـا غدا

ومثله .. قول الآخر

أنت فى البيت وعز نينك فى الدار يطوفُ

ومثله

لقد مرّ عبدالله فى السوق راكباً له حاجـة من أنفـه ومُطَّرِقُ
وعنّتْ له فى جانب السوق مخْطَةٌ توهمتُ انّ السوق منها سَيَغْرَقُ
فأقْذِرْ به أنفـا وأقـذر بربه على وجهـه منه كنيفٌ معلّقُ

ومثله فى الافراط .. قول آخر فى امام بطئ القرآءة

إنْ قرأ العَادياتِ فى رَجَبٍ لمْ تَفْنَ آياتُهـا الى رَجَبِ
بَلْ هو لايستَطيعُ فى سَنَةٍ يختم تبّتْ يدا ابى لَهَبِ

[وقال ابن مقبل [٢]]

[يُقَلْقِلُ من ضَغْمِ اللجـام لهـاتُهُ تقلقل عودِ المرخ فى الجعبة الصِفْرِ]

[٢] ـــ هـذا البيت .. وبيتى ابراهيم بن العباس الآتيان بعده من هامش نسخة الكبرلى غير معلم عليهم بعلامة الصح ـــ وقوله الضغم ـــ هو العض من غير نهش ـــ والجعبة ـــ كنانة السهام ـــ والصفر ـــ الشئ الخالى

[وقال ابراهيم بن العباس]

[يا أخاً لم ارفى الدهر خـلا   مثـله اسرع هجرٍ ووصلا]

[كنت لى فى صدر يومى صديقا   فعلى عهـدك امسيت أم لا]

وقال ابن الرومى

يا ثقيلاً على القلوب خفيفاً   فى الموازين دون وزن النقير

طِرْ مخيفا أوقعْ مقيتاً فطو   راً كسَـفاةٍ وتارةً كثير

وقبول النفوس اياك عندى   آية فيك للطيف الخبير

ان قوماً اصبحت تنفق فيهم   لعلى غايةٍ من التسـخير

ومن الناس من يكره الافراط الشديد ويعيبه : واذا تحرز المبالغ واستظهر فاورد شرطا . اوجاء — بكاد — ومايجرى مجراها يسلم من العيب : وذلك مثل قول الاول

لوكنت من شئٍ سوى بشرٍ   كنت المنور ليلة البدر

وقول العرجى

لو كان حيّا قبلهن ظعائناً   حيّا الحطيمُ وجوههن وزمزمُ

وقول الاسدى

فلو قاتل الموت امرؤ عن حميمه   لقاتلت جهدى سكرة الموت عن معن

فتىً لا يقولُ الموتَ من وقعةٍ به [١]   لك ابنك خذه ليس من حاجتى دَعْنى

وقول الاخر

لو كان يخفى على الرحمن خافية   من خلقه خفيت عنه بنو أسـد

قوم اقام بدار الذلّ اوّلُهم   كما اقامتْ عليه جِذْمَةُ الوتد

وقول البحترى

ولو ان مشتاقا تكلف غيرما   فى وسـعه لسعى اليك المنبر

ومن عيوب هذا الباب .. ان يخرج فيه الى المحـال . ويشوبه بسؤ الاستعارة . وقبيح العبارة .. كقول ابى نواس فى الخمر

[١] — نسخة — فتى لايقل للموت الخ

توهمتها في كأسها فكأنما ... توهمت شيئاً ليس يدرك بالعقل
وصفراء أبقى الدهر مكنون روحها ... وقد مات من مخبورها جوهر الكل
فما يرتقي التكييف منها الى مدىً ... تُحَدُّ به الا ومن قبله قبل

فجعلها لاتدرك بالعقل وجعلها لااول لها..وقوله جوهر الكل والتكييف في غاية التكلف. ونهاية التعسف : ومثل هذا من الكلام مردود . لايشتغل بالاحتجاج عنه له. والتحسين لأمره . وهو بترك التداول اولى : الا على وجه التعجب منه ومن قائله : ومن الغلو الغث : قول المتنبي

فتىً ألف جزءٍ رأيُه في زمانه ... اقلّ جزىءٍ بعضه الرأى اجمعُ

وقوله

تتقاصر الافهام عن ادراكه ... مثل الذى الافلاك فيه والدُنَى

نسئل عما فيه — الافلاك والدنا — فقال علم الله .. ونيته لاتدل عليه فأفرط وعمى وجمع دنيا على قول اهل الادوار والتناسخ

﴿ الفصل الحادى عشر من الباب التاسع ﴾

في المبالغة

المبالغة ان تبلغ بالمعنى اقصى غاياته . وابعد نهاياته . ولاتقتصر في العبارة عنه على ادنى منازله . واقرب مراتبه .. ومثاله من القرءآن قول الله تعالى ﴿ يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ﴾ ولو قال تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة .. وانما خص المرضعة للمبالغة لان المرضعة اشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته اليها واشغف به لقربه منها ولزومها له لا يفارقها ليلا ولا نهارا وعلى حسب القرب تكون المحبة والالف .. ولهذا قال امرئ القيس

فمثلك حُبلى قد طرقتُ ومرضع ... فأليهتُها عن ذى تمائم محول

لما اراد المبالغة فى وصف محبة المرأة له .. قال انى ألهيتها عن ولدها الذى ترضعه لمعرفته بشغفها به وشفقتها عليه فى حال أرضاعها اياه .. وقوله تعالى (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مآء) لوقال يحسبه الرآءى لكان جيدا .. ولكن لما ارادالمبالغة ذكر الظمآن لان حاجته الى المآء اشد وهو على المآء احرص : وقد ذكرناه قبل ومثل ذلك .. قول دريد بن الصمة * [١]

متى ماتَدْعُ قومك أدْعُ قومى　　وَحولى من بنى جُشَم فئام

فوارسُ بُهْمَة حُشُدُ اذا ما　　بدا حَضر الحَيِيَّة والحِذَام

فالمبالغة الشديدة فى قوله — الحيية — ومن المبالغة نوع آخر .. وهو ان يذكر المتكلم حالا لووقف عليها اجزأته فى غرضه منها فيجاوز ذلك حتى يزيد فى المعنى زيادة توكده . ويلحق به لاحقة تؤيده .. كقول عميرة بن الاهتم التغلبى * [٢]

ونكرم جارنا مادام فينا　　ونتبعه الكرامة حيث مالا

فاكرامهم الجار مادام فيهم مكرمة واتباعهم اياه الكرامة حيث مال من المبالغة .. وقول الحكم الخضرى *

واقبح من قرد وابخل بالقِرَى　　من الكلب أمسى وهو غرثان أعْجَفُ

فالكلب بخيل على ماظفر به وهو اشد بخلا اذا كان جايعا أعجف .. ومن هاهنا اخذ حماد عجرد * قوله فى بشار

ويا اقبح من قرد　　اذا ما عمى القرد

---

[١] — انشدهما فى النقد .. هكذا

متى ماتدع قومك ادع قومى　　فيأتى من بنى جشم فئام
فوارس بهمة حشداً اذا ما　　بدا حضر الحيية والحذام

— الفئام — الجماعة من الناس .. قال الجوهرى لاواحد له من لفظه — والبهمة — بالضم الشجاع .. وقيل هو الفارس الذى لايدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه .. وحكى فى اللسان عن التهذيب هم جماعة الفرسان — والحشد — واحده الحاشد .. وهو الذى لايدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال — والحضر — ارتفاع الفرس فى عدوه .. وما بعده لم اقف على تفسيره

[٢] — نسخة — عمرو بن الاهتم .. وفى اخرى عمير بالتصغير .. وسماه فى النقد عمير بن الايهم .. ورواه حيث سارا بدل — مالا .. والعجب منه وقد انشد له فى باب التتميم .. بعده

بها نلنا القرائب من سوانا　　واحرزنا القرائب ان تنالا

وقول رواس بن تميم * [١]

وانا لنعطى النّصف منا واننا لنـأخذه من كل أبلخ ظـالم

المبالغة فى قوله — أبلخ — وقول اوس بن غلفآء * [الهجيمى]

وهم تركوك أسلحَ من حُبَارىٰ رأت صقراً وأشردَ من نعام

فقوله — رأت صقراً — من المبالغة .. وكتبت فى فصل الى بعض اهل الادب .. قربك احب الى من الحياة . فى ظل اليسر والسعة . ومن طول البقاء . فى كنف الخفض والدعة . ومن اقبال الحبيب . مع ادبار الرقيب . ومن شمول الخصب . بعد عموم الجدب . واقر لعينى من الظفر بالبغية . بعد اشرافى على الخيبة . واسر لنفسى من الأمن بعد الخوف . والأنصاف بعد الحيف . واسـئل الله ان يطيل بقـائك . ويديم نعمائك . ويرزقنى عـدلك ووفائك . ويكفينى نبوّك وجفائك .. فقولى — الحياة فى ظل اليسر والسـعة . والبقـاء فى كنف الخفض والدعة — وقولى — اقبال الحبيب . مع ادبار الرقيب — وقولى — الخصب . بعد عموم الجدب — ومابعده الى آخر الفصول مبالغات .. ومن عيوب هذا الباب .. قول بعض المتأخرين .

فلا غيضت بحـارك ياجَمُوماً على عَلَلَ الغرائب والدّخال [٢]

اراد ان يقول — انك كثير الجود على كثرة سـؤالك فلا نقصت — فعبر عنـه بهذه العبارة الغثة — والجموم — البئر الكثيرة المآء .. وقوله

ليس قولى فى شمس فعلك كالـ شمس ولكن فى الشمس كالأشراق

على ان حقيقة [معنى] هذا البيت لايوقف عليها .. ومن ردئ المبالغة .. قول ابى تمام

مازال يهْذِى بالمكارم والعُلى حتى ظننـا انه محموم

ارادان يبالغ فى ذكر الممدوح باللهج بذكر الجود فقال — مازال يهذى — فجآء بلفظ مذموم .. والجيد فى معناه .. قول الآخر

ما كان يُعْطى مثلها فى مثله الاكريمُ الخيم اومجنونُ

[١] — سماه فى النقد رواش (بالشين المنقوطة) بن تميم احد القطاريف الازدى — وقوله الابلخ — قال ابن سيده الأبلخ التكبر وهو أبلخ بين البلخ

[٢] — قوله الدخال — قال ابن سيده وذلك ان تدخل بعيرا قد شرب بين بعيرين لم يشربا

قسم قسمين ممدوحا ومذموما ليخرج الممدوح من المذموم الى الممدوح المحمود .. ومن جيد المبالغة .. قول عمرو بن حاتم * [١]

خليلى أمسى حبّ خرقآء قاتلى   ففى الحب منى وقدة وصُدُوعُ
ولوجاورتنا العام خرقآء لم نُبَل   على جد بنا الاّ يصوبَ ربيعُ

قوله على — جد بنا — مبالغة جيدة

الفصل الثانى عشر من الباب التاسع

فى الكناية والتعريض

وهو ان يكنى عن الشئ ويعرض به [٢] ولايصرح على حسب ماعملوا باللحن والتورية عن الشئ .. كما فعل العنبرى .. اذ بعث الى قومه بصرة شوك وصرة رمل وحنظلة .. يريد جآءتكم بنو حنظلة فى عدد كثير ككثرة الرمل والشوك ،، وفى كتاب الله تعالى عز وجل (اوجاء احد منكم من الغايط اولامستم النساء) فالغايط كناية عن الحاجة . وملامسة النساء كناية عن الجماع .. وقوله تعالى (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء [٣] ومن مليح ماجاء فى هذا الباب .. قول ابى العينآء وقيل له ماتقول فى ابنى وهب .. قال (ومايستوى البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج) سليمان افضل .. قيل وكيف .. قال (أفمن يمشى مكباً على وجهه اهدى ام من يمشى سوياً على صراط مستقيم) .. ومن التعريض الجيد ما كتب به عمرو بن مسعدة * الى المأمون .. اما بعد فقد استشفع بى فلان الى امير المؤمنين ليتطوّل عليه فى الحاقه بنظر آئه من المرتزقين فيما

[١] — فى نسخة — هكذا

خليلى امسى حب خرقاء عامدى   ففى القلب منى زفرة وصدوع

وقوله — لم نبل — اى لم نعلل .. من قولهم نبل الرجل بالطعام ينبله علله به وناوله الشئ بعد الشئ

[٢] — نسخة — فلايصرح وقوله — باللحن — اراد به الاشارة والتعريض

[٣] — اخذوا معنى الآية .. بأن الفراش كناية عن المرأة لقوله تعالى على اثرها .. انا انشأناهن انشآء فجعلناهن ابكارا .. كذا قاله الثعالبى فى كتابه الكناية والتعريض

يرتزقون فاعلمته ان اميرالمؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفع بهم وفى ابتدآئه بذلك تعدى طاعته والسلام [١] .. فوقّع فى كتابه قد عرفنا تصريحك له وتعريضك بنفسك واجبناك اليهما واوقفناك عليهما ،، ومن المنظوم .. قول بشار

واذا ماالتقى ابن نُهيا وبكرٌ　　ذاد فى ذا شبر وفى ذاك شبرُ

اراد انهما يتبادلان .. وقال آخر فى أبن حجام

ابوك ابٌ مازال للناس موجعا　　لأعناقهم نقرا كما ينْقرالصقر

اذا عوّج الكتاب يوما سطورهم　　فليس بمعوج له ابداً سطر

وقال بعض المتقدمين

وقد جعل الوسمىّ ينبت بيننا　　وبين بنى دُوْدَانَ نبعاً وشَوْحطَا

ـــ النبع . والشوحط ـــ كأنه كنى بهما عن القسى والسهام .. ومثله قول الآخر

وفى البقل مالم يدفع الله شره　　شياطين ينزوا بعضهن على بعض

وقول رؤبة

يابن هشام اهلك الناس اللبنْ　　فكلهم يعدوا بقَوْس وقَرَنْ

وهذه كنايات عن القتال والوقايع بينهم ايام الربيع وهو وقت الغزو عندهم .. وكتب كافى الكفاة .. ان فلانا طرق بيته وهو الخيف. لاخوف على من دخله . ولايد على من نزله . فصادف فتيانا يعاطون كريمته الكوؤس تارة . والفوؤس مرة . فمن ذى معول يهدم . ومن ذى مغول يثلم . فبايع الرقيق يكتب من بينهم بالغليظ . فوثبت العفيفة خفيفة ذفيفة [٢] تحكم يمناها فى اخادعه . وتتقى بيسراها وقع اصابعه . والحاضرون يحرضونها على القتال . ويدعونها الى النزال . والشيخ يناديهم

تجمعتم من كل أوْبٍ وبلدة　　على واحد لازلتم قِرْنَ واحد

ثم علم ان الحرب خدعة . ولكل امرئٍ فرصة . فتلقاها بألا تاقى طلاقابتاً . وفراقابتلا . واخذ ينشد

[١] ـــ جاء فى نسخة ـــ فيما يرزقون .. بدل يرتزقون .. وفى ابتدائى .. بدل ابتدائه :

[٢] ـــ المغول ـــ قال ابو عبيد .. هو سوط فى جوفه سيف (اى حديدة تجعل فى السوط فيكون لها غلافا) ـــ والذفيفة ـــ السريعة الخفيفة

إنِّى أبِىٌّ أبِىٌّ ذُو مُحَافظَةٍ وابْنُ أبِىٍّ أبِىٍّ مِنْ أبِيِّينِ [١]

ولكن بعدما ذا . بعدما ضموا الخصر. وأموا الحصر. وأدمنوا العصر. وأفتتحوا القصر .

وكان ما كان مما لستُ أذكره فظنّ شراً ولاتسئل عن الخبر

فاكثر هذا الكلام كنايات .. ومماعيب من هـذا الباب ما اخبرنا به ابو احمد .. قال قال ابو الحسن بن طباطبا الاصبهانى يصف غلاما

مُنَعَّمُ الجسم يحكى الماءَ رِقّتَهُ وقَلْبُهُ قَسْوَةً يحكى أبا أوْسِ

اى قلبه حجرا — اراد والد أوس بن حجر — فابعد التناول .. فكتب اليه ابو مسلم .. قال وانشدنيها ابو مسلم ولم ينسبها الى نفسه

أبا حَسَنٍ حاولتَ ايراد قافيـهْ مُصلّبة المعنى فجأتك واهِيَـه

وقلت اباأوس تريدُ كنـايةً عن الحجر القاسى فأوردت داهِيَهْ

فان جاز هذا فاكسِرَنْ غير صاغر فمى بابى القَرْم الهُمَـام مُعَـاوِيَهْ

والا اقتنـا بيننـا لك جَـدَّهُ فتصبح ممنونا بصفّينٍ ثانيـهْ [٢]

اراد — فاكسرن فمى بصخر والا اقتنا بيننا لك حربا وهو جد معـاوية — [وقال ابو نواس فى جلد عميره]

[اذا أنت انكحتَ الكريمة كفؤها فانكح حُسَيْنـاً راحةً بنتَ ساعدِ]

[وقُلْ بالرفا مانلت من وصل حُرَّةٍ لها راحـةُ حُفَّتْ بخمسٍ ولا يدِ]

ومن شنيع الكناية .. قول بعض المتأخرين

انى على شغفى بما فى خُمْرِها لاعِفُّ عما فى سراويلاتِها

---

[١] — البيت — لذى الاصبع العدوانى .. انشده فى اللسان .. وقال ورجل أبِىٌّ من قوم أبِيِّينَ (من أبى يأبى) .. ونون الجمع وقعت فى البيت مشبهة بنون الاصل فجرها

[٢] — هذا البيت رواه الثعالبى فى كتابه المقدم ذكره .. هكذا

والا نصبنا بيننا لك جده فتصبح ممنوعاً بصفين ثانيه

وسمعت بعض الشيوخ .. يقول الفجور احسن من عفاف يعبر عنه بهذا اللفظ .. قال وقريب من ذلك .. قول الآخر

ومانلتُ منها محرما غير انني   اذا هي بالَتْ بُلتُ حيثُ تبول

الفصل الثالث عشر من الباب التاسع

في العكس

العكس ان تعكس الكلام فتجعل في الجزء الاخير منه ماجعلته في الجزء الاول .. وبعضهم يسميه التبديل .. وهو مثل قول الله عز وجل (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) وقوله تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك من خير فلا مرسل له) .. وكقول القايل اشكر لمن انعم عليك . وانعم على من شكرك .. وقول الآخر اللهم اغنني بالفقر اليك . ولاتفقرني بالاستغناء عنك .. وقول بعض النساء لولدها رزقك الله حظا يخدمك به ذوي العقول . ولارزقك عقلا تخدم به ذوي الحظوظ .. وقال بعضهم لرجل كان يتعهده اسأل الله الذي رحمني بك . ان يرحمك بي .. وقال بعض القدماء ..ما اقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة . وما اكثر قلة المعرفة مع ملك النفس .. وقال بعضهم كن من احتيالك على عدوك . اخوف من احتيال عدوك عليك .. وقال آخر ليس معي من فضيلة العلم . الا اني اعلم اني لااعلم .. وفي معناه قول الشاعر

جهلتُ ولم تعلم بانك جاهلُ   فمن لي بأن تدري بأنك لاتدري

وعزى رجل اخاه على ولد .. فقال عوضك الله منه ماعوضه منك — يعني الجنة — وقال بعضهم .. اني اكره للرجل ان يكون مقدار لسانه . فاضلاً عن مقدار علمه . كما اكره ان يكون مقدار علمه . فاضلا عن مقدار لسانه .. وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : اذا انا لم اعلم مالم ارفلا علمت مارأيت : وقيل للحسن بن سهل وكان يكثر العطاء ليس في السرف خير : فقال ليس في الخير سرف .. فعكس اللفظ واستوفى المعنى : وقال بعضهم كان الناس ورقاً لاشوك فيه . فصاروا شوكا لاورق فيه ،، ومثاله من المنظوم .. قول عدي بن الرقاع

ولقد ثنيت يد الفتاة وسادةً   لي جاعلا احدى يَدَيّ وسادَهَا

وقال بعد المحدثين

لسانى كتوم لاسراركمُ . ودمعى نموم لسرى مُذيعُ
فلولا دموعى كتمت الهوى ولولاالهوى لم تكن لى دموعُ

وقال آخر

تلك الثنايا من عقدها نُظِمَتْ أوْ نُظِّمَ العِقْـدُ من ثناياهـا

والعكس ايضـا من وجه آخر .. وهو ان يذكر المعنى ثم يعكسه ايراد خـلاف كقول الصاحب وتسمى شمس المعالى وهو كسوفها

الفصل الرابع عشر من الباب التاسع

فى التذييل

وللتذييل فى الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير .. لان المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا .. وقال بعض البلغاء للبلاغة ثلاثة مواضع : الاشـارة . والتذييل . والمساواة .. وقد شرحنا الاشارة والمساواة فيما تقدم .. فاما التذييل فهو اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه وهو ضد الاشارة والتعريض .. وينبغى ان يستعمل فى المواطن الجامعة . والمواقف الحافلة .. لان تلك المواطن تجمع البطئ الفهم . والبعيد الذهن . والثاقب القريحة . والجيد الخـاطر . فاذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد تؤكد عند الذهن اللقن. وصح للكليل البليد .. ومثاله من القرآن .. قول الله عز وجل (ذلك جزيناهم بما كفروا) (وهل يجازى الاالكفور) ومعناه وهل يجـازى بمثل هذا الجزآء الاالكفور .. وقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افأن مت فهم الخالدون) وانّ (كل نفس ذائقة الموت) جميعا تذييل ،،

ومثاله من النثر .. قول بعضهم قبول السـعاية . شر من السعاية .. لأن السـعاية اخبـار ودلالة . والقبول انفـاذ واجازة : وهـل الدال المخبر . مثل المجيز المنفـذ .. فاذا كان كذلك فالحزم ان يمقت السـاعى على سـعايته ان كان صـادقا . للؤمه فى هتك العورة . واضـاعة الحرمة . وان يجمع له الى المقت العقوبة ان كان كاذبا . لجمعه عـلى

اضاعة الحرمة وهتك العورة ومبارزة الرحمن . بقول الزور واختلاق البهتان . فقوله — وهل الدال الخبر . مثل المجيز المنفذ — تذييل لما تقدم من الكلام .. وكتب رجل الى اخ له .. اما بعد فقد اصبح لنا من فضل الله تعالى مالا نحصيه . ولسنا نستحى من كثرة مانعصيه . وقد اعيانا شكره . واعجزنا حمده . فما ندرى مانشكر . أجميل مانشر . أم قبيح ماستر . أم عظيم ماابلى . ام كثير ماعفا . فأستزدالله من حسن بلائه . بشكره على جميع الآئه .. فقوله — فما ندرى مانشكر — تذييل لقوله قد اعيانا شكره .. وكتب سليمان بن وهب لبعضهم .. بلغنى حسن محضرك . فغير بديع من فضلك . ولاغريب عندى من برك . بل قليل اتصل بكثير . وصغير لحق بكبير . حتى اجتمع فى قلب قد وطن لمودتك . وعنق قد ذُللت لطاعتك . ونفس قد طبعت على مرضاتك . وليس اكثر سؤلها . واعظم أربها . الاطول مدتك . وبقاء نعمتك .. قوله — فغير بديع من فضلك . ولاغريب عندى من برك — تذييل لقوله — بل قليل اتصل بكثير . وصغير لحق بكبير — فأكدّ ماتقدم .. ومن المنظوم .. قول الحطيئة

قوم هم الأنفُ والأذنابُ غيرهم ومن يقيس بأنفِ الناقة الذنبا [١]

فاستوفى المعنى فى النصف الاول وذيل بالنصف الثانى .. وقول الاخر

فدعوا نَزَالِ فكنتُ اول نازل وعلامَ أركَبُه اذا لم أنزِل

وقول طرفة

لعمرك ان المـوت ما اخطـأ الفتى لكا لطّوَل المُرْخَى وثنْياه باليد [٢]

فالنصف الاخر تشبيه وتذييل .. وقول ابى نواس

عَرُمَ الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عُرَامُ [٣]

قوله — وللزمان عرام — تذييل

---

[١] — نسخة — ومن يسوى .. وكذا فى المختارات .. وفى اخرى ومن يساوى

[٢] — الطول — الحبل .. قاله ابو زيد فى الجمهرة .. وقال يروى بدل المرخى المنهى وهو بمعنى المرخى — وثنياه — ما ثنى منه

[٣] — العرام — الشدة والأذى

الفصل الخامس عشر من الباب التاسع

فى الترصيع

وهو ان يكون حشو البيت مسجوعا .. وأصله من قولهم — رصعت العقد — اذا فصلته .. ومثاله .. قول امرى القيس

سليم الشَظَا عَبْلُ الشوى شنج النَسا ‏ ‏ ‏ ‏ له حجبات مشرفات على الفال

وقوله

وأوْتادُهُ ماذيَّة وعماده ‏ ‏ ‏ ‏ رُدَيْنِيّة فيها أسِنَّةُ قَعْضَبِ

وقوله

فتور القيام قطيع الكلا ‏ ‏ ‏ ‏ م تفترّ عن ذى غُرُوبٍ خَصِرْ

وضرب منه قوله

مِخَشٍّ مجشٍ مُقبلٍ مدبرٍ معاً ‏ ‏ ‏ ‏ كتَيْس ظباء الحُلَّبِ العَدَوَانِ [١]

وضرب منه .. قوله فى صفة الكلب

ألصّ الضَروس حَنِيّ الضلوع ‏ ‏ ‏ ‏ تَبُـوعٍ طلوبٍ نشيطٍ أشِرْ

فقوله — الضروس مع الضلوع — سجع .. وان لم يكن القاطع على حرف واحد .. وقد احكمنا هذا فى السجع والازدواج .. وقال زهير

كَبْداءُ مُقبِلَةً عجزاءُ مُدبرةً ‏ ‏ ‏ ‏ عوجاء فيها اذا أستَعرَضتَها خَضَعُ [٢]

---

[١] — هكذا رواية البيت فى الاصول .. وفى الاعجاز

محش مخش مقبل مدبر معا ‏ ‏ ‏ ‏ كتيس ظباء الحلب فى العدوان

وفى المدون من شعره (مكرمفر) الخ ماورواه المصنف .. وقال الوزير ابو بكر فى تفسير البيت — الحلب — بقلة تأكلها الوحش فتضمر عليها بطونها .. وقال القتيبي هو نبات تعتاده الظباء يخرج منه مايشبه اللبن اذا قطع وانما سمى الحلب لتحلبه — وقوله العدوان — اى المسرع .. وفى نسخة من الاصل الغدوان

[٢] — الكبداء — العظيمة الوسط — والعوجاء — المنعطفة من العَوَج .. وفى نسخة

كبداء مقبلة وركاء مدبرة ‏ ‏ ‏ ‏ قودآء فيها اذا استعرضتها خضع

وقال فى هامشها .. كذا بخط الخطابى — والوركاء — اذا كانت عظيمة الورك — والقودآء — الطويلة .. وقوله — اذا استعرضتها خضع — يريد اذا نظرت اليها بغير قصد فاعترضتها علقتها

وقال أوس

جُشّاً حناجرُها عُلْماً مشافرُها   تَسَتَّنُّ اولادها فى قَرْقَرٍ ضاحى [١]

وقال طرفة

بطىءٌ عن الجُلّى سريع الى الخنا   ذَلولٍ بأجماع الرجال مُلَهَّدِ [٢]

وقال النمر

من صَوب سارية عُلَّت بغادية   تنهلُّ حتى يكادَ الصبحُ يُجابُ

وقال تأبط شرا

يامن لِعَـذّالةٍ حَـذّالةٍ أشبٍ   خرَّقت باللوم جلدى اىّ تخْرَاقِ [٣]

وقال ايضا

حمّـالُ ألوية شهّـاد أنْدِيَة   هبّاط أوْدِيةٍ جوّالُ آفاقِ

وقال النمر

طويل الذراع قصير الكُرَ   اع يواشك بالسَّبْسَبِ الاغبرِ

وقال الافوه الأودى

سودٌ غدائرُها بلجٌ محاجرُها   كأنّ اطرافَها لمّا اجتلَى الطُّنُفُ [٤]

---

[١] — الجش شدة الصوت — .. وفى نسخة حشا بالمهملة — وقوله عُلْماً — هكذا ضبط بأصله بالضم .. والعلم الشق بالشفة العليا وهى من البعير المشفر .. وقوله — تستن اولادها — اى تنشط بهم — فى قرقر ضاحى — الضاحى — البارز من كل شئ وتقدم تفسيره — والقرقر — لم اقف على معناه .. وجاء فى هامش نسخة (فى دحض أنضاح) وكتب عليه انه كذا بخط الخطابى

[٢] — رواية الجمهرة بطئ عن الداعى الخ .. وقال فى تفسيره — أجماع — جمع جُمْع وهو الكف — والملهد — القصى المبعد عن الرجال .. وفى اللسان الملهد — من لهده يلهده اذا غمزه .. وقوله — ذلول — كذا فى الأصول والنقد وانشده فى اللسان ذايل

[٣] — العذالة — المرأة الكثيرة العذل اى اللوم — والحذالة — الباكية من الحذل وهو حمرة وانسلاق فى العين وسيلان دمع — والأشب — الخلط

[٤] — قال فى اللسان — الطُّنُفُ — بالضم السّبور وانشد البيت ثم قال ومثله — الطَّنَفُ — (بالفتح) ايضا ونقل عن ابن سيده .. ان هذه رواية ابوعبيد وقيل الطنف الجلود الحمراء التى تكون على الأسفاط وقيل شجر احمر يشبه العنم .. ويروى فى غير الاصول هكذا كأن اطرافها فى الجلوة الطنف

وقال العجير

حُمُّ الذرى مرسَلة منها العُرَى [وزَجَلاتُ الرعد فى غير صَعَقْ]

وقال سليك

اذا أسهلت خَبَّتْ وان أحْزَنَتْ مشت [وتعشى بها بين البطون وتَقْـذِف]

وقال بشامة بن الغدير *

هو ان الحياة وخِزْىُ المما تِ وكُلاًّ أراه طعاماً وبيلا

وقال الراعى

سود معاصمها خُضْرٌ مَعَاقِمُها قد مسها من عقيد القار تَنْصيلُ [١]

وقالت ليلى [الأخيلية]

وقد كان مرهوبَ السنان وبيِّن الل سان ومِجْذَامَ السُرى غير فاتر

وقال ذو الرمة

كحلاَّءُ فى بَرَجٍ صفراءُ فى نعج[٢] كأنها فضّة قد مسها ذهبُ

وقال عامر بن الطفيل

انى وان كنت ابن فارس عامرٍ وفى السّرِّ منها والصريح المهذّب

فما سوّدتنى عامرٌ عن وراثةٍ أبى الله أنْ أسمو بأمٍّ ولا أب

ولكننى احمى حماها واتقى اذاها وأرمى من رماها بِمَقْنَب

[ـ المقنب ـ جماعة الخيل] ومثل هـذا اذا اتفق فى موضع من القصيدة اوموضعين كان حسنا .. فاذا كثر وتوالى دل على التكلف .. وقد ارتكب قوم من القدماء الموالاة بين ابيات كثيرة من هذا الجنس فظهر فيها اثر التكلف . وبان عليها سمة التعسف . وسلم بعضها ولم يسلم بعض .. فمن ذلك ماروى انه للخنساء [٣].

حامى الحقيقة محمود الخليقة مَهْدى الطريقة نَفّاعٌ وضرارُ

[١] ـــ المعاقم ـــ فقربين الفريدة والعجب فى مؤخر الصلب . وملتقى اطراف العظام

[٢] ـــ البرج ـــ نجل العين وهو سعتها ـــ والنعج ـــ حسن اللون وخلوص بياضه

[٣] ـــ اوردفى الاعجاز البيت الاول والثالث من شواهد المضارعة .. وروى بدل ـ الحقيقة ـ الحقيبة

هذا البيت جيد .. ثم قالت

فعّالُ ساميةٍ ورّادُ طاميةٍ للمجد ناميةٍ تعنيه أسفارُ

هذا البيت ردئٌ لتبرئُ بعض الفاظه من بعض .. ثم قالت

جوّابُ قاصية جزّاز ناصيةٍ عقّاد ألويةٍ للخيل جرارُ

آخر هذا البيت لايجرى مع ماقبله .. واذا قسته بأوله وجدته فاترا باردا .. ثم قالت

حلوٌ حلاوته فَصْلٌ مقالته فاشٍ حمالته للعظم جبّارُ

وهذا مثل ماقبله .. وقول ابى صخر الهذلى

وتلك هَيْكلةٌ خود مبتّلة صفرآءُ رَعْبَلَةٌ فى منصب سَنِمِ

هذا البيت صالح .. وبعده

عذب مقبلها جَذْلٌ مُخَلْخَلَها كالدّعْصِ اسفلها مخصورة القدم[١]

كأن قوله — مخصورة القدم — نابٍ عن موضعه غير واقع فى موقعه .. وبعده

سود ذوايبها بيض ترايبها محض ضرايبها صيغت على الكرم

وهذا البيت ايضا قلق القافية .. وبعده

سمح خلايقها دُرْمٌ مرافقها تَرْوى مُعَانقَها من بارد شَبِمِ

هذا البيت ردئٌ .. لبعد مابين الخلايق . والمرافق . ومابين الدرم . والسمح .. ولولا ان السجع اضطره لما قال سمح وليس لعظم مرفقها حجم[٢].. وهذا مثل قول القايل .. لوقال خلق فلان حسن وشعره جعد .. ليس هذا من تأليف البلغآء ونظم الفصحآء .. وقول ابى المثلم [٣]

---

[١] — الدعص — قوز (اى كوم) من الرمل مجتمع

[٢] — هذا تفسير للدرم .. فأن الدرم فى الكعب أن يوازيه اللحم حتى لايكون له حجم

[٣] — البيت الاول والأخير من هذه الابيات وجدتهما بهامش نسخة الكبرلى فألحقتهما بالأصل وقدنبهت على ذلك لأن المصنف تكلم على البيت الثانى والاخير وقد وقع الثانى ثالثا والاخير سادساً فتنبه

[لو كان للدهر مالاً كان متلده   لكان للدهر صخر مال قُنيان]

آبى الهضيمة نائى بالعظيمة متـ   لافُ الكريمـة بذّ غير ثُنْيان [١]

حامى الحقيقة نسّال الوريقة معـ   تاق الوَسيقة لانكْسٌ ولاوان [٢]

البيت الثانى اجود من الاول .. وقوله

ربّاء مَرْقَبَةٍ منّاع مَغْلبةٍ   وهّاب سَلْهبَةٍ قطّاع أقران

وهذا البيت ايضا صالح .. وبعده

هبّاط أودية حمال ألوية   شهاد أندِيَة سِرْحَان فتيان [٣]

قوله — سرحان فتيان — ناب قلق .. وبعده

يُعطيك مالا تكاد النفس تُرسله   من التلاد وهـوبٌ غير منان

[التارك القِرْن مصفراً انامله   كان فى رَيطتيه نضـح إرقان] [٤]

هذا البيت جيد وقد سلم من سائر العيوب اذ لم يتكلف فيه السجع ولم يتوخ الموازنة .. ومن جيد الباب .. قول ابن الرومى

حوراء فى وطَفٍ قنواء فى دلفٍ   لفـاء فى هيفٍ عجزاء فى قبب

ومن معيب هذا الباب ايضا .. قول بعض المتأخرين [٥]

عجب الوشاةُ من اللُّحاة وقولهم   دَعْ ماتراك ضعفت عن إخفائه

هذا ردئ لتعمية معناه

---

[١] — نسخة — نَدٌّ غير ثنيان .. وأخرى

آبى الهضيمة ناب العظيمة متـ   لاف الكريمة جلد غير ثنيان

[٢] — نسخة — لاسُقُطٌ ولاوان

[٣] — السرحان — السيد والاسد بلغة هذيل .. قاله فى اللسان وانشد البيت

[٤] — الريطة — الملاءة .. قال الازهري لاتكون الريطة الابيضاء — والارقان — الحناء والزعفران

[٥] — قائله — المتنبي

الفصل السادس عشر من الباب التاسع

في الايغال

وهو ان يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه .. ثم يأتى بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا .. واصل الكلمة من قولهم اوغل فى الأمر اذا أبعد الذهاب فيه .. واخبرنا ابو احمد قال اخبرنا الصولى عن المبرد عن التوزى .. قال قلت للاصمعى من اشعر الناس .. فقال من يأتى بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا . أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا . او ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها افاد بها معنى .. قال .. قلت نحو من .. قال قول ذى الرمة حيث يقول

قف العيس فى اطلال مية فاسئل   رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه —بالرداء— [قبل المسلسل] ثم قال [المسلسل] فزاد شيأ بالمسلسل ثم قال

اظن الذى يُجدى عليك سوآلها   دموعا كتبذير الجُمَان المفصّل

فتم كلامه —بالجمان— ثم قال المفصل فزاد شيأ.. قلت ونحو من.. قال الأعشى حيث يقول

كناطح صخرة يوما ليفلقها   فلم يُضرها وأوهى قرنه الوعل

فتم كلامه — بيضرها — فلما احتاج الى القافية .. قال — وأوهى قرنه الوعل — فزاد معنى .. قلت وكيف صار الوعل مفضلا على كل ماينطح .. قال لانه ينحط من قلة الجبل على قرنيه فلا يضيره .. وكتب بعض الكتاب نبوّ الطرف من الوزير . دليل على تغير الحال عنده . ولاصبر على الجفآء ممن عوده الله منه البر . وقد استدللت بازالة الوزير اياى عن المحل الذى كان يحلنيه بتطوله على ماسؤت له ظنا بنفسى . وما اخاف عتبا لانى لم أجن ذنبا . فان رأى الوزير ان يقومنى لنفسى . ويدلنى على مايرادمنى فعل . تم كلامه عند قوله له — يقومنى — ثم جاء بالمقطع وهو قوله — لنفسى — فزاد معنى .. وممن زاد توكيدا .. امرئ القيس حيث يقول

كان عيون الوحش حول خبائنا   وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

قوله — لم يثقب — يزيد التشبيه توكيدا لان عيون الوحش غير مثقبة .. وزهير حيث يقول

كان فُتَاتَ العِهنِ فى كل منزلٍ   نَزَلْنَ به حبُّ القنا لم يُحَطَّم

القنا اذا كسر ابيض — والقنا — شجر الثعلب [١] .. ومن الزيادة قول امرئ القيس

اذا ماجرى بشأوين وابتلّ عطفه   تقول هزيز الريح مرّت بآثاب

فالتشبيه قدتم عند قوله — هزيز الريح — وزاد بقوله — مرت باثاب — لانه اخبربه عن شدة خفيف الفرس وللريح فى اغصان الاثاب خفيف شديد — والاثاب — شجر .. وقول ابى نواس

ذاك الوزير الذى طالت علاوته   كأنه ناظر فى السيف بالطول

فقوله — بالطول — أنفا للشبهة .. وقول راشد الكاتب *

كأنه ويدالحسناء تغمزه   سير الاداوة لما مسه البلل

فقوله — لما مسه البلل — تأكيدا .. ويدخل اكثر هذا الباب فى باب التتميم .. وانما يسمى ايغالا اذا وقع فى الفواصل والمقاطع

الفصل السابع عشر من الباب التاسع

فى التوشيح

سمى هذا النوع التوشيح .. وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى .. ولوسمى تبيينا لكان اقرب .. وهو ان يكون مبتدا الكلام ينبئ عن مقطعه. وأوله يخبر بآخره . وصدره يشهد بعجزه . حتى لوسمعت شعرا اوعرفت رواية ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه . قبل بلوغ السماع اليه : وخير الشعر ماتسابق صدوره واعجازه . ومعانيه والفاظه . فتراه سلسا فى النظام. جاريا على اللسان . لايتنافى ولايتنافر. كانه سبيكة مفرغة . أووشى منمنم . أوعقد منظم . من جوهر متشاكل . متمكن القوافى غيرقلقة . وثابتة

[١] — قوله القنا شجر الثعلب .. هكذا فى الاصول بالقاف .. وكذا فى الجمهرة .. وقال شجرله حب احمر فيه نقط سود .. وخالفهما فى النقد فانشده بالفاء .. وقال الفنا حب تنبته الارض احمر ثم قال فقد اتى على الوصف قبل القافية لكن حب الفنا اذا كسر كان مكسره غير احمر فاستظهر فى القافية لما أن جاء بها قال لم يحطم فكأنه وكدالتشبيه بايغاله فى المعنى .. قلت وفى اللسان .. والفنا مقصور الواحدة فناة (بالفاء) عنب الثعلب ويقال نبت آخر وانشد البيت

غير مرجة . الفاظه متطابقة . وقوافيه متوافقة . ومعانية متعادلة . كل شئ منه موضوع في موضعه . وواقع في موقعه . فاذا نقض بناؤه . وحل نظامه . وجعل نثرا . لم يذهب حسنه . ولم تبطل جودته في معناه ولفظه . فيصلح نقضه لبناء مستأنف . وجوهره لنظام مستقبل ،،

فمما في كتاب الله عز وجل من هذا النوع قوله تعالى ﴿ وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ فاذا وقفت على قوله تعالى — فيما — عرف فيه السامع ان بعده — يختلفون — لما تقدم من الدلالة عليه وهكذا قوله تعالى ﴿ قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ماتمكرون ﴾ اذا وقف على — يكتبون — عرف ان بعده — مايمكرون — لما تقدم من ذكر المكر ،،

وضرب منه آخر .. وهو ان يعرف السامع مقطع الكلام وان لم يجد ذكره فيما تقدم وهو كقوله تعالى ﴿ ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ فاذا وقف على قوله — لننظر — مع ماتقدم من قوله تعالى جعلنا كم خلايف في الارض علم ان بعده — تعملون — لان المعنى يقتضيه ،،

ومن الضرب الاول قوله تعالى ﴿ ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ وهكذا قوله تعالى ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ اذا وقف على — اوهن البيوت — يعرف ان بعده — بيت العنكبوت — ومن امثلة ذلك .. قول الراعى

وان وزَن الحَصَى فوزنْتُ قومى ‏ ‏ ‏ ‏ وجـدتُ حصى ضريبتهم رزينا

اذا سمع الانسان اول هذا البيت وقد تقدمت عنده قافية القصيدة استخرج لفظ قافيته .. لانه عرف ان قوله — وزن الحصى — سيأتى بعده — رزين — لعلتين : احداها ان قافية القصيدة توجبه : والاخرى ان نظام البيت يقتضيه .. لان الذى يفاخر برجاحة الحصى ينبغى ان يصفه بالرزانة .. وقول نصيب

وقد أيقنتُ أن ستبينُ ليلى ‏ ‏ ‏ ‏ وتُحجَبُ عنك لَو نفع اليقين

وانشد ابو احمد .. قول مضرس بن ربعى *

تمنيت أن ألقى سليما ومالكاً ‏ ‏ ‏ ‏ على ساعةٍ تُنسى الحليم الامانيا

ومن عجيب هذا الباب .. وقول البحترى

فليس الذى حلّلته بمحلل ‏ ‏ ‏ ‏ وليس الذى حرّمته بحرام

وذلك ان من سمع النصف الاول عرف الاخير بكماله .. ونحوه قول الاخر

فامّا الذى يُحصيهم فمكثّرٌ   واما الذى يُطْرِيهم فمقلّلِ

وقول الا خر

هى الدرُّ منثوراً اذا ماتكلّمتْ   وكالدرّ منظوما اذا لم تكلّم

وقول الآخر

ضعايف يَقْتُلْنَ الرجال بلادمٍ   ويا عجبًا للقاتلات الضعايف

وقول الآخر

وقد لان ايامُ الحمى ثم لم يَكَدْ   من العيش شئٌ بعد ذاك يلين

يقولون ما أبلاكَ والمال عامرٌ   عليك وضاحى الجلد منك كنين

فقلت لهم لاتعذلونى وانظروا   الى النازع المقصور كيف يكون

اذا قلت — ضاحى الجلد منك — فليس شئٌ سوى — الكنين — وكذلك اذا قلت — الى النازع المقصور كيف — فليس شئٌ سوى — يكون — ومما عيب من هذا الضرب .. قول ابى تمام

صارت المَكْرُمَات نُزْلًا وكانت   أُدْخِلَتْ بينها بنات مَخَاضِ

وقول بعض المتأخرين

فقلقلت بالهمّ الذى قَلْقَلَ الحشى   قلا قل عيس كلّهن قلا قل

وانما اخذه من قول ابى تمام .. فأفسده

طلَبْتُكَ من نسل الجديل وشَدْقَمٍ   كُومٌ عقايل من عقايلَ كُومِ [١]

---

[١] — جديل . وشدقم — فحلان كانا للنعمان بن المنذر تنسب اليهما الجدليات والشدقيات من الابل .. وقيل الجديل فحل لمهرة بن حيدان — والكوم — الاولى القطعة من الابل والثانية جمع أكوم وهى فى الاصل العِظَم فى كل شئ ثم غلب على السنام والبعير فقيل سنام أكوم وبعير أكوم اى عظيما

الفصل الثامن عشر من الباب التاسع

فى رد الاعجاز على الصدور

فاول ماينبغى انتعلمه .. انك اذا قدّمت الفاظا تقتضى جوابا فالمرضى انتأتى بتلك الالفاظ فىالجواب ولاتنتقل عنها الى غيرها مما هو فىمعناها .. كقول الله تعالى ﴿ وجزآء سيئة سيئة مثلها ﴾ وكتب بعض الكتاب فى خلاف ذلك .. من اقترف ذنبا عامدا . اواكتسب جرما قاصدا . لزمه ماجناه . وحاق به ماتوخاه .. والاحسن ان يقول — لزمه ما اقترف . وحاق به ما اكتسب — وهذا يدلك على ان لرد الاعجاز على الصدور موقعا جليلا من البلاغة .. وله فىالمنظوم خاصة محلا خطيرا .. وهو ينقسم اقساما ،،

منها مايوافق آخر كلمة فىالبيت آخر كلمة فىالنصف الاول .. مثل قول الاول

تلقى اذا ماالامر كان عَرَمْرَماً فى جيش رأى لا يفلُّ عرمرم

وقال عنترة

فأجبْتُها انّ المنية منهَلٌ لابدان أُسقى بذاك المنهل

وقال جرير

زعم الفرزدق ان سَيَقْتُلُ مَرْبَعاً أبشر بطول سلامةٍ يا مربعُ

وقال المخبل *

ويَنْفُسُ فيها اورثنى أوائلى ويرغب عما أورثته اوائله

ومنها مايوافق اول كلمة منها آخر كلمة فىالنصف الاخير .. كقول الشاعر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داع الوغى بسريع

وقول ابن الاسلت *

اسعى على جُلّ بنى مالكٍ كل امرئٍ فى شأنه ساعِ

ومنه مايكون فىحشوالكلام فىفاصلته .. كقول الله تعالى ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ﴾ وقوله تعالى ﴿ قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ﴾ .. وكقول امرئ القيس

اذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانه　　فليس على شئ سواه بخزّان

وقول الآخر

كذلك خِيمُهُمْ ولكل قوم　　اذا مسّتهُم الضراءُ خيم

وقول زهير

ولا نت تفرى ماخلقتَ وبعـ　　ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

وقال جرير

سقى الرملَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌّ رَبابُه　　وماذاك الاحُبّ من حلّ بالرمْل [١]

اخذه من قول النمرى

لعمرك ما أسقى البلاد لحبها　　ولكنما اسقيك حار بن تَوْلَبِ

وقول ابن مقبل

ياحُرّ من يعتذر من أنْ يُلِمّ بِهِ　　ريب المنوب فانى لست أعتذرُ

وقول الحطيئة

اذا نزل الشتاءُ بدار قوم　　تجنب جارَبيتهم الشتاءُ

وقول الاخر

رأت نِضْوَ أسفارٍ أُمَيْمَةُ واقفا　　على نضو أسفار فجُنّ جُنُونُها

وقول عمرو بن معدى كرب

اذا لم تستطع شيأً فدعْهُ　　وجاوزه الى ما تستطيع

وقول الاخر

أصدُّ بأيدى العيس عن قصد دارها　　وقلبى اليها بالمودّة قاصدُ

ومن الضرب الاول .. قول زهير

السترُ دون الفاحشات ولا　　يلقاك دون الخير من سَتْر

---

[٦] — الجون — المطر اذاكان صافيا — والرباب — بالفتح السحاب .. وفى فقه اللغة للثعالبى اذا تعلق سحاب دون السحاب فهوالرباب .. وانشده فى الاعجاز (مستهل غمامه) بدل ربابه

وقول الحطيئة

تَدرُّون ان شُدّ العِصَابُ عليكم ... ونأبى اذا شُدّ العصاب فلا نَدرْ [١]

وقول ابى تمام

اسـائله ماباله حكَمَ البِـلَى ... عليه والاّ فاتركونى اسائله

وقوله

تجشّم حمل الفادحات وقلّما ... أُقيمت صدورُ المجد الاّ تجشّما

وقول الآخر

مُفيـدٌ ان تَزُرْهُ وأنت مُقْوٍ ... تكن من فضل نعمته مُفيدا

وقول الاخر

واستبدّتْ مرّةً واحدةً ... انما العاجز من لايَسْتَبِدْ

ومنها مايقع فى حشو النصفين .. كقول النمر

يود الفتى طول السـلامة والغنى ... فكيف ترى طول السلامة تفعل

وقلت

الا لايذم الدهر من كان عاجزا ... ولايَعْذلُ الأقدار من كان وانيا

فمن لم تبلّغـه المعـالىَ نفسـه ... فغير جدير ان ينـالَ المعاليـا

وقفتُ عـلى يحيى رجائى وانمـا ... وقفتُ على صَوْب الربيع رجائيا

اذا ما الليـالى ادركتْ ما سعَتْ له ... تمطيت جـدواه ففُتّ اللياليـا

ومما عيب من هذا الباب .. قول ذى نواس البَجَلى *

يُتَيِّمُنِى برق المباسم بالضُحَى ... ولا بارقُ الاّ الكريم يُتَيِّمُهْ

وقال منصور * بن الفرج

ذُرْناكِ شوقا ولو انّ النوى نَشَرَتْ ... بُسْطَ النوى بيننـا بعـداً لزرناكِ

---

[١] — العصـاب — من قولهم فلان أعطى على العَصْب أى على القهر .. قال شـارح ديوانه ضرب هـذا مثلا يقول اذا اشتد عليكم بأس قوم وأمرهم اعطيتموهم ماطلبوا من اموالكم قهراً ونحن لانفعل فلا نعطى على القسر اى القهر .. ورواه فى المختارات — وانّا — بدل ونأبى

وهذا ايضا داخل فى سوء الاستعارة .. وقوله ايضا

اذا احتجب الغيث احتبى فى نَديّه   فيضرب اغيـاثاً له ان تحجّبـا

وهذا البيت على غاية الغثاثة

الفصل التاسع عشر من الباب التاسع

فى التتميم والتكميل

وهو ان توفى المعنى حظه من الجودة . وتعطيه نصيبه من الصحة .. ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه . الا توردِه . اولفظا يكون فيه توكيده . الا تذكره .. كقول الله تعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهومؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ فبقوله تعالى — وهومؤمن — تم المعنى .. ونحو قوله سبحانه ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ فبقوله تعـالى — استقاموا — تم المعنى ايضا .. وقد دخل تحته جميع الطاعات [١] فهو من جوامع الكلم ونحو قوله تعالى ﴿ فاستقيموا اليه ﴾ .. ومن النثر .. قول اعرابية لرجل .. كبت الله كل عدو لك الا نفسـك [— فبقولها نفسك —] تم الدعاْ .. لان نفس الانسـان تجرى مجرى العدو له يعنى انهـا تورطه وتدعوه الى مايوبقـه . ومثله قول الآخر — احرس اخاك الا من نفسه — وقريب منه .. قول الآخر — من لك اخيك كله — ومن المنظوم .. قول عمرو بن براق *

فلا تأمنن الدهر حرّاً ظلمته   فما ليل مظلوم كريم بنائم

فقوله — كريم تميم — لان اللئيم يغضى على العار . وينام عن الثار . ولا يكون منه دون المظالم تكبر .. وقول عمرو بن الايهم

بها نلنا القرايب من سوانا   وأحرزنا القرايب ان تُنالا

[١] — وجدت فى الاعجاز للثعالبى — استقاموا — كلة واحدة تفصح عن الطاعات كلها فى الائتمار والانزجار وذلك لو ان انسانا اطاع الله سبحانه وتعالى مائة سنة ثم سرق حبة واحدة لخرج بسرقتها من الاستقامة

فالذى اكمل جودة المعنى قوله — واحرزنا القرايب ان تنالا — وقول الآخر

رجال اذا لم تُقْبَلِ الحق منهم　　ويعطوه عادوا بالسيوف القواضبِ

وقول طرفة

فسقى ديارك غير مُفْسِدها　　صَوْبُ الربيع وديمَةٌ تَهْمِى

فقوله — غير مفسدها — اتمام المعنى وتحرز من الوقوع فيما وقع فيه ذوالرمة .. فى قوله

الا يا سْلمى يا دارمىّ على البِلَى　　ولازال مُنْهَلاًّ بجرعائك القطر

فهذا بالدعاء عليها . اشبه منه بالدعاء لهـا .. لان القطر اذا انهل فيهـا دايمـا فسدت .. ومن العجب ان ذا الرمة كان يستحسن قول الاعرابية .. وقد سألها عن الغيث .. فقالت غيثا ماشئنا .. وهو يقول خلاف مايستحسن .. ومن التتميم قول الراعى

لاخير فى طول الاقامة لامرئٍ　　الاّ اذا مالم يجد متحوّلا

ونحوه قول الآخر

اذا كنت فى دار يهينك اهلها　　ولم تك مكبولاً بها فتحول

وقول الآخر

ومُقام العزيز فى بلدالـ　　ذُلّ اذا امكن الرحيل مُحَالُ

فقوله — اذا امكن الرحيل — تتميم .. وقول النمر

لقد اصبح البيض الغوانى كأنما　　يَرَيْنَ اذ ما كنتُ فيهنّ أجْرَبَا

وكنت اذا لاقيتهنّ ببلدة　　يَقُلْنَ على النَّكرآء اهلاً ومرحبَا

فقوله — على النكرآء — تتميم .. ولوكانت بينه وبينهن معرفة لم ينكر له منهن اهلٌ ومرحبٌ .. وقول الاخر

وهل علمتَ بيتنا الاوّلَهْ　　شَرَبَّةٌ من غـيره وأكَلَهْ

فقوله — من غيره — تتميم .. لان لكل بيت شرَّبة وأكَلَةٌ من اهله .. وقول الشماخ

جُمَالِيَّةٌ لو تُجْعَلُ السيفُ عَرْضَها　　على حده لاستكبرَتْ ان تَضوَّرا [١]

[١] — جمالية — اى تشبه الجمل فى خلقها وشدتها — والتضور — التضعف .. والبيت هكذا ضبطت حروفه فى اصح نسخ الاصل فليحرر

فقوله على — حده — تتميم عجيب .. ويدخل فى هذا الباب .. قول الاخر

وقلّ من جدّ فى امرٍ يطالبه فاستصحبَ الصّبرَ الافاز بالظَفَرِ

وقول الخنساء

وانّ صخراً لتأتم الهُدَاةُ به كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

فقولها — فى رأسه نار — تتميم عجيب .. قالوا لم يستوف احد هذا المعنى استيفائها وهو مأخوذ من .. قول الاعشى

[وتُدفَنُ منه الصالحاتُ وان يُسئْ] يكن ما أساءَ النارَ فى رأس كَبْكَبا [١]

الا انها اخرجته فى معرض احسن من معرض الاعشى . فشهر واستفاض . وخمل معها بيت الاعشى ورذل .. وهذا دليل على صحة ماقلناه من ان مدار البلاغة على تحسين اللفظ . وتجميل الصورة .. وقول الآخر

الاّ ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فان الصُبحَ يأتى بالهُمُوم

حوائجَ لانُطيقُ لها قضاءً ولاردّاً ورَوْعات الغريم

فقوله — ولا ردا — تتميم

﴿ الفصل العشرون من الباب التاسع ﴾

فى الالتفات

الالتفات على ضربين .. فواحد ان يفرغ المتكلم من المعنى فاذا ظننت انه يريد ان يجاوزه يلتفت اليه فيذكره بغير ماتقدم ذكره به .. اخبرنا ابو احمد .. قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى .. قال قال الاصمعى .. اتعرف التفاتات جرير .. قلت لا فما هى .. قال

---

[١] — كبكبا — اسم جبل بمكة .. قال فى اللسان وقد ترك الاعشى صرفه وانشد البيت .. وقبله

ومن يغترب عن قومه لايزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومَسْحَبا

أَتَنسى اذ تُوَدِّعُنا سُلَيمَى بعود بَشامةٍ سُقِيَ البشام[١]

الاتراه مقبلا على شعره .. ثم التفت الى البشام فدعا له .. وقوله

طَرِبَ الحمام بذى الاراك فشاقنى لازلت فى عَلَلٍ وأيكٍ ناضر

فالتفت الى الحمام فدعا له .. ومنه .. قول الاخر

لقد قتلتُ بنى بكر بربهم حتى بكيتُ وما يبكى لهم احدُ

فقوله — وما يبكى لهم احد — التفات وقول حسان

انّ التى ناولتَنِى فرددتُها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تُقْتَلِ

فقوله — قتلت — التفات ،، والضرب الآخر ان يكون الشاعر آخذا فى معنى وكأنه يعترضه شك اوظن ان راداً يرد قوله اوسائلا يسئله عن سببه فيعود راجعا الى ماقدمه .. فاما ان يؤكده . او يذكر سببه . اويزيل الشك عنه .. ومثاله .. قول المعطل الهذلى ❊

تبين صُلاةَ الحرب مّنا ومنهم اذا ما التَقَيْنا والمُسَالمُ بادنُ

فقوله — والمسالم بادن — رجوع من المعنى الذى قدمه .. حتى بين ان علامة صلاة الحرب من غيرهم ان المسالم بادن والمحارب ضامر .. وقول عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ❊

وأجمِلْ اذا ماكنت لابُدّ مانعا وقد يمنع الشئَ الفتى وهو مُجْمِلُ

وقول طرفة [٢]

وتُصدّعنك مَخيلَةَ الرجل الـ ـمشروف موضحةٌ عن العَظْمِ

بحسام سيفك او لسانك والـ ـكلم الأصيل كأرْعب الكَلْمِ

[١] — هكذا فى الاصل والاعجاز وديوان شعره .. ورواه فى اللسان (أتذكر يوم تصقل عارضيها الخ) — وقوله البشام — قال فى اللسان هو شجر ذوساق وافنان وورق صغار اكبر من ورق الصعتر ولا ثمر له

[٢] — هكذا فى الاصل .. وانشد البيت الأول فى النقد

وتكشف عنك مخيلة الرجل الـ ـمريض موضحة عن العظم

وقوله — كأرعب الكلم — اى كأشد الجراح واكثرها اتساعا .. كذا فسره فى النقد

فكأنه ظن معترضا يقول له كيف يكون مجرى اللسان والسيف واحدا .. فقال — والكلم الاصيل كارعب الكلم — وانما اخذه من امرئ القيس

وجرح اللسان كجرح اليد

واخذه آخر .. فقال

والقول يُنفذُ مالا تنفذ الأبَر

ومن الالتفات .. قول جدير بن ربعان *

معازيل فى الهيجاء ليسوا بزادة ۝ مجازيع عند البأس والحُرّ يَصْبرُ

فقوله — والحر يصبر — التفات .. وقول [الرماح] بن ميادة

فلا صرْمُه يبدو وفى اليأس راحة ۝ ولا ودُّه يصفو لنا فنُكارمُهْ

كأنه يقول — وفى اليأس راحة — والتفت الى المعنى لتقديره ان معارضا يقول له وماتصنع بصرمه .. فيقول لأنه يودى الى اليأس وفى اليأس راحة

الفصل الحادى والعشرون من الباب التاسع

فى الاعتراض

[الاعتراض] وهو اعتراض كلام فى كلام لم يتم .. ثم يرجع اليه فيتمه .. كقول النابغة الجعدى

الا زعَمتْ بنو سعد بأنى ۝ الا كَذبوا كبير السنّ فانى

وقول كثير

لو انّ الباخلين وأنت منهم ۝ رأوك تعلموا منك المطالا

وقول الآخر

فظلّتْ بيوم دَعْ اخاك بمثله ۝ على مَشْرَعٍ يُرْوَى ولمّا يُصرَّدِ[1]

[1] — يصرد — من الصرد .. قال الجوهرى الصرد البرد فارسى معرب

وقول الآخر

ان الثمانين وبُلّغتَهـا　　قد أحوجت سمعى الى ترجُمَان

وكتب اخر .. فانك والله يدفع عنك علق مضنة . يُنَفَسُ ويتنافس به . فيكون خالفا مما سواه . ولايكون فى غيره منه . فان رأيت ان تسمع العـذر وتقبله . فلو لم تكن شواهده واضحة . وانواره لايحـة . لكان فى الحق ان تهب ذنبى لجزعى . واذلالى لاشـفاقى . ولاتجمع على لوعةالك . وروعـة منك . فعلت .. فقوله — فانك والله يدفع عنك — اعتراض مليح .. وقول البحترى

ولقد علمتُ وللشباب جهـالةٌ　　ان الصبيَ بعد الشباب تصابى

وقلت

أأسْحَبُ أذيال الوفاء ولم يكن　　وحاشاك من فعل الدنيّة وافيا

الفصل الثانى والعشرون من الباب التاسع

فى الرجوع

[الرجوع] وهو ان يذكر شـيئاً ثم يرجع عنـه .. كقول القـايل .. ليس معك من العقل شئ . بلى بمقدار [١] مايوجب الحجة عليك .. وقال آخر .. قليل العلم كثير . بل ليس من العلم قليل .. وكقول الشاعر

أليس قليلا نظرةٌ ان نظرتُها　　اليك وكلاّ ليس منك قليلُ

اخذه بن هرمة .. فقال

[ليت خطى كلحظة العين منها]　　وكثير منهـا القليـل المُهنَّا [٢]

---

[١] — نسخة — بل بمقدار

[٢] — نسخة — وقليل منها الكثير المهنا .. على العكس ولعل الذى اخترته هو الموافق

وقال غيره

ان ماقلَّ منك يكثر عندى   وكثير ممن تُحبُّ القليـلُ

وقال دريد بن الصمة [٣]

عُبْرالفوا رس معروف بشكّته   كاف اذا لم يكن فى كَرْبِه كافى

وقد قتلتُ بنى عبساً واخوَتَها   حتى شفيت وهل قلبى به شافى

وقول آخر

نُبِّئْتُ فاضح قومه يغتابنى   عندالامير وهَل على أمير

وقول آخر [٤]

ومابى انتصار انْ غدا الدهر ظالمى   علىّ بلى ان كان من عندك النَّصْرُ

وقال آخر

اذا شئْتَ ان تلقى القناعة فاسْتَخِرْ   جُذَامَ بن عمرو ان أجاب جُـذَامُ

ومن مذموم هذا الباب .. قول ابى تمام

رضيت وهل أرضى اذا كان مسخطى   من الامر مافيه رضا من له الامر

﴿ الفصل الثالث والعشرون من الباب التاسع ﴾

فى تجاهل العارف ومزج الشك باليقين

[تجاهل العارف ومزج الشك باليقين] هواخراج مايعرف صحته مخرج مايشـك فيه ليزيد بذلك تأكيدا .. ومثاله من المنثور .. ما كتبته الى بعض اهل الادب .. سمعت بورود

[٣] — العبر — بضم العين المهملة هكذا فى ثلاثة نسخ وفى نسخة بالمعجمة المضمومة ايضا ولم اقف على معناهما — والكرب — من اكرب اذا اسرع .. وفى نسخة — من كربه — بدل فى كربه .. وقوله بنى عبساً على النصب والتنكير هكذا فى نسختين صحيحتين وفى نسخة بنى عبس فليحرر

[٤] — قائله — ابوالبيداء .. كذا فى الخزانة لابن حجة الحموى وانشد .. ومالى انتصار ان غدا الدهر جائرا الخ

كتابك . فاستفزنى الفرح قبل رؤيته . وهز عطفى المرح امام مشاهدته . فما أدرى اسمعت بورود كتاب . أم ظفرت برجوع شباب . ولم أدر مارأيت . أخط مسطور . أم روض ممطور . وكلام منثور . أم وشى منشور . ولم ادرماابصرت فى اثنائه . أأبيات شعر . أم عقود در . ولم ادر ماحملته [١] . اغيث حل بوادى ظماءن . أم غوث سيق الى لهفان .. ونوع منه ما كتب به كافى الكفاة

كتبت اليك والاحشاء تهفوا وقلبي ما يَقِرُّ له قرار

عن سلامة وان كان فى عدد السالمين . من اتصل سهاده . وطار رقاده . ففوءآده يجف . ودمعه يكف . ونهاره للفكر . وليله للسهر .. ومن المنظوم .. قول بعض العرب [٢]

بالله يا ظبيات القاع قُلْنَ لنا لَيْلاىَ منكن أم ليلى من البشر

وقول آخر

أأنت ديار الحىّ ايتها الرُبَى الـ أنيقة أم دار المُهى والنعائم

وسرب ظباء الوحش هذا الذى ارى بربعك أم سرب الظباء النواعم

وأدمعنا اللاتى عفاك انسجامها وأبلاك أم صَوْبُ الغمام السَّوَاجم

وأيامنا فيك اللواتى تَصَرَّمَتْ مع الوصل أم اضغاث احلام نائم

وقال ذوالرمة

أياظبية الوعساء بين جُلَاجِلٍ وبين النقى أأنت أم امُّ سالم

وقال بعض المتأخرين

اريقك أم ماء الغمامة أم خمر

وقلت

أغُرَّةُ اسمعيل أم سُنَّةُ البدر وفيض ندى كَفَيْه أم باكرُ القطر

وقلت ايضا

أثغرٌ ما ارى أم اقحوان وقدٌّ ما بدا ام خَيْزُرانُ

وطرف ماتُقَلِّبُ أم حسام ولفظ ماتساقط أم جُمانُ

وشوق ما اكابدُ أم حريقٌ وليل ما اقاسى أم زمانُ

---

[١] — نسخة — ماجلته بالجيم

[٢] — قائله — العرجي

وقال ابن المعتز

كم ليلة عانقتُ فيها بدرها　　حتّى الصباحُ موسّداً كَفَّيهِ

وسكرتُ لا ادرى أمن خمر الهوى　　أم كأسه أم فيه أم عيْنَيْهِ

وقال اعرابى

أيا شبهَ ليلى ما لليلى مريضةٌ　　وأنت صحيح انّ ذا لمحَالُ

اقول لظَبْيٍ مرَّ بى وهو راتع　　أأنت اخو ليلى فقال يُقالُ

الفصل الرابع والعشرون من الباب التاسع

فى الاستطراد

وهو ان يأخذ المتكلم فى معنى فبينا يمر فيه يأخذ فى معنىً آخر .. وقد جعل الأول سببا اليه .. كقول الله عز وجل (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) فبينا يدل الله سبحانه على نفسه بانزال الغيث واهتزاز الارض بعد خشوعها .. قال (ان الذى احياها لمحيي الموتى) فاخبر عن قدرته على اعادة الموتى بعد افنائها واحيائها بعد ارجائها .. وقد جعل ماتقدم من ذكر الغيث والنبات دليلا عليه ولم يكن فى تقدير السامع لأول الكلام .. الا انه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الاعادة فاستوفى المعنيين جميعا .. ومثاله من المنظوم .. قول حسان

ان كنتِ كاذبَةَ الذى حدثتِنى　　فنجَوْتِ مَنْجَى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل عنهم　　ونجا برأس طِمرَّةٍ ولجام [1]

وذلك ان الحارث * بن هشام فرّ يوم بدر عن اخيه ابى جهل .. وقال يعتذر

الله يعلم ما تركت قتالهم　　حتى عَلَوا فرسى باشقر مُزْبد

وعلمت أنى ان اقاتل واحداً　　أقتل ولا يَضرُرْ عدوى مشهدى

[1] ـ الطمرّ ـ بتشديد الراء الفرس الجواد وقيل المستفز للوثب والانثى طمرّة

وشممت ريح الموت من تلقائهم   في مأزق والخيل لم تتبدّد

فصددت عنهم والأحبةُ فيهم   طمعاً لهم بعقاب يوم مُرْصَد

وهذا اول من اعتذر من هزيمة رويت عن العرب .. ومن الاستطراد .. قول السموأل

وانا أناس لانرى القتل سُبّةً   اذا مارأته عامر وسَلولُ

فقوله — اذا مارأته عامر وسلول — استطراد .. وقال الاخر

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه   فليس به بأس وان كان من عُكْلِ [١]

وقول زهير

انّ البخيل ملوم حيث كان ولـ   ـكنّ الجواد على علاته هرم

ومن ظريف الاستطراد .. قول مسلم

أجِدُّكِ ماتدرين أنْ ربَّ ليلةٍ   كأن دُجَاها من قُرُونِكِ يُنْشَرُ

لهوتُ بها حتى تجلّت بغرّةٍ   كغرّة يحيىٰ حين يذكر جعفر

وقال ابو تمام

وسابح هطلٍ التعداء هتّان   على الجراء أمين غير خوّان

أظمى الفُصُوص ولم تظمأ عرايكه   فخّل عينيك في ظمآن ريّان

فلو تراه مُشيحاً والحصى زيَمٌ   تحت السنابك من مثنىً ووحدان

أيقنت ان لم تَثبّتْ ان حافره   من صخر تَدْمُرَ أو من وجه عثمان [٢]

فبينا يصف قوايم الفرس خرج الى هجاء عثمان .. وهو من قول الأعرابي .. لوصك بوجهه الحجارة لرضها . ولوخلا بالكعبة لسرقها .. ومثله قول ابن المعتز

لو كنت من شيءٌ خلافك لم تكُنْ   لتكون الا مشجبا في مشجب

ياليت لي من جلد وجهك رقعة   فأقدّ منها حافرا للأشهب

---

[١] — نسخة — من جرم

[٢] — اراد به عثمان بن ادريس السامى .. وقد اورد هذه الأبيات الباقلانى فى اعجازه .. وابو بكر الصولى في المجموع من شعره باختلاف في بعض الحروف

وقول البحترى فى الفرس

ما ان يعاف قذىً ولو أوردتَهُ ... يوما خلايق حَمْدَوَيه الأحول

وقال مسلم [١]

وأحببتُ من حبّها الباخلين ... ن حتى ومَقْتُ ابن سلمٍ سعيدا

اذا سيل عُرْفاً كسا وجهه ... ثيابا من البخل زرقا وسودا

يغار على المال فعل الجوا ... د وتأبى خلائقه ان يجودا

وقال بشار

خليليَّ من كعب أعينا اخاكما ... على دهره انّ الكريم معينْ

فلا تبخلا بخل ابن قَزْعَةَ انه ... مخافة أنْ يُرْجَى نَدَاه حزينْ

[اذا جئته فى الحَلْق اغلق بابه ... فلم تلقه الاّ وانت كمين]

وقوله

فما ذرّ قرن الشمس حتى كأننا ... من العِيّ نحكى احمد بن هشام

وقريب منه .. قول البحترى

اذا عطفته الريح قلت التفاته ... لعَلْوَةَ فى جاديّها المُتَعَصْفِر

وهذا الباب يقرب من باب حسن الخروج وقد استقصيناه فى آخر الكتاب .. ومن الاستطراد ماقلته

انظر الى قطر السمآء ووبلها ... ودنوّ نايلها وبُعْد محلّها

وشمول ماَنَشَرَتْهُ من معروفها ... فانبثّ فى حَزْن البلاد وسهلها

بَلْ مايروعك من وفور عطائها ... وعلوّ موضعها ولذّة ظلها

أنظر بنى زيد فانّ محلهم ... من فوقها وعطاؤهم من قبلها

---

[١] — نسخة — حمراً بدل قوله زرقا .. ويغير بدل يغار .. واخرى من المنع صفراً وسودا .. ويسودا بدل قوله يجودا

ومن الاستطراد ضرب آخر .. وهو ان يجيء بكلام يظن انه يبدأ فيه بزهد وهو يريد غير ذلك .. كقول الشاعر

يا من تشاغل بالطَلَل　　أقصر فقد قرب الاجَلْ

واصل غبوقك بالصبو　　ح وعَدّ عن وصف المَلَلْ

الفصل الخامس والعشرون من الباب التاسع

فى جمع المؤتلف والمختلف

وهو ان يجمع فى كلام قصير اشياء كثيرة مختلفة او متفقة .. كقول الله تعالى (فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) وقوله عز اسمه (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتآء ذى القربى وينهى عن الفحشآء والمنكر والبغى) ومثاله من النثر .. ما كتب به الشيخ ابو احمد .. فلو عاش حتى يرى مامُنينا به من وغد حقير . نقير . نذل . رذل . غثّ . رثّ . لئيم . زنيم . اشحّ من كلب . واذل من نقد . واجهل من بغل . سريع الى الشر . بطئ عن الخير . مغلول عن الحمد . مكتوف عن البذل . جواد بشتم الأعراض . سخى بضرب الأبشاد . لجوج . حقود . خرق . نزق . عسر . نكد . شكس . شرس . دعى . زنيم يعتزى الى أنباط سُقّاط . اهل لؤم اعراق . ودقة اخلاق . وينتمى الى أخبث البقاع ترابا . وامرّها شرابا . وأكمدها ثيابا . فهو كما قال الله تعالى (والذى خبث لايخرج الا نكدا) ثم كما قال الشاعر

نَبَطىٌّ اباؤه لم يَلِدْهُ　　ذو صلاح ولم يلد ذا صلاح

معشرٌ اشبهوا القرود ولـ　　كن خالفوها فى خِفّة الارواح

ومن المنظوم .. قول امرى القيس

سماحة ذا وبرّ ذا ووفآء ذا   ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

وقوله [وقد جمع فيه جميع اوصاف الدمع من كثرته وقلته]

فدمعهما سكْبٌ وسحّ وديمة   ورش وتوكافٌ وتنهملان

وما جمع من انواع المكروه فى بيت كما جمع .. ابن احمر

نقائذ برسام وحُمىّ وحَصْبة   وجوع وطاعون وفقر ومغرم

وقال سويد بن حذاق *

أبى القلب ان ياتى السّدير واهله   وان قيل عيش بالسدير غزير

بها البقّ والحمى واُسْدُ خفيّة   وعمرو بن هند يعتدى ويجور

وقال ابو دواد

حديد القلب والنا   ظر والعرقوب والكعب

عريض الصدر والجب   هة والصهوة والجنْب

جواد الشدّ والتقري   ب والاحضار والعقْب

وقال دريد

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا   طُوَالُ القرا نَهْدٌ أسيلُ المقلد

وقال ابن مطير

بسود نواصيها وحمر اكفها   وصفر تراقيها وبيض خدودها

وقال اوس بن حجر

يشيّعها فى كل هضْبٍ ورملة   قوايم عوج مجمرات مقاذف

توايم الأُفِّ توالٍ لواحق   سواهٍ لواهٍ مزبداتٍ خوانف

— مزبدات — خفاف — خوانف — تهوى بايديها الى ضبعها .. ومن اشعار المحدثين .. قول ابى تمام

غدا الشيب مختطاً بفودىّ خطّةً ... سبيل الردى منها الى النفس مهيع

هوالزور يُجفى والمعاشر يُجتوى ... وذوالالف يُقلى والجديد يُرقّع

وقوله

كالغصن فى القد والغزالة فى ال ... بهجة وابن الغزال فى غَيَدَهْ

وقوله

رب خفض تحت السرى وغناء ... من عناء ونضرة من شحوب

وقول ابن المعتز

والله ماأدرى بكُنْه صفاته ... ملك القلوب فأوبقت فى أسره

أبوجهه أم شعره أم ثغره ... أم نحره أم ردفه أم خصره

وقول ابى تمام

فى مطلب أومهرب أورغبة ... أورهبة أوموكب أوفيلق

وقول البحترى

بحل وعقد وحزم وفصل ... ونيل وبذل وبأس وجود

وقلت

حليف علآء ومجد وفخر ... وبأس وجود وخَير وخِير

وقال ابوتمام[١]

يروعك أن تلقاه فى صدر فيلق ... وفى نحر اعدآء وفى قلب موكب

وقلت

وماهو الا المُزْن يصفو ظلاله ... و يعلو مبواه ويبكرها طله[٢]

وقلت

أنت الربيع الغض رقّ نسيمه ... واخضّر روضته وطاب غمامه

[١] — جاء فى نسخة هكذا

يهولك أن تلقاه صدراً لمحفل ... ونحراً لاعدآء وقلبا لمواكب

[٢] — نسخة — بدل مبواه هكذا — مُبوَّأُه — واخرى — سواه — فليحرر

وقلت

فتى لم نزنه بالقوافي وانما حططنا اليه كي يزينَ القوافيا

من الغر لاحوا أشْمُساً ومضواظُبَى وصالوا اسودا وأستهلوا سواريا

وقلت

يسبيك منه مفلّجٌ ومضرّج ومقوّم ومعوّج ومهفهفُ

الفصل السادس والعشرون من الباب التاسع

في السلب والايجاب

وهو ان تبنى الكلام على نفى الشئ من جهة واثباته من جهة اخرى .. اوالامر به في جهة والنهى عنه في جهة [١] وما يجرى مجرى ذلك .. كقول الله تعالى (ولاتقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريما) وقوله تعالى (فلا تخشوا الناس واخشونى) وقوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) .. ومثاله من النثر .. قول رجل ليزيد بن المهلب .. قد عظم قدرك من ان يستعان بك . او يستعان عليك . ولست تفعل شيئا من المعروف . الاّ وأنت اكبر منه . وهو اصغر منك . وليس العجب من أن تفعل . وانما العجب من أن لا تفعل .. وقول الشعبى للحجاج : لا تعجب من المخطئ كيف اخطأ . وأعجب من المصيب كيف اصاب .. واخبرنا ابو احمد .. قال حدثنا ابن الانبارى .. قال حدثنا ابى عن بعض اصحابه عن العتبى .. قال .. قيل لبعض العلماء ان صاحبنا مات وترك عشرة آلاف : فقال اما العشرة الاف فلا يترك صاحبكم .. وقال بعض الاوائل .. ليس معى من فضيلة العلم . الا انى اعلم انى لااعلم .. ومن المنظوم .. قول امرئ القيس

هضيم الحشى لايملأ الكفَّ خصرها ويملأُ منها كل حجلٍ ودملج

وقال السموأل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

[١] — نسخة — اوالامر به من وجه والنهى عنه من وجه الخ

وقال

لايعجبان بقول الناس عن عُرُض ٍ   ويُعْجَبان بما قالا وما سمعا [١]

وقال آخر

خفيف الحاذ نسّالُ الفيافي   وعبد للصحابة غير عَبْدِ

وقال الاعشى

صرمت ولم اصرمكم وكصارمٍ   أخٌ قد طوى كَشْحاً وآب ليذهبا

وقال اخر

حتى نجا من خوفه وما نجا

ومن شعرالمحدثين قول البحترى

فابق عمر الزمان حتى نؤدى   شكر احسانك الذى لايُؤَدّا

وقال ابوتمام

الى سالم الأخلاق من كل عايب   وليس له مال على الجود سالم

وقال آخر

أبلغ اخانا تولى الله صحبته   أنى وان كنت لا ألقاه ألقاه

الله يعلم انى لست أذكره   وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال آخر

هى الدر منثورا اذا ماتكلمت   وكالدر منظوما اذا لم تَكَلَّم

تَعَبَّدُ احرارالقلوب بدلّها   وتملأُ عين الناظر المتوّسِم

وقال آخر

ثقى بجميل الصبر منى على الدهر   ولاتثقى بالصبر منى على الغدر

ولست بنظارٍ الى جانب الغنى   اذا كانت العلياءُ فى جانب الفقر

وقال ابوتمام

خليلى من بَعْد الجوى والأسى قفا   ولاتقفا فيضً الدموع السواجم

---

[١] — نسخة — وما صنعا

وقلت

افى هـذه الايام زدتَ ولم تَزِدْ سناءً تعالى فيه قدرُك عن قَدْرى

وقلت

اخو عزايمَ لاتفنى عجايبها والدهر مابينها تفنى عجايبه

تقضى ماءربه من كل فائدة لكن من المجد ماتُقْضَى ماءربه

الفصل السابع والعشرون من الباب التاسع

فى الاستثناء

والاستثناء على ضربين .. فالضرب الاول هو ان تأتى معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثنى بغيره .. فتكون الزيادة التى قصدتها . والتوكيد الذى توخيته . فى استثنائك .. كما اخبرنا ابواحمد .. قال اخبرنى ابو عمر الزاهد .. قال قال ابوالعباس .. قال ابن سلام * لجندل بن جابر الفزارى [١]

فتىً كملت اخلاقُه غير انه جوادٌ فما يبقى من المال باقيا

فتىً كان فيه مايسرُّ صـديقَهُ على انّ فيه مايسوؤ الاعاديا

فقال هذا استثناء .. فتبين هذا الاستثناء لهم كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير انّ سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قِرَاعِ الكتائِب

ومثله .. قول ابى تمام

تنصّل ربُّها من غـير جُرمٍ اليك سوى النصيحة فى الوداد

وقلت

ولا عيب فيه غير انّ ذوى الندى خسَاسٌ اذا قيسـوا به ولئامُ

---

[١] — الشعر للنابغة الجعدى .

والضرب الاخر استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان [١] .. مثل قول طرفة

فسقىَ ديارك غير مُفْسِدِهَا صَوْب الربيع وديمةٌ تهمى

وقول الاخر

فلا تَبْعَــداً الاّ من السوء انى اليك وانْ شطَّتْ بك الدار نازعُ

وقال الربيع بن ضُبْعٍ *

فنيتُ ولايفنى صنيعى ومنطق وكل امرئ الاّ احاديثه فان

وقال اعرابى يصف قوسا

خرقاء الاّ انها صَناعُ

وقال آخر فى الخيل [٢]

منها الدَّجُوجيُّ ومنها الأَزْمَكُ كالليــل الاّ انهــا تحرَّكُ

الفصل الثامن والعشرون من الباب التاسع

فى المذهب الكلامى

جعله عبدالله بن المعتز الباب الخامس من البديع . وقال ما اعلم انى وجدت شيأً منه

[١] — قال العلامة نجم الدين الطوفى فى هـذا الفصل من كتابه الشعار على مختار الاشعار الذى اختصر فيه كتاب الصناعتين هذا .. بعد ان تكلم على الاستثناء فى الصناعة العربية .. الاستثناء فى البديع ضربان .. احدهما (هو الضرب الثانى من تنويع المؤلف) يفيد مخالفة ماقبله تخصيصاً للكلام وتحصيناً له من ورود شئ على عمومه .. كقوله عز وجل (فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) .. والضرب الثانى (هو الاول من ضربى المؤلف) يفيد تقرير ماقبله وتأكيده على تقدير لو كان فى مضمون الجملة السابقة مايستثنى لكان هذا المستثنى لكن لافلا .. انتهى باختصار

[٢] — الازمك — اللون الذى يخالط غبرته سواد

فى القرءآن . وهو ينسب الى التكلف فنسبه الى التكلف وجعله من البديع [١] .. ومن امثلة هذا الباب .. قول اعرابى لرجل .. انى لم اضر وجهى عن الطلب اليك . قصر نفسك عن ردى . فضعنى من كرمك . بحيث وضعت نفسى من رجائك .. وقول ابى الدرداء .. اخوف ما اخاف ان يقال لى عملت فما عملت .. وقول طاهر بن الحسين للمأمون .. يا امير المؤمنين يحفظ على من قلبك . مالا استعين على حفظه الابك .. وقال بعض .. الاوايل : لولا ان قولى لا اعلم لانى اعلم لقلت لا اعلم .. وقال آخر .. لولا العمل لم يطلب العلم . ولولا العلم لم يكن عمل . ولأن ادع الحق جهلا به . احب الى ان ادعه زهدا فيه .. وانشد عبدالله .. قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ... وأُخرىَ يعاصيها الهوى فيطيعها

ونفسك من نَفْسَيْك تشفع للندى ... اذا قلّ من أحرارهن شفيعها

وانشد لابراهيم بن المهدى * [يعتذر للمأمون]

البرى منك وطاالعذر عندك لى ... فما فعلت فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بى فاحتج عندك لى ... مقام شاهد عدل غير متهم

وانشد

انّ هذا يرى ولا رأى لا ... أحمق انى أُعدُّه انسانا

ذاك بالظن عنده وهو عندى ... كالذى لم يكن وان كان كانا

ومثله

أما يُحْسِنُ من يحسنْ ... أن يغضبَ ان يَرْضا

أما يرضى بأن صرتُ ... على الارض له أرْضا

---

[١] — قالوا فى تعريفه — هو ايراد حجة للمطلوب على طريقة اهل الكلام وهو ان تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب .. وعلى ذلك لم يستشهد على المذهب الكلامى بأعظم من شواهد القرأن .. وأوضح الادلة فى شواهد هذا النوع قوله تعالى (لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا) قالوا فى تقرير ذلك وتمام الدليل ان تقول لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غيرالله .. واعلم ان هذا النوع نسبت تسميته الى الجاحظ .. وقالوا ان قيل ابن المعتز لا اعلم ذلك فى القرأن ليس عدم علمه مانعا علم غيره وفوق كل ذى علم عليم

الفصل التاسع والعشرون من الباب التاسع

فى التشطير

وهو ان يتوازن المصراعان والجزءآن وتتعادل اقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه .. فمثاله من النثر .. قول بعضهم .. من عتب على الزمان طالت معتبته . ومن رضي عن الزمان طابت معيشته .. وقول الآخر .. الجود خير من البخل . والمنع خير من المطل .. وقول الاخر .. رأس المداراة . ترك المماراة : فالجزءآن من هذه الفصول متوازنا الالفاظ والابنية .. وقد اوردت من هذا النوع فى باب الازدواج مافيه كفاية .. واما مثاله من المنظوم .. فكقول اوس بن حجر

فتحدركم عبس الينا وعامر　　وترفعنا بَكْرٌ اليكم وتغلبُ

وقول ذى الرمة

أَسْتَحْدَثَ الركب عن اشياعهم خبراً　　أم راجع القلب من أَطْرَابه طَرَبُ

وقول الاخر

فاماالذى يُحصيهم فمكثرٌ　　واماالذى يُطريهم فمقللُ

وقول الاخر

فكأنها فيه نَهارٌ ساطع　　وكأنه ليل عليها مُظْلِمُ

ومن شعر المحدثين .. قول البحترى

شوقى اليك تفيض منه الأدمعُ　　وجوى اليك تضيق عنه الأضلعُ

وقول ابى تمام

بمصعدٍ من حسنه ومُصوَبٍ　　ومجمَّعٍ من نعته ومفرّقِ

وقوله

تصدّع شمل القلب من كل وجهةٍ　　وتشعبُه بالبثّ من كل مَشْعَبِ

بمختبل ساجٍ من الطرف احكلٍ　　ومقتَبَل صافٍ من الثغر أشْنَبِ

وقوله

أحاولت ارشادي فعقلي مُرشدي | او استمت تأديبي فدهري مؤدبي

وقول البحتري

فقف مسعداً فيهن ان كنت عاذراً | وسر مبعداً عنهن ان كنت عاذلا

وقال

ومذهب حُبّ لم اجد عنه مذهبا | وشاغل بثّ لم اجد عنه شاغلا

وقال

طليعتهم ان وجّه الجيس غازياً | وساقتهم ان وجّه الجيش قافلا

وقال

اذا اسودّ فيه الشك كان كواكبا | وان سار فيه الخطب كان حبائلا

لأُذكرنّه بالرمح ما كان ناسيا | وعملتّه بالسيف ما كان جاهلا

فمن كان منهم ساكتا كنت ناطقاً | ومن كان منهم قابلا كنت فاعلا

وقال

فلأُجرينّ الدمع ان لم تُجره | ولأعرفنّ الوجد ان لم تعرف

وقال في جيش

يسودّ منه الافق ان لم ينسدد | وتموت منه الشمس ان لم تكسف

وقلت

وعلى الربى حُللٌ وشاهنّ الحيا | فمسهّم ومعصّب ومفوّف

والبرق يلمع مثل سيف ينتضى | والسيل يجرى مثل أفعى تزحف

والقطر يهمى وهو ابيض ناصع | ويصير سيلا وهو أغبر أكلف

الفصل الثلاثون من الباب التاسع

في المجاورة

المجاورة تردد لفظتين في البيت ووقوع كل واحدة منهما بجنب الاخرى أو قريبا منها من غير ان تكون احداها لغواً لايحتاج اليها .. وذلك كقول علقمة

ومطعمُ الغُنْمِ يومَ الغُنْمِ مُطْعِمُهُ   أنّى توجّه والمحرومُ محرومُ

فقوله — الغنم يوم الغنم — مجاورة — والمحروم محروم — مثله .. وقول الآخر

وتُندق منها في الصدور صدورها

وقول اوس بن حجر

[كأنها ذو وُشُومٍ بين مافِقَةٍ   فالقَطْقَطَانَة] والمذعور مذعور [١]

وقول ابي تمام

انا اتيناكم نصون ماءَ ربا   يستصغر الحدثَ العظيم عظيمها

وقوله

ردعوا الزمان وهم كُهُولٌ جِلّةٌ   وسطوا على أحداثه أحداثا

وقول الآخر

أنضاءُ شوق على انضاء أسفار

[وقول الآخر]

[انما يغفر العظيم العظيم]

[وقول ابي تمام]

[وما ضيق اقطار البلاد أضافني   اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي]

وقول ابي الشيص

فأتوك أنقاضاً على أنقاض

---

[١] — الوشوم — العلامات — والقطقطانة — بالضم كما في اللسان والتاج وغيرهما موضع .. وقيل هو موضع بقرب الكوفة .. وأوردوا له شاهدا قول الشاعر

من كان يسأل عنا أين منزلنا   فالقطقطانة منا منزل قمن

والنسخة التي ورد فيها البيت كاملا ضبط فيها بالفتح فضبطته كما وجدته وقوله — المافقة — هكذا بالأصل ولم اقف عليه في غيره .. والطوقي لم يورد منه في مختصره سوى عجزه فليحرر

وقول ابي النجم

تُدْنِي من الجدول مثل الجَدْوَلِ

وقول رؤبة

ترمى الجلاميد بجلمودٍ مَدَقْ

وقول الآخر

قُمْ فاسقنى من كروم الرند ورد ضُحًى   ماء العناقيد فى ظل العناقيد[١]

وقول آخر .. وقد بعث الى جارية يقال لها راحٌ براحٍ

قـل لمن تملك القلو   بَ وان كان قد مُلِكْ

قد شربناك فاشربى   وبعثنا اليك بِكْ

ومن هذا النوع .. قول الشاعر

فلونى والمدام ولون ثوبى   قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

وقلت

كأنّ الكاس فى يده وفيه   عقيقٌ فى عقيقٍ فى عقيقِ

وقلت ايضا

دَعَونا ضَرَّةَ البدر المنير   فوا فتنا على خَضِرٍ نضير

مطرَّزة الشوارب بالغوالى   مضمخَّة السوالف بالعبير

ترى ماشئت من قدّ رشيق   وما احببت من ردفٍ وثير

أُلَامسها وقد لبست حريراً   فأحسبها حريراً فى حرير

فأُنْسٌ ثم لَهْوٌ ثم زهرٌ   سرورٌ فى سرورٍ فى سرورِ

وقلت ايضا

ودار الكاس فى يد ذى دلال   رشيق القد يُعْرَفُ بالرشيق

[١] — الرند — الاس .. وقيل هو العود الذى يتبخر به .. وفى نسخة — الربد — بالباء الموحدة وفى اخرى — الرُّود — بدل الورد فليحرر

ومنه ايضا .. قول ابى تمام

دأب عينى البكاء والحزن دأبى … فاتركينى وقيت مابى لمابى

وقوله ايضا

كأن العهد عن عُفرٍ لدينَا … وان كان التلاقى عنْ تلاقى

وقوله

طلبَتْ انفُسَ الكُماة فشقَّتْ … من وراء الجيوب منها الجيوبا

وقوله

ايّام للايّام فيك غضارةٌ … والدهر فىّ وفيك غير ملومِ

وقال ابن الرومى

مشتركُ الحظ لا مُحَصّلُه … محصّل المجد غير مشتركهْ

منتهكُ المـال لا ممنَّعهُ … ممنَّع العرض غير منتهكهْ

وقول مسلم

اتتك المطـايا تهتَـدى بمطيّة … عليها فتىً كالنَّصْل يؤنسهُ النصلُ

الفصل الحادى والثلاثون من الباب التاسع

فى الاستشهاد والاحتجاج

وهذا الجنس كثير فى كلام القدماء والمحدثين .. وهو احسن مايتعاطى من اجناس صنعة الشعر .. ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى .. وهو ان تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الاول والحجة على صحته .. فمثاله من النثر ما كتب به كافى الكفاة فى فصل له .. فلا تقس آخر امرك بأوله . ولا تجمع من صدره وعجزه . ولا تحمل خوافى صنعك عـلى قوادمه . فالاناء يملأه القطر فيفعم . والصغير يقترن بالصغير فيعظم . والداء يلم ثم يصطلم . والجرح يتباين ثم تنفق . والسيف يمس ثم يقطع . والسهم يرد ثم ينفذ .. ومن الاستشهاد .. قول الاخر

انما يَعْشَقُ المنـايا من الا ‏ قْوام من كان عاشـقاً للمعالى
وكـذاك الرماح اول ما ‏ يُكْسر منهنّ فى الحروب العوالى

وقال ابو تمام

هُمْ مزّقوا عنه سبايب حلمه ‏ واذا أبو الاشبال اُحْرِجَ ءاثا

وقال ايضا

عُتِقَتْ وسيلته وأيّةُ قيمةٍ ‏ للمشرفيّ العَضْبِ مالم يَعْتُقُ

وقال ايضا

يأخذ الزائرين قسرا ولو ‏ كـفّ دعاهم ربعٌ خصيبُ
غير ان الرامى المسدّدَ محـ ‏ تـاطٌ مع العلم انه سيصيبُ

وقال ايضا

فاضمُمْ قواصيهم اليـك فانّه ‏ لايزخر الوادى بغير شعاب
والسهم بالريش اللؤام ولَنْ ترى ‏ بيتاً بلا عَمَـدٍ ولا أطناب

وقال ابن الرومى

وطـايفٍ باسته على طبق ‏ يبغى لها حربة يُشقّ لها
معاملاً كلّ سِـفلةٍ سَفُلَتْ ‏ ولايرى علْيَـةً يُعـاملها
قلت له لِمْ هواك فى سِفَلِ الـ ‏ ناس وشرّ الامور سـافلها
أفرقةٌ وافقتك طـاعتها ‏ ام عُصْبَةٌ فضلّت غَرَاملُها
قال وجدتُ الكعوبَ منْ ‏ قصب السكر مختارُها اسافلها
واستُ الفتى سَفْلَةٌ فغايتهـا ‏ ووكرها سفله يشاكلهـا

وقول بشار

فلا تجعل الشُورَى عليك غضاضةً ‏ فانّ الخـوافى قـوّة للقـوادم

وقول الفرزدق

تصرّم منى ودُّ بكر بن وائلٍ   وماكاد لَوْلاَ ظلمهم يتصرَّمُ
قوارضُ تأتينى ويحتقرونها   وقد يملأُ القطرُ الاناء فيفعَمُ

وقال ابو تمام

غدا الشيب مختطّاً بفوديّ خطة   طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر تُجْتَوَى   وذو الاُلف يُقْلَى والجديد يرقّع
له منظر فى العين ابيض ناصعٌ   ولكنه فى القلب اسود أسْفَعُ
ونحن نُرَجّيه على السخط والرضَى   وأنفُ الفتى من وجهه وهو أجْدَعُ

وقال

لى حرمة والتْ سجالكُمُ   والماء زُرْقُ جمامهِ للاوّل

وقال آخر

أَعلِقْ باخر من كلفتَ بحبّه   لاخيرِ فى حُبّ الحبيب الاوّل
اتشكّ فى انّ النبى محمداً   خير البرية وهو آخر مرسل

وقال ابو تمام .. فى خلاف ذلك

نقّل فوءآدك حيث شئت من الهوى   ما الحب الا للحبيب الاوّل
كم منزل فى الارض يألفه الفتى   وحنينه ابداً لاوّل منزل

وقال ديك الجن * فى المعنى الاوّل

اشربْ على وجه الحبيب المُقبل   وعلى الفم المتبسّم المتقبّل
شرباً يذكر كل حبّ آخرٍ   غضٍ وينْسى كل حبٍ أوّل
نقّل فوأدك حيث شئت فلن ترى   كهوى جديدٍ اوكوصلٍ مقبل
ما انْ أحنّ الى خرابٍ مُقفرٍ   دَرَسَتْ معالمه كأن لم يؤهل
مقَتى لمنزلىَ الذى استحدثته   امّا الذى ولىّ فليس بمنزلى

وقال العلوى الاصبهانى *

دَعْ حبَّ أوّل من كلفتَ بحبه ما الحبّ الاّ للحبيب الاخر

ما قد تولى لارتجاعَ لطيبه هل غايبُ اللذات مثل الحاضر

انّ المشيب وقد وفى بمقامه أوفى لدىّ من الشباب الغادر

دُنياك يومك دون امسك فاعتبر ما السالف المفقود مثلُ الغابر

وقال آخر .. فى خلاف القولين

قلبى رهينٌ بالهوىٰ المُقتَبَلِ فالويل لى فى الحب ان لم أعْدلِ

انا مبتلىً ببليتين من الهوى شوقٌ الى الثانى وذكر الاوّل

فهما حَياتى كالطعام المشتهى لا بدَّ منه وكالشراب السَلْسَل

قُسِمَ الفوأد لحرمةٍ وللذةٍ فىالحب من ماضٍ ومن مُستَقْبَل

انى لأحفظ عهد اوّل منزل ابداً وأألف طيب آخرمنزل

وقال آخر فى خلاف الجميع

الحبُّ للمحبوب ساعة حُبّه ما الحب فيه لآخر ولأوّل

وقلت

كان لى ركن شديد وقعت فيه الزلازل

ذعزعتهُ نوب الدهـ ـر وكرّاتُ النوازل

ما بقاء الحجر الصلـ ـد على وقع المعَاول

وتدخل اكثر هذه الامثلة فىالتشبيه ايضا

الفصل الثانى والثلاثون من الباب التاسع

فى التعطف

والتعطف ان تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف .. قالوا واول من ابتدأه امرئ القيس .. فى قوله

ألا اننّى بالٍ على جملٍ بال   يسوق بنا بالٍ ويَتْبَعُنا بالِ

وليس هذا من التعطف على الأصل الذى اصلوه .. وذلك ان الالفاظ المكررة فى هذا البيت على معنىً واحد يجمعها معنى البلى فلا اختلاف بينها .. وانما صار كل واحد منها صفة لشئ فاختلفت لهذه الجهة لا من جهة اختلافها فى معانيها .. وكذلك قول الاخر

عَوْدٌ على عَوْدٍ على عودٍ خَلِقْ [١]

وانما التعطف على اصلهم .. كقول الشماخ

كادت تُسَاقِطنى والرحْل ان نطقت   حمامةٌ فَدَعَتْ ساقاً على ساق

اى دعت حمامة وهو ذكر القمارى ويسمى — الساق — عندهم على ساق شجرةٍ .. وقول الأفوه

واقطعُ الهَوْجَلَ مستأنساً   بهوجلٍ عَيْرَانَةٍ عنتريس [٢]

— فالهوجل — الاول الارض البعيدة الأطراف — والهوجل — الثانى الناقة العظيمة الخلق .. ومما يدخل فى التعطف .. ما انشدنا ابو احمد .. قال انشدنا ابوعبدالله المفجع .. قال انشدنا ابو العباس ثعلب

---

[١] — العود — الاول رجل .. والثانى جمل .. والثالث طريق .. كذا وجدته فى هامش نسخة

[٢] — العيرانة — من الابل الناجية فى نشاط شبهت بالعير فى سرعتها ونشاطها .. وقيل هى الناقة الصلبة تشبيها لها بعير الوحش والالف والنون زائدتان .. قلت وانشده فى النقد — عيدانة — بالدال المهملة .. وفسره ابن سيده فقال العيدانة اطول مايكون من النخل .. وفى الاعجاز (بهوجل مستأنس عنتريس) — والعنتريس — الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم

أتعرف أطلالا شَجَوْنَكَ بالخال وعيشَ ليالٍ كان فى الزمن الخالى

— الخال — موضع — والخالى — من الخلوة [١]

ليالىَ رَيْعَانُ الشباب مسلّطٌ علىّ بعصيانِ الامَارة والخالى

يعنى انه يعصى أمر من يلى أمره وأمر من ينصحـه ليصلح حاله وهو من قولهم فلان خالُ مالٍ اذا كان يقوم به ويصلحه [٢]

واذْ أناخِذْنٌ للغوىّ أخى الصِّبى وللمَرِحِ الذيَّالِ واللّهوِ والخال

— الخال — هاهنا من الخيلاء وهو الكبر

اذا سكنتْ رَبعاً رَئِمتْ رِباعَها كما رئِم المَيْثَاءَ ذو الرِّثْيَة الخالى [٣]

— الخالى — الذى لااهل له

ويقتـادُنى ظبى رَخيمٌ دلاله كما اقتَادَمُهراً حين يألفه الخالى [٤]

— الخالى — الذى يقطع الخلا وهو النبات الرطب

ليـالىَ سلمى تَستَبيكَ بدَلّها وبالمنظر الفتّان والجيد والخال

[— الخال — الذى يرشم على الخد شبيه الشامة]

وقد علمَتْ أنى وانْ ملت للصبا اذا القوم كَعّوا لَسْتُ بالرّعش الخالى

— الخالى — الذى لااصحاب معه يعاونونه

ولا أرتدى الا المرؤة حـلَّةً اذا ضَنَّ بعضُ القوم بالعُصْب والخال

— الخال — ضرب من البرود

وان أنا ابصرت المُحُولَ ببلدة تنكبتها واشْتَمتُ خالاً الى خال

---

[١] — قوله من الخلوة — هكذا فى الاصل .. ولعله من الخلوّ .. وفى اللسان (وعيش زمان كان فى العصُر الخالى) الماضى اى الزمن الماضى .. وكذا فى غير اللسان

[٢] — الذى فى اللسان وغيره — الخال — فى هذا البيت اللوآء .. وزاد البلوى الذى يعقد للامير .. وقال بعضهم لا يقـال له خال حتى يكون ابيض .. ولعل فى عبـارة المصنف سـقط لان عجز العبارة يدل على انه يفسر كلاما غير الذى اخذ يفسره ابتدآءً فتأمل

[٣] — الذى فى اللسـان — وللغزل المرِّح ذى اللهو والخـال) .. وكذا انشـده البلوى — المريح — الكثير المراح والنشاط — والذيال — الطويل الذيل

[٤] — الرئم — من رئمت الناقة ولدها اذا عطفت عليه ولزمته — والميثاء — الارض اللينة — والرثية — الحمق والفتور والضعف .. وجاء فى نسخة — الريبة — وكذا رواه البلوى

— الخال — السحاب المخيلة للمطر

فخالق بخُلقى كلَّ حُرٍّ مهذب ‌ ‌ ‌ ‌ والا فصارمه وخال اذاً خال [١]

— المخالاة — قطع الحلف [يقال أخل من فلان وتخل منه اى فارقه] .. وقال النابغة

قالت بنــو عامر خالوا بنى اسد

فانى حليف للسماحــة والنــدى ‌ ‌ ‌ ‌ اذا احتلفت عبس وذبيان بالخال

— الخال — موضع : ومثله

ياطيب نعمةَ ايام لنــا سلفت ‌ ‌ ‌ ‌ وحسنَ لذة ايام الصِبى عودى

ايامَ أسحب ذيلى فى بطالتها ‌ ‌ ‌ ‌ اذا ترنم صوت الناى والعود

وقهوةٍ من سُلافِ الخمر صافيةٍ ‌ ‌ ‌ ‌ كالمسك والعنبر الهندى والعود

تَسُلُّ عقلك فى لين وفى لَطَفٍ ‌ ‌ ‌ ‌ اذا جرت منك مجرى الماء فى العود

ومن هذا النوع .. قول ابى تمام

[السيف اصدق انباءً من الكتب] ‌ ‌ ‌ ‌ فى حده الحَــدُّ بين الجد واللَّعِبِ

ولم اجد منه شيئاً فى القرأن الا قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة ﴾ والله اعلم

﴿ الفصل الثالث والثلاثون من الباب التاسع ﴾

فى المضاعفة

وهو ان يتضمن الكلام معنيين معنىً مصّرح به ومعنىً كالمشار اليه .. وذلك مثل قول الله تعالى ﴿ ومنهم من يستمعون اليـك افأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ومنهم من ينظر اليـك افأنت تهدى العمى ولوكانو لايبصرون ﴾ فالمعنى المصرح فى هذا الكلام

[١] — نسخة — كل خرقٍ مهذب .. واخرى كل قرن وكلاهما بمعنى الشجاع .. وانشده فى اللسان

فحالف بحلفى كل خرق مهذب ‌ ‌ ‌ ‌ والا تحـالفنى فخالٍ اذا خال

قلت ولقد تقصيت هذه الابيات واختلاف رواتها ومعانيها فى كراسة سميتها (وصف الخال من معانى الخال) واستطلت ادراجها هنا تجدها ان شاالله فى كتاب الصيافتين من اعلام رجال الصناعتين والله الموفق

انه لايقدر ان يهدى من عمى عن الآيات . وصمّ عن الكلم البينات .. بمعنى انه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها .. والمعنى المشار اليه انه فضل السمع على البصر لانه جعل مع الصمم فقدان العقل ومع العمى فقدان النظر فقط .. ومن نثر الكتاب ما كتب به الحسن بن وهب .. وكتابى اليك وشطر قلبى عندك . والشطر الاخر غير خلو من تذكرك. والثناء على عهدك . فأعطاك الله بركة وجهك . وزاد فى علو قدرك والنعمة عندك وعندنا فيك .. فقوله — بركة وجهك — فيه معنيان .. احدهما انه دعاله بالبركة .. والاخر انه جعل وجهه ذا بركة عظيمة ولعظمها عدل اليها فى الدعاء عن غيرها من بركات المطر وغيره .. ومثله قول ابى العيناء .. سألتك حاجة فرددت بأقبح من وجهك .. فتضمن هذا اللفظ قبح وجهه وقبح رده .. ومن المنظوم .. قول الاخطل

قومٌ اذا استنبح الاضيافُ كلبهم قالوا لأُمّهم بولى على النار

فأخبر عن اطفاء النار فدلّ به على بخلهم واشار الى مهانتهم ومهانة امهم عندهم .. وقول ابى تمام

يُخْرِجُ من جسمك السقامَ كما أخرج ذمَّ الفعال من عُنُقِك

يسحُّ سحّاً عليك حتى يرى خلقك فيها أصحَّ من خُلُقك

فدعاله بالصحة واخبر بصحة خلقه .. فهما معنيان فى كلام واحد .. وقال جحظة

دعوتَ فأقبلتُ ركضاً الـ ـيك وخالفتُ من كنتُ فى دَعْوَتِهْ

واسرعت نحوك لمّا امر ت كأنى نوالُك فى سُرْعَتِهْ

وقال ابن الرومى

بنفسٍ أبت الاّ ثباتَ عقودها لمن عاقدتْه وانحلال حُقودها

الاتلكُمَ النفسُ التى تم فضلها فانستزيد الله غير خلودها

فذكر تمام فضلها واراد خلودها .. ومن ذلك .. قول الاخر [١]

نهبت من الاعمار مالو حَوَيْتَه لَهُنِّئَت الدنيا بأنك خالدُ

وكتب بعضهم .. فأن رأيت صلتى بكتابك العادل عندى رؤية كل حبيب سواك . وتضمينه من حوائجك ما أسر بقضائه فعلت ان شاء الله .. فقوله — سواك — مضاعفة ،،

[١] — قائله — ابو الطيب المتنبى

ومن هذا البـاب نوعُ آخر .. وهو ان تورد الاسم الواحـد على وجهـين وتضمنه معنيين كل واحد منهما معنى .. كقول بعضهم

افدى الذى زارنى والسيف يَخْفُرُه ولحظ عَيْنَيـه أمضى من مضـاربه
فمـا خلعت نجـادى فى العنـاق له حتى لبست نجـاداً من ذوايبـه

فجعل فى السيف معنيين احدهما ان يخفره والآخر ان لحظه أمضى من مضاربه .. وضرب منه آخر .. قول ابن الرومى

بجَهْلٍ كجهل السيف والسيفُ مُنْتَضَى وحـلمٍ كحلم السيف والسيف مُغْمَدُ

وضرب منه .. قول مسلم

وخالٍ كخال البدر فى وجه مثله لقينا المُنى فيـه فحـاجزنا البَذْلُ

﴿ الفصل الرابع والثلاثون من الباب التاسع ﴾

فى التطريز

وهو ان يقع فى أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية فى الوزن فيكون فيها كالطراز فى الثوب .. وهذا النوع قليل فى الشعر واحسن ماجاء فيه .. قول احمد ابن ابى طاهر *

اذا ابو قاسم جادتْ لنـا يَدُه لم يُحْمَدِ الأجودان * البحرُ والمطر
وان اضـآئت لنا انوار غرته تضائل الأنوران * الشمسُ والقمر
وان مضى رأيه أوْ حَـدّ عَزْمَته تأخر الماضيـان * السيفُ والقدر
من لم يكن حذراً من حَدّ صولته لم يدر ما المزعجان * الخوفُ والحذر

فالتطريز فى قوله — الاجودان . والانوران . والماضيان . والمزعجان — ونحوه .. قول ابى تمام

اعوامُ وصلٍ كاد يُنسى طولها ... ذكرُ النوى * فكأنها أيامُ
ثم انبرت أيام هجرٍ أردفت ... نجوى اسىً * فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها ... فكأنهم * وكأنها أحلام

وقلت فى مرثية

اصبحتْ اوجهُ القبور وضاءً ... وغدت ظلمة * القبور ضياءُ
يومَ اضحى طريدةً للمنايا ... ففقدنا به * الغنى والغناءُ
يوم ظلّ الثرى يضم الثُريا ... فَعَدِمْنا منه * السنا والسناءُ
يوم فاتت به بوادرَ شُؤْمٍ ... فرزينا به * الثرى والثرآءُ
يوم أُلقى الردى عليه جرَاناً ... فحرُمنا منه * الجدَا والجدآءُ
يوم ألوت به هَنَاتُ الليالى ... فلبسنا به * البلى والبلاءُ

ومن ذلك .. قول زياد الاعجم

ومتى يوامر نَفْسَهُ مستاحياً ... فى أن يجود لذى الرجاء * يَقُلْ جُدِ
أو أن يعودله بنفحة نائل ... يعد الكرامة والحياء * يقل عُدِ
أو فى الزيادة بعد جزل عطيّة ... للمستزيد من العفاة * يقل زدِ

﴿ الفصل الخامس والثلاثون من الباب التاسع ﴾

فى التلطف

وهو ان تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه والمعنى الهجين حتى تحسنه .. وقد ذكرت طرفا منه فى اول الكتاب الاّ انى لم اسمه هناك بهذا الاسم فيشهر به ويكون بابا برأسه كاخوانه من ابواب الصنعة .. فمن ذلك ان يحى بن خالد البرمكى .. قال لعبد الملك بن صالح انت حقود .. فقال ان كان الحقد عندك بقاء الخير والشر .. فانهما عندى لباقيان .. فقال يحى ما رأيت احداً احتج للحقد حتى حسنه غيرك .. وقدم هذا الفصل فى اول الكتاب ..

ورأى الحسن على رجل طيلسان صوف .. فقال له ايعجبك طيلسانك هذا .. قال نعم .. قال انه كان على شاة قبلك .. فهجنه من وجه قريب .. واخبرنا ابو احمد .. قال اخبرنا الصولى قال حدثنا محمد بن القاسم ابوالعيناء .. قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن كلامى .. وقال لى يامحمد بلغنى ان فيك شرا .. قلت يا أميرالمؤمنين انيكن الشر ذكر المحسن باحسانه . والمسئى باساءته .. فقد زكّى الله عز وجل وذم .. فقال فى التزكية ﴿ نعم العبد انه أوّاب ﴾ وقال فى الذم ﴿ همّاز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ﴾ فذمه الله تعالى حتى قذفه .. وقد قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم اثن دائما ... ولم أشتم الجنس اللئيم المذمّما

ففيم عرَفتُ الخير والشرّ باسمه ... وشق لىَ الله المسامع والفما

وفى الخبر بعض طول .. وكان عبدالله بن امية وسم دوابه ـ عُدّة ـ فلما حازها الحجاج جعل الى جانبه ـ للفرار .. وقيل لعبّادة ان السودان اسخن .. فقال نعم للعيون .. وقال رجل لرجل كان يراه فيبغضه مااسمك .. فقال سعد .. قال على الاعداء .. وسمعت والدى رحمه الله .. يقول لعن الله الصبر فان مضرته عاجلة . ومنفعته آجلة . يتعجل به الم القلب . بأمثال المنفعة فى العاقبة . ولعلها تفوتك لعارض يعرض فكنت قدتعجلت الغم من غيران انيصل اليك نفع .. وماسمعت هذا المعنى من غيره فنظمته بعد ذلك .. فقلت

الصبر عمن تحبه صبرُ ... ونفعُ من لام فى الهوى ضَرَرُ

من كان دون المرام مصطبراً ... فلستُ دون المرام اصطبرُ

منفعةُ الصبر غير عاجلة ... وربما حال دونها الغيرُ

فقم بنا نلتمس مآربنا ... اقام أولَمْ يقم بنا القَدَرُ

انّ لنا أنفساً تسودّنا ... أعانهن الزمان أو يَذَرُ

وابغ من العيش ممّا تُسرُّبه ... ان عذَلَ الناس فيه اوعذروا

ومن المنظوم .. قول الحطيئة فى قوم كانو يلقبون بأنف الناقة فيأنفون .. فقال فيهم

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرهم ... ومن يسوّى بأنف الناقة الذنبَا

فكانوا بعد ذلك يتبجحون بهذا البيت .. ومدح ابن الرومى البخل وعذرالبخيل .. فقال

لاتلم المرء على بخله ولمْه ياصاح على بذله
لاعجبٌ بالبخل من ذى حجى يكرمُ مايُكرمُ من أجله

وعذر ابوالعتاهيه البخيل فى منعه منّة .. بقوله

جُزىَ البخيل علىّ صالحةً عنى لخفته على ظهرى
اعلى فاكرم عن نَدَاه يدى فعلَتْ ونزّه قدره قدرى
ورزقت من جد واه عارفةً انْ لا يضيق بشكره صدرى
وظفرت منه بخير مَكْرُمةٍ من بخله من حيث لايدرى
مافاتنى خير امرئٍ وضَعتْ عنى يداه مؤونة الشكر

وقال ابن الرومى .. يعذر انسانا فى المنع

أجمت حَسْرى اياديك التى ثَقُلَتْ على الكواهل حتى أدّها ذاكا
وما ملتَ العطايا فاسترحتَ الى اغبابهم بل همُ ملّوا عطاياكا
ومانَهَتْهم عن المرعى وخامَتُهُ لكنه اسْنَقَ الراعين مرعاكا
تدبّر الناس ما دبرته فاذا عليهم لاعلى الاموال بُقْيَاكا
امسكت سَيْبَك اضرآءً لرغبتهم ومابخلتَ ولاامسكتَ امساكا

وكان شم الورد يضره فكان يذمه ويمدح النرجس .. واحتال فى تشبيهه .. حتى هجنّ فيه امره وطمس حسنه وهو .. قوله

[وقائل لم هجوتَ الورد مُعْتَمِداً فقلت من بغضه عندى ومن عَبَطه]
كأنه سُرْمُ بغل حين يخرجه عندالرياث وباقى الروث فى وَسَطه

[ومثله قول يزيدالمهلبى *]

[الا مبلغ عنى الامير محمداً مقالاً له فضل على القول بارعُ]
[لنا حاجة انْ امكنتك قَضَيْتَها وانْ هى لم تمكن فعذرك واسع]

وقال ابن الرومى ايضا

وانى لذو حَلف كاذب ... اذا ما اضطررتُ وفى الأمر ضيق

ومافى اليمين على مَدْفَع ... يدافع بالله مالا يُطيق

وقد فرغنا من شرح ابواب البديع وتبيين وجوهها وايضاح طرقها .. والزيادة التى زدنا فيها ستة فصول وابرزناها فى قوالبها من الالفاظ من غير اخلال ولا اهذار .. واذا اردت ان تعرف فضلها على ما عمل فى معناها قبلها .. فثل بينها وبينه فانك تقضى لها عليه . ولا تنصرف بالاستحسان عنها اليه . ان شاء الله ،،

وقد عرض لى بعد نظم هذه الانواع .. نوع آخر لم يذكره احد وسميته المشتق [١] .. وهو على وجهين .. فوجه منها ان يشتق اللفظ من اللفظ .. والآخر ان يشتق المعنى من اللفظ .. فاشتقاق اللفظ من اللفظ .. هو مثل قول الشاعر فى رجل يقال له يخاب

وكيف ينجح من نصف اسمه خابا

وقلت [فى البانياس] [٢]

فى البانياس اذا اوطيئت ساحتها ... خوف وحَيْفٌ وأقلال وأفلاس

وكيف يطمع فى أمن وفى دعَة ... من حلّ فى بلد نصف اسمه ياس

واشتقاق المعنى من اللفظ .. مثل قول ابى العتاهية

حُلقَتْ لحيةُ موسى باسمه ... وبهارون اذا ما قُلبَا

وقال ابن دريد *

لو اُوحِىَ النحو الى نفطوَيْه ... ماكان هذا النحو يُقْرا عليه

احرقه الله بنصف اسمه ... وصيّر الباقى صُراخاً عليه

---

[١] — فائدة — ذكر ابن حجه فى خزانته عند كلامه على الاشتقاق مالفظه .. الاشتقاق استخرجه الامام ابو هلال العسكرى وذكره فى آخر انواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرفه بأن قال هو ان يشتق المتكلم من الاسم العَلَم معنى فى غرض يقصده من مدح او هجاء اوغيره .. كقول ابن دريد فى نفطويه (وانشد) .. قلت وهذا مما يتعجب منه فان الفصل بجملته امامك وليس فيه مما حكاه سوى ايراده بيتى ابن دريد فتأمل

[٢] — نسخة — الياسبان

الباب العاشر

في ذكر مبادى الكلام ومقاطعه والقول في حسن الخروج والفصل والوصل وما يجرى مجرى ذلك (ثلاثة فصول)

الفصل الاول من الباب العاشر

في ذكر المبادى

قال بعض الكتاب .. احسنوا معاشر الكتاب الابتدا آت فانهن دلائل البيان .. وقالوا ينبغي للشاعر ان يحترز في اشعاره . ومفتتح اقواله. مما يتطير منه ويستجفى من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف اقتفار الديار وتشتيت الاُلّاف ونعى الشباب وذم الزمان ..لاسيما في القصايد التى تتضمن المدايح والتهانى .. ويستعمل ذلك في المراثى ووصف الخطوب الحادثة.. فان الكلام اذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه..وان كان يعلم ان الشاعر انما يخاطب نفسه دون الممدوح .. مثل ابتدآء ذى الرمة

مابال عينك منها الماء ينسكبُ ‏ ‏ ‏ [كانه من كِلىً مفريّةٍ سَرِبُ] [١]

وقد انكر الفضل بن يحيى البرمكى على ابى نواس.. ابتدآئه

أَرَبعَ البِلى انالخشوع لبادى ‏ ‏ ‏ عليك وانى لم أَخُنْكَ ودادى

قال فلما انتهى الى ..قوله

سلامٌ على الدنيا اذا ما فُقدتُم ‏ ‏ ‏ بنى برمك من رائحين وغاد

وسمعه استحكم تطيره .. وقيل انه لم يمض اسبوع حتى نكبوا.. ومثله ما اخبرنا به ابو احمد .. قال حدثنا الصولى .. قال حدثنا محمد بن العباس اليزيدى .. قال حدثنى عمى عن اخيه ابى محمد .. قال لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان الذى كان للعباسية .. جلس فيه وجمع الناس من أهله واصحابه .. وامر ان يلبس الناس كلهم الديباج وجعل سريره في الايوان

[١] — قال في الجمهرة — الكلى — جمع كلية — والمفرية — المخروزة — والسرب — الجارى .. قلت والمخاطب بهذا البيت عبد الملك بن مروان وكان بعينه رمش فهى تدمع ابدا فتوهم انه عرض به .. فقال له ماسؤالك عن هذا يابن الفاعلة وأمر باخراجه

المنقوش بالفسافسا الذى كان فى صدره صورة العنقاء فجلس على سرير مرصع بانواع الجوهر وجعل على رأسه التاج الذى فيه الدرة اليتيمة وفى الايوان أسرة آبنوس عن يمينه وعن يساره من عند السرير الذى عليه المعتصم الى باب الايوان .. فكلما دخل رجل رتبه هو بنفسه فى الموضع الذى يراه فما رأى الناس احسن من ذلك اليوم .. فاستأذنه اسحاق ابن ابراهيم فى النشيد فأذن له .. فانشده شعراً ماسمع الناس احسن منه فى صفته وصفة المجلس .. الا ان اوله تشبيب بالديار القديمة وبقية اثارها .. فكان اول بيت منها

يا دارُ غيرك البلى فمحاك ‏ ‏ ‏ ‏ ياليت شعرى ماالذى أبلاك

فتطير المعتصم منها وتغامز الناس وعجبوا كيف ذهب على اسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك .. قال فاقمنا يومنا هذا وانصرفنا فما عاد منا اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر .. وانشد البحترى ابا سعيد قصيدة اولها

لك الوَيْلُ من ليلٍ تطاول آخره ‏ ‏ ‏ ‏ ووشكِ نوى حيٍ تُزَمّ أباعره

فقال ابوسعيد .. بل الويل والحرب لك .. فغيره وجعله — له الويل — وهو ردئ ايضا .. وانشد ابو حكيمة * ابادلف

الاذهب الأير الذى كنت تعرف

فقال ابودلف .. امك تعرف ذلك .. وانشد ابو مقاتل * الداعى

لاتَقُلْ بُشْرَى ولكن بشريان ‏ ‏ ‏ ‏ غرّة الداعى ويوم المهرجان

فاوجعه الداعى ضربا .. ثم قال هلا قلت — ان تقل بشرى فعندى بشريان — فان اراد ان يذكر داراً فليذكرها كما ذكرها الخريمى *

الا يا دارُ دارَ لك الحبُورُ ‏ ‏ ‏ ‏ وساعدك النَضارةُ والسرور

وكما قال اشجع

قصرٌ عليه تحية وسلامُ ‏ ‏ ‏ ‏ نشرتْ عليه جمالها الايّامُ

وقالوا احسن ابتداآت الجاهلية .. قول النابغة

كلينى لهمٍّ يا أميمةَ ناصب ‏ ‏ ‏ ‏ وليلٍ أقاسيه بطئ الكواكب

واحسن مرثية جاهلية ابتدآءً .. قول اوس بن حجر

أيتها النفس اجملي جزعا　　ان الذى تحذرين قد وقعا

قالوا واحسن مرثية اسلامية ابتدآءً .. قول ابى تمام

أصمّ بك الناعى وان كان أسمعا　　واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقول الاخر

انعى فتى الجود الى الجود　　ما مثل من أنعى بموجود

انعى فتىً مصّ الثرى بعده　　بقيّة الماء من العود

وقد بكى امرؤ القيس واستبكى . ووقف واستوقف . وذكر الحبيب والمنزل . فى نصف بيت .. وهو قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فهو من اجود الابتدا آت .. ومن احكم ابتدا آت العرب .. قول السموأل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه　　فكل ردآءٍ يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها　　فليس الى حسن الثنآء سبيل

وقال بعضهم احكم ابتدا آتهم .. قول لبيد

الا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطل　　وكلّ نعيم لا محالة زائل

وبعضهم يجعل ابتدآء هذه القصيدة

الا تسألان المرءَ ماذا يحاول　　انحبٌ فيقضى أم ضلالٌ وباطل

ومن جياد أبتدا آت [اهل] الجاهلية قول .. اوس بن حجر

ولقد ابيتُ بليلةٍ كليالى

ومنها .. قول النابغة

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل　　وكيف تصابى المرءُ والشيب شامل

ونحوه .. قول امية

يانفسُ مالك بعدَالله من واق وما على حَدَثَانِ الدَّهْرِ من راق

وقالوا .. وكان عبد الحميد الكاتب لا يبتدئ — بلولا — ولا — ان رأيت — وقد جعل الناس .. قول ابى تمام

يابُعْدَ غايةَ دمع العين ان بعدوا هى الصبابة طول الدهر والسَّهَدُ

من جياد الابتدا آت .. وقوله

سَعِدَتْ غربة النوى بُسعَاد فهى طوعَ الاتهام والانجاد

وسئل بعضهم عن احذق الشعراء .. فقال من يتفقد الابتداء والمقطع .. ولما نظر ابو العميثل فى قصيدة ابى تمام

هُنَّ عَوادى يوسف وصواحِبُهْ فعزماً فقدْماً ادرك الثار طالبه

فاسترذل ابتدائها وأسقط القصيدة كلها .. حتى صار اليه ابو تمام .. ووقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبدالله بن طاهر .. فاجازه .. ولابى تمام ابتدا آت كثيرة تجرى هذ المجرى منها .. قوله

قَدْكَ اتَّئبْ أرْبَيْتَ فى الغُلَوآءِ كم تعذلون وأنتم سُجَرَائى [١]

وقوله

صدقت لُهَيَّا قلبك المُسْتَهْتَر فبقيت نَهْبَ صبابة وتذكر [٢]

ومن الابتدا آت .. البديعة قول مسلم

اجررتُ ذيل خليع فى الهوى غَزِلِ وشمرت هِمَمُ العُذَّال فى عَذلى

وقال ابى العتاهية

تنافس فى الدنيا ونحنُ نعيبها

[١] — قدك — اى حسبك — واتئب — استحى — والسجرآء — بالسين قبل الجيم خلافاً للموزانة فقد انشده بالشين المنقوطة جمع سجير اى صديق

[٢] — اللهيا — تصغير اللهو .. ولولا الاضافة الى القلب لقال لهياى ولهياك .. قال العجاج (دار لهيا قلبك المتيم)

والابتداء اول مايقع فى السمع من كلامك . والمقطع آخر مايبقى فى النفس من قولك. فينبغى ان يكونا جميعا موثقين .. وقداستحسن لبعض المتأخرين ابتداؤه [١]

أَرِيقُكِ أَمْ ماءُالغمامة أَمْ خمر ... بِفِيَّ بَرُودٍ وهو فى كبدى جَمْر

وله بعد ذلك ابتدا آت المصايب .. وفراق الحبايب .. منها .. قوله

كُفِّى أرانى وَيْكِ لَوْمكِ أَلْوَما ... هَمٌّ أقام على فؤادٍ أَنْجَمَا

وقوله

أبا عبد الا له مُعاذُ انى ... خفى عنك فى الهيجا مقامى

وقوله

هذِى برزتِ لنا فهجتِ رسيسا ... ثم انصرفت وما شفيت نَسِيسَا [٢]

وقوله

جَلَلاً كما بى فَلْيَكُ التبريح ... أغذآء ذا الرشاء الاغنّ الشيحُ

وقوله

أُحَادٌ أَمْ سُداس فى أُحاد ... لُيَيْلَتُنا المنوطةُ بالتنادى

وقوله

لِجِنِّيَّةٍ أم غادةٍ رُفِعَ السَّجْفُ ... لوَحْشِيَّةٍ لا ما لِوَحْشية شَنْفُ

وقوله

بقائى شاءليس هُمُ ارتحالا ... وحسنَ الصبر زمّوا لا الجمالا

وقوله

فى الخد انْ عزم الخليطُ رحيلا ... مطرٌ تزيد به الخدود مُحُولا

وقال اسمعيل بن عباد *لعمرى ان المحول فى الخدود . من البديع المردود .. وقوله

تُهَنَّا بصور ام نُهَنِّئُها بكا ... وقلّ الذى صورٌ وأنت له لكا

وقوله

عَذِيرى من عذارَى فى صدور ... سكنّ جوانحى بدل الصدور

---

[١] — يعنى به ابوالطيب المتنبى .. وقداختلفت نسخ الأصل وديوانه المطبوع فى بعض الفاظ هذه الأبيات فليراجعها من اراد

[٢] — هذه — منادى بمعنى ياهذه — والرسيس — بداية الحب — والنسيس — بقية الروح الذى به الحياة

وقوله

سِرْبُ محاسنُهُ حُرِمتُ ذواتِها　　دانى الصفات بعيدُ موصوفاتِها

وقوله

أيا لائمى ان كنتَ وقت اللوائمِ　　علمتَ بما بى بَيْنَ تلك المعالمِ

وقوله

ووقتٍ وفا بالدهر لى عند واحد　　وفالى بأهلَيه وزاد كثيرا

وقوله

شديدُ البعد من شرب الشمول　　تُرُنْجُ الهند أوطَلْعُ النخيل

وقوله

أراعَ كذا كُلَّ الانام همام　　وسحَّ له رُسْلَ الملوك غمام

وقوله

أوهِ بَديلٌ من قَوْلَتى واها　　لمَنْ نأتْ والبديل ذكرَاها

فهذه وما شاكلها ابتدا آت لا خلاق لها .. واذا كان الابتداء حسنا بديعا . ومليحا رشيقا . كان داعية الى الاستماع لما يجئ بعده من الكلام : ولهذا المعنى يقول الله عز وجل .. الم . وحم . وطسم . وطس . وكهيعص . فيقرع اسماعهم بشئ بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم الى الاستماع لما بعده والله اعلم بكتابه .. ولهذا جعل اكثر الابتدا آت (بالحمد لله) لان النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية الى الاستماع .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أبتر) .. فاما الابتداء البارد .. فابتدأ ابى العتاهية

الا ما لسيّدتى ما لَهَا　　أدَلَّتْ فاحمل إدلالَهَا

الفصل الثانى من الباب العاشر

فى ذكر المقاطع والقول فى الفصل والوصل

قيل للفارسى ما البلاغة .. فقال معرفة الفصل من الوصل .. وقال المأمون لبعضهم من ابلغ الناس .. فقال من قرب الأمر البعيد المتناول والصعب الدرك بالالفاظ اليسيرة .. فقال ما عدل سهمك عن الغرض .. ولكن البليغ من كان كلامه فى مقدار حاجته ولا يجيل الفكرة فى اختلاس ما صعب عليه من الالفاظ ولا يكره المعانى على انزالها فى غير منازلها ولا يتعمد

الغريب الوحشى ولا الساقط السوقى فان البلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلى بلا نظام ،،

وقال ابو العباس السفاح لكاتبه قف عند مقاطع الكلام وحدوده . واياك ان تخلط المرعى بالهمل . ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل .. وقال الاحنف بن قيس ما رأيت رجلا تكلم فاحسن الوقوف عند مقاطع الكلام . ولا عرف حدوده . الا عمرو بن العاص (رضى الله عنه) كان اذا تكلم تفقد مقاطع الكلام . وأعطى حق المقام . وغاص فى استخراج المعنى بالطف مخرج . حتى كان يقف عند المقطع وقوفا يحول بينه وبين تبيعته من الالفاظ . وكان كثيراً ما ينشد

اذا مابدا فوق المنابر قائلا أصاب بما يومى اليه المقاتلا

ولا اعرف فصلا فى كلام منثور احسن مما اخبرنا به ابو احمد .. قال حدثنا الصولى قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنى العتبى عن ابيه .. قال كان شبيب بن شبة يوما قاعدا بباب المهدى .. فاقبل عبد الصمد بن الفضل الرقاشى .. فلما رآه .. قال اتاكم والله كليم الناس فلما جلس قال شبيب تكلم يا ابا العباس .. فقال أمعك يا أبا معمر وانت خطيبنا وسيدنا قال نعم .. فوالله مارأيت قلبا اقرب من لسان من قلبك من لسانك .. قال فى اى شئ تحب ان اتكلم .. قال واذا شيخ معه عصا يتوكأ عليها .. فقال صف لنا هذه العصا .. فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم ذكر السماء .. فقال رفعها الله بغير عمد وجعل فيها نجوم رجم ونجوم اقتداء وادار فيها سراجا وقمرا منيرا لتعلموا عدد السنين والحساب .. وانزل منها ماء مباركا أحيا به الزرع والضرع وأدرّ به الاقوات وحفظ به الارواح وانبت به انواعا مختلفة يصرفها من حال الى حال .. تكون حبة ثم يجعلها عرقا ثم يقيمها على ساق فبينا تراها خضراء ترف اذ صارت يابسة تتقصف لينتفع بها العباد وتعمر بها البلاد .. وجعل من يبسها هذه العصا ..ثم اقبل على الشيخ .. فقال وكان هذا نطفة فى صلب ابيه ثم صار علقة حين خرج منه ثم مضغة ثم لحما وعظما فصار جنينا اوجده الله بعد عدم وانشاه مريدا ووفقه مكتهلا ونقصه شيخا حتى صار الى هذه الحال من الكبر فاحتاج فى آخر حالاته الى هذه العصا فتبارك المدبر للعباد .. قال شبيب ما سمعت كلاما على يديه احسن منه .. وقال معاوية يا أشدق قم عند قروم العرب وجحاجحها . فسلّ لسانك . وجُل فى ميادين البلاغة . وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال . فأنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على على بن ابى طالب (رضى الله عنه) كتابا وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته ،،

ولما اقام ابو جعفر صالحا * خطيبا بحضرة شبيب .. فقال يا امير المؤمنين ما رأيت كاليوم ابين بيانا . ولا اربط جنانا . ولا افصح لسانا . ولا ابلّ ريقا . ولا اغمض عروقا . ولا احسن طريقا .. الاان الجواد عسير لم يرُضْ . فحملته القوة على تعسف الاكام وخبطها وترك الطريق اللاحب .. وايم الله ان لو عرف فى خطبته مقاطع الكلام لكان افصح من نطق بلسان .. وقال المأمون ما اعجب بكلام احد كاعجابى بكتاب القاسم بن عيسى .. فانه يوجز فى غير عجز . ويضيب مفاصل الكلام . ولا تدعوه المقدرة الى الاطناب . ولا تميل به الغزارة الى الاسهاب . يجلى عن مراده فى كتبه . ويصيب المغزى فى الفاظه .. وكان يزيد * بن معاوية .. يقول اياكم ان تجعلوا الفصل وصلا . فانه اشد واعيب من اللحن .. وكان اكثم بن صيفى اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه افصلوا بين كل منقضى معنى . وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض .. وكان الحرث * بن ابى شمر الغسانى .. يقول لكاتبه المرقش اذا نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الالفاظ فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن ان يمذق نفرت القلوب عن وعيها وملته الاسماع واستثقلته الرواة .. وكان بزرجمهر .. يقول اذا مدحت رجلا وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلا حتى تعرف المدح من الهجاء كما تفعل فى كتبك اذا استأنفت القول واكملت ماسلف من اللفظ ،،

وقال الحسن بن سهل لكاتبه الحرانى . مامنزلة الكاتب فى قوله وفعله .. قال ان يكون مطبوعا محتنكا بالتجربة . عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامها . وبالدهور فى تداولها وتصرفها . وبالملوك فى سيرها وايامها . مع براعة اللفظ . وحسن التنسيق . وتأليف الاوصال . بمشاكلة الاستعارة . وشرح المعنى . حتى تنصب صورها بمقاطع الكلام . ومعرفة الفصل من الوصل فاذا كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد .. والقول اذا استكمل آلته واستتم معناه فالفصل عنده ،، وكان عبد الحميد الكاتب اذا استخبر الرجل فى كتابه فكتب .. خبرك . وحالك . وسلامتك .. فصل بين هذه الاحرف ويقول قد استكمل كل حرف منها آلته ووقع الفصل عليه ،، وكان صالح بن عبد الرحمن التميمى الكاتب يفصل بين الايات كلها وبين تبيعتها من الكتاب كيف وقعت وكان يقول ما استؤنف — ان — الا وقع الفصل ،، وكان جبل بن يزيد يفصل بين الفاآت كلها وقد كره بعض الكتبة ذلك واحبه بعض ،، وفصل المأمون عند — حتى — كيف وقعت وأمر كتابه بذلك .. فغلط احمد بن يوسف ووصل حتى بما بعده من اللفظ .. فلما عرض الكتاب على المأمون أمر باحضاره .. فقال لعن الله هذه القلوب حين اكنّت العلوم بزعمكم . واجتنت ثمر لطايف الحكمة بدعواكم . قد شغلتموها باستظراف ماعزبَ عنكم علمه . عن تفهم مادونتموه . وتفحص ماجمعتموه

وتعرف مااستقدمتموه . اليس قدتقدمنا اليكم بالفصل عندحتى حيثما وقعت من الالفاظ .. فقال ياامير المؤمنين قد ينبوا السيف وهوصميم . ويكبوا الجواد وهوكريم . وكان لايعود فى شئ من ذلك .. وكان يأمر كتابه بالفصل بين .. بل . وبلى . وليس .. وأمر عبدالملك كتابه بذلك الا ليس ،، وقال المأمون ما اتفحص من رجل شيئا كتفحصى عن الفصل والوصل فى كتابه . والتخلص من المحلول الى المعقود .. فان لكل شى جمالا . وحلية الكتاب وجماله ايقاع الفصل موقعه . وشحذ الفكرة واجالتها فى لطف التخلص من المعقود الى المحلول ،،

وقلنا ومعنى المعقود والمحلول هاهنا .. هو انك اذا ابتدأت مخاطبة .. ثم لم تنته الى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك سمى الكلام معقودا .. واذا شرحت المستور وابنت عن الغرض المنزوع اليه سمى الكلام محلولا .. مثال ذلك ما كتب بعضهم ،، وجرى لك من ذكر ماخصك الله به . وافردك بفضيلته . من شرف النفس والقدرة . وبعد الهمة والذكر . وكمال الاداة والآلة . والتمهد فى السياسة والايالة . وحياطة اهل الدين والادب . وانجاد عظيم الحق بضعيف السبب . مالايزال يجرى مثله عند كل ذكر يتخذ ذلك. وحديث يؤثر عنك ،، فالكلام من اول الفصل الى آخر قوله — بضعيف السبب — معقود فلما اتصل بما بعده صار محلولا .. وما كتب بعضهم ربما كانت مودة السبب . اوكد من مودة النسب . لان المودة التى تدعوا اليها رغبة . اورهبة. اوشكر نعمة . اوشاكلة فى صناعة . اومناسبة بمشاكلة مودة معروفة وجوهها . موثوق بخلوصها . فتوكدها بحسب السبب الداعى اليها. ودوامها بدوامه. واتصالها باتصاله. ومودة القربى وان اوجبتها اللحمة. فهى مشوبة بحسد ونفاسة . وبحسب ذلك يقع التقصير فيما يوجبه الحال . والاضاعة لما يلزم من الشكر. والله يعلم انى اودك مودة خالصة لم تدع اليها رغبة فيزيلها استغناء عنها . ولااضطرت اليها رهبة. فيقطعها أمن منها . وان كنت مرجواً للموهبات بحمدالله . ومقصدا من مقاصد الرغبات. وكهفا وحرزا من الموبقات .. فهذا الكلام كله معقود الى قوله — مشاكلة مودة — فلما اتصل بما بعده صار محلولا ،، وقال بعضهم انظر سددك الله ان لاتدعوك مقدرتك على الكلام الى اطالة المعقود فان ذلك فساد ما اكننته فى صدرك واردت تضمينه كتابك واعلم ان اطالة المعقود يورث نسيان ماعقدت عليه كلامك وارهبت به فكرتك ،، وكان شبيب بن شبة .. يقول لم ار متكلما قط اذكر لما عقد عليه كلامه ولا احفظ لما سلف من نطقه من خالد بن صفوان يشبع المعقود بالمعانى التى يصعب الخروج منها الى غيرها ثم يأتى بالمحلول واضحا بينا مشروحا منورا وكان السامع لايعرف مغزاه ومقصده فى اول كلامه حتى يصير الى آخره ،، وقال بعضهم ليس يحمد من القائل ان يعمى

معرفة مغزاه على السامع لكلامه فى اول ابتدائه حتى ينتهى الى آخره .. بل الاحسن ان يكون فى صدر كلامه دليل على حاجته ومبين لمغزاه ومقصده .. كما ان خير أبيات الشعر ما اذا سمعت صدره عرفت قافيته ،، وكان شبيب بن شبة .. يقول الناس موكلون بتعظيم جودة الابتداء وبمدح صاحبه . وانا موكل بتعظيم جودة المقطع و بمدح صاحبه .. وخير الكلام ماوقف عند مقاطعه . وبين موقع فصوله ،،

قلنا ومما لم يبين موضع الفصل فيه فاشكل الكلام .. قول المخبل للزبرقان بن بدر

وابوك بدركان يَنْتَهِسُ الحصى   وأبى الجوادُ ربيعة بن قِبَال [١]

فقال الزبرقان .. لا بأس شيخان اشتركا فى صنعة .. وقلما رأينا بليغا الا وهو يقطع كلامه على معنى بديع . اولفظ حسن رشيق .. قال لقيط فى آخر قصيدة

لقد مَحَضْتُ لكم ودى بلادَخَلِ   فاستيقظوا ان خير العلم مانفعا [٢]

فقطعها على كلة حكمة عظيمة الموقع .. ومثله .. قول امرئ القيس

الا ان بعد العُـدمِ للمرء قِنْوَةً   وبعدالمشيب طول عُمْرٍ ومَلْبَسَا [٣]

فقطع القصيدة ايضا على حكمة بالغة .. وقال ابو زيد الطائى * فى آخر قصيدة

كل شيْ تحتال فيه الرجال   غير اَنْ ليس للمنايا احتيال

وقال ابو كبير

فاذْ وذلك ليس الّا ذِكْرُهُ   واذا مضى شيْ كأن لم يُفْعَلِ

---

[١] — سبق للمصنف الاستشهاد به وذكرنا اختلاف النسخ فيه وتيسر لنا تطبيقه على ثلاث نسخ غير الاوليتان فصح ويكون حينئذ وجه الخطأ فيه موالاته بين اسم ابيه واسم بدر فاشتبه بانّ ذلك جمع لهما فى انتهاس الحصى اى خفيه

[٢] — الدخل — كالدغل اى الفساد .. وقوله خير العلم مانفعا .. هو الحكمة فى البيت وجاء فى نسخة خير القول والبيت من قصيدته التى مطلعها

يا دار عمرة من محتلها الجرعا   هاجت لى الهم والاحزان والوجعا

وهى من مختار الشعر العربى وبسببها قطع كسرى لسان لقيط هذا وسنوردها والحكاية فى ترجمته ان شاء الله

[٣] — القنوة — بالكسر وتضم وذلك الكسبة من المال يقتنيه .. وقوله بعد المشيب هكذا فى ديوانه وفى الاصل وبعد الشباب فان صحت هذه الرواية فيحتاج لتقدير يقدره ليقيم به المعنى والا فتكون الحكمة غير بالغة فتأمل

فينبغى ان يكون آخر بيت قصيدتك اجود بيت فيها وادخل فى المعنى الذى قصدت له فى نظمها .. كما فعل ابن الزبعرى فى آخر قصيدة يعتذر فيها الى النبى صلى الله عليه وسلم ويستعطفه

فَخُذ الفضيلة عن ذنوب قدخَلَتْ   واقبلْ تضرعَ مُسْتَضِيف ٍ تائب

فجعل نفسه مستضيفا ومن حق المستضيف ان يضاف واذا اضيف فمن حقه ان يصان وذكر تضرعه وتوبته مماسلف وجعل العفو عنه مع هذه الاحوال فضيلة .. فجمع فى هذا البيت جميع مايحتاج اليه فى طلب العفو .. وقول تأبط شرا فى آخر قصيدته

لتقرعَنّ على السن من نَدَم ٍ   اذا تذكرت يوما بعض أخلاقى

هذا البيت اجود بيت فيها لصفاء لفظه . وحسن معناه .. ومثله قول الشنفرى فى آخر قصيدة

وانى لحلو ان اريد حلاوتى   ومر اذا نفسُ العزوف أمرّت

أبِّى لما آبى قريبٌ مقادتى   الى كل نفس تَنْتَحى فى مسرتى

فهذان البيتان اجود مافخر به من هذه القصيدة .. وقال بشر بن ابى خازم فى آخر قصيدته [١]

ولاُيُنجى من الغمرات الا   بَرَاكاء القتال أو الفرار

فقطعها على مثل سائر والامثال احب الى النفوس لحاجتها اليها عند المحاضرة والمجالسة .. وقال الهذلى

عصاك الأقارب فى أمرهم   فزايلْ بأمرك اوخالط

ولاتسقطنّ سُقوط النوا   ة من كف مُرْتَضَخ لاقط

فقطعها على تشبيه مليح ومثل حسن .. وهكذا يفعل الكتاب الحذاق . والمترسلون المبرزون .. الاترى ماكتب الصاحب فى آخر رسالة له .. فان حنثت فيما حلفت . فلاخطوت لتحصيل مجد . ولانهضت لاقتناء حمد . ولاسعيت الى مقام فخر . ولاحرصت على علو ذكر . وهذه اليمين التى لوسمعها عامر بن الظرب لقال هى الغموس . لاالقسم باللات والعزى ومناة

[١] — البراكاء — الثبات فى الحرب والجد واصله من البروك

الثالثة الاخرى .. فاتى بإيمان ظريفة ومعان غريبة .. وكتب ايضاً فى آخر رسالة .. وانا متوقع لكتابك . توقع الظمآن للماء الزلال . والصوام لهلال شوال ،، وكتب آخر اخرى .. وسئل ان اخلفه فى تجشيم مولاى الى هذا الجمع . ليقرب علينا تناول البدر بمشاهدته . ولمس الشمس بغرته .. فانظر كيف يقطع كلماته على كل معنى بديع ولفظ شريف ،،

ومن حسن المقطع وجودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها فى موضعها وذلك على ثلاثة اضرب .. فضرب منها ان يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتى بلفظ قصير قليل الحروف فيتمم به البيت .. كقول زهير

وأعلمُ مافى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم مافى غدٍ عَمِى

وقول النابغة

كالأقحوان غداة غب سمائه [١] جفَّتْ أعاليه وأسفله نَدِى

وقال الاعشى

وكأس شربتُ على لَذَّةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها

وقول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقول طرفة

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتنى منيعا اذا بُلَّتْ بقائمه يدى

وقول النابغة

زعم الهمام ولم أذقه انه يشفى ببرد لثاتها العطشُ الصَدى

وقال آخر

الا يا غُرابَى بَيْنهَا لاتصدّعا فطيرا جميعا بالنوى أوْقَعَا مَعَا

وقول متمم *

فلما تفرقنا كأنى ومالكاً لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا

وقول الاعشى

فظللت أرعاها وظلَّ يحوطُها حتى دَنَوتُ اذا الظلامُ دَنَالَها

[١] — السماء — المطر اى بعد المطر

وقول النابغة [١]

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به ‏ ‏ ‏ ان كان تفريقُ الاحبة فى غدِ

أفِدَ الترحلُ غير أنَّ ركابنا ‏ ‏ ‏ لمَّا تَزُلْ برحالنا وكأن قَدِ

وقول ابن احمر [٢]

وقال عديّ بن زيد

فان كانت النعماءُ عندك لامرئٍ ‏ ‏ ‏ فَمِثْلاً بها فاجْزِ المطالب أوْزِدِ

وقال ابن ابي حيّة

فقلن لها سراً فديناك لا يَرُحْ ‏ ‏ ‏ صحيحاً والاّ تقبليه فألممي

[فألقتْ قناعا دونه الشمس واتّقت ‏ ‏ ‏ بأحسن موصولَيْن كفٍ ومعصَمِ]

وقالت فلما أفرغت فى فوءاده ‏ ‏ ‏ وعينيه منها السحر قُلْنَ له قُمْ

فودّ بجِذْعِ الأنف لوأنّ صَحْبَهُ ‏ ‏ ‏ تَنَادَوْا وقالوا فى المناخ له نَمِ

ومن شعر المحدثين .. قول ابن ابي عيينة

دُنْيَا دعونك مسْمعاً فأجيبى ‏ ‏ ‏ وبما اصطفيتُكِ للهوى فأثيبى

دومى أُدُمْ لك بالوفاء على الصفا ‏ ‏ ‏ انى بعهدك واثق فثقى بى

وقال آخر

أتتنى تؤنبنى فى البكا ‏ ‏ ‏ فأهلاً بها وبتأنيبها

تقول وفى قولها حشمة ‏ ‏ ‏ أتبكى بعين تراني بها

فقلت اذا استحسنتْ غيركم ‏ ‏ ‏ أمرتُ الدموع بتأديبها

---

[١] — البيت الثانى فى ديوانه متقدم على البيت الاول .. وبينهما قوله

زعم الغداف بأن رحلتنا غداً ‏ ‏ ‏ وبذاك خبرنا الغداف الاسود

— الغداف — الغراب .. وقوله — أفد — اى دنا وقرب — والركاب الابل ولا يقال راكب الا لراكب البعير خاصة كذا فى شرح ديوانه

[٢] — فى نسختين من الاصل ذكر ابن احمر ولم يذكر الشعر وكتب فى هامش احدهما هكذا فى الأم وباقى النسخ لم يتعرضوا لذكر ابن احمر

فقوله — ترانى بعين وتبكى بها — حسن الوقع جدا .. وقلت

سيقضى لى رضاك برّد مالى   ويعمدُ حسن رأيك كَشْفَ مابى

وقلت

وذقت مهوى النجم ريقا خَصراً   لو كان من ناجود خمر ماعدا

وقد تنعمت بنشر عطرٍ   لو كان من فارة مسك كان دا

والضرب الاخر . وهو ان يضيق به المكان ايضا ويعجز عن ايراد كلمة سالمة تحتاج الى اعراب ليتم بها البيت .. فيأتى بكلمة معتلة لا تحتاج الى الاعراب فيتمه به .. مثل قول امرئ القيس

بعثنا ربيّاً قبل ذاك مخملا   كذئب الغضا يمشى الضرآء ويتقى [١]

وقول زهير

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو   [واقفر من سلمى التعاليقُ فالثقلُ]

ثم قال

وقد كنت من سلمى سنينا ثمانياً   على صَيْر أمر مايُمرُّ وما يحلو [٢]

وقال

لذى الحلم من ذُبيَان عندى مودةٌ   وحفظٌ ومن يلْحم بى الشر انسج

مخوف كان الطير فى منزلاته   على جيَف الحَسْرَى مجالس تَنْتَجِى

وقوله

وأراك تفرى ما خلقت وبعـ   ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

وقول ابى كبير [٣]

[ولقد ربأت اذا الصحابُ تواكلوا   جمر الظهيرة فى البقاع الأطول]

---

[١] — مشى الضرآء — هى المشى فيما يواريك ممن تكيده وتختله

[٢] — قوله على صير امر — اى على اشراف امر .. وضبط هذا الحرف بغير الاصل بكسر الصاد فالبحرر

[٣] — ربأت — من ربأ القوم يربأهم اذا اطلع عليهم من شرف — وأطر السحاب — اعوجاج تراه فيه .. والأطر هنا مصدر واقع فى معنى المفعول — والمعابل — بالفتح جمع معبلة بالكسر وهى نصل طويل عريض — والمسهكة — ممر الريح اذا مرت مرا شديدا

[فى رأس مشرفة القَذَال كأنما   أطرُ السحاب بها رياض المَجْدَل]
ومَعَابلاً صُلْعَ الظُبَات كأنها   جمر بمَسْهكَةٍ تُشَبُّ لمُصْطَلِى

[فقوله — لمصطلى — متمكنة فى موضعها] وقول ذى الرمه

اراح فريقُ جيرتك الجمالا   كأنهم يريدون احتمالا
فكدتُ أموتُ من حَزَنٍ عليهم   ولم ار حادىَ الاظعان بالا

[فقوله — بالا — عجيبة الموقع] اخذه من .. قول زهير

لقد باليتُ مَظْعَن أم أوفى   ولكن أم أوفى لاتُبَالى

وقول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وقال آخر

وجوهٌ لوان المدلجين أعتشوا بها   صدَعْنَ الدجى حتى ترى الليل ينجلى

والضرب الثالث .. ان تكون الفاصلة لايقة بما تقدمها من الفاظ الجزء من الرسالة اوالبيت من الشعر .. وتكون مستقرة فى قرارها. ومتمكنة فى موضعها .. حتى لايسد مسدها غيرها .. وان لم تكن قصيرة قليلة الحروف كقول الله تعالى (وانه هو أضحك وأبكى وانه هو امات وأحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى)وقوله تعالى (وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى) .. فابكى مع اضحك . وأحيى مع امات . والانثى مع الذكر. والاولى مع الاخرة . والرضى مع العطية .. فى نهاية الجودة. وغاية حسن الموقع .. ومن الشعر .. قول الحطيئة

هم القوم الذين اذا ألمّت   من الايام مظلمة اضاؤا

وقول عدى بن الرقاش

صلى الاله على امرئ ودّعته   واتمّ نعمته عليه وزادا

وقول زياد بن جميل *

همُ البحور عطاءً حين تسئلهم وفى اللقـاء اذا تلقى بهم بهمُ

وهذا مستحسن جدا لما تضمن من التجنيس .. ومن ذلك قول البحترى

ظللنا نرجم فيك الظنون أحاجبه أنت أم حاجبه

وقول ابى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت له عن عدوّ فى ثيـاب صديق

— الصديق — هاهنا جيد الموقع .. لان معنى البيت يقتضيه وهو محتاج اليه .. وقول جميل

ويَقُلْنَ أنك قد رضيتَ بباطـل منها فهل لك فى اعتزال الباطل

— الباطل — هاهنا جيد الموقع لمطابقته مع الباطل الاول .. وقلت

وقد زُيِّنَتْ أسـواقه بطرايف اذا انصرفت عنها العيون تعود

— تعود — هاهنا جيد متمكن الموقع .. ومما عيب من القوافى .. قول ابن قيس الرقيات .. وقد انشد عبد الملك

ان الحوادث بالمدينـة قد أوجعننى وقرعن مَرْوَتِيَهْ

وجببنى جب السنام فلم يتركن ريشـا فى مناكبِيَهْ

فقال له عبـد الملك احسنت الا انك تخنثت فى قوافيه .. فقال ما عدوت قول الله عز وجل ﴿ ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سـلطانيه ﴾ وليس كما قال .. لان فاصلة الآية حسنة الموقع وفى قوا فى شعره لين ،،

ومن عيوب القوا فى .. ان تكون القافية مستدعاة لاتفيد معنى وانما اوردت ليستوى الروى فقط مثل .. قول ابى تمام

كالظبية الادماء صافت فارتعت زهر العَرَار الغض والجَثْجَاثا

ليس فى وصف الظبية انهـا ترتعى — الجثجاث — فايدة وسـوآء رعت الجثجـاث اوالقلام اوغير ذلك من النبت .. واذا قصد لنعت الظبية بزيادة حسن قيل انهـا تعطوا

الشجر لانها حينئذ ترفع رأسها فيطول جيدها وتظهر محاسنها .. كما قال الطرماح [١]

مثلَ ما عاينت مخروفةً   نصها ذاعرُ رَوْعٍ مُؤام

يصف انها مذعورة تفتح عينها وتمد جيدها فيبدو للعين محاسنها .. قال زهير

وقريب منه قول الآخر [٢]

وسابغة الاذيال زَغْفٍ مُفاضةٍ   تكنّفها منى بجاد مخطط

وليس لتخطيط البجاد معنى يرجع الى الدرع ولا الى السيف .. ومثله قول الاخر

أأنشر البر فيمن ليس يعرفه   وانثر الدر بين العمى فى الغلس

ليس لذكر الغلس مع العمى معنى .. لان الاعمى يستوى عنده الغلس والهاجرة ولو قال العمش لكان اقرب من العمى على ان الجميع لاخير فيه .. ومن هذا النوع .. قول القرشى

ووُقيتَ الحتوف من وارث وا   لٍ وأبقاك صالحاً ربُّ هود

ليس نسبة الله تعالى الى انه رب هود باولى من نسبته اياه عز اسمه الى انه رب نوح او غيره .. وقول ابن الرومى

الا ربما سُؤتُ الغيور وساءنى   وبات كلانا من أخيه على وحرِ

وقبلت افوا ها عذابا كأنها   ينابيع خمر حُصّبَتْ لؤلؤ البحر

فقوله — لؤلؤ البحر — أفسد البيت واطفأ نور المعنى لان اللؤلؤ لايكون فى غير البحر فنسبته الى البحر لافائدة فيه الا اقامة الروى على ماقدمناه [ورأيت المعنى جيداً فقلت]

[مر بنا يستميله السكر   وكيف يصحو وريقه خمر]

[قبلت فيه على مراقبةٍ   ينبوع خمر حصباؤه در]

---

[١] — هنا بياض فى الاصل وكذا عند قوله قال زهير وحرر فى هامش نسخة كتبت فى المائة الخامسة كذا فى الام .. وقد ظفرت ببيت الطرماح فى فصل عيوب ائتلاف المعنى والقافية من النقد فانزلته مكانه والله الموفق

[٢] — قائله على بن محمد البصرى — والزغف — يحرك ويسكن الدرع المحكمة .. وفى غير الاصل — البجاد المخطط — بأل التعريف

ومن القوا فى الردئية قول رؤبة

يُكْسَيْنَ من لين الشباب نَيمًا

— النيم — الفرو واى حسن للفرو فيشبه به شباب النساء . وماقال احدعليه من الشباب اومن الحسن فرو .. وانما يقال — ردآء الشاب . وبرد الشباب . وثوب الشباب — ولم يقولوا — قميص الشباب — وهو اقرب من الفرو ولوقاله قائل لم يحسن لانه لم يستعمل وانما احتاج الى الميم فوقع فى هذه الرذيلة ،،

وهـذا باب لواطلقت العنان فيه لطال فيشغل الاوراق الكثيرة ويصرم فيه الزمان الطويل وفيما ذكرناه كفاية انشاءالله تعالى

الفصل الثالث من الباب العاشر

فى الخروج من النسيب الى المدح وغيره

كانت العرب فى اكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها .. ثم اذا ارادت الخروج الى معنى آخر .. قالت — فدع ذاوسل الهم عنك بكذا — كما قال

فدع ذاوسلّ الهمّ عنك بجسرة ذمولٍ اذا صام النهار وهجّرا

وكما قال النابغة

فسليت ماعندى بروحة عِرْمسٍ [١] تخبُّ برجلى مرة وتُنَاقِلُ

وربما تركوا المعنى الاول وقالوا — وعيس او وهوجاء — وما اشبه ذلك .. كما قال علقمة

اذا شاب ارأس المرء أوقل ماله فليس له فى ودهن نصيب
وعيس بريناها كأن عيونها قوارير فى أدهانهن نصوب

فاذا ارادوا ذكر الممدوح .. قالوا — الى فلان — ثم اخذوا فى مديحه .. كما قال علقمة

[١] — العرمس — الصخرة وشبهت بها الناقة اذا كانت صلبة شديدة

وناجية أفنى ركيبَ ضلوعها ... وحاركها تهجّر ودؤوب

وتصبح من غبّ السرى وكأنها ... مولعة تخشى القَنيصَ شَبوبُ

فوصفها ثم قال

الى الحارث الوهاب أعملتُ ناقتي ... لِكَلْكَلِهَا والقُصْرَيَيْنِ وجيبُ

وقال الحرث بن حلزة

أنمي الى حرف مذكرة ... تهِضُ الحصى بمناسم مُلْسِ

ثم قال

افلا نُعدّيها الى ملك ... شهم المقادة حازم النفس

ثم اخذ فى مديحه .. وربما تركوا المعنى الاول واخذوا فى الثانى من غير ان يستعملوا ماذكرنا ..قال النابغة

تقاعَسَ حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذى يرعى النجوم بآيب

علىَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب

وقال ايضا [١]

على حين عاتبت الفؤاد على الصبى ... وقلت ألمّا أصحُ والشيب وازعُ

وقد حال همٌّ دون ذلك داخلٌ ... ولوجَ الشغاف تبتغيه الاصابعُ

وعيدُ أبى قابوس فى غير كُنهه ... أتانى ودونى راكسٌ والضواجعُ

والبحترى يسلك هذه الطريقة فى اكثر شعره .. فاما الخروج المتصل بما قبله فقليل فى اشعارهم .. فمن القليل .. قول دجانة بن عبد قيس التيمى

وقال الغوانى قد تضمّر جلده ... وكان قديما ناعم المُتبذّل

فلا تأس انى قد تلافيت شيبتى ... وهزا الغوانى من شميط مُرجّل

بمشرفة الهادى نبذ عنانها ... يمين الغلام الملجم المتدلل

[١] — راكس — واد — والضواجع — جمع ضاجعة وهى منحنى الوادى

فوصل وصف الفرس بما تقدم من وصفه الشيب وصلا .. وقال تأبط شرا

انى اذا خُـلَّةٌ ضنت بنـائلها وامسكتْ بضعيف الحبل احذاق

نجوت منهـا نجآئى من بجيلة إذْ القيت ليلة حتَّ الرهط ارواقى

وقريب منه .. قول اوس بن حجر فى وصف السحاب

دان مُسفّ فويق الارض هيدبه يكـاد يدفعـه من قام بالراح

ثم قال

سقى ديارى بنى عوف وساكنها ودار علقمة الخـير ابن صبّاح

وقال زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ كن الجواد على علاته هرم

واما المحدثون .. فقد اكثروا فى هذا النوع .. قال مسلم بن الوليد

اذا شئتما ان تسقيانى مـدامة فلا تقتلاهـا كل ميْت محرَّمُ

خلطنا دما من كرمة بدمائنـا فأثر فى الالوان منـا الدَّمَ الدَّمُ

ويقظى ثنيت النوم فيها بسكرة لصهباء صرعاها من السكر نوّمُ

فمن لامنى فى اللهو أولام فى الندى أبا حسن زيد الندى فهو ألومُ

وقال منصور النمرى فى الرشيد

اذا امتنع المقال عليك فامدح اميرالمؤمنـين تجد مقـالا

فتى ما ان تُزالُ به ركـاب وضعنَ مدائحا وحملن مالا

وقال ابوالشيص

اكل الوجيفُ لحومها ولحومَهم فأتوك أنقاضـا على أنقـاض

ولقد أتتك على الزمان سواخطا ورجعن عنك وهنّ عنه رواض

وقال ابن وهيب*

ما زال يلثمنى مراشـفه ويعلّنى الابريقُ والقـدحُ

حتى استرد الليل خلعته ونشا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين تمتدح

وقال

لبس البلى فكأنما وجدا بعد الاحبة مثل ما اجد

وقال الطائى

صب الفراق علينا صب من كثب عليه اسحاق يوم الروع منتقما

اساءة الحادثات استبطنى نفقا فقد اظلك احسان بن حسان

وقال عبدالصمد بن المعذل

ولاح الصباح فشبهته على بن عيسى على المنبر

وقال البحترى

كأنها حين لجت فى تدفقها يد الخليفة لما سال واديها

شقايق يحملن الندى فكأنها دموع التصابى فى خدود الخرايد
كأن يدالفتح بن خاقان أقبلت تليها بتلك البارقات الرواعد

وقال مسلم

اجدك هل تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر
لهوت بها حتى تجلت بغرة كغرة يحى حين يذكر جعفر

وقال آخر

وكلانا قد احدث الراح فيه زهو يحى بن خالد بن الوليد

وقال [ابو] البصير *

فقلت لها عبيدالله بينى وبين الحادثات فلا تراعى
أأصبح منه معتصما بحبل وتقصر نعمتى ويضيق باعى
كفرت اذاً صنايعه وظلت تعاتبه المرؤة فى اصطناعى

وقال البحترى فى ياقوتة

اذا التهبت فى اللحظ ضاهى ضياؤها جبينك عند الجود اذ يتألق

وجرّ على الدَّجن هُدَّابَ مزنه او آخره فيه واوله عندى
تأخر عن ميقاته فكأنه ابو صالح قد بت منه على وعد

وقال بكر بن النطاح

ودوّية خلقت للسراب فامواجه بينها تزخر
ترى جنها بين أضعافها حلولا كأنهم البربرُ
كأن حنيفة تحميهم فالينهم خشن أزورُ

وقال دعبل

وميثاء خضرآء مُوشّية بها النور يزهر من كل فنّ
ضحوك اذا لاعبته الرياح تأوّد كالشارب المرجحنّ
فشبه صحبى نوّاره بديباج كسرى وعصب اليمن
فقلت بعدتم ولكننى اشبهه بجناب الحسن
فتىً لا يرى المال الا العطا ولا الكنز الا اعتقاد المنن

قالت وقد ذكّرتُها عهد الصبى باليأس تقطع عادةُ المعتاد
الاّ الامام فان عادة جوده موصولة بزيادة المزداد

وقال غيره

وكأن الرسوم اخنى عليها بعض غاراتنا على الاعدآء

وقال البحترى

بين السقيفة فاللوى فالاجرع دمن حبسن على الرياح الاربع
فكأنما ضمنت معالمها الذى ضمنته احشاء المحب الموجع

اقول لثَّجاج الغمام وقد سرى ... لمحتفل الشُؤبوب صابَ فعمَّما
أقلْ أوا كثرْ لست تبلغ غايةً ... تبين بها حتى تُضارِعُ هيثما
فتى لبست منه الليالى محاسنا ... اضاء لها الافق الذى كان مظلما

قد قلت للغيث الرُّكام ولجَّ فى ... إبراقه والحّ فى إرعاده
لاتعرضنّ لجعفرٍ متشبها ... بندى يديه فلست من أنداده

لعمرك ماالدنيا بناقصة الجدى ... اذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

أبرق تجلى أم بدا ابن مُدبّرٍ ... بغرة مسئولٍ رأى البُشر سائله .

ادارهُمُ الاُولى بدارَةِ جَلْجَل ... سقاك الحيا روحاتُهُ وبواكره
حيائك يحكى يوسف بن محمد ... فروّتك رياه وجادك ماطره

كأن سناها بالعشى لشربها ... تبلج عيسى حين يلفظ بالوعد

آليت لاأجعل الاعدام حادثةً ... تُخشى وعيسى بن ابراهيم لى سند

ايام غصن الشباب تهتز كالا ... أسمَرِ فى راحة بن حمَّاد

لاوالذى سنّ للمدامة والْ ... ماء نكاحا بغير تطليق
مارمقت مقلتاى اسمح فى الْ ... عالم من راحة احمد بن مسروق

وقال على بن جبلة

وغيث تأنقه نوؤه ... فالبسه عَلَلاً أربَدا
تظل الرياح تُهادى به ... اذا ما تحيّز أوغردا
كأن تواليه بالعرا ... ء تهوى الى جَلْمَدٍ جلمدا
تداعى تميم غداة الج ... فار تدعوا زُرارة أومعبدا

وقال على بن الجهم

وسارية ترتاد أرضاً تجودها … شغلت بها عينا قليلا هجودها
أتتنا بها ريح الصبا فكأنها … فتاة تزجيها عجوز تقودها
فما برحت بغداد حتى تفجرت … بأودية ماتستفيق مدودها
فلما قضت حق العراق واهلها … أتاها من الريح الشمال بريدها
فمرت تفوت الطرف سعيا كانها … جنود عبيدالله ولت بنودها

وقال ايضا

دبرنَ وللصباح معقبات … تقلّص عنه أعجاز الظلام
فلما أن تجلى قال صحبى … اضوْ الصبح أمْ وجه الامام

وقال البحترى

سُقيت رُباك بكل نوء جاعل … من وبله حقاً لها معلوما
فلوانّى اعطيت فيهنّ المنى … لسقيتهن بكف ابراهيما

قل لداعى الغمام لبيك وأحلل … عُقَل العيس كى يُجيب الدعاءَ

وقال ابوتمام

يا صاحبي تقصّيا نظريكما … تريا وجوه الارض كيف تصوّرُ
تريا نهاراً مشرقا قد شابه … زهر الربى فكأنما هو مقمرُ
خلق اطل من الربيع كأنه … خلق الامام وهَديه المتنشّرُ

فالارض معروف السماء قرىً لها … وبنوا الرجاء لهم بنوالعباس

تجاهد الشوق طورا ثم تتبعه … مجاهدات القوافى فى أبى دلفا

اذا العيس لاقت بى أبا دُلَف فقد … تقطّع مابينى وبين النوائب

تداو من شوقك الاقصى بما فعلت … خيل ابن يوسفَ والابطال تَطّردُ

لم يجتمع قط فى مصر ولاطرف　　محمد بن أبى مروان والنوب

ولقد بلون خلايق فوجدتنى　　سمح اليدين ببذل ودٍّ مُضْمَر
يعجبن منى اذسمحت بمهجتى　　وكذاك أعجب من سماحة جعفر
ملك اذا الحاجات لذن ببابه　　صافحن كف نواله المتيسر

لاوالذى هو عالم ان النوى　　صبرٌ وانّ أبا الحسين كريمُ

وقال آخر

سقيماتُ أرجاء العيون تركننى　　أُكابدُ أسقاماً ولستُ اعادُ
فيا عجبا ان الظباء بطرفها　　تصيدُ رجالا والظباء تُصادُ
وللبحر مابين الفرات ودجلة　　اؤمل منه الرىّ وهو جَمادُ

وقلت اذكر الشيب

أرانى منهاج الهدى فسلكته　　ولم تتشعَّب فى الضلال مذاهبى
وخبّر انّ الجهل ليس بائب　　الىّ وان الحلم ليس بعازب
فأفصح من بعد العجومة مادجى　　وأعجم من بعد الفصاحة عائبى
وردّ الى خير الانام مدائحى　　فحلّت محل العقد من جيدكاعب

وأنجمٍ كَرَبْرَبٍ فى سَرَبٍ　　يحكين غراً فى جلال خُطَبِ
والحور ترنو من خلال الحُجُبِ　　وعزمكم ورأيكم فى الخُطَبِ
وبيضكم وبيضُكم فى الحَرْبِ

ومن لم يوسّع للنوائب صدره　　افادته ضيقاً فى مرام ومذهب
وانى اذا القيت بينى وبينها　　أبا طاهر لم تدر كيف تُضْرُبى

نازعته غلس الظلام مدامةً　　تتعلم الاسكار من لحظاته

وكانها معصورة من خده　　مغصوبة بالدر من كلماته
تشكوا الزمان وذاك من لذاته　　وبقاء اسمعيل من حسناته

هذا تعد فى الشكاية ظاهر ... ولرب شاك معتدى بشكاته

كافى الكفاة برأيه وعزيمة ... كزمانه بخطوبه وهباته

عادة الايام لا أنكرها ... فرح تقرنه لى بترح

ان تكن تفسد ما تصلحه ... فكذا الدهر اذا درّ رمح

واذا قام على النهج انثنى ... واذا سار على القصد جنح

ويريبك فلا تفرح به ... فهو كالجازر ربى فذبح

غير ان النهى منه كلما ... جمح الدهر بوادى كبح

ومد علينا الليل ثوبا منمقاً ... وأشعل فيه الفجر فهو يحرق

وصبحنا صبح كأن ضياءه ... تعلم منا كيف يبهى ويشرق

تولت به الايام وانجردت ... بحسنه ولَعاتُ البين فانجردا

غدى له المزن منهلاًّ بوادره ... كأن فيه ليحى أصبعاً ويدا

تصعّد فيه وهو زرق حمامه ... فتحسب انا فى السماء نصعّد

أطفنا بمحمود السجية ماجد ... رضاه لما نرجوا من الخير موعد

بممتثل فعل السحاب اذا غدا ... يصفق فيها رعدها ويغرد

ومر بأكناف اللوى خاطر الصبا ... فحرض شوقا لايزال يحرض

بليل كما ترنو الغزالة أسود ... على انه من نور وجهك أبيض

يريدون ان أخشى واخشع للاذى ... وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخشع

وطهارة الاخلاق لم تظفر بها ... الا بحيث طهارة الاعراق

كخلائق الاستاذ ان جاوزتها ... تجد الخلايق غيرذات خلاق

مهرية الوى السفار بنحضها ... فتخالها تحت الرحال رحالا

امنت بساحة احمد بن محمد ... من ان يذل عزيزها ويزالا

وقد دلت الدنيا على عيب نفسها ... اذ التفتت للؤم بعد التكرم

فما نوّكت حتى استردت نوالها ... وشنت علينا ابؤسا بعد أنعم

ولكن سَيُعْدِيني عليها ابن احمد ... نبي الهدى وابن الوصي المكرم

وانى متى أعلق بسالف وده ... تبدلت من امرى سناما بمنسم

صرف العنان الى التناصف فى الهوى ... صرفى الرجاء الى نوال أبى على

وهذا ميدان لو جرينا فيه الى اقصاه . أتعبنا الناسخ . وامللنا السامع والناظر . وفى ماذكرناه كفاية ننتهى اليها . ونقتصر عليها . لان الارتقاء الى مافوقها هذر. كما ان القصور عنها عى وحصر . ونعوذ بالله منهما

وقد فرغت من شرح الابواب والفصول التى تقدم بها الشرط فى اول الكتاب .. وجعلتها واضحة نيرة . وملخصة بينة . من غير اخلال يقصر بها. او اكثار يزرى عليها . وقد نقحتها وأوضحتها وهذبتها وشذبتها حسب الطاقة .. وانا بعد ذلك معتذر من الزلل يكون فيها . والسقط يوجد فى الفاظها اومعانيها . فاذا مربك شئ من ذلك فاغتفر الزلة فيه فليس فى الدنيا برئ من جميع العيوب ولا مستقيم من كل الجهات .. وقد قلت

عز الكمال فما يحظى به بشر ... لكل خلق وان لم يذر ذو عاب

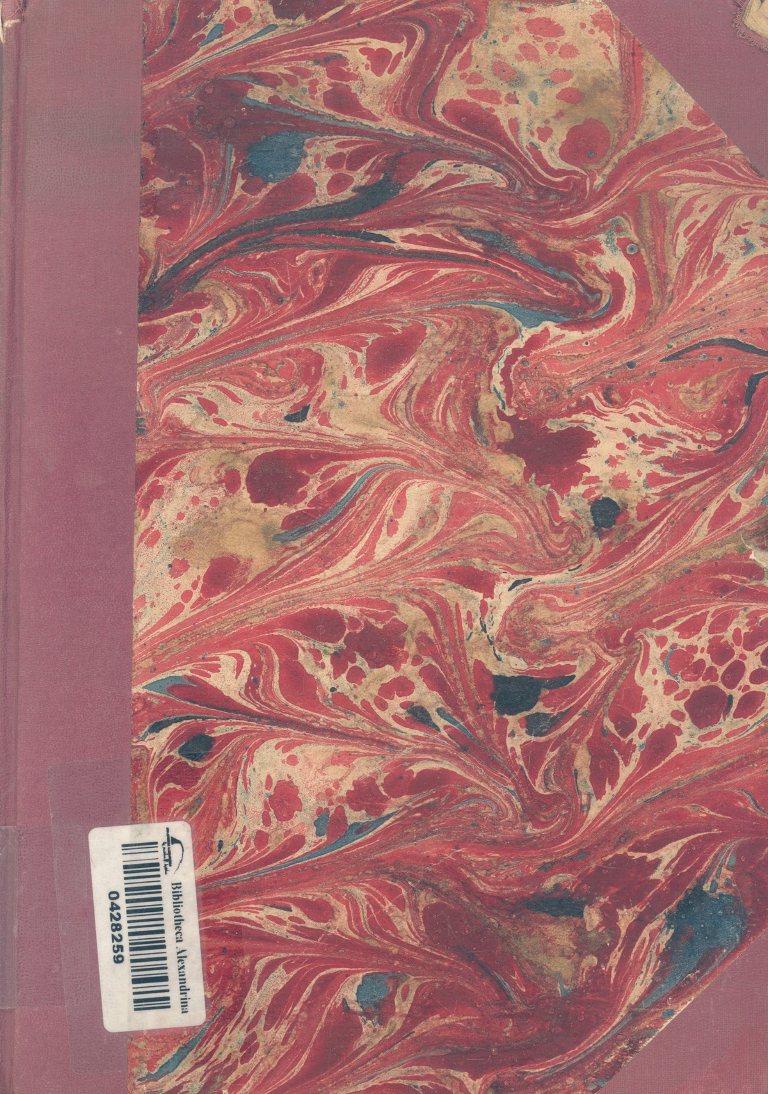
وقلت ايضا

لا تعتمد نشر العيوب وبثها ... يسلم لك الاخوان والاصحاب

واشدد يديك بما يقل معابه ... مافيهم من ليس فيه معاب

على ان هذا الكتاب قد جمع من فنون ماتحتاج اليه صناع الكلام مالم يجمعه كتاب أعلمه .. وكل شئ استعرته من كتاب وضمنته اياه .. فانى لم اخله من زيادة تبين واختصار الفاظ وغير ذلك مما يزيد فى قيمته ويرفع من قدره .. وانا اسئل الله تعالى النفع به والعون على حفظه وايزاع الشكر على النعمة فى التمكين من جمعه وهو جل ثناؤه ولى ذلك بمنه ولطفه وفرغت من تأليفه ورصفه وتصنيفه فى شهر رمضان سنة اربع وتسعين وثلاثماية والحمد لله رب العالمين وصلواته على رسوله محمد النبى الامى وآله اجمعين .




Bibliotheca Alexandrina
0428259